

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولما كان آخر هذه القصص في الحقيقة إبطال كل ما خالف^١ الإسلام الذي هو معنى "ان الدين عند الله الاسلام"^٢ - وما بعد ذلك إنما جرّه^٣ - ختم الآية بدعوى أن المخالفين من الخاسرين، وختم ذلك^٤ بأن من مات على الكفر لا يقبل إنقاذه^٥ للانقاذ مما يلحقه من الشدائد، لا يدفع^٦ لقاهر ولا بتقوية^٧ لناصر، فتشوفت النفس إلى الوقت الذي يفيد فيه الإنقاذ وأى وجوهه أنفع، فأرشد إلى^٨ ذلك وإلى أن الأحب منه أجدر^٩ بالقبول، رجوعا إلى ما قرره سبحانه وتعالى قبل آية^{١٠} الشهادة بالوحدانية من صفة عباده المنفقين والمستغفرين بالأسحار على وجه أبلغ بقوله: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ وهو كمال الخير ﴿حَتَّى تَنفُقُوا﴾ أى فى وجوه الخير ﴿مِمَّا تَحِبُّونَ﴾ أى من كل ما تقتضون^{١١}، كما ترك^{١٢} إسرائيل عليه الصلاة والسلام أحب الطعام إليه الله سبحانه وتعالى.

(١) فى ظ: يخالف (٢) سورة ٣ آية ١٩ (٣) فى مد: جزء كذا (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: بذلك (٥) فى ظ: للانقاذ (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: يدفع (٧) من مد، وفى الأصل و ظ: يتقويه (٨) زيد فى ظ: سياق (٩) فى ظ: احذر (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: ابدا (١١) فى ظ: تعتنون، وفى مد: تفتنون.

و لما كان اتقدير فان أنفقتم منه عليه الله سبحانه و تعالى
فأنالكم به البر، و إن نيمتم الخبيث الذي تكرهونه فأنفقتموه لم تبروا،
و كان كل من المحبة و الكراهة أمرا خفيا، قال سبحانه و تعالى مرغباً
مرهبا: ﴿ و ما تنفقوا من شيء ﴾ أي من المحبوب^٢ و غيره ﴿ فان الله ﴾
أي الذي له الإحاطة الكاملة . و قدم الجار اهتماما به إظهارا لأنه يعلم
من جميع وجوهه كما تقول لمن [سألك -^١] هل تعلم كذا : لا أعلم
إلا هو، فقال : ﴿ به عليم ﴾ فهذا كما ترى احتباك .

/٣٩٨

و لما أخطر بذلك بين أنه كان ديدن أهل الكمال على وجه يقرر
به ما مضى من الإخبار بعظيم اجترأ أهل الكتاب على الكذب بأمر
١٠ حتي فقال تعالى : ﴿ كل الطعام ﴾ أي من الشحوم مطلقاً و غيرها
﴿ كان حلالاً لبني إسرائيل ﴾ [أي -^١] أكله - كما كان حلالاً لمن قبلهم
على أصل الإباحة ﴿ الا ما حرم إسرائيل ﴾ تبرأ و تطوعا
﴿ على نفسه ﴾ و خصه بالذكر استجلاباً لبنيه [-^١] إلى^٢ ما يرفعهم بعد
اجتذابهم للؤمنين إلى ما يضرهم و لا ينفعهم . و لما كانوا^٣ بما أغرقوا^٤
١٥ فيه^٥ من الكذب ربما قالوا : إنما حرم ذلك اتباعاً لحكم التوراة قال : [

(١) في ظ : علم (٢) في ظ : فأنالكم (٣) في ظ : المحبوب (٤) في ظ : قد تم .
(٥) في ظ : يقول (٦) زيد من ظ ، و زيد في مد موضعه : قال (٧) من ظ
و مد ، و في الأصل : هو (٨) سقط من مد (٩) زيد من ظ و مد (١٠) في ظ :
أهل (١١) العبارة المحجوزة زيدت من ظ و مد (١٢) في مد : الا (١٣-١٢) في
ظ : لما عرفوا (١٤) ليس في ظ .

من

{ 'من قبل' } [٢ -] وأثبت الجار لأن تحريمه كان في بعض ذلك الزمان ، لا مستغرقا له . و عبر بالمضارع لأنه أدل على التجدد فقال : [{ ٢ ان تنزل التوراة ط }] [٢ -] و كان قد ترك لحوم الإبل و ألبانها . و كانت أحب الأطعمة إليه الله و إثارا لعباده - كما تقدم ذلك في البقرة عند " فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به " [١] .

- ٥ . و لما كانت هذه الآية إلزاما لليهود باعتقاد النسخ الذي طعنوا به في هذا الدين في أمر القبلة ، و كانوا ينكرونه ليصير عذرا لهم في التخلف عن اتباع النبي الأسمى الذي يمجدهونه مكتوبا عندهم ، فكانوا يقولون : لم نزل الشحوم و ما ذكر معها حراما على من قبلنا كما كانت حراما علينا ، فأمر بجوابهم بأن قال : { قل } أي لليهود { فاتوا بالتوراة فأتولوها } ١٠ . أي لتدل لكم { ان كنتم صدقين } فيما ادعيتموه ، فلم يأتوا بها فبان كذبهم فافضحوا فضيحة لا مثل لها في الدنيا { فن } أي فتسبب عن ذلك أنه [من -] [٥ -] { اقترى } أي تعمد { على الله } أي الملك الأعظم { الكذب } أي في أمر المطاعم أو غيرها . و لما كان المراد النهي عن إيقاع الكذب في أي زمن كان ، لا عن إيقاعه في جميع الزمان ١٥ الذي بعد نزول الآية أثبت الجار فقال : { من بعد ذلك } أي البيان العظيم الظاهر جدا { فاولئك } أي الأباعد الأباغض ٧ { هم } خاصة (١-١) تأخر في الأصل عن « بان قال » (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد . (٢-٢) تأخر في الأصل عن قوله تعالى " من قبل " (٤) سورة ٢ آية ٨٩ . (٥) زيد من ظ (٦) في مد « و » (٧) في ظ : الأباغر - كذا .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ٩٤-٩٦) ج - ٥

لنعمدم الكذب على من هو محيط بهم ولا تخفى^١ عليه خافية
(الظلمون هـ) أى المتناهون^٢ الظلم بالمشى على خلاف الدليل فعل من
يمشى^٣ فى الظلام، فهو لا يضع شيئاً فى موضعه، وذلك بتعرضهم إلى
أن يهتكهم التام العلم ويعذبهم الشامل القدرة.

٥ ولما اتضح كذبهم واقتضح تدليسهم^٤ - لأنه لما استدل عليهم
بكتائبهم فلم يأتوا به صار ظاهراً كالشمس، لا شك فيه ولا لبس،
ولم يزدحم ذلك إلا تمادياً فى الكذب - أمر سبحانه وتعالى نبيه^٥ صلى الله
عليه وسلم بقوله: ﴿قل﴾ أى لأهل الكتاب الذين أنكروا النسخ
فأقت عليهم الحجة من كتائبهم ﴿صدق الله﴾ أى الملك الأعظم الذى
١٠ له الكمال كله فى جميع ما أخبر، وتجبر^٦ به عن ملة إبراهيم وغيره من بنه
أسلافكم، وتبين أنه ليس على دينكم هو ولا أحد ممن^٧ قبل موسى عليه
الصلاة والسلام، لأنكم لو كنتم صادقين لآتينتم بالتوراة، نافياً بذلك أن
يكون تأخرهم عن الإتيان بها لعلة يعتلون^٨ بها غير ذلك، وإذ قد تبين
صدقه تعالى فى جميع ما قال وجب اتباعه فى كل ما يأمر به، وأعظمه
١٥ ملة إبراهيم فانها الجامعة لأحسن.

ولما ثبت ذلك بهذا الدليل المحكم لزم قطعاً أنه ما كان يهودياً

(١) فى ظ: لا يخفى، وفى مد: لا تخفى - كذا (٢) من مد، وفى الأصل:
التباير، وفى ظ: المتناهون (٣) فى ظ: تمشى، وفى مد: عمشى - كذا (٤) فى
ظ: تدلسهم (هـ) فى ظ: بنبيه (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: يجبر (٧) فى
ظ: من (٨) فى ظ: يعلون.

ولا (١)

ولا نصرانيا ولا مشركا، وقد أقروا بأن ملته هي الحق وأنهم أتباعه،
فقتنّب عن ذلك وجوب اتباعه فيما أخبر الله سبحانه وتعالى به فبان
كالشمس صدقه، [لا - ١] فيما اقتروه لهم من الكذب، فقال سبحانه
وتعالى: ﴿ فأتبعوا مله إبراهيم ﴾ وهي الإسلام أي الانقياد للدليل^١،
وهو معنى قوله: ﴿ حفيظ ﴾ أي تابعا للحجة إذا تحررت، غير متقيد
بمألوف. ولما كان صلى الله عليه وسلم مفطورا على الإسلام فلم يكن
في جبلته شيء من العوج^٢ فلم يكن له دين غير الإسلام نفي الكون فقال:
﴿ وما كان من المشركين ﴾ أي بعزير^٣ ولا غيره من الأكابر كالأحبار
الذين تقلّدونهم^٤ مع علمكم بأنهم يدعون إلى ضد ما دعا إليه
سبحانه وتعالى.

١٠.

ولما ألزمهم سبحانه وتعالى بالدليل الذي دل على النسخ أنهم على
غير مله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأوجب عليهم اتباعها بعد بيان
أنها هي ما عليه محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه، أخبر عن البيت
الذي يخول^٥ إليه التوجه^٦ في الصلاة، فعابوه على [أهل - ١] الإسلام
أنه أعظم^٧ شعار إبراهيم عليه الصلاة والسلام التي^٨ كفروا بتركها،
ولذلك أبلغ في تأكيده^٩ فقال سبحانه وتعالى: ﴿ ان أول بيت ﴾

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: إلى الدليل (٣) من
مد، وفي الأصل: الفرج، وفي ظ: القدح (٤) في ظ: بعزير (٥) في ظ:
تقلّدوهم (٦) سقط من ظ (٧) في ظ: التوبة (٨) من ظ ومد، وفي الأصل:
اعلم (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: الذي (١٠) من ظ ومد، وفي الأصل:
تأكيده.

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ٩٦ و ٩٧) ج - ٥

/٣٩٩

أى من البيوت الجامعة / للعبادة ﴿وضع للناس﴾ أى على العموم متعبدا
واجبا عليهم قصده و حجه بما أمرهم به على لسان موسى عليه الصلاة
و السلام، و استقباله فى الصلاة بما أنزل على محمد صلى الله عليه و سلم
فى ذلك، و لعل [بناء - '] 'وضع' للمفعول إشارة إلى أن وضعه كان
ه قبل إبراهيم عليه الصلاة و السلام ﴿للى بىكه﴾ أى البلدة التى تدق
أعناق الجبارة، و يزدحم^١ الناس فيها ازدحاما^٢ لا يكون فى غيرها
مثله ولا قريب منه، فلا بد أن يدق هذا التى الذى أظهرته منها
الأعناق من كل من ناواه، و يزدحم الناس على الدخول فى دينه
ازدحاما لم يعهد مثله، فان فاتكم ذلك ختم^٣ فى الدارين غاية الخيبة
١٠ و دام ذلكم و صغاركم؛ حال كونه ﴿مبركا﴾ أى عظيم الثبات كثير
الخيرات فى الدين و الدنيا ﴿وهدى للعلين﴾ أى من بنى إسرائيل
و من قبلهم و من بعدهم، فعاب^٤ عليهم سبحانه و تعالى فى هذه الآية
فعلهم^٥ من النسخ^٦ ما أنكروه على مولاىهم، و ذلك نسخهم لما شرعه
من حجه^٧ من عند أنفسهم تحريفا^٨ منهم مثالا لما قدم من^٩ الإخبار به
١٥ عن كذبهم، و هذا أمر شهير يسجل^{١٠} عليهم بالمخالفة و ثبت^{١١} للؤمنين

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : من زحم (٣) فى ظ : ازواج (٤) زيد بعده
فى الأصل : يكون، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفنا (٥) من ظ و مد، و فى
الأصل : خفيتم (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : فتاب (٧-٧) سقط من ظ .
(٨) من مد، و فى الأصل و ظ : حجة (٩) فى ظ : تخويفا (١٠) سقط من ظ
و مد (١١) من مد، و فى الأصل و ظ : يسجل (١٢) فى ظ : ثبت .
المؤلفة

المؤالفة ، فان حج البيت الحرام و تعظيمه من أعظم ما شرعه إبراهيم عليه الصلاة والسلام - كما هو مبين [في - '] السير و غيرها و هم عالمون بذلك ، و قد حجه أنبياءهم عليهم الصلاة والسلام و أسلافهم إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط و غيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام و أتباعهم - كما روى من غير طريق عن^٢ النبي صلى الله عليه وسلم حتى أن في بعض الطرق [أنه كان - '] مع موسى عليه الصلاة في حجة إليه سبعون ألفا من بني إسرائيل ، و من المحال عادة أن يخفى ذلك عليهم ، و من الأمر الواضح أنهم قد تركوا هذه الشريعة العظيمة أصلا و رأسا ، فكيف يصح لهم دعوى أنهم^٣ على دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع انسلاخهم^٤ من معظم شرائعه^٥ ثم فسر^{١٠} الهدى بقوله : (فيه أيت يئنت) و قوله : (مقام إبراهيم) - أى أثر قدمه عليه الصلاة والسلام في الحجر حيث قام لتغسل^٦ كتفه^٧ رأسه الشريف - أعربه^٨ أبو حيان بدلا أو عطف بيان من الموصول الذى هو خبر ' ان ' في قوله " للذى بيكة " فكأنه قيل : إن أول بيت وضع للناس لمقام^٩ إبراهيم ، و أعربه غيره^{١٠} بدل بعض من قوله " أيت " ١٥ و هو وحده آيات لعظمه^{١١} و تعدد ما فيه من تأثير القدم ، و حفظه

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : لأنهم (٤) في ظ : إسلامهم (٥) من مد ، و في الأصل : يغسل ، و في ظ : ليغتسل (٦) في مد : كتفه - كذا (٧) في ظ : أعربه (٨) في ظ : كقام (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : قوله (١٠) في ظ : لتعظمه .

إلى هذا الزمان مع كونه مغشواً ، و تذكيره^١ بجميع قضايا إبراهيم
[وإسماعيل -^٢] عليهما الصلاة والسلام .

ولما كان أمن أهله في بلاد النهب والغارات التي ليس بها حاكم
يفزع إليه ولا رئيس يعول^٣ في ذلك عليه من أدل الآيات قال سبحانه
هـ و تعالى : ﴿ ومن دخله ﴾ أي^٤ فضلا عن^٥ أهله ﴿ كان آمناً ﴾
أي عريقاً^٦ في الأمن ،^٧ أو فأمّنه^٨ بأمان الله ، وتحوّل العبارة عن
« وأمن داخله^٩ » لأن هذا أدل على المراد^{١٠} من تمكن الأمن ، وفيه
بشارة بدخول الجنة .

ولما أوضح سبحانه و تعالى براءتهم من^{١١} إبراهيم عليه الصلاة
والسلام لمخالفتهم إياه بعد دعوائهم^{١٢} بهتانا أنه على دينهم ، و كانت^{١٣}
المخالفة في الواجب أدل قال سبحانه و تعالى : ﴿ والله ﴾ أي الملك
الذي له الأمر كله ﴿ على الناس ﴾ أي عامة ، فأظهر في موضع الإضمار
دلالة على الإحاطة و الشمول - كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى
عن الأستاذ أبي الحسن الحرالي في « استطعنا^{١٤} أهلها^{١٥} » في الكهف^{١٦} ،

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : تديرو (٢) زيد من ظ و مد (٣) تأخر في
الأصل عن « في ذلك » (٤) زيد بعده في ظ : على (هـ) في ظ : على (٦) في ظ :
عريقاً (٧-٧) من مد ، وفي الأصل : اذ يأمّنوا ، وفي ظ : ان يأمّنوه (٨) في
ظ : دخله (٩) زيدت الواو بعده في ظ (١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل : في .
(١١) من ظ و مد ، وفي الأصل : دعوا (١٢) في ظ : فكانت (١٣) في ظ :
استطعنا ، وفي مد : استطعنا (١٤) آية ٧٧ (١٥) سورة ١٨ .

وذلك لئلا يدعى خصوصاً بالعرب أو غيرهم ﴿ حج البيت ﴾ أى زيارته
 زيارة^١ عظيمة، وأظهر أيضاً تنصيصاً عليه وتوحيها بذكره تفخيماً لقدره،
 وعبر هنا بالبيت لأنه فى الزيارة، وعادة العرب زيارة معاهد الأحياب
 وأطلالهم^٢ وأماكنهم^٣ وحلالهم^٤، وأعظم ما يعبر به عن الزيارة
 عند الحج، ثم من بالتخفيف^٥ بقوله مبدلاً من 'الناس' تأكيداً
 بالإيضاح / بعد الإيهام وحلاً على الشكر بالتخفيف بعد التشديد وغير
 ٤٠٠ / ذلك من البلاغة: ﴿ من استطاع ﴾ أى منهم ﴿ إليه سيلاً ﴾ فمن
 حجه كان مؤمناً .

ولما كان من الواضح أن التقدير: ومن لم يحجه مع الاستطاعة
 كفر بالنعمة إن كان معترفاً بالوجوب، وبالمرق من الدين إن جحد، ١٠
 عطف عليه^٦ قوله: ﴿ ومن كفر ﴾ أى بالنعمة أو بالدين ﴿ فإن الله ﴾
 أى الملك الأعلى ﴿ غنى ﴾ ولما كان غناه مطلقاً^٧ دل عليه^٨ بقوله
 موضع 'عنه': ﴿ عن العلين ﴾ أى طائفتهم وعاصيتهم، صامتهم وناطقهم،
 رطبهم ويابسهم، فوضح بهذه الآية وما شاكلها أنهم ليسوا على دينه
 كما وضع بما تقدم أنه ليس على دينهم، فثبت بذلك براءته منهم، ١٥

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: بزيارة (٢) من مد، وفى الأصل و ظ:
 اطلالهم (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: و أماكنهم - مكرراً (٤) من مد، وفى
 الأصل و ظ: خلالهم - كذا بإتلاء المعجمة (٥) من ظ و مد، وفى الأصل:
 بالتخفيف - كذا (٦) من مد، وفى الأصل و ظ: على (٧-٧) سقط من ظ .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ٩٨ و ٩٩) ج - ٥

و الآية^١ من الاحتباك لأن إثبات فرضه أولا يدل على كفر من^٢ أباه،
و إثبات^٣ "و من كفر" ثانيا يدل على^٤ إيمان من حجه^٥.

و لما أتم سبحانه و عز شأنه البراهين و أحكم الدلائل عقلا و سمعا،
و لم يبق لمنعت^٦ شبهة^٧، و لم يبادروا الإذعان^٨، بل زادوا في الطغيان،
و كادوا أن يوقعوا^٩ الضراب و الطعان بين أهل الإيمان؛ أعرض
سبحانه و تعالى عن خطابهم إيدانا بشديد الغضب و رابع الانتقام
فقال سبحانه و تعالى مخاطبا لرسوله الذي يكون قتلهم على يده: ﴿قل﴾
و أثبت أداة دالة على بعدهم عن الحضرة القدسية فقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾
أى من الفريقين ﴿لم تكفرون﴾ أى توقعون الكفر ﴿بأيست الله في﴾
١٠. أى و هى^{١٠} - لكونه الحائز^{١١} بجميع الكمال - اليئات نقلا و عقلا الدالة
على أنكم على الباطل لما وضع من أنكم على غير ملة إبراهيم عليه الصلاة
و السلام.

و لما كان كفرهم ظاهرا ذكر شهادته تعالى فقال مهديا^{١٢}: ﴿والله﴾
أى و الحال أن الله الذى هو محيط بكل شئ قدرة و علما فلا إله غيره
١٥ و قد أشركتم به ﴿شاهد على﴾ كل ﴿ما تعملون ه﴾ أى لكونه يعلم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بل آية (٢-٢) فى ظ: اتاه او انبات - كذا.
(٢-٣) فى ظ: ايمانه و من حجه - كذا (٤) فى الأصل و مد: لمنعت، و فى ظ:
منعت (٥) فى مد: للاذعان (٦) فى ظ: يرفضوا (٧) فى ظ: و هو (٨) من مد،
و فى الأصل: ايجاز، و فى ظ: الجائز (٩) من ظ و مد، و فى الأصل:
موكدا.

سبحانه السر و أخفى^١ . إب حرقم وأسرتهم . ثم استأنف^٢ إذانا بالاستقلال^٣ تقريرا^٤ آخر لزيادتهم على الكفر التكفير فقال : ﴿ قل يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ ﴾ أى المدعين^٥ للعلم و اتباع الوحي ، كرر هذا الوصف لأنه مع أنه أبعد في التفریع^٦ أقرب إلى التلطف في صرفهم عن ضلالهم ﴿ لم تصدون ﴾ أى بعد كفرکم ﴿ عن سبيل الله ﴾ أى الملك الذى له ٥ القهر والعز والعظمة و الاختصاص بجميع صفات الكمال ، وسيله دينه الذى جاء به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وقدمه اهتماما به^٧ . ثم ذكر المفعول فقال : ﴿ من آمن ﴾ حال كونكم ﴿ تبغونها ﴾ أى السبيل ﴿ عوجا ﴾ أى بليكم^٨ ألسنكم و افترائكم على الله ، و لم يفعل سبحانه و تعالى إذ أعرض عنهم فى هذه الآية ما فعل ﴿ من قبل - ١ ﴾ إذ ١٠ أقبل عليهم بلذب خطابه تعالى جده و تعاظم مجده^٩ إذ قال^{١٠} ” يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِيْ اِبْرَاهِيْمَ “، ” يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ “ و ” الآية التى بعدها بغير واسطة . و قال أبو البقاء فى إعرابه : إن ’ تبغون ’ يجوز^{١١} أن يكون مستأنفا و أن يكون حالا من الضمير فى ’ تصدون ’ أو من ’ السبيل ’،

- (١) فى مد : الاخفى (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : استأنف (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : للاشتغال (٤) فى ظ : تقريرا ، وفى مد : تقريرا - كذا . (٥) فى ظ : المذعن (٦) فى الأصل : الوصف لتفريع ، وفى ظ : التفريع ، وفى مد : لتفريع - كذا (٧) فى ظ : له (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : بغيركم (٩) زيد من ظ و مد (١٠ - ١٠) فى ظ : اذا قالوا (١١) سقطت الواو من ظ و مد (١٢) فى الأصل : بجواز ، وفى ظ و مد : يجوز - كذا .

لأن فيها ضميرين راجعين إليهما، فلذلك يصح أن يحمل حالا من كل واحد منهما، و'عوجا' حال - انتهى . وقال صاحب القاموس في بنات^٢ الواو: بغا الشيء بغوا: نظر إليه كيف هو، وقال في بنات^٢ الياء: بغيته أبغيه^١: طلبته، فالظاهر أن جعل 'عوجا' حالا - كما قال أبو البقاء - أصوب^٥ من جعله مفعولا - كما قال في الكشف . ويكون 'تبغون'^٦ إما بائيا^٧ فيكون معناه: تريدونها معوجة أو ذات عوج، فإن 'طلب' بمعنى: أراد؛ وإما أن يكون واويا بمعنى: ترونها ذات عوج، أي^٨ تجعلونها في نظركم بمعنى: تتكلفون^٩ وصفها^{١٠} بالموج مع عليكم باستقامتها، لكن قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح: ابغى أحجارا استنفض^{١١} بهن^{١٢} يؤيد قول صاحب الكشف .

ولما ذكر صدم وإرادتهم العوج الذي لا يرضاه ذو عقل قال موبخا: (و اتم شهداء^{١٣}) أي باستقامتها بشهادتهم^{١٤} باستقامة^{١٥} دين إبراهيم مع قيام أدلة السمع والعقل أنها دينه وأن النبي والمؤمنين أولى الناس به

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل: لم يصح (٢) من ظ، وفي الأصل: ثبات، ولا يتضح في مد (٣) في ظ: ثبات (٤-٥) من ظ و مد، وفي الأصل: بغية ابغيته (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: اضرب (٦) في الأصول: يبغون . (٧) في الأصل: باينا، وفي ظ: ييانا، وفي مد: باينا (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: ان (٩) في الأصول: يتكلفون (١٠) في ظ: وعيها - كذا (١١) من صحيح البخاري - باب الاستنجاء بالحجارة، وفي الأصل: استنصر، وفي ظ: استنضي، وفي مد: استنفض - كذا (١٢) سقط من ظ (١٣) في ظ: باستقامتكم .
- لا نقيادهم (٣) ١٢

لا تقيادهم للأدلة . ولما كان الشهيد قد يغفل ، و كانوا يخفون مكرم
 في صدم ، هددهم ' / باحاطة عليه فقال : ﴿ وما الله ﴾ أى الذى تقدم
 أنه شهيد عليكم وله صفات الكمال كلها ﴿ بغافل ﴾ أى أصلا '
 ﴿ عما تعملون ﴾ .

و لما تم إيذانه بالسخط على أعدائه و أبلغ فى إنذارهم عظيم انتقامه ه
 إن داموا على إضلالهم^٢ ، أقبل بالبشر على أجبائه ، مواجهها لهم بلذيد
 خطابه وصنى غنائه ، محذرا لهم الاغترار^٣ بالمضلين ، و منها و مرشدا
 و مذكرا ودالا على ما ختم به ما قبلها من إحاطة عليه بدقيق مكر اليهود ،
 فقال سبحانه و تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى نبينا محمد صلى الله عليه
 و سلم ﴿ ان تطيعوا فريقا ﴾ أى^٤ بهذا اللفظ لما كان المحذر منه ١٠
 الافتراق و المقاطعة الذى^٥ بأتى عيب^٦ أهل الكتاب به ﴿ من الذين
 ارتوتوا الكتب ﴾ أى القاطعين بين الاحباب مثل شأس^٧ بن قيس الذى
 مكر بكم إلى أن أوقع^٨ الحرب بينكم ، فلولوا النبي الذى رحمكم^٩ به ربكم
 لعدمكم إلى شر ما كنتم فيه ﴿ يردوكم ﴾ و زاد فى تقييح هذا الحال بقوله
 مشيرا باسقاط الجار إلى الاستغراق زمان البعد : ﴿ بعد إيمانكم كافرين ﴾ ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يمددهم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 اضلا (٣) فى ظ : ضلالهم (٤) فى ظ : الاعتذار (٥) فى ظ : اى (٦) فى ظ :
 التى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيب (٨) فى ظ : ساس (٩) فى ظ :
 وقع بكم (١٠) العبارة من « إلى أن » إلى هنا تكررت فى الأصل .

أى غريقين فى صفة^١ الكفر ،^٢ فإلها^٣ من صفة^٤ ما أخسرها وطريقة
ما أجورها^٥

ولما حذرهم منهم عظم^٦ عليهم طاعتهم بالإنكار والتعجب^٧ من
ذلك^٨ [مع -^٩] ما هم عليه بعد اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
من الأحوال الشريفة فقال - عاطفا على ما تقديره : فكيف تطيعونهم
وأنتم تعلمون عداوتهم - : ﴿ وكيف تكفرون ﴾ أى يقع منكم ذلك
فى وقت من الأوقات على حال من الأحوال ﴿ وأنتم تتلى ﴾ أى تواصل
بالقراءة ﴿ عليكم آيت الله ﴾ أى علامات الملك الأعظم البينات ﴿ وفيكم
رسوله^{١٠} ﴾ الهادى من الضلالة المنقذ من الجهالة ، فتكونون^{١١} قد جمعتم^{١٢}
١٠ إلى موافقة العدو^{١٣} مخالفة الولى^{١٤} وأنتم بعينه وفيكم أمينه^{١٥} ﴿ ومن ﴾ أى
والحال أنه من^{١٦} ﴿ يعتصم ﴾ أى^{١٧} يجتهد نفسه^{١٨} فى ربط أموره ﴿ بالله ﴾
المحيط بكل شىء علما وقدره فى جميع^{١٩} أحواله كائنا من كان^{٢٠} . ولما

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : صفة (٢-٣) فى ظ : فإلها (٣) زيد بعده فى ظ :
خاسرتها (٤) سقط من ظ (٥) فى مد : التعجب (٦) زيد من مد (٧) فى ظ :
فتكون (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : جمعهم (٩) زیدت الواو بعده فى
الأصل ، ولم تكن فى ظ ومد لحذفناها (١٠) العبارة من هنا إلى « كائنا من كان »
تأخرت فى الأصل عن « السبب فقال » ، والترتيب من ظ ومد (١١) العبارة من
« وأنتم بعينه » إلى هنا تأخرت فى الأصل عن « كائنا من كان » ، والترتيب
من ظ ومد (١٢) سقط من ظ ومد (١٣-١٤) فى ظ : يجتهد بنفسه ، وفى
مد : يجتهد بنفسه (١٤-١٥) سقط من ظ .

كان من قصر نفسه على من له الكمال كله متوقفا للفلاح عبر بأداة التوقع
مقرونة بفاء السبب فقال: ﴿ فقد هدى ﴾ و عبر بالمجهول على طريقة
كلام القادرين ﴿ الى صراط مستقيم ٥ ﴾ .

ولما انقضى هذا التحذير من أهل الكتاب والتعجب والترغيب،

أمر بما يشتر ذلك من رضاه فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى ادعوا ٥
ذلك بالسنتهم ﴿ اتقوا الله ﴾ أى صدقوا دعواكم بتقوى ذى الجلال
والإكرام ﴿ حق ثقته ﴾ فأدبوا الانقياد له بدوام مراقبته ولا تقطعوا
أمرا دونه ﴿ ولا تموتن ﴾ على حالة من الحالات ﴿ الا و اتم مسلمون ٥ ﴾
أى منافدون أتم الانقياد^٢، و نقل عن العارف أبى الحسن الشاذلى أن
هذه الآية فى أصل الدين وهو التوحيد، و^٣ قوله سبحانه وتعالى "فاتقوا الله ١٥
ما استطعتم" فى فروعه .

ولما كان عزم الإنسان فاترا وعقله^٤ قاصرا، دلهم^٥ - بعد أن
أرقتهم^٦ التقوى - على الأصل لجميع الخيرات المتكفل بالحفظ من جميع
الزلات فقال: ﴿ واعتصموا ﴾ أى كلفوا أنفسهم الارتباط الشديد
والانضباط العظيم ﴿ بحبل الله ﴾ أى [طريق دين -^٧] الملك الذى ١٥
لا كفوه له التى نهجها^٨ لكم ومهدا^٩، وأصل الحبل السبب الذى يوصل به

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ ومد : انقياد (٣) زيد بعده فى الأصل : هو ،
ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٤) فى ظ : بما (٥) سورة ٦٤ آية ١٦ .
(٦) فى ظ : فعله (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : ولهم (٨) فى ظ : او نعم .
(٩) زيد من ظ ومد (١٠) فى ظ : منحها (١١) العبارة من « الملك الذى » الى
هنا تأخرت فى الأصل عن « أكدته بقوله » ، والترتيب من ظ ومد .

ج - ٥

(سورة آل عمران ٣: ١٠٣)

نظم الدرر

إلى البغية والحاجة، و [كل - ١] من يمشى على طريق دقيق يخاف^١
 أن تزلق^٢ رجله عنه^٣ إذا تمسك بجبل مشدود الطرفين بجاني ذلك
 الطريق أمن الخوف، ولا يخفى دقة الصراط بما ورد به النقل الصحيح،
 وهذا الدين^٤ مثاله، فصعوبته وشدته على النفوس بما لها من التوازن
 والحفظ مثال دقته، فن قهر نفسه وحفظها على التمسك به حفظ عن
 السقوط عما هو مثاله.

ولما أفهم كل من الضمير والحبل والاسم^٥ الجامع إحاطة الأمر
 بالكل أكده بقوله: (جميعا) لا تدعوا أحدا منكم يشذ^٦ عنها، بل
 كلما عثرتم^٧ على أحد فارقها ولو قيد شبر فردوه إليها ولا تناظروه
 ١٠ ولا تهملوا أمره، ولا تغفلوا عنه فيختل^٨ النظام، وتعبوا^٩ على الدوام،
 بل لا تزالوا^{١٠} كالرابط وربط^{١١} شديدا حزمة^{١٢} نبل^{١٣} بجبل، لا يدع
 واحدة منها تنفرد^{١٤} عن الأخرى، ثم أكد ذلك^{١٥} بقوله: (ولا تفرقوا ص)
 ثم ذكرهم^{١٦} نعمة الاجتماع، لأن^{١٧} ذلك باعث على شكرها، وهو باعث

/٤٠٢

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من مد (٣) في ظ : يواف (٤) من ظ و مد،
 وفي الأصل : عليه (٥) في ظ : الذي (٦) زبدت الواو بعده في الأصل،
 ولم تكن في ظ و مد فحذفناها (٧) في الأصل و مد : يشبه، وفي ظ : يسند .
 (٨) من مد، وفي الأصل : اغترتم، وفي ظ : عرتم - كذا (٩) من ظ و مد،
 وفي الأصل : مثل - كذا (١٠) في ظ : منتعوا - كذا (١١) في ظ : لا يزالوا .
 (١٢) سقط من ظ (١٣) من ظ و مد، وفي الأصل : خزمه (١٤) من مد،
 وفي الأصل : قبل، وفي ظ : بقل - كذا (١٥) في ظ : منفرد (١٦) في ظ :
 ذكر (١٧) من ظ و مد، وفي الأصل : كان .

على

(٤)

١٦

على إدامة الاعتصام و التقوى ، و بدأ منها بالدينية لأنها أس الآخروية
 فقال : ﴿ و اذكروا نعمت الله ﴾ الذى له الكمال كله ﴿ عليكم ﴾ يا من
 اعتصم^١ بعصام الدين ! ﴿ اذ كنتم اعداء ﴾ متنافرين أشد تنافر
 ﴿ فالف بين قلوبكم ﴾ بالجمع على هذا الصراط القويم و المنهج العظيم
 ﴿ فاصبحتم بنعمته اخوانا^٢ ﴾ قد نزع ما فى قلوبكم من الإحن^٣ ، و أزال^٤ هـ
 تلك^٥ الفتن و المحن .

و لما ذكر النعمة التى أنقذتهم من هلاك الدنيا^٦ ثنى بما تبع^٧ ذلك
 من نعمة الدين التى عصمت من الهلاك الأبدى فقال : ﴿ و كنتم على
 شفا ﴾ أى حرف و طرف ﴿ حفرة من النار ﴾ بما كنتم فيه من الجاهلية
 ﴿ فانقذكم منها^٨ ﴾ .

١٠

و لما تم هذا البيان على هذا الأسلوب الغريب نبه على ذلك بقوله -
 جوابا لمن يقول : لله در^٩ هذا البيان ! ما أغربه من بيان ! - : ﴿ كذلك ﴾
 أى مثل هذا البيان البعيد المثال^{١٠} البديع^{١١} المثال ﴿ بين الله ﴾ المحيط
 علمه الشاملة^{١٢} قدرته [بعظمته - ١٣] ﴿ لكم أبنته ﴾ و عظم الأمر

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعتقم (٢) من مد ، و فى الأصل : الاجل ،
 و فى ظ : الآخر (٣) فى ظ : ازالة ، و فى مد : زال (٤) من ظ و مد ، و فى
 الأصل : ذلك (٥) زيد بعده فى ظ : ثم (٦) فى مد : يتبع (٧) فى ظ : رد .
 (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : المثال (٩) فى ظ : البعيد (١٠) من مد ، و فى
 الأصل و ظ : الشامل (١١) زيد من ط و مد .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٠٣ و ١٠٤) ج - ٥

بتخصيصهم به^١ وإضافة الآي إليه^٢ . ولما كان السياق لبيان دقائق الكفار في إرادة إضلالهم ختم الآية بقوله^٣ : ﴿لعلكم تهتدون﴾ أي ليكون^٤ حالكم عند من ينظركم حال من ترجى^٥ وتوقع هدايته ، هذا الترجى حالكم فيما بينكم ، وأما هو سبحانه وتعالى فقد أحاط عليه بالسعيد والشقي ، ثم الأمر إليه ، فمن شاء هداه ، ومن أراد أرداه^٦ .

ولما غاب^٧ سبحانه وتعالى الكفار بالضلال^٨ ثم بالإضلال أمر المؤمنين بالهدى في أنفسهم ، وأتبعه الأمر بهداية الغير بالاجتماع^٩ ، وكان الأمر بالاجتماع المؤكد بالنهاي عن التفرق ربما أفهم الوجوب لتفرد^{١٠} الجميع في كل جزئية من جزئيات العبادة في كل وقت على سبيل الاجتماع مع الإعراض عن كل عائق عن ذلك سواء كان وسيلة أو لا بالنسبة إلى كل فرد فرد ، أتبعه بقوله - منها على الرضى بإيقاع ذلك في الجملة سواء كان البعض أو الكل كما هو شأن فروض الكفايات - : ﴿ولتكن منكم أمة﴾ أي جماعة تصلح لأن يقصدها غيرها ، ويكون بعضها قاصدا بعضا^{١١} ، حتى تكون^{١٢} أشد شيء اتلافا^{١٣} واجتماعا في

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقطت من ظ (٣) في مد ، لتكون (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ : يرجى (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : اراده (٦) في ظ : غاب (٧) في ظ : بالضلالة (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : بالاجماع . (٩) من مد ، وفي الأصل و ظ : لتجرد (١٠) في ظ : بعضها (١١) في ظ : يكون (١٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : ابتلافا - كذا .

كل وقت من الأوقات على البدل ﴿ يدعون ﴾ مجددين لذلك في كل وقت
 ﴿ الى الخير ﴾ أى بالجهاد و التعليم [و الوعظ و التذكير - '] .
 و لما عم كل خير خص ليكون المخصوص مأمورا به مرتين^١ دلالة
 على جليل أمره و على قدره فقال: ﴿ و يامرون بالمعروف ﴾ أى من
 الدين^٢ ﴿ و ينهون عن المنكر ﴾ فيه بحيث لا يخلو وقت من الأوقات ٥
 عن قوم قائمين بذلك ، و هو تنبيه لهم على أن يلازموا ما فعله الرسول
 صلى الله عليه و سلم و من معه من أصحابه رضى الله تعالى عنهم من أمرهم
 بالمعروف و نهيمهم عن المنكر [حين - °] استفزهم الشيطان بمكر شأس
 ابن قيس فى التذكير^٣ بالاحقاد و الاضغان و الانكاد^٤ ، و إعلام بأن
 الذكرى تنفع المؤمنين .

١٠

و لما كان هذا السياق مفهما لأن التقدير: فانهم ينالون بذلك خيرا
 كثيرا، و لهم نعيم مقيم؛ عطف عليه مرغبا: ﴿ واولئك ﴾ أى العالو الرتبة
 العظيمو النفع ﴿ هم المفلحون ٥ ﴾ حق الإفلاح، فبين سبحانه و تعالى
 أن الاجتماع بالمأمور به إنما هو بالقلوب^٥ الجاعلة لهم كالجسد الواحد،
 و لا يضر فيه صرف بعض الأوقات إلى المعاش^٦ و تنعيم البدن ببعض ١٥
 المباحات، و إن كان الآكل صرف الكل بالنية إلى العبادة .

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بين (٣) فى ظ: الذين .
 (٤) فى ظ: لا يلازموا (٥) زيد من مد: و فى ظ: و وضعه: خيرا - كذا .
 (٦-٦) فى ظ: بالاخفا و اضغان و الافكاف، و فى مد: بالاخقاد و اضغان
 و الانكاد - كذا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: القلوب (٨) فى مد: المعاش .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٠٥ و ١٠٦) ج - ٥

و لما أمر بذلك أكده بالنهي عما يضاده معرضاً بمن نزلت هذه
الآيات فيهم من أهل الكتاب مبكتاً لهم [بضلالهم - ١] و اختلافهم في
دينهم على أنبيائهم فقال: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا﴾ بما ابتدئوه
في أصول دينهم و بما ارتكبوه من المعاصي، فقادهم^٢ ذلك و لا بد إلى
التخاذل و التواكل و المداينة^٣ التي قصدوا بها المسألة فخرتهم^٤ إلى
المصارمة^٥. و لما كان التفرق ربما كان بالأبدان فقط مع الاتفاق^٦ في
الآراء^٧ بين أن الأمر ليس كذلك فقال: ﴿واختلفوا﴾ بما أثمر لهم
الحقد الحامل على الاتصاف بحالة^٨ من^٩ يظن أنهم / جميع و قلوبهم شتى .
و لما ذمهم بالاختلاف الذي دل العقل على ذمه^{١٠} زاد في تقييده

/٤٠٣

١٠ بأنهم خالفوا فيه بعد نهى العقل واضح النقل فقال: ﴿من﴾ أي
و ابتدأ اختلافهم من الزمان الذي هو من^{١١} ﴿بعد ما جاءهم﴾ و عظمه
بإعرائه عن التأنيث ﴿البيئت^{١٢}﴾ أي بما يجمعهم و يعلمهم و يرفعهم و يوجب
اتفاقهم^{١٣} و ينفعهم، فأرداهم ذلك الاقتراق و أهلكتهم .
و لما كان التقدير: فأولئك قد تعجلوا الهلاك في الدنيا فهم الخائبون^{١٤}،

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و في الأصل: فعادهم (٣) من مد،
و في الأصل: لمداينة، و في ظ: الناهية - كذا (٤) في ظ: لخرتهم (٥) في
ظ: المصارمة (٦) في ظ: الاتفاق (٧) في ظ: الآوا - كذا (٨) في ظ: بحاله .
(٩) من ظ و مد، و في الأصل: منه (١٠) من ظ و مد، و في الأصل:
ذمة (١١) سقط من ذ (١٢) من مد، و في الأصل: اتفاقهم، و في ظ:
نفاقهم (١٣) من مد، و في الأصل: الخايضون، و في ظ موضعه: يفهم على وجه
لزمها لهم في الدنيا والآخرة، و سيأتي قبل قوله تعالى "هم فيها خلدون" .

عطف

(٥)

٢٠

عطف عليه^١ قوله : ﴿ ١٠٠ واولئك ﴾ [أى - ٢] البعداء البغضاء^٢
 ﴿ لهم عذاب عظيم ١٠١ ﴾ أى فى الدار الآخرة بعد عذاب الدنيا
 ١٠ باختلافهم منابذين^٣ لما من^٤ شأنه الجمع ، والآية من الاحتباك : إثبات
 " المفلحون " أولا يدل على " الخسرون " ثانيا ، والعذاب العظيم ثانيا
 يدل على النعيم المقيم أولا .

و لما قدم [ما - ٢] لأهل الكتاب المقدمين على الكفر^٥ على علم
 يوم القيامة فى قوله " ان الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم^٦ " وختم^٧ تلك
 الآية^٨ بأنهم^٩ لهم عذاب أليم و استمر حتى ختم هذه الآية^{١٠} بأنه مع^{١١}
 ذلك عظيم ؛ بين ذلك اليوم بقوله - بادئا بما هو أنكى لهم من تنعيم أضدادهم - :
 ﴿ يوم تبيض وجوه ﴾ أى بما^{١٢} لها من^{١٣} المآثر^{١٤} الحسنة ﴿ وتسود
 وجوه^{١٥} ﴾ بما عليهما من الجرائر^{١٦} السيئة ﴿ فاما الذين اسودت وجوههم ﴾

- (١) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها .
- (٢) العبارة من هنا إلى « عذاب الدنيا » تقدمت فى الأصل على
- « ولما كان » (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) فى ظ و مد : البغضاء البعداء .
- (٥) العبارة من هنا إلى « النعيم المقيم أولا » وقعت فى الأصل بعد « الافتراق
- وأهلكهم » (٦ - ٦) فى ظ : لمن (٧) فى ظ : فالعذاب (٨) فى ظ : الكفرة .
- (٩) سورة ٣ آية ٧٧ (١٠ - ١٠) فى ظ : ذلك الامة ، وفى مد : تلك الامة .
- (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : بان (١٢) سقط من مد (١٣) من مد ،
- وفى الأصل و ظ : من (١٤ - ١٤) فى ظ : لنا من اثر (١٥) من مد ، وفى
- الأصل : الجائر ، وفى ظ : الجوائر - كذا .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٠٦ - ١٠٩) ج - ٥

بدأ بهم لأن 'النشر المشوش أفصح' ، ولأن المقام للترهيب وزيادة
التكايه لأهله ، فيقال^٢ لهم توبينا و تقرعنا^٣ : ﴿ اكفرتم ﴾ يا سود
الوجوه و عييد الشهوات ! ﴿ بعد إيمانكم ﴾ بما جلبتم عليه من الفطر'
السليمة و مكنتم^٤ به من العقول المستقيمة من النظر في الدلائل ،
ثم بما^٥ أخذ عليكم أنياؤكم من العهود ﴿ فذوقوا عذاب ﴾ أى الآليم
العظيم ﴿ بما كنتم تكفرون^٥ ﴾ و أنتم تعلمون ، فانكم فى لعنة الله ما كنون^٦
﴿ واما الذين ابيضت وجوههم ﴾ إشراقا و بهاء لأنهم آمنوا فأمنوا من
العذاب ﴿ ففى رحمة الله^٧ ﴾ أى ثمرة^٨ فعل ذى^٩ الجلال و الإكرام
الذى^٩ هو فعل الراحم ، لا فى غير رحمته . ثم أجاب عن سؤال من
١٠ كأنه قال : هل يزول عنهم كما هو حال النعم^{١٠} فى الدنيا ؟ بقوله - على
وجه يفهم لزومها لهم فى الدنيا و الآخرة - : ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ فيها
'خلدون^{١١} ﴾ فلذا^{١٢} كانوا يؤمنون ، فالآية من الاحتباك : إثبات الكفر
أولا دل على إرادة الإيمان ثانيا ، و إثبات الرحمة ثانيا دل على حذف
اللغة أولا .

(١-١) من مد ، و فى الأصل : النشر المسوس افصح ، و فى ظ : السو السوس
افصح - كذا (٢) فى ظ : فقال (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقرعنا (٤) من
ظ و مد ، و فى الأصل : الفطرة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : و مكنتم .
(٦) فى ظ : بها (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : ما كنون (٨-٨) من ظ
و مد ، و فى الأصل : ذى فعل (٩) سقط من ظ (١٠) فى مد : النعيم (١١) فى
ظ : فكذا .

و لما حازت هذه الآيات^١ من التهذيب و إحكام الترتيب و حسن السياق قصبَ السباق أشار^٢ إليها مع قربها بأداة البعد^٣ و أضافها إلى أعظم^٤ أسمائه فقال: ﴿تلك ابنت الله﴾ أى هذه دلائل الملك الأعظم العالية^٥ الرب البعيدة المتساو^٦، ثم استأنف الخبر عنها^٧ في مظهر العظمة^٨ قائلا: ﴿تلوها﴾ أى "نلازم قصها"، و زاد في تعظيمها^٩ بعد المبتدأ بالتمهية فقال: ﴿عليك﴾ ثم أكد ذلك بقوله: ﴿بالحق﴾ أى ثابتة المعاني راسخة المقاصد صادقة الأقوال في^{١٠} كل ما أخبرت به من فوزكم و هلاكهم^{١١} من غير أن يظلم^{١٢} أحدا منهم ﴿و ما الله﴾ أى الحاز^{١٣} لجميع الكمال ﴿يريد ظلما﴾ قل أو جل ﴿للعالمين﴾ أى ما ظلهم و لا يريد ظلم أحد منهم، لأنه سبحانه و تعالى متعال عن ذلك، ١٠ لا يتصور منه و هو غنى عنه، لأن له كل شيء.

و لما كان أمرهم^{١٤} بالإقبال عليه و نهيمهم عن الإعراض عنه ربما أوقع في وهم أنه غير قادر على ضبطهم أو محتاج إلى ربطهم^{١٥} أزال ذلك دالا على أنه غنى عن الظلم بقوله: ﴿و الله﴾ الملك الأعلى ﴿ما﴾ أى

- (١) من ظ و مد، و في الأصل: الآية (٢) من ظ و مد، و في الأصل: فاشار (٣-٢) في ظ: و اضافتها إلى عظم (٤) في ظ: العالبة (٥) من ظ و مد، و في الأصل: المتناولة (٦-٦) سقط من مد (٧-٧) في ظ: اللازم قصتها . (٨) من ظ و مد، و في الأصل: فيها (٩) من مد، و في الأصل و ظ: هلاككم (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: يظلم (١١-١١) في ظ: الجائز . (١٢) في ظ: إبراهيم (١٣) في ظ: ضبطهم - كذا .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٠٩ و ١١٠) ج - ٥

كل شيء ﴿ في السموات و ﴾ كل ١ ﴿ ما في الارض ﴾ من جوهر
وعرض ملكا و ملكا . ولما كان المقصود سمعة الملك لم يضمّر
ثلاثا يظن تخصيص الثاني بما في حيز الأول فقال : ﴿ و الى الله ﴾ الذى
لا أمر ٢ لاحد معه ﴿ ترجع الامور ﴾ أى كلها ، التى فيها و التى
ه فى غيرهما ، فلا داعى له إلى الظلم ، لأنه غنى عن كل شيء و قادر على
كل شيء .

ولما كان من رجوع ٥ الأمور إليه هدايته من يشاء و إضلاله
من يشاء قال - مادحا لهذه الأمة ليمعنوا ٦ فى رضاه ٧ حمدا و شكرا
و مؤيدا لأهل الكتاب عن إضلالهم ٨ ليزدادوا حيرة ٩ و سكرا ١٠ - :
﴿ كنتم خير أمة ﴾ أى وجدتم على هذا الوصف الثابت لكم جلبة و طبعاً .
ثم وصف الأمة بما يدل على عموم الرسالة و أنهم سيفهرون أهل الكتاب
فقال : ﴿ اخرجت للناس ﴾ ثم بين وجه الخيرية ١٢ بما لم يحصل مجموعه
لغيرهم على ما هم ١٣ عليه من المكنة بقوله : ﴿ تاملون ﴾ أى على سبيل
التجدد و الاستمرار ﴿ بالمعروف ﴾ أى كل ما عرفه الشرع و أجازة

/ ٤٠٤

(١) تقدم فى الأصل على « السموات » (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :
لم يظهر (٣-٣) فى ظ : لاسم (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : انه (ه) فى ظ :
بمجموع (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : ليتمنوا (٧) فى ظ : رضاها (٨) سقطت
الواو من ظ (٩) زيد بعده فى الأصل « من يشاء قال مادحا لهذه الأمة »
ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) فى ظ : حيلة (١١) فى ظ : شكرا .
(١٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : الخير به (١٣) فى ظ و مد : هو .

و تنهون (٦)

(وتنهون عن المنكر) وهو ما خالف ذلك، ولو وصل الأمر إلى القتال، مبشرا لهم بأنه قضى في الأزل أنهم يمثلون^١ ما أمرهم به من الأمر بالمعروف^٢ والنهي عن المنكر في قوله "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير" إراحة لهم من كلفة النظر في^٣ أنهم هل يمثلون^٤ فيفلحوا، وإزاحة^٥ لقلوبهم^٦ أعباء الخطر بكونهم يعانون عليه ليفوزوا^٧ ويربحوا،^٨ فصارت فائدة الأمر كثيرة الثواب بقصد امتثال الواجب، وللترمذى - وقال: حسن - عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي^٩ صلى الله عليه وسلم يقول في هذه الآية "أنتم تسمون^{١٠} سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله سبحانه وتعالى"، وللبخارى في التفسير عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال "أنتم خير الناس للناس"، تأتون^{١١} بهم في^{١٢} السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا^{١٣} في الإسلام".

ولما أخبر عنهم بهذا الوصف الشريف في نفسه أتبعه ما زاده شرفا، وهو أنهم فعلوه في حال إيمانهم فهو معتبر به لوجود شرطه

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: سيعلبون - كذا (٢-٢) في ظ: المعروف .

(٣) في ظ: و (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: يمثلون (٥) من مد، وفي الأصل وظ: إراحة (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: كلهم (٧) في ظ: ليفوا - كذا (٨) في ظ: رسول الله (٩) في ظ: سمون - كذا (١٠) سقط من ظ ومد (١١) في ظ: ياتون (١٢) في ظ: يدخلون (١٣) ولفظ البخارى في صحيحه ٦٥٤/٢ قال: خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١١٠ و ١١١) ج - ٥

الذى هو أساس كل خير [فقال - '] : ﴿ و تؤمنون ﴾ أى تفعلون ذلك
و الحال أنكم تؤمنون^١ ﴿ بالله ط ﴾ أى الملك الأعلى الذى تاهت الأفكار
فى معرفة كنه ذاته ، و ارتدت^٢ نوافذ أبصار^٣ البصائر خاسته^٤ عن حصر
صفاته ، أى تصدقون أنبياءه و رسله بسببه فى كل ما أخبروا به قولاً
و فعلاً ظاهراً و باطناً ، و تفعلون جميع أوامره و تنهون عن جميع مناهيه ؛
و هذا يفهم أن من لم يؤمن كإيمانهم فليس من هذه الأمة أصلاً ، لأن
الكون المذكور^٥ لا يحصل إلا بجميع^٦ ما ذكر ، و كرر الاسم الأعظم
زيادة فى تعظيمهم ؛ و قد صدق^٧ الله و من أصدق من الله حديثاً !

قال الإمام أبو عمر يوسف [بن - '] عبد البر النمري^٨ فى خطبة
١٠. كتاب الاستيعاب : روى ابن القاسم عن مالك أنه سمعه يقول : لما دخل^٩
أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم الشام نظر إليهم رجل من أهل
الكتاب فقال : ما كان أصحاب عيسى بن مريم الذين قطعوا بالناشير^{١٠}
و صلبوا على الخشب بأشد اجتهاداً^{١١} من هؤلاء - انتهى .

و لما كان من المعلوم أن التقدير : و ذلك خير لكم ، عطف عليه

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣-٣) فى ظ : نوافر الابصار (٤) فى
ظ : خاسه (٥) فى ظ : بالمذكور (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : بمجموع و .
(٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : اصدق (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل :
التموى - راجع المشبه ص ١١٧ (٩) زيد بعده فى الأصل : على ، و لم تكن
الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) فى الأصل : بالباشير ، وفى ظ : المناشير ، وفى
مد : بالياشير (١١) فى ظ : اجتهاد .

قوله: ﴿ ولو آمن أهل الكتاب ﴾ أى أوقفوا^١ الإيمان كما أنتم بجميع
الرسول وجميع ما أنزل عليهم فى كتابهم وغيره، ولم يفرقوا^٢ بين شىء
من ذلك ﴿ لكان ﴾ أى الإيمان ﴿ خيرا لهم^٣ ﴾ إشارة إلى تسفيه^٤
أحلامهم^٥ فى وقوفهم مع ما منعهم عن الإيمان من العرض^٦ القليل الفانى
والرئاسة التافهة، وتركهم^٧ الغنى الدائم والعز الباهر الثابت .
وما كان هذا ربما أوهم أنه لم يؤمن منهم أحد قال مستأقفا:
﴿ منهم المؤمنون ﴾ أى الثابتون فى الإيمان، ولكنهم قليل ﴿ وأكثرهم
الفسقون^٨ ﴾ أى^٩ الخارجون من رتبة الأوامر والنواهي خروجا يضمنحل
معه خروج غيرهم . وما كانت مخالفة الأكثر قاصمة خفف عن أوليائه
بقوله: ﴿ لن يضروكم ﴾ وما كان الضر - كما تقدم عن الحرالى - إيلا^{١٠}
الجسم وما يتبعه من الحواس، والآذى إيلا^{١١} النفس وما يتبعها من
الأحوال، أطلق الضر هنا على جزء معناه^{١٢} وهو مطلق الإيلا^{١٣}،
ثم استثنى منه فقال: ﴿ الآذى^{١٤} ﴾ أى بالسنتهم، وعبر بذلك لتصوير^{١٥} مفهومى
الآذى والضر^{١٦} ليستحضر^{١٧} فى الذهن، فيكون الاستثناء^{١٨} أدل على نفي
وصولهم إلى المواجهة ﴿ وان يقاتلوك ﴾ أى يوما من الأيام ﴿ يولوك ﴾^{١٩}
(١) فى ظ : أوقفوا (٢) فى ظ : لم يتغرقوا (٣) من ظ ومد، وفى الأصل:
شقية (٤) فى ظ : اخلائهم (٥) فى ظ : العوض (٦) فى ظ : وتركتم (٧) سقط
من ظ (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: فعناه (٩) من ظ ومد، وفى الأصل:
الاسلام (١٠-١١) فى ظ ومد: مفهوم الضر والآذى (١١) من ظ ومد،
وفى الأصل: لتستحضر (١٢) فى مد: استثناء .

نظم الدرر (سورة ال عمران ٣: ١١١ و ١١٢) ج - ٥

صرح بضير المخاطبين نصا في المطلوب (الادبار هـ) أى انهزاما ذلا وجبنا.

ولما كان المولى قد تعود له 'كرة بعد فرة' قال - عادلا عن

حكم / الجزء ثلثا يفهم التقييد بالشرط مشيرا بحرف التراخي إلى عظيم / ٤٠٥

٥ رتبة خذلانهم - : (ثم لا ينصرون^٢) أى لا يكون لهم ناصر من

غيرهم أبدا وإن طال المدى، فلا تهتموا^٣ بهم ولا بأحد^٤ يمالئهم من

المنافقين، وقد صدق^٥ الله ومن أصدق من الله قيلا لم يقاتلوا في

موطن إلا كانوا كذلك^٦.

ولما أخبر عنهم سبحانه وتعالى بهذا الذل أتبعه^٧ الإخبار بأنه^٨

١٠ في كل زمان وكل مكان معاملة^٩ منه لهم بضد ما أرادوا، فوضهم عن

الحرص على الرئاسة إلزامهم الذلة، وعن الإخلاد إلى المال إسكانهم

المسكنة، وأخبر أن ذلك لهم طوق^{١٠} الحماة غير مزائلهم^{١١} إلى آخر

الدهر باق في أعقابهم بأفعالهم هذه التي لم ينادهم^{١٢} فيها الاعقاب فقال

سبحانه وتعالى مستأنفا: (ضربت عليهم الذلة) وهي الانقياد كرها،

١٥ وأحاطت بهم كما يحيط البيت المضروب بساكنه (إين ما ثقفوا) أى

(١-١) في ظ: كره بعد فرة (٢) من ظ ومد والقوآن المجيد، وفي الأصل:

لا تنصرون (٣-٣) في ظ: لهم ولا لاحد (٤) من ظ ومد، وفي الأصل:

اصدق (٥) في ظ: لذلك (٦-٦) في ظ: الاحارانه - كذا (٧) في ظ: معاملة.

(٨) من ظ ومد، وفي الأصل: طول (٩) في ظ: مزايلة (١٠) من مد،

وفي الأصل: لم ينادهم، وفي ظ: لم تنادهم - كذا.

وجدتم

(٧)

وجدتم من هو حاذق خفيف فطن في كل مكان وعلى كل حال ﴿الا﴾
 حال كونهم معتمدين ﴿بجبل﴾ أى عهد وثيق 'مسبب للأمان'، وهو
 عهد الجزية وما شاكله^٢ ﴿من الله﴾ أى الحائز^٣ لجميع العظمة^٤
 ﴿وحبل من الناس﴾ أى قاطبة: الذين آمنوا وغيرهم، موافق لذلك^٥
 الحبل الذى من الله سبحانه وتعالى .

و لما كان الذل ربما كان مع الرضى ولو من وجه قال: ﴿وبآمو﴾
 أى رجعوا عما كانوا فيه من الحال الصالح ﴿بغضب من الله﴾ الملك
 الأعظم، ملازم لهم، ولما كان الوصفان^٦ قد بصحبهما اليسار قال:
 ﴿وضربت﴾ أى مع ذلك ﴿عليهم^٧﴾ أى كما يضرب البيت^٨
 ﴿المسكنة^٩﴾ أى الفقر ليكونوا بهذه الأوصاف أعرق^{١٠} شئ في الذل، ١٠
 فكأنه قيل: لم^{١١} استحقوا ذلك؟ فقيل: ﴿ذلك﴾ أى الإلزام لهم بما
 ذكر ﴿بانهم﴾ أى أسلافهم الذين رضوا^{١٢} فعلهم ﴿كانوا^{١٣} يكفرون﴾
 أى يحدون^{١٤} الكفر [مع الاستمرار - ١٥] ﴿بأنيت الله^{١٦}﴾ [أى

(١-١) من ظ ومد، وفي الأصل: مسبباً لأمان، وزيد بعده في ظ: وثيق
 مسبب للإيمان - كذا (٢) في ظ: شاكلها (٣) من ظ ومد، وفي الأصل:
 الجائز (٤) في ظ: الصفة (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: كذلك (٦) من ظ
 ومد، وفي الأصل: الوجهان (٧) زيد بعده في ظ: الذلة (٨) زيدت الواو
 بعده في ظ (٩) في ظ: أغرق (١٠) في الأصول: ثم (١١) سقط من ظ (١٢) تقدم
 في الأصل على 'أى أسلافهم' (١٣) في ظ ومد: تجددون (١٤) زيد من ظ
 ومد (١٥-١٥) تأخر في الأصل عن 'بالاسم الأعظم' .

الملك الأعظم الذى له الكمال كله ، و ذلك أعظم الكفر-^١ [لمشاهدتهم لها مع اشتغالها من العظم^٢ على ما يليق بالاسم الأعظم^٣] و يقتلون^٤ (الانبياء^٥) أى الآتين من عند الله سبحانه و تعالى حقا^٦ على كثرتهم بما دل عليه جمع^٧ التكسير ، فهو أبلغ مما فى أولها الأبلغ^٨ بما فى البقرة ليكون ذمهم على سبيل الترقى كما هى قاعدة الحكمة .

و لما كانوا معصومين ديناً و دنيا قال : (بغير حق^٩) أى يبيع قتلهم ؛ ثم علل إقدامهم^{١٠} على هذا الكفر بقوله : (ذلك) أى الكفر و القتل العظيمان (بما عصوا و كانوا) أى جلبة و طبعاً (يعتدون^{١١}) أى يحددون تكليف أنفسهم الاعتداء ، فان الإقدام على المعاصي^{١٢} و الاستهانة بمجاوزة الحدود يهون الكفر . قال الأصفهاني : قال أرباب المعاملات : من ابتلى بترك الآداب وقع فى ترك السنن ، و من ابتلى بترك^{١٣} السنن^{١٤} وقع فى ترك^{١٥} الفرائض ، و من ابتلى بترك الفرائض وقع فى استحغار الشريعة ، و من ابتلى بذلك وقع فى الكفر . و الآية دليل على مواخذة الابن الراضى بذنوب الأب و إن علا ، و ذلك طبق ما رأيت فى ترجمة التوراة التى بين أيديهم^{١٦} الآن^{١٧} ، قال فى السفر الثانى : و قال الله سبحانه

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) فى ظ : العظيم (٣-٤) زيد من ظ و مد .
(٥) العبارة من هنا إلى « قاعدة الحكمة » سقطت من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : جميع (٦) من مد ، و فى الأصل : ما (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : قدامهم (٨) فى ظ : العاص (٩) فى مد : بترقى (١٠-١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابتلى بترك (١٢) فى مد : جميعهم (١٣) فى ظ : لأنه .

و تعالى جميع هذه الآيات كلها: أنا^١ الرب إلهك الذى أصعدتك من أرض مصر من العبودية والرق، لا تكون^٢ لك آلهة أخرى^٣، لا تعملن شيئا من الأصنام والتماثيل التى بما فى السماء فوق وفى الأرض من تحت، وبما فى الماء أسفل الأرض، لا تسجدن لها ولا تعبدنها، لأنى أنا الرب إلهك^٤ إله غيور،^٥ أجازى الأبناء^٦ بذنوب الآباء إلى ثلاثة أحقاب^٧ وأربعة خلوف، وأثبت النعمة إلى ألف حقب لأجبانى وحافظى^٨ وصاياى.

ولما كان السياق ربما أنهم أنهم كلهم^٩ كذلك^{١٠} قال مستأنفا نافيا لذلك: ﴿ ليسوا سواء^{١١} ﴾ أى فى هذه الأفعال، يثنى سبحانه وتعالى على من أقبل على الحق منهم و خلع الباطل ولم يراع سلفا ولا خلفا^{١٢} بعيدا ولا قريبا. ثم استأنف قوله يانا لعدم استوائهم: ﴿ من اهل الكذب ﴾ فأظهر ثلثا يتوهم عود الضمير على خصوص من حكم بتكفيرهم ﴿ امة ﴾ أى جماعة يحق لها أن تؤم^{١٣} ﴿ قائمة ﴾ أى مستقيمة على / ما أناها به نبيها^{١٤} فى الثبات على ما شرعه، متهيئة بالقيام للانتقال عنه

٤٠٦ /

عند مجئ الناسخ الذى بشر به ووصفه، غير زائفة بالإيمان ببعضه^{١٥} والكفر ببعضه^{١٦}. ثم ذكر الحامل على الاستقامة فقال: ﴿ يتلون ﴾ أى

(١) من مد، وفى الأصل و ظ: ان (٢) فى ظ: لا يكون (٣) سقط من ظ.

(٤-٤) فى ظ: احاد الابنا الابنا - كذا (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: حاطن -

كذا (٦) من مد، وفى الأصل و ظ: لذلك (٧) فى الأصول: قوم (٨) من

مد، وفى الأصل: بغيرها، وفى ظ: تنبها (٩-٩) سقط من ظ.

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١١٣ - ١١٥) ج - ٥

يتابعون مستمرين ﴿أَنتَ اللهُ﴾ أى علامات ذى الجلال و الإكرام^١
 المنزلة الباهرة^٢ التى لا لبس^٣ فيها ﴿أَنَاءَ اللَّيْلِ﴾ أى ساعاته ﴿وَمِ
 يَسْجُدُونَ﴾ أى يصلون فى غاية الخضوع . ثم ذكر ما أتم لهم التهجد
 فقال: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ وكرر الاسم الأعظم إشارة إلى استحضارهم^٤
 لعظمته فقال: ﴿بِالله﴾ أى^٥ الذى له من الجلال و تنهى الكمال ما حير
 العقول . و أتبعه^٦ اليوم^٧ الذى تظهر^٨ فيه عظمته كلها ، لأنه الحامل
 على كل خير فقال: ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أى إيماننا يعرف^٩ أنه حق
 بتصديقهم له بالعمل الصالح بما يرد عليهم من المعارف التى ما لها من نقاد ،
 فيتجدد تهجدهم^{١٠} فتثبت^{١١} استقامتهم .

١٠. ولما وصفهم^{١٢} بالاستقامة فى أنفسهم وصفهم^{١٣} بأنهم يقومون غيرهم

فقال: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أى مجددين^{١٤} ذلك مستمرين عليه^{١٥}
 [-]^{١٦} ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ لذلك ، ولما ذكر فعلهم للخير ذكر نشاطهم

(١) زيد بعده فى الأصل: الذى له الجلال و تنهى الكمال ما حير العقول ،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و مد - وستأتى بعد قوله تعالى "يؤمنون بالله" - فحذفناها .
 (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل: القاهرة (٣-٢) فى ظ : ليس (٤) فى ظ :
 تؤمنون (٥) فى ظ : استحضارهم (٦) سقط من ظ و مد (٧) فى ظ : أتبعه .
 (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل: باليوم (٩) فى ظ : يظهر (١٠) فى ظ : يعرف .
 (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل: يهجدهم (١٢) من مد ، وفى الأصل:
 فثبت - كذا ، وفى ظ : فثبت (١٣ - ١٢) سقطت من ظ (١٤ - ١٤) تكرر
 فى ظ (١٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .

فى (٨)

في جميع أنواعه فقال: ﴿ ويسارعون في الخيرات ﴾ ولما كان التقدير: فأولئك من المستقيمين، عطف عليه: ﴿ وأولئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ من الصالحين ﴾ إشارة إلى أن^١ من لم يستقم لم يصلح لشيء، وأرشد السياق إلى أن التقدير: وأكثرهم لبسوا بهذه الصفات^٢.

ولما كان التقدير: فما^٣ فعلوا^٤ من خير^٥ فهو بعين^٦ الله سبحانه ٥ و تعالى، يشكره لهم، عطف عليه قوله: ﴿ وما تفعلوا^٧ ﴾ أى أنتم ﴿ من خير ﴾ من إنفاق أو غيره ﴿ فلن تكفروه^٨ ﴾ بل^٩ هو^{١٠} مشكور لكم بسبب فعلكم، ونبي للجهول تأديبا معه سبحانه و تعالى، وليكون على طريق المتكبرين. و عطف على ما تقديره: فإن الله عليم بكل^١ ما يفعله^٢ الفاعلون، [قوله - ١٠]: ﴿ والله ﴾ أى المحيط بكل ١٠ شيء ﴿ عليم بالمتقين ﴾ من الفاعلين الذين كانت التقوى حاملة لهم

(١) سقط من ظ (٢) في مد: الصفة (٣) في ظ: ما (٤-٤) سقطت من ظ. (٥) وقع في ظ: يعن- كذا مصحفا (٦) كذا بالخطاب في جميع النسخ (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: فلن يكفروه، وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر بالياء في الفعلين والباقون بالتاء فيهما غير أبي عمرو فإنه روى عنه أنه كان يخبر بهما، وعلى قراءة الغيبة (و هى الشائعة في بلادنا) يجوز أن يراد من الضمير ما أريد من نظائره فيما قبل ويكون الكلام حينئذ على وتيرة واحدة، ويحتمل أن يعود للأمة ويكون العدول إلى الغيبة مراعاة للأمة، كما روعيت أولا في التعبير بأخرجت دون أخرجتم، وهذه طريقة مشهورة للعرب في مثل ذلك - راجع روح المعاني ٦٥٣/١ (٨) في ظ: فهو (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: يفعلون (١٠) زيد من ظ.

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١١٦ و ١١٧) ج - ٥

على كل خير، فهو يشيهم^١ أعظم الثواب، و بغيرهم فهو يعاقبهم^٢ بما يريد من العقاب، هذا على قراءة^٣ الخطاب، و أما على^٤ قراءة الغيبة فأمرها واضح في نظمها بما قلته^٥.

و لما رغبهم في الإنفاق بما يشمل كل خير و أخبرهم بأنه عالم بدقه و جله، و أخبر أن ذلك كان دأب إسرائيل عليه الصلاة و السلام على وجه أنتج أن بنيه^٦ كاذبون في ادعائهم أنهم على ملة جده إبراهيم عليه الصلاة و السلام، ثم حذر منهم و ختم ما^٧ ختمه بالمتقين بالترغيب في الخير بما اندرج فيه الإنفاق الذي قدم أول السورة أنه من صفة المتقين المستغفرين بالأسحار^٨ التي هي^٩ أشرف آناه الليل، و كان مما يمنع منه خوف الفقر و النزول عن حال الموسرين من الكفار^{١٠} المفاخرين^{١١}.

"بالإكثار المعيرين" بالإقلال من المال و الولد و قروفا مع الحال النبوى، و كان قد أخبر أنه لا يقبل من أحد^{١٢} منهم^{١٣} في الآخرة^{١٤} ملء الأرض ذهاباً؛ أعقب هذا بمثل ذلك على وجه أعم فقال - واصفاً أضداد^{١٥} من تقدم، نافياً ما يعتقدون من أن أعمالهم الصورية تنفعهم^{١٦} - : (ان الذين

(١) من ظ و مد، و في الأصل: يسبيهم (٢) في ظ و مد: يعاقبهم (٣) سقط من ظ (٤) سقط من مد (٥) في ظ: بينته (٦) من ظ و مد، و في الأصل: نبته. (٧) في ظ: بما (٨ - ٩) في ظ: الذي هو (٩) في ظ: الكافرين (١٠) من مد، و في الأصل وظ: المفاخرين (١١ - ١٢) في ظ: بالكبار العبر - كذا (١٢) في ظ: الجدة. (١٣ - ١٤) سقط من مد (١٤) من ظ و مد، و في الأصل: صداد (١٥) من ظ، و في الأصل: تنفعهم، و في مد: ينفعهم.

كفروا

كفروا) أى بالله^١ بالميل عن المنهج القويم و إن ادعوا الإيمان به نفاقا
أو غيره (لن تغنى عنهم أموالهم) أى^١ و إن كثرت (و لا أولادهم)
و إن عظمت (من الله) [أى -^٢] الملك الذى لا كفوء له (شيئا^٣)
أى من الإغناء^٢ تأكيدا لما قرر^٣ من عدم نصرة أهل الكتاب الذين
حملهم على إثارة الكفر على الإيمان* استجلاب الأموال و الرئاسة على
الاتباع على وجه يعم جميع الكفار - كما قال فى أول السورة^٦ - سواء.
و لما كان التقدير: فأولئك هم الخاسرون، عطف عليه قوله:
(و أولئك أصحاب النار^٤) أى هم محتصون بها، ثم استأنف ما يفيد
ملازمتها فقال: (هم فيها خالدون*) و لما كان ربما قيل: فما حال
ما يدلونه فى المكارم و يواسون به فى المغارم؟ ضرب لذلك مثلا جعله ١٠
هباء مشورا، ضائعا و إن كثرت بورا^٥، كأن لم يكن شيئا مذكورا، بقوله
سبحانه و تعالى جوابا لهذا السؤال: (مثل ما ينفقون) أى من المال،
و حقا! قصدم بتحقيق محطه فقال^١: (فى هذه الحياة الدنيا) أى على
وجه القرينة أو غيرها، لكونهم^٤ ضيعوا الوجه الذى به^١ يقبل^١، و هو
الإخلاص. و مثل إقناهم له^١ و مثل حرث أصيب بالريح (كمثل ١٥
ريح فيها صر) أى برد شديد (أصاب حرث قوم) موصوفين بأنهم

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ ومد (٣) فى ظ: الاعناق (٤) فى ظ: تقرر.

(٥) من ظ ومد، وفى الأصل: الأموال (-) راجع آية ١٠ (٧) فى ظ:

بوارا (٨) العبارة من هنا إلى «و هو الاخلاص» ساقطة من مد (٩) فى ظ:

تقبله.

(ظلموا أنفسهم) أى بالبناء على غير أساس الإيمان (فاهلكته) فتل
 ما ينفقون فى كونه لم ينفعهم فى الدنيا باتساج^١ ما أرادوا^٢ فى الدنيا^٣
 و ضرهم فى الدارين، أما فى الدنيا فبضياعه فى غير شيء، و أما فى الآخرة
 فبالمعاقبة عليه لتضييع أساسه و قصد المفسد به؛ مثل الزرع الموصوف
 ٥ فانه لم ينفع أهله الموصوفين، بل ضرهم^٤ فى الدنيا بضياعه، و فى الآخرة
 بما قصدوا به من المقصود الفاسد^٥، و مثل إيقاعهم له فى كونه ضرهم
 و لم ينفعهم مثل الريح فى كونها ضرت الزرع و لم تنفعه، فلما كانت
 الريح الموصوفة أمرا مشاهدا^٦ جليا جعلت فى إهلاكها مثلا لضياح
 إيقاعهم الذى هو أمر معنوى خفى؛ ولما كان الزرع المحترق أمرا محسوسا
 ١٠ جعل فيما حصل له بعد^٧ التعب من^٨ العطب مثلا لأمر^٩ معقول،
 و هو أموالهم فى كون إيقاعهم إياها لم يضرهم شيئا غير الخسارة و التعب^{١٠}،
 فالمثلان ضياح الزرع و الإنفاق، و ضياح الزرع أظهر فهو مثل لضياح^{١١}
 الإنفاق لأنه أخفى، و قد بان أن الآية من الاحتباك: حذف أولا مثل
 الإنفاق لدلالة الريح عليه، و ثانيا الحث لدلالة ما ينفق عليه.

١٥ و لما كان سبحانه و تعالى موصوفا بأنه الحكم العدل القائم بالقسط
 وأنه لا ينسى خيرا فعل قال دفعا لتوهم أن ذلك بخس^{١٢}: (و ما ظلمهم)

أى الممثل بهم و الممثل لهم (الله) الملك الأعظم^{١٣} الغنى^{١٤} المطلق

(١) فى ظ: باتباع (٢-٢) سقط من مد (٣) فى ظ: غيرهم (٤) فى الأصول:
 الفاسدة (٥) فى ظ: شاهدا (٦) فى ظ: هذا (٧) فى ظ: عن (٨) فى ظ: لا امره
 (٩) فى ظ: التعت (١٠) فى ظ: الضياح (١١) من ظ و مد، و فى الأصل:
 يحسن - كذا (١٢-١٢) من مد، و فى الأصل: لغنى الغنى، و فى ظ: الغنى.

لأنه المالك المطلق، وقد كفروا، أما الممثل لهم فبكونهم أنفقوا على غير الوجه الذي شرعه، وأما الممثل بهم^١ فبكونهم لم يحرسوا زرعهم بالطاعات، وفي الآية دليل على أن أهل الطاعات تحرس ضوائعهم من الآفات وتحرق فيها العادات، ثم قال: ﴿ولكن﴾ ولما كان الممثل لأجلهم الذين كفروا أعم^٢ من أن يموتوا عليه أو يسلبوا لم يعبر^٣ في الظلم بما تقتضيه^٤ الجلبة من فعل الكون وقال: ﴿انفسهم﴾ أى خاصة ﴿يظلمون﴾ فأفاد أنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بتضييعهم^٥ الأساس بكفرهم، وأن ظلمهم مقصور على أنفسهم، لا يتعداها إلى غيرها وإن ظهر^٦ لإتفاقهم نكايه في عدوهم، فإن العاقبة لما^٧ كانت للؤمنين كانت نكايتهم كالعدم، بل هي زيادة في وبالهم، فهي^٨ من ظلمهم لأنفسهم^٩. ١٠ ولما كان الجمال بالمال لا سيما مع الإتفاق من أعظم المرغبات في الموالاة، وكانت هذه الآية قد^{١٠} صيرت جميله^{١١} قبيحا وبذله شحيحا؛ قال سبحانه وتعالى - مكررا التنبيه على مكر ذوى الأموال والجمال الذين يريدون إيقاع الفتنة بينهم من اليهود والمنافقين ليضمحل أمرهم وتزول شوكتهم^{١٢}: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى إيماننا صحيحا مصدقا^{١٣} ادعائوه بالعمل الصالح الذى من أعظمه الحب في الله والبغض في الله ﴿لا تتخذوا بطانة﴾ أى من تباطونهم بأسراركم وتختصونهم^{١٤} بالمودة

(١) فى ظ: لهم (٢) فى ظ: عم (٣) فى ظ: يقتضيه (٤) فى ظ: بتضييعهم (٥) فى ظ: اظهر (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: ما (٧) فى ظ: وهى (٨-٩) فى ظ: جبرت حيلة - كذا (٩) فى ظ: شكوتهم (١٠) فى ظ: تختصونهم.

والصفاء و مبادلة المال والوفاء (من دونكم) أى ليسوا منكم أيها المؤمنون، وعبر بذلك إعلاماً بأنهم يهضمون^١ أنفسهم وينزلونها [عن -^٢] على درجتها^٣ بموادتهم . ثم^٤ وصفهم تعليلاً للتهى بقوله: (لا يالونكم خبالاً^٥) أى يقصرون بكم [من -^٥] جهة الفساد؛ ثم بين ذلك بقوله ٥ على سبيل التعليل أيضاً: (ودوا ما عنتكم ج) أى تمنوا مشقتكم .

ولما كان هذا قد يخفى بينه بقوله معللاً: (قد بدت البغضاء من افواههم^٦) أى هى بينه فى حد ذاتها مع اجتهادهم فى إخفائها، لأن الإنسان إذا امتلأ من شيء غلبه بفيضه، ولكنكم لحسن ظنكم و صفاء نياتكم لا تأملونها^٧ فأملوا . ثم أخبر عن غلبه سبحانه قطعاً وعلم القطن ١٠ من عباده بالقياس ظناً بقوله: (وما تخفى صدورهم أكبر^٨) مما ظهر على سبيل الغلبة . ثم استأنف على طريق الإلهاب والتهيج قوله: (قد بينا) أى بما لنا من / العظمة (لكم) أى بهذه الجمل (الآيت) / ٤٠٨ أى الدالات^٩ على سعادة الدارين ومعرفة الشقى والسعيد والمخائف والمؤالف . وزادهم إلهاباً^{١٠} بقوله: (ان كنتم) أى جبلة وطبعاً ١٥ (تعقلون^{١١}) ثم استأنف الإخبار [عن -^{١٠}] ملخصاً^{١٢} حالهم معهم

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: عرضون - كذا (٢) زيد من مد (٣) فى ظ: درجاتها (٤) فى ظ: فى (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: يمنوا (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: لا يتأملونها (٨) زيد من ظ و مد والقرآن المجيد (٩) فى ظ: الدالة (١٠) فى ظ: انقفاً (١١) من مد، وفى الأصل: تلخص، وفى ظ: غلخص .

فقال منها أو^١ مبدلاً الهاء من همزة^٢ الإنكار: ﴿هَآنتُمْ أَوَّلَآ﴾ أى المؤمنون المسلمون المستسلمون ﴿تجوبنهم﴾ أى لا غتراركم بأقرارهم بالإيمان لصفاء بواطنكم^٣ ﴿ولا﴾ أى والحال أنهم [لا -]^٤ ﴿يجوبنكم﴾ لمخالفتهم لكم فى الدين، فانهم كاذبون فى إقرارهم بالإيمان ﴿وتؤمنون﴾ أى أتم ﴿بالكتب كله ج﴾ أى ويكفرون هم به كله، هـ
إما بالقصد الأول وإما بالإيمان بالبعض والكفر بالبعض ﴿واذا لقوكم قالوا﴾ أى لكم ﴿أما طج﴾ لتفتروا بهم ﴿واذا خلوا﴾ أى منكم، وصور شدة حنقهم بقوله: ﴿عضوا عليكم﴾ لما يرون من اتلافكم^٥ وحسن أحوالكم ﴿الانامل من الغيظ﴾ أى المقرط منكم، ومن جعل الهاء فى "هَآنتُمْ" بدلاً عن همزة الاستفهام^٦ فالمراد عنده^٧: أأنتم يا هؤلاء ١٠
القرباء منى^٨ تجوبنهم والحال أنهم على ما هم عليه من منابذتكم وأنتم على ما أنتم عليه من الفطنة بصفاء الأفكار وعلى الآراء بقبولكم الحق كله، لأن المؤمن كيس^٩ فطن؛ فهو استفهام - وإن كان من وادى التويخ - المراد به التنيه والتهيج^{١٠} المنقل من سافل الدرجات إلى^{١١} على الدرجات - والله الموفق .

١٥

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: «و» (٢) فى ظ: الهمزة (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: بواطنهم (٤) زيد من مد (٥) فى ظ: أنفلا بكم (٦) فى مد: استفهام (٧) من مد، وفى الأصل و ظ: عند (٨-٨) من مد، وفى الأصل و ظ: القرباء منى - كذا (٩) من مد، وفى الأصل و ظ: ليس (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: وانه (١١) فى ظ: التهيج (١٢) فى مد: اليه .

ولما كانوا كأنهم قالوا: فما نفعل؟ قال مخاطبا للرأس المسموع
 الأمر المجاب الدعاء: ﴿ قل ﴾ أى لهم^١ ﴿ موتوا بغيظكم ﴾ أى^٢ ازدرأه
 بهم^٣ ودعاء عليهم بدوام الغيظ من القهر وزيادته حتى يميتهم^٤. ولما
 كانوا يحلفون^٥ على نفي هذا ليرضوهم قال تعالى مؤكدا لما أخبر به لئلا
 يظن أنه أريد به غير الحقيقة: ﴿ ان الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال
 ﴿ عليم بذات الصدور ﴾ أى فلا تظنوا أنه أراد بعض ما يتجاوز^٦
 بالغیظ عنه.

ولما كان ما أخبرت به هذه الجمل من بغضهم و شدة عداوتهم
 محتاجا ليصل إلى المشاهدة إلى بيان دل عليه بقوله: ﴿ ان تمسك ﴾ أى
 مجرد مس ﴿ حسنة تؤمذ ﴾ ولما كان هذا دليلا شهوديا ولكنه
 ليس صريحا أتبعه الصريح بقوله: ﴿ وان تصبكم ﴾ أى بقوة مرها^٧
 و شدة^٨ وقعها و ضرها ﴿ سيئة يفرحوا بها ﴾ ولما كان هذا أمرا^٩
 مبكنا^{١٠} غائظا مؤلما دواهم^{١١} بالإشارة إلى النصر [مشروطا -^{١٢} بشرط
 التقوى و الصبر فقال: ﴿ وان تصبروا و تقوا ﴾ أى تكونوا من أهل
 الصبر و التقوى ﴿ لا يضركم كيدهم شيئا ﴾ ثم علل ذلك بقوله:

(١) زيد بعده في ظ: قل (٢-٢) في مد: ازداد (٣) في ظ: يمينهم (٤) في ظ:
 يحلفون، وفي مد: يحلفون (٥) من مد، وفي الأصل: يتجاوز، وفي ظ:
 يجوز (٦) في ظ: برها (٧) في ظ و مد: و شديد (٨) من ظ و مد، وفي
 الأصل: الأمر (٩) في الأصل: مكما، وفي مد و ظ: منكيا (١٠) من مد،
 وفي الأصل و ظ: دواهم (١١) زيد من مد.

(ان الله) أى ذا ' الجلال و الإكرام (بما يعملون ' محيطه) أى
 فهو يعد لكل كيد ما يطله ، والمعنى على قراءة الخطاب : بعملكم ' كله ،
 فن صبر و اتقى ظفرتة ، و من عمل على ' غير ذلك انتقمته منه .
 و لما كان ما تضمنته هذه الآية من الإخبار و من الوعد [و من
 الوعد - °] منطوقا و مفهوما محتاجا إلى الاجتلاء ' فى صور ' الجزئيات °
 ذكرهم سبحانه و تعالى بالوقائع التى شوهدت ' فيها أحوالهم ' من
 النصر ' عند العمل بمنطوق الوعد من الصبر و التقوى و عدمه عند العمل
 بالمفهوم ، و شوهدت [فيها - °] أحوال عدوهم من المساءة عند السرور
 و السرور ' عند المساءة ' ، و ذلك ' غنى عن ' دليل لكونه من
 المشاهدات ، مشيرا إلى ذلك بواو العطف على غير مذكور ، مخاطبا لأعظم ١٠
 عباده ' فطنة و أقربهم إليه رتبة ، تهيجا لغيره إلى تدقيق النظر و اتباع
 الدليل من غير أدنى وقوف ' مع المؤلف فقال تعالى : (واذ) أى
 اذكر ' ما يصدق ذلك من أحوالكم ' الماضية حين صبرتم و اتقيتم ' .

(١) فى ظ : ذى (٢) فى ظ : تعملون - كما قرأ الحسن و أبو حاتم بالناء الفوقانية .
 (٣) من ظ ، و فى الأصل : يعلمكم ، و فى مد : يعفكم (٤) سقط من ظ (٥) زيد
 من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : الاختلا (٧) فى ظ : صورة (٨) من
 مد ، و فى الأصل و ظ : شهدت (٩) فى ظ : اتواهم (١٠) من مد ، و فى
 الأصل : النصير ، و فى ظ : النصر (١١) زيد من ظ و مد (١٢) من ظ و مد ،
 و فى الأصل : السرر (١٣) فى ظ : المسا (١٤ - ١٤) سقط من ظ (١٥) فى ظ :
 عبادة (١٦) فى ظ : وقوة (١٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكر (١٨) من
 ظ و مد ، و فى الأصل : احوالهم (١٩) فى ظ : و اتقيتم .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٢١) ج - ٥

فصرتم، وحين ساءم نصركم^١ في كل ذلك في سرية عبد الله بن جحش
إلى نخلة، [ثم -^٢] في بدر، ثم في غزوة بني قينقاع ونحو^٣ ذلك، واذكر
إذ لم يصبر أصحابك فأصيبوا، وإذ سرتهم^٤ مصيبتكم في وقعة أحد
[إذ -^٥] (غدوت) أي يا خاتم الأنبياء وأكرم المرسلين! (من
اهلك) أي بالمدينة الشريفة صيحة يوم الجمعة إلى أصحابك في مسجدك
لتستشيرهم^٦ في أمر المشركين، وقد^٧ نزلوا بأحد^٨ في أواخر يوم
الأربعاء، أو في يوم الخميس لقتالكم^٩. وبنى من "غدوت" حالا إعلاما
بأن الشروع في السبب شروع في مسيه فقال: (تبوئ) أي تنزل
(المؤمنين) أي صيحة يوم السبت، وعر بقوله: (مقاعد) إشارة
١٠ إلى أنه صلى الله عليه وسلم تقدم^{١١} إلى كل^{١٢} أحد بالثبات^{١٣} في مركزه،
وأوعز^{١٤} إليه في أن لا يفعل شيئا إلا بأمره لا سيما الرماة، ثم ذكر علة
ذلك فقال: (للقاتل) .

ولما كان التقدير: و تقدم^{١٥} إليهم بأبلغ مقال في تشديد الأقوال
و الأفعال، أشار تعالى إلى أنه وقع في غضون^{١٦} ذلك منه ومنهم كلام

- (١) في ظ: يضركم (٢) زيد من ظ و مد (٣) في مد: غير (٤) في ظ: لم يصيبوا.
(٥) من ظ و مد، وفي الأصل: سرهم (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد،
وفي الأصل: يستشيرهم (٨-٨) في ظ: بدلوا اباحة - كذا (٩) في ظ: انقا-
كذا (١٠) في ظ: يتقدم (١١) سقط من ظ (١٢) زيد بعده في ظ: و عبر .
(١٣) أي أشار، وفي ظ: أوعز - كذا بالراء للمهملة (١٤) من مد، وفي الأصل
و ظ: يتقدم (١٥) من مد، وفي الأصل و ظ: عصون .

كثير

كثير [خفي - ١] و جلى بقوله: ﴿ والله ﴾ أى والحال أن الملك
 الأعظم الذى أتم فى طاعته ﴿ سميع ﴾ أى لأقوالكم^٢ ﴿ عليم ﴾^٣ أى
 بنياتكم فى ذلك وغيره فاحذروه ، ولعله خص النبي صلى الله عليه
 وسلم بلذيد الخطاب فى التذكير^٢ تحريضا [لهم - ٤] مع ما تقدمت
 الإشارة إليه^٥ على المراقبة تعريضا لهم^٦ بأنهم خفوا^٧ مع الذين ذكرهم^٥
 أمر بعث^٨ حتى توابوا^٩ حين تغاضبوا إلى السلاح - كما ذكر فى سبب نزول
 قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب^{١٠} " -
 الآية ، فوقفوا عن نافذ الفهم و صافى الفكر خفة إلى ما أراد بهم عدوم
 فاقضى هذا التحذير كله ، و يؤيد ذلك إقباله فى الخطاب عليهم عند
 نسبة الفشل إليهم - كما يأتى قريبا ، ولعله إنما خص هذه الغزوة بالذكر^{١٠}
 [دون - ٤] ما ذكرت^{١١} أن وار عطفها دلت عليه بما^{١٢} أيدوا فيه بالنصر
 لأن الشبهة بالمصيبة^{١٣} أدل على البغضاء والعداوة من الحزن بما يسر ،
 ودل ذكرها على المحذوف لأن المدعى فيما قبلها شيان^{١٤} : المساءة بالحسنة^{١٥} .

(١) زيد من مد (٢) فى ظ : لا أقر لكم - كذا (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ :
 التذكر (٤) زيد من ظ ومد (٥) - قط من ظ (٦) - قط من مد (٧) من مد ،
 وفى الأصل و ظ : خصوا (٨) فى ظ : نبات (٩) من مد ، وفى الأصل :
 توابوا ، وفى ظ : توابوا - كذا (١٠) - سورة ٣ آية ١٠٠ (١١) من ظ ومد ،
 وفى الأصل : ذكر (١٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : بما (١٣) فى ظ : بالمصيبة -
 كذا بالنون (١٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : يان - كذا (١٥) من ظ ومد ،
 وفى الأصل : بالحسنة .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٢١) ج - ٥

[و الفرح - ١] و المسرة بالمصيبة، فاذا برهن المتكلم على الثاني علم
ولا بد أنه حذف برهان الأول، وأنه إنما حذفه - وهو حكيم - لنكتة،
وهي هنا عدم الاحتياج إلى ذكره لوضوحه بدلالة السياق مع واد
العطف عليه، و ما تقدم من كونه غير^٢ صريح الدلالة في أمر البغض
٥ على أنه تعالى قد ذكر بدرا - كما ترى - بعد محكمة^٤ ستذكر، وأطلق^٥
سبحانه و تعالى - كما عن الطبري و غيره - التواء على ابتداء القتال
بالاستشارة، فان الكفار لما زلوا^٦ يوم الأربعاء ثاني عشر شوال سنة
ثلاث من الهجرة في سفح أحد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينتظر^٧ فيهم ما يأتيه من الوحي بقية يوم^٨ الأربعاء و يوم الخميس و ليلة
١٠ الجمعة [و باتت وجوه الأنصار في المسجد يباب النبي صلى الله عليه وسلم
يحرسونه صلى الله عليه وسلم - ٩] و حرس^{١٠} المدينة الشريفة، ثم دعا
الناس صبيحة يوم الجمعة فاستشارهم في أمرهم و أخبرهم بروياه تلك الليلة:
البقر^{١١} المذبوحة، و الثلم في سيفه، و إدخال يده في الدرع الحصينة^{١٢}،
و كان رآيه مع رأى كثير من الصحابة المكث في المدينة، فان قاتلوه
١٥ فيها قاتلهم^{١٣} الرجال مواجهة و^{١٤} النساء و الصبيان من فوق الأسطحة،
و كان عبد الله بن أبي المنافق على هذا الرأي، فلم يزل ناس من^{١٥} أكرمهم الله

(١) زيد من مد (٢) في ظ: و هو (٣) سقط من ظ (٤) في ظ: محكه (٥) في
ظ: و الحق - كذا (٦) في ظ: نزل (٧) في ظ: ينظر (٨) سقط من مد (٩) زيد
ما بين الحاجزين من ظ و مد (١٠) من مد، وفي الأصل: حرسه، وفي ظ:
حرسه (١١) في ظ: البقرة (١٢) في مد: الحصبة - كذا (١٣) من مد، وفي
الأصل و ظ: قاتلوه (١٤) من ظ و مد، وفي الأصل: من.

بالشهادة

(١١)

٤٤

بالشهادة - منهم أسد الله و أسد رسوله عمه^١ حمزة بن عبد المطلب
 رضى الله عنه - يلحون عليه صلى الله عليه وسلم في الخروج إليهم حتى
 أجاب فدخل بيته و لبس لأمته بعد أن صلى الجمعة فقدموا^٢ على استكرامهم^٣
 له صلى الله عليه وسلم و هو يأتيه الوحي ، فلما خرج إليهم أخبروه
 و -ألوه في الإقامة إن شاء فقال « ما كان ينبغي لنبى إذا لبس لأمته أن
 يضعها حتى يحكم الله بينه و بين عدوه » ، و في رواية : حتى يلاقى ، فأتى
 الشيخين - و هما أطان - فعرض^٤ بهما^٥ عسكره فقرغ^٦ مع غياب الشمس ،
 و رآه المشركون حين نزل بهما ، و استعمل تلك الليلة على حرسه محمد
 ابن مسلمة ، و استعمل المشركون على حرسهم^٧ عكرمة بن أبى جهل ، ثم أدلج
 من سحر ليلة السبت ، و ندب الأدلاء^٨ ليسيروا أمامه ، و حانت^٩ صلاة الصبح ١٠
 في الشوط^{١٠} و هم بحيث يرون المشركين ، فأمر بلالا رضى الله عنه فأذن
 و أقام^{١١} ، و صلى بأصحابه صلى الله عليه وسلم الصبح صفوفاً ، فأنجز^{١٢}
 عبد الله بن أبى بثلث العسكر فرجع و قال : أطاع الولدان و من لا رأى
 له و عصانى ، و ما ندرى علام تقتل أنفسنا^{١٣} ١٢ و تبعهم عبد الله بن عمرو

- (١) سقط من ظ (٢) في ظ : قدموا (٣) من ظ و مد ، و في الأصل :
 استكرامهم (٤) في ظ : بعرض (٥-٥) من مد ، و في الأصل : صكرة فقرح ،
 و في ظ : فقرح (٦) في الأصل و مد : حرصهم ، و في ظ : حرصتهم (٧) من ظ
 و مد ، و في الأصل : الاول - كذا (٨) في ظ : وكانت (٩) اسم بستان في المدينة -
 راجع معجم البلدان (١٠) من مد ، و في الأصل و ظ : و قام (١١) في ظ :
 فأنجزل ابى - كذا (١٢) من ظ و مد ، و في الأصل : الضعفا .

ابن حرام^۱ أبو جابر بن عبد الله - أحد بنی سلمة و أحد من استشهد في ذلك اليوم و كلمه الله قبلًا - ياشدهم^۲ الله في الرجوع، فلم يرجعوا فقال: أبعدكم الله^۳! سيفي الله نبيه صلى الله عليه و سلم^۴ عنكم، و رجع فوافق النبي صلى الله عليه و سلم^۵ يصف^۶ أصحابه، و كادت طائفتان من الباقيين - ٤١٠ / ٥ و هما^۷ بنو سلمة عشيرة^۸ عبد الله بن عمرو و بنو حارثة^۹ - / أن تفشلا^{۱۰}

لرجوع المنافقين^{۱۱}، ثم ثبتهم الله تعالى؛ و نزل صلى الله عليه و سلم^{۱۲} الشعب من أحد، فجعل ظهره^{۱۳} و عسكره إلى أحد و عبأ أصحابه و قال: لا يقاتلن أحد حتى تأمره! و عين طائفة من الرماة و أنزلهم بعينين - جيل^{۱۴} [هناك - ١٣] من ورائهم^{۱۵} - و أوعز إليهم في أن^{۱۶} ١٠ "لا يتغيروا منه"^{۱۷} حتى يأمرهم إن كانت له أو عليه، حتى قال لهم: إن رأيتمونا تخطفنا^{۱۸} الطير فلا تعينونا، و إن رأيتمونا هزمنام فلا تشركونا في الغنيمه، و انضحوا^{۱۹} الخيل^{۲۰} عنا إذا أتت من ورائنا؛ و برز

- (١) من الإصابة، و في الأصول: حزام (٢) من ظ و مد، و في الأصل: ياشدهم.
(٣) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط من ظ (٥) في ظ: لصيف (٦) في ظ: وهم.
(٧) من مد، و في الأصل: غيرة، و في ظ: عسيرة (٨) من ظ و مد، و في الأصل: بنو حارثة - كذا بالسين (٩) من مد، و في الأصل و ظ: يفشلا.
(١٠) زيد بعده في الأصل: و هما بنو سلمة عشيرة، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (١١) في ظ: طهر (١٢) من مد، و في الأصل: حين، و في ظ: حين - كذا (١٣) زيد من مد (١٤) في ظ: و فدايهم - كذا (١٥ - ١٥) من ظ و مد، و في الأصل: لا يتغيروا عنه (١٦) في مد: تخطفنا (١٧) في الأصول: انضحوا - كذا بالصاد المهملة (١٨) من مد، و في الأصل و ظ: الجبل.

صاحب لواء المشركين و طلب المبارزة ، فبرز إليه رجل من المسلمين
فقتله المسلم فحمله آخر و برز فقتل ، و فعلوا ذلك واحدا بعد واحد
حتى تموا عشرة كلهم يقتل^١ ، فلما انكسرت قلوب المشركين بتوالى
القتل في أصحاب اللواء أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فشدوا^٢
فهزموا المشركين و خلوا عسكرهم و نساءهم ، و كانت الخيل كلها أتت^٣
من وراء^٤ المسلمين فضجهم^٥ الرماة بالنبل فرجموا ، فلما وقع الصحابة
رضي الله عنهم في نهب العسكر خلى الرماة ثغرم^٦ ، فهام أميرهم و حذرهم
مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يطمع منهم إلا نحو العشرة ،
فأتى أصحاب الخيل فقتلوا من بقى من الرماة ، ثم أتوا الصحابة رضي الله
عنهم من ورائهم و هم يتهبون ، فأسرعوا فيهم القتل و نادى إبليس : إن^٧
محمدًا قد قتل ، فانهزم^٨ الصحابة رضوان الله عليهم ، و لم يثبت مع النبي
صلى الله عليه وسلم منهم إلا قليل ما بين العشرة إلى الثلاثين - على
اختلاف الأقوال ، فاستمر يحاول بهم العدو ، و الله تعالى يحفظه و يدافع
عنه حتى دنت الشمس للغرب ، و صرف الله العدو ، فدفن النبي صلى الله
عليه وسلم الشهداء و صف أصحابه رضي الله عنهم فأتى على الله عز و جل^٩
ثناء عظيمًا ، ذكر فيه فضله سبحانه و عدله ، و أن الملك ملكه يتصرف
فيه كيف يشاء ، و رجع إلى^{١٠} المدينة الشريفة و قد أصابته الجراحة في

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : تقتل (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : تسدوا .
(٣) في ظ : وا (٤) في الأصل و مد : نصبحهم ، و في ظ : نصبحهم - كذا .
(٥) من مد ، و في الأصل و ظ : يعرهم - كذا (٦) سقط من ظ .

مواضع من وجهه بنفسى^١ هو [و - ٢] أبى و أمى و وجهى و عبنى .
 و لما كان [رجوع عبد الله بن أبى المنافق - كما يأتى فى صريح الذكر
 آخر القصة - من الأدلة على أن المنافقين فضلا عن المصالحين بالمصارمة
 متصفون^٣ بما أخبر^٢ الله تعالى عنهم من العداوة و البغضاء مع أنه
 ٥ كان - ٤] سببا فى هم الطائفتين من الأنصار بالفشل^٥ كان إيلاء هذه
 القصة للنهى عن اتخاذ بطانة السوء الذين لا يقصرون عن فساد فى غاية
 المناسبة، و لذلك افتتحها سبحانه و تعالى بقوله - مبدلا من " اذ غدوت "
 دليلا على ما قبله من أن بطانة السوء لا تألوهم^٦ خبالا و غير ذلك - :
 (اذ هممت طائفتين)^٧ و^٨ كانا جناحى العسكر (منكم) أى بنو سلة
 ١٠ من الحزرج و بنو حارثة^٩ من الاوس (ان تفشلا) أى تكسلا
 و تراخيا و تضعفا و تحبنا^{١٠} لرجوع المنافقين عن نصرهم و ولايتهم
 فترجعا^{١١} . كما رجع المنافقون (و الله) أى و الحال أن ذا الجلال
 و الإكرام (وليهما^{١٢}) و ناصرهما [لأنهما - ١٣] مؤتمتان^{١٤} فلا يتأتى
 وقوع الفشل^{١٥} . تحققت^{١٦} منها لذلك^{١٧} ، فليتوكلا عليه وحده لإيمانها ،

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : نفس (٢) زيدت الواو من مد (٣-٣) من
 مد ، و فى ظ : باخبار (٤) زيد ما بين الحازرين من ظ و مد (٥) من مد ،
 و فى الأصل : بالفشل ، و فى ظ : الفشل (٦) فى ظ : لا يبالوهم (٧) سقطت
 الواو من مد (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : بنوا حارسة - كذا بالسین .
 (٩) فى ظ : تحبنا (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : فرجعا (١١) فى ظ :
 مؤتمتان (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفشل (١٣) فى ظ : كذلك .

أو يكون التقدير: فالعجب منهما كيف يعتمدان^١ على غيره سبحانه وتعالى
لتضعفا بخذلانه^٢ (و) الحال أنه (على الله) أى الذى له الكمال
كله وحده (فليتوكل المؤمنون^٣) أى الذين^٤ صار الإيمان صفة
[لهم - ^١] ثابتة^٥، ^٦ أجمعون لينصروهم^٦، لا على كثرة عدد ولا قوة
جلد، والأحسن تنزيل الآية على الاحتباك ويكون^٧ أصل نظمها: هـ
والله وليهما لتوكلهما^٨ وإيمانهما^٩ فلم يمكن الفشل^٩ منهما، فتولوا الله
و توكلوا عليه ليصونكم^{١٠} من الوهن، وعلى الله فليتوكل المؤمنون كلهم
ليفعل^{١١} بهم ذلك، فالأمر بالتوكل ثانيا دال^{١٢} على وجوده أولا، وإثبات
الولاية أولا دال^{١٣} على الأمر بها^{١٤} ثانيا، وفى البخارى فى التفسير عن
جابر رضى الله عنه قال: فىنا نزلت "اذممت طائفتين منكم ان تفشلا"^{١٥}
قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة و بنو سلمة، وما نحب أنهما لم تنزل
لقول الله عز وجل "والله وليهما".

- (١) من مد، وفى الأصل: يعقدان، وفى ظ: يعتمدان (٢) فى الأصل:
يحتلانه، وفى ظ و مد: يخذلانه (٣) من مد، وفى الأصل و ظ: الذى .
(٤) زيد من مد (٥) من مد، وفى الأصل و ظ: ثانية، وزيد بعده فى
الأصل: ما لهم، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦-٧) فى ظ: اجمعوا
لينصروهم (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: لتكون (٨) سقط من ظ .
(٩-٩) من ظ و مد، وفى الأصل: فلم يكن الفشل (١٠) من ظ و مد، وفى
الأصل: لنصرتكم (١١) من مد، وفى الأصل: ليفعل، وفى ظ: ليفعلوا .
(١٢) من مد، وفى الأصل و ظ: دالا (١٣) فى ظ: دالا (١٤) من ظ و مد،
وفى الأصل: به .

و لما كان ظاهر الحال فيما أصاب الكفار من المسلمين في هذه
الغزوة ربما كان سببا^١ في شك^٢ من لم يحقق بواطن الأمور و لا له
أهلية النفوذ^٣ في الدقائق من عجائب المقدور في قوله تعالى ” ان الذين
كفروا/ لن تغني عنهم اموالهم و لا اولادهم [من الله شيئا - ٣] “،
٥ ” قل للذين كفروا ستغلبون^٤ “ ذكرهم الله تعالى نصره [لهم - ٥]
في غزوة بدر، و هم في القلة دون ما هم الآن بكثير، مشيرا لهم^٥ إلى
ما أثمره توكلهم من النصر، و حالهم إذاك حال الآس منه، و لذلك
كانوا في غاية الكراهة للقاء بخلاف ما كانوا عليه في هذه الكرة^٦،
حشا على ملازمة التوكل، منها على أنه لا يزال يريهم مثل ذلك النصر
١٠ و يذيق الكفار أضعاف ذلك الهوان حتى يحق الحق و يطل الباطل
و يظهر دينه^٧ الإسلام على الدين كله فقال - عاطفا على ما تقديره: فمن
توكل عليه نصره و كفاه و إن كان قليلا، فلقد نصركم الله أول^٨ النهار^٩
في هذه الغزوة حيث^{١٠} صبرتم و اتقيتم بطاعتكم للرسول صلى الله عليه
وسلم [في ملازمة التعب^{١١} و الإقبال على الحرب و غير ذلك بما أمركم
١٥ به صلى الله عليه وسلم - ٥] و ” لم تضركم قتلتم^{١٢} “ و لا ضعفكم بمن رجع

(١-١) في مد: لشك (٢) من ظ و مد، و في الأصل: النفوذ (٣) زيد من ظ
و القرآن المجيد سورة ٣ آية ١٠ و ١١ (٤) سورة ٣ آية ١٢، و في ظ و مد:
سيفلبون (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) في ظ: اليهم (٧) سقط
من ظ (٨) في مد: دين (٩) في ظ: والنهار (١٠) في مد: و حيث (١١)
مد، و في ظ: التنز - كذا (١٢-١٣) من مد، و في الأصل: لم يضركم قتلتم،
و في ظ: لن يضركم فيتمكم.

عنكم^١ شيئا - : ﴿ ولقد نصركم الله ﴾ بماله من صفات الجلال والجلال
﴿ يدر ﴾ المشار إليها أول السورة بقوله تعالى ” قد كان لكم آية في
فستين التقنا^٢ “، لما صبرتم و اتقيتم .

ولما كانوا في عدد يسير^٣ [أشار-^٤] إليه بجمع القلة فقال: ﴿ و اتم اذلة ج ﴾
أى فاذكروا ذلك و اجعلوه نصب أعينكم لينفعكم . و كان الإتيان بأمره
بدر بعد آية الفشل المحتمة بالحث على التوكل في الغاية من حسن النظم ،
و هو دليل أيضا على منطوق قوله تعالى ” و ان تصبروا و تتقوا لا يضركم
كيدهم شيئا “ - كما^٥ كان أمر أحد^٦ دليلا على منطوقها و مفهومها معا :
دل على منطوقها بنصرهم أول النهار^٧ عند صبرهم ، و على مفهومها بادالة
العدو عليهم عند فشلهم آخره - و الله الموفق ؛ [على أنك إذا أنعمت ١٠
التأمل في قصة أحد من السير و كتب الأخبار علمت أن الظفر فيها
ما كان -^٨] إلا للنبى صلى الله عليه و سلم كما سيأتى الخبر به في قوله
تعالى ” و لقد صدقكم^٩ الله و وعده اذ تحسونهم باذنه^{١٠} “ - الآية ، فإن
الصحابة رضی الله عنهم هزموم - كما مضى - في أول النهار حتى لم يبق
في عسكرهم أحد ، و لا بقى عند نسايتهم حام ، فلما خالف الرماة أمره ١٥

(١) في ظ : منكم (٢) آية ١٣ (٣) - قط من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد .
(٥) من ظ و مد ، و في الأصل : لما (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : انه -
كذا (٧) زيدت الواو بعده في الأصل ، و لم تكن في ظ و مد فخذناها .
(٨) زيد ما بين الحاجزين من مد (٩) من مد و القرآن المجيد ، و في الأصل
و ظ : نصركم (١٠) سورة ٣ آية ٥٢ .

صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على الغنمة أراد الله تأديبهم وتعريفهم
 أن نصرته لنبيه صلى الله عليه وسلم غير محتاجة في الحقيقة إليهم^١ حين
 انهزموا^٢ حتى لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم منهم غير نفر يسير
 ما يبلغون الخمسين، والكفار ثلاثة آلاف وخيلهم مائتان، فاستمر
 عليه الصلاة والسلام في نحورهم يحاولهم ويصارهم، يرامونه مرة
 ويطاعنون أخرى، ويجمعون عليه كرة ويفترقون^٣ عنه أخرى، والله
 تعالى يمنعه^٤ منهم بأبده ويحفظه^٥ بقوته حتى تدلت الشمس للغروب،
 وقتل يده صلى الله عليه وسلم أبي بن خلف مبارزة، تصديقا لما كان
 أوعده به قبل الهجرة، وخالطوه غير مرة ولم يمكنهم الله منه ولا
 أقدرهم على أسر أحد من أصحابه، ثم ردهم خائبين بعد أن تراجع إليه
 أصحابه في أثناء النهار، ولم يرجع صلى الله عليه وسلم من أحد إلا بعد
 انصرافهم ودفن من استشهد من أصحابه، وأما هم فاستمروا راجعين
 ولم يلووا^٦ على أحد ممن قتل منهم، وهم اثنان^٧ وعشرون [رجلا -^٨]
 من سرواتهم وحمال راياتهم. وقال الجلال الحنجدى^٩ في كتابه فردوس^{١٠}
 المجاهدين: إنه صح النفل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما نصر

(١-١) في مد: فانهزموا (٢) من مد، وفي الأصل وظ: يفترقون (٣) من
 ظ و مد، وفي الأصل: يمنعه - كذا (٤) في ظ و مد: يحوطه (٥) في ظ:
 لم يكدر - كذا (٦) في ظ: اثنا (٧) زيد من مد (٨) من مد، وفي الأصل:
 الحنجدى، وفي ظ: الحنجدى (٩) من كشف الظنون، ووقع في الأصول:
 في دوس - كذا مصحفا.

النبي صلى الله عليه وسلم في موطن^١ من المواطن نصرته [في -^٢] يوم أحد - انتهى . وكفى على ذلك دليلا ما نقل موسى بن عقبة - وسيرته أصح السير في غزوة الفتح - عن قائد الجيش بأحد^٣ أبي سفيان بن حرب أنه قال عند ما عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام : يا محمدا قد استنصرت إلهي واستنصرت إلهك ، فوالله ما لقيتك من مرة إلا ٥ ظهرت علي ، فلو كان إلهي محقا وإلهك مبطلا لقد ظهرت عليك . وإنما كانت الهزيمة و قتل من قتل لحكم ومصالح [لا تخفى -^٤] على من له رسوخ في الشريعة وثبات قدم في السنن ، ويمكن أن تكون هذه القصة مندرجة في حكم النهي في القصة التي قبلها عن طاعة فريق من أهل الكتاب عطفًا على قوله تعالى " نعمت " في قوله " واذكروا نعمت الله عليكم ١٠ اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم^٥ " لتشابهه / القصتين في الإصغاء إلى الكفار قولاً أو^٦ فعلاً ، المقتضى لهدم^٧ الدين [من -^٨] أصله ، لأن همّ الطائفتين بالفشل إنما كان من أجل رجوع عبد الله بن أبي المنافق حليف أهل الكتاب ومواليهم ومصدقهم ومصافيهم ، ويؤيد ذلك نهيه تعالى في أثناء هذه عن مثل ذلك بقوله تعالى " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ١٥ ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اءقابكم فتقتلبوا نخسرين " ويكون

(١) من ظ ومد ، وفي الأصل : مواطن (٢) زيد من ظ ومد (٣) في الأصول :
 ناخذ - كذا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : اليك .
 (٦) سورة ٢ آية ١٠٣ (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل " و " (٨) من مد ،
 وفي الأصل : ابدم ، وفي ظ : الدم .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٢٣ و ١٢٤) ج - ٥

إسناد الفعل في "غدوت" و أمثاله إلى النبي صلى الله عليه وسلم ،
و [المراد - ١] الإسناد إلى الجمع ، لأنه الرئيس فخطابه^٢ خطابهم ، ولشرف
هذا الفعل ، فكان الاليق إفراده به صلى الله عليه وسلم ، وأما انفصل
ونحوه فأسند إليهم و قصر - كما هو الواقع - عليهم .

٥ ولما آمن^٢ الله^٢ سبحانه عليهم [بالنصرة - ٥] في تلك الكرة سبب
عن ذلك أمرهم بالتقوى إشارة إلى أنها السبب لديمام النعمة فقال :
(فاتقوا الله) أي في جميع أوامره ونواهيه مراقبين^٣ له بذكر جميع
جلاله وعظمته وكأله (لعلمكم تشكرون ٥) وقد استشكل هذا بأن
التقوى التنزه عن المعاصي ، والشكر فعل ينبغى عن تعظيم النعم ، وشكر
الله صرف جميع ما أنعم به في طاعاته ، فحينئذ التقوى من الشكر ، فان
أريد العموم [انحل - ١] الكلام إلى : اشكروا لعلمكم تشكرون ،
ولا يتحرر الجواب إلا بعد معرفة حقيقة التقوى لئلا قال الإمام عبد الحق^٢
في كتابه الواعى : الواقعة^٤ ما وقاك الشر ، وكل شيء وقيت به شيئاً فهو
[وقاء له و - ٥] وقاية ، وقوله سبحانه وتعالى " لعلمكم تتقون " - قال ابن عرفة -
١٥ أى لعلمكم أن تجعلوا بقبول ما أمركم به وقاية بينكم وبين النار - انتهى .
فاتضح أن حقيقة " واتقوا " : اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية ، وأن

(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفي الأصل : فخطبه ، وفي ظ : فخطبة (٣) من
ظ و مد ، وفي الأصل : اسن - كذا (٤) سقط من ظ و مد (٥) زيد من
ظ و مد (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : مراقبتين - كذا (٧) في مد :
عبد الله (٨) من مد ، وفي الأصل و ظ : الواحية (٩) سقط من ظ .

سبب

سبب اتخاذ^١ الوقاية الخوف من ضار. فالظاهر - والله أعلم - أن 'اتقوا' بمعنى: خافوا - مجازاً مرسلًا من إطلاق اسم المسبب على السبب، فالمعنى: خافوا الله لتكونوا على رجاء من أن يحملكم خوفه^٢ على طاعته على سبيل التجديد^٣ والاستمرار، ولئن سلمنا أن التقوى من الشكر فالمعنى: اشكروا هذا الشكر الخاص ليحملكم على جميع الشكر، وغايته أنه نبه على [أن -^٤] هـ هذا الفرد من الشكر هو أصل الباب الذي يثمر باقيه، وهو المراد بقول ابن هشام في السيرة: إن المعنى: فاتقوني^٥، فانه شكر^٦ نعمتي، ويجوز أن يكون: لعلمكم بتردادون^٧ نعمًا قد شكروا^٨ عليها^٩ - إقامة للسبب مقام السبب - والله أعلم.

ولما اشتملت هذه القصة على المصيبة التي سيقص الله كثيرًا منها، ١٠ و"هي مستوفاة" في السير "كان أنسب" من قصها و بيان ما اتفق لها - لوعظ من يأتي - البداءة بتذكير من باشرها بما وعدهم الله به^{١٢} على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم قبل وقوع القتال من النصر^{١٤} المشروط بالصبر

(١) في ظ: اتحاد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: خوفكم (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: التجديد (٤) زيد من مد (٥) من مد، وفي الأصل و ظ: بقوله (٦) من السيرة ٩٥/٢، وفي الأصول: فاتقون (٧) من السيرة، وفي الأصول: يشكر (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: تردادو - كذا (٩) في مد: تشكرون (١٠) من مد، وفي الأصل و ظ: عليه (١١-١١) في ظ: هو مستوفى (١٢-١٢) من مد، وفي الأصل و ظ: وكان السبب (١٣) - فقط من ظ (١٤) زيد بعده في الأصل و ظ: والأمر، ولم تكن الزيادة في مد لحذفناها.

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٢٤ - ١٢٦) ج - ٥

والتقوى تنبيها لهم على أن الخلل من جهتهم آتى، ثم وعظهم بالنهي عما منعهم النصر، والأمر بما يحصله لهم كما سيحثهم على ذلك بما يقص عليهم من نأ من قاتل مع الأنبياء قبلهم^١ بأنهم لما أصابهم^٢ القتل لم يهنوا وعلوا أن الخلل من أنفسهم، فبادروا إلى إصلاحه^٣ بأفعال المتقين من الصبر^٤ والتضرع والإقرار بالذنب، فقال - مبذلا من "اذ غدوت" عودا على بده^٥ تعظيما للأمر حثا على النظر في موارده^٦ ومصادره والتدبر لأرائله وأواخره - : ﴿ اذ تقول للؤمنين ﴾ أى الذين شاورتهم في أمر أحد - وفي غمارهم المنافقون - لما زلزلوا برجوع أكثر المنافقين، حتى كاد بعض الثابتين أن يرجع ضعفا وجبنا، مع ما كان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرهم به من تلك الرؤيا [التى - ٧] أولها بذبح يكون في أصحابه، ليكون إقدامهم على بصيرة، أو يصددهم ذلك عن الخروج^٨ إلى العدو، كما كان ميل^٩ النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر أصحابه وإعلامهم إلى المكث في المدينة قال منكرا آتيا بأداة التأكيد للنفي : ﴿ انى يكفيكم ﴾ أى أيها المؤمنون ﴿ ان يمدكم ﴾ إمدادا خفيا - بما أشار إليه الإدغام ﴿ ربكم ﴾ أى المتولى لتربيتكم ونصر دينكم ﴿ بثلاثة ألف ﴾

١٥ / ٤١٣

(١) فى ظ : قتلهم (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : أصابوا (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : أصاحبه - كذا (٤) فى ظ : لصبر (٥) فى ظ : ندى (٦) من مد ، وفى الأصل : بواذره ، وفى ظ : فواذره (٧) زيد من مد (٨) زيد بعده فى الأصل : الرويا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفنا (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : مثل .

ثم عظم أمرهم^١ بقوله: ﴿ من الملائكة ﴾ ثم زاد في إعظامهم بأنهم من
السماء بقوله: ﴿ من مزايين^٢ ﴾ ثم تولى سبحانه و تعالى هو الجواب عنهم
تحقيقا للكفاية فقال: ﴿ بلى^٣ لا ﴾ أى يكفيكم ذلك ، ثم استأنف قوله^٤:
﴿ ان تصبروا و تقوا ﴾ أى توقعوا الصبر و التقوى لله ربكم ، ففعلوا
ما يرضيه و انتهوا عما يسخطه ﴿ و ياتوكم ﴾ أى الكفار ﴿ من فورهم^٥ ﴾
أى وقتهم ، استعير للسرعة التى لا تردد فيها ، من : فارت القدر - إذا
غلت ﴿ هذا ﴾ أى فى هذه الكرة ﴿ يمددكم ﴾ أى إمدادا جليا - بما
أشار إليه إشارة لفظية^٦: الفك^٧ ، و إشارة معنوية : التسويم ﴿ ربكم ﴾
أى المحسن إليكم بأكثر من ذلك ﴿ بخمسة ألف من الملائكة ﴾ ثم بين
أنهم من أعيان الملائكة بقوله: ﴿ مسومين^٨ ﴾ أى معلين بما يعرف
به مقامهم فى الحرب ، و الظاهر من التعبير بالتسويم إفهام القتال ، و من^٩
الاقتصار على الإنزال عدمه ، و يكون فائدة نزولهم البركة بهم و إرهاب
الكفار بمن يروونه منهم . قال البغوى : قال ابن عباس و مجاهد : لم يقاتل
الملائكة فى المعركة إلا يوم بدر ، و فيما سوى ذلك يشهدون^{١٠} القتال
ولا يقاتلون ، إنما يكونون^{١١} عددا و مددا .

١٥

ولما كان التقدير : و ليس الإمداد بهم موجبا للنصر ، و كان قد
قدم فى أول السورة قوله ” و الله يؤيد بنصره من يشاء^{١٢} “ قال هنا

(١) فى ظ : امنهم (٢) فى مد : بقوله (٣) زيد بعده فى ظ : هذا (٤) من مد ،
و فى الأصل و ظ : لفظة (٥) فى ظ : الفك - كذا (٦) فى ظ : زمن (٧) فى
ظ : يشهد ولنا (٨) من ظ ، و فى الأصل و مد : يكون (٩) آية ١٣ .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٢: ١٢٦ و ١٢٧) ج - ٥

قاصرا للأمر عليه: ﴿وما جعله الله﴾ أى الإمداد المذكور و ' ذكره لكم على ماله^٢ من الإحاطة بصفات الكمال التى لا يحتاج مراقبها^٣ إلى شيء^٤ أصلا ﴿الابشرى﴾ .

ولما كانت الهزيمة عليهم فى هذه الكرة، و كان المقتول منهم أكثر قال: ﴿لكم﴾ لثلاث يوم أن ذاك بشرى لضدهم، ومثل هذا قدم القلوب فقال: ﴿ولتطمئن﴾ وعلم أن التقدير - ستكون^٥ الآية من الاحتياك : لتستبشر^٦ نفوسكم به وطمأنينة لكم لتطمئن ﴿قلوبكم به^٧﴾ أى الإمداد، فحكم هنا بأنه بشرى مقيدا بلكم، فكانت العناية بضمير^٨ أشد حتى كأنه قيل: إلا و' بشرى لكم^٩ وطمأنيتكم، فوجب تأخير ضميره عنهم، والمعنى أنهم كانوا أولا خائفين، فلما وردت البشرى اطمأنوا بها رجاء أن يفعل بهم مثل ما فعل فى بدر، فلما اطمأنوا بها وقع النصر كما وقع به الوعد ثم [لما - ''] اطمأنوا قلوبهم إلى شيء^{١٠} ألز قوتها^{١١} لأنه قد سبق لها نصر و سرور^{١٢} بضرب و طعن^{١٣} فى بدر

(١) سقطت الواو من مد (٢) من مد، وفى الأصل وظ: لكم (٣) من مد، وفى الأصل وظ: مراقبتها (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: الشيء، وزيد بعده فى مد: علمه - كذا (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: ليكون (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: ابشر (٧) من مد، وفى الأصل: يضم، وفى ظ: تضم - (٨) من مد، وفى الأصل وظ: قال (٩-٩) فى ظ و مد: بشراكم (١٠) زيد من ظ و مد (١١) أى شدتها، وفى الأصل: الن، وفى مد: من وفى ظ: الربا - كذا (١٢-١٢) فى مد: بطعن و ضرب .

و غيرها

و غيرها فلبحت نحو شيء من ذلك ؛ حصلت الهزيمة ' ليصيروا إلى حق
اليقين بأنه ' لا حول لهم ولا قوة ، ولذلك قال تعالى : ﴿ وما النصر ﴾
أى فى ذلك وغيره ﴿ إلا من عند الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ،
لا يمدد [ولا غيره - ٢] فلا تجدوا فى أنفسكم من رجوع [من رجع - ٤]
ولا تأخر * من تأخر ولا هزيمة من انهزم .

ولما قدم أمر بدر هنا وأول السورة ، وتحقق بذلك ما له من
العزة والحكمة قال : ﴿ العزيز ﴾ الذى لا يغالب ، فلا يحتاج إلى قتال
أحد ولا يحتاج فى نصره - إن قاتل - إلى معونة أحد ﴿ الحكيم ﴾ الذى
يضع الأشياء فى أتقن ٦ محالها ٧ من غير تأكيد ، أى الذى نصركم قبل
هذه الغزوة وفى أول النهار فيها ، ليس لكم ولا لغيركم ناصر غيره ، ١٠
فتى ٨ التفت أحد إلى سواه وكله إليه فخذل ، فاحذروه لتطيعوه ٩ طاعة
أولى الإحسان فى كل أوان ، وهذا بخلاف ما فى قصة بدر فى الانتقال
[وسأتى إن شاء الله ما يتعلق بها من المقال عما اقتضاه هناك الحال ،
والحكيم رأس آية باجماع أهل العلم - كما فى الانتقال - ١٠] ، ولما قرر
الوعد ذكر ثمرته فقال معلقا الجار يمددكم : ﴿ ليقطع ﴾ أى بالقتل ١٥
﴿ طرفا ﴾ أى طائفة من كرامهم ، يهنون ١١ بهم ﴿ من الذين كفروا ﴾
أى و يهزم الباقين ﴿ أو يكبتهم ﴾ [أى يكسرهم ويردم بغيظهم مع الخزي

- (١) فى ظ : العربية (٢) فى ظ : بأنهم (٣) زيد من مد ، وموضعه فى ظ : ولا عدد .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : تأخير (٦) زيد بعده فى ظ : مواضع .
(٧) فى مد : ومالها (٨) فى ظ : فت (٩) سقط من ظ (١٠) زيد ما بين الحاذرين
من مد (١١) من مد ، وفى الأصل : يلعنون ، وفى ظ : تهنون .

أذلاء، وأصل الكبت صرع الشيء على وجهه ﴿فينقلبوا﴾ - [١] أى كلهم مهزومين ﴿خائبين﴾ وذلك فى كلتا الحالتين بقوتكم عليهم بالمد وضعفهم^٢ عنكم به، ويجوز تعليق "ليقطع" بفعل التوكل، أى فليتوكلوا عليه ليفعل بأعدائهم ما يشاءه من نصرهم عليهم، فيقبل^٣ بهم إلى الإسلام ٥ رغبة أو رهبة، أو يميتهم على كفرهم فديم عذابهم مع عافيتهم منهم^٤ ورأيت فى سير الإمام محمد بن عمر الواقدي ما يدل على تعليقه بجعل^٥ من قوله "وما جعله الله إلا بشرى" أو بقوله "ولتطمئن"، وهو حسن أيضا.

ولما كان صلى الله عليه وسلم / حريصا على طلب الإدالة^٦ عليهم^٧ ١٠ ليمثل بهم كما مثلوا بعمه حمزة وعدة من أصحابه رضى الله عنهم قال تعالى: ﴿ليس لك من الأمر﴾ أى فيهم ولا غيرهم ﴿شيء﴾ - موسط له بين المتعاطفات، يعنى من الإدالة^٨ عليهم بقتل أو هزيمة تدرك بهما^٩ ما تريد، بل الأمر له كله، إن أراد فعل بهم ما تريد، وإن أراد منعك منه بالتوبة عليهم أو إمامتهم^{١٠} على الكفر حتف الأنف فيتولى هو عذابهم، ١٥ و ذلك معنى قوله: ﴿أو يتوب عليهم﴾ [أى كلهم بما يكشف عن قلوبهم من حجاب الغفلة فيرجعوا عما هم عليه من الظلم - [١١] (أو يعذبهم) كلهم بأيديكم" بأن تستأصلوهم فلا يفلت منهم أحد، أو يعذبهم هو من

- (١) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٢) فى مد : ضعفكم (٣) فى ظ : فيقبل .
 (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ « و » (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : الادالة .
 (٧) من مد ، وفى الأصل و ظ : عليه (٨) من مد ، وفى الأصل و ظ : بهم .
 (٩) من مد ، وفى الأصل و ظ : امامتهم (١٠) زيد ما بين الحاجزين من مد .
 (١١) من مد ، وفى الأصل و ظ : بأيديهم .

غير واسطتكم بما يستدرجهم به مما يوجب إصرارهم^١ حتى يموتوا على الكفر مع النصر عليكم^٢ وغيره^٣ مما هو لهم في صورة النعم الموجب لزيادة عقابهم^٤. ثم علل الأقسام الأربعة بقوله: ﴿فأنهم ظلمون﴾ وفي المغازي من صحيح البخاري معلقا^٥ عن حنظلة بن أبي [سفيان قال: سمعت سالم بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ه على صفوان بن -^٦] أمية وسهيل بن عمرو* الحارث بن هشام فنزلت "ليس لك من الأمر شيء - إلى قوله: ظلمون"، ورواه^٧ موصولا في المغازي والتفسير^٨ والاعتصام عن سالم عن أبيه بغير هذا اللفظ، وفيه اللهم العن فلانا وفلانا.

ولما كان التقدير: بل الأمر له سبحانه وحده عطف عليه قوله - ١٠ مينا لقدرته على ما قدم^٩ من فعله بهم على وجه أعم -: ﴿ولله﴾ أى الملك الأعظم وحده ﴿ما فى السموات﴾ أى كلها على عظمها من عاقل وغيره، وعبر بـ 'ما' لأن غير العاقل أكثر وهى به أجدر ﴿وما فى الارض ط﴾ كذلك ملكا وملكاً فهو يفعل فى ملكه^{١٠} وملكه^{١١} ما يشاء، [وفى -^{١٢}] التعبير بـ 'ما' أيضا إشارة إلى أن الكفرة الذين السياق ١٥ لهم فى عداد ما لا يعقل.

- (١) فى الأصل: إصرارهم، وفى ظ ومد: إصرارهم (٢-٢) سقط من ظ.
(٣) من مد، وفى الأصل و ظ: مطلقا (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٥) سقطت الواو من ظ (٦) فى ظ: راوه - كذا (٧) سقط من مد.
(٨) فى ظ: تقدم.

ولما كانت الأقسام كلها^١ راجعة إلى قسمين: عافية و عذاب،
قال - مترجماً^٢ لذلك مقررًا لقوله "ليس لك من الأمر شيء"^٣ - : ﴿يغفر
لمن يشاء﴾ أي منهم و من غيرهم فيعطيه^٤ ما يشاء^٥ [من -^٦] خيري^٧
الدنيا و الآخرة، و يغنيه^٨ عن الربا^٩ و غيره ﴿و يعذب من يشاء﴾^{١٠}
بالمنع عما يريد من خيري الدارين، لا اعتراض^{١١} عليه، فلو عذب
الطائع و نعم العاصي لحسن^{١٢} منه ذلك، و لا يقبح منه شيء، و لا
اعتراض بوجه عليه، هذا مدلول الآية و هو لا يقتضي أنه يفعل
أو لا يفعل .

ولما كان صلى الله عليه وسلم لشدة غيظه^{١٣} عليهم في^{١٤} الله جديراً^{١٥}
١٠. بالانتقام منهم بدعاء أو غيره أشار له^{١٦} سبحانه إلى العفو للحث^{١٧} على
التخلق بأخلاق الله الذي سبقت رحمته غضبه بقوله: ﴿و الله﴾ أي
المختص بالجلال و الإكرام ﴿غفور رحيم﴾ أي محاء للذنوب عينا
و أثراً، مكرم بعد ذلك بأنواع الإكرام، فانطبق ذلك على إيضاح^{١٨}
"ليس لك" و إفهامه الموجب لاعتقاد أن يكون له سبحانه و تعالى الأمر

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: مترجماً - كذا (٣) في ظ:
فيظهم (٤) في مد: شاء (٥) زيد من ظ و مد (٦) في ظ و مد: خير -
(٧) من مد، وفي الأصل و ظ: بعينه (٨) في ظ: الربا (٩) في ظ: الاعتراض.
(١٠) سقط من مد (١١) في ظ «و» (١٢) من مد، وفي الأصل و ظ:
غنيهم (١٣) من مد، وفي الأصل و ظ: من (١٤) من ظ و مد، وفي
الأصل: جدير (١٥) في ظ: إليه (١٦) في مد: بانث - كذا (١٧) في ظ:
فصاح - كذا .

وحده . ولما أنزل^١ عليه ذلك وما في آخر النحل مما^٢ للصابرين
والعافين حرم المثلة واشتد نهيه صلى الله عليه وسلم عنها، فكان
لا يخطب خطبة إلا منع منها .

ولما كان الحتم بهاتين الصفتين ربما أطمع في انتهاك الحرمات
لاتباع الشهوات^٣، فكان مبعدا لمعاطيه من الرحمة مدنيا من النعمة، ه
وكان أعظم المقتضيات للخذلان تضییهم للشجر^٤ الذي أمرهم النبي
صلى الله عليه وسلم بحفظه بسبب^٥ إقبالهم^٦ قبل^٧ إتمام هزيمة^٨ العدو
على الغنائم^٩ للزيادة في الأعراض الدنيوية التي هي [معنى - ^{١٠}] الربا
في اللغة إذ هو^{١١} مطلق الزيادة^{١٢} أقبل تعالى عليهم بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا ﴾ أى أقروا بالإيمان^{١٣} صدقوا بإيمانكم بأن ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ﴾ ١٠
أى المقيح^{١٤} فيما تقدم أمره غاية التقيح، وهو كما ترى إقبال متلف^{١٥} ناد
لهم باسم الإيمان الناظر إلى الإنفاق المعرض عن التحصيل ” و بما رزقنهم
ينفقون^{١٦} ”، ” والمنفقين والمستغفرين بالأسحار^{١٧} ”، ” لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون^{١٨} ” ناه عن الالتفات إلى الدنيا بالإقبال على غنيمة أو غيرها

- (١) في ظ : أنزلت (٢) من مد ، وفي الأصل وظ : بما (٣) سقط من ظ .
(٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : للسفر - كذا (٥) في ظ : اقتالهم (٦-٧) من
مد ، وفي الأصل : تمام عزيمة ، وفي ظ : إتمام عزيمة - كذا (٧) في مد : العظام .
(٨) زيد من ظ ومد (٩-١٠) من ظ ومد ، وفي الأصل : معلق لزيادة (١٠) في
مد : المتقيح (١١) في مد : متطلعا (١٢) سورة ٢ آية ٣ (١٣) سورة ٣ آية ١٧ .
(١٤) سورة ٢ آية ٩٢ .

ج - ٥

(سورة آل عمران ٣ : ١٣٠)

نظم الدرر

بطريق الإشارة بدلالة التضمن ، إذ المطلق جزء المقيد ، ففي هذه العبارة التي صريحها ناه عن الإقبال على الدنيا إقبالا^١ يوجب الإعراض عن الآخرة باستباحة أكل / الربا المتقدم في البقرة من النهي عنه من المبالغة ما يردع من له أدنى تقوى ، و يوجب لمن لم يتركه^٢ وما يقاربه الضمان بالخذلان في كل زمان "فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله"^٣ ، "اولئك^٤ الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون".

/٤١٥

ولما كان في تركه الإثخان في العدو بعد زوال المانع منه بالهزيمة مع أن فيه من حلاوة الظفر ما يجمل عن الوصف لأجل الغنيمة التي هي لمن^٥ [غلب - ٦] ، وليس في المبادرة إلى حوزها كبير فائدة ، دلالة على تنامي الحب للتكاثر ؛ ناسب المقام ربا التضعيف فقال : - أو يقال : لما كان سبب الهزيمة طلبهم الزيادة بالغنيمة ، وكان حب الزيادة حلالا قد يجر إلى حياها حراما ، فيجر إلى الربا المضاعف ، لأن من يرتع حول الحى يوشك أن يواقعه قال : - (اضعافا مضعفة ص) أى لا تنهأوا^٧ لذلك ١٥ باقبالكم على مطلق الزيادة ، فان المطلوب منكم بذل المال فضلا عن الإعراض عنه فضلا عن الإقبال عليه ، فالحاصل أنها دلت على الربا بمطابقتها ،

(١) زيد بعده في الأصل : لا ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لخذلانها (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : لم ينزله (٣) سورة ٢ آية ٢٧٨ (٤) من القرآن المجيد سورة ٢ آية ٨٦ ، وفي الأصول : اوليكم - كذا (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : لها (٦) زيد من مد (٧) من ظ ، وفي الأصل ومد : لا يتهبوا .

وعلى

(١٦)

٦٤

و على مطلق الزيادة بتضمنها ، و هى من وادى ' قوله صلى الله عليه وسلم
 « من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقع » ، و ختام الآية بقوله : ﴿ و اتقوا
 الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ لعلمكم تفلحون ﴾ مشير إلى ذلك ، أى
 [و - ٢] اجعلوا بينكم و بين مخالفة نهيه عن الربا^٢ وقاية بالإعراض عن^٣
 مطلق محبة الدنيا و الإقبال عليها ، لتكونوا على رجاء من الفوز بالمطالب ، ه
 فن له ملك الوجود و ملكه فانه جدير بأن يعطيكم من ملكه إن اتقيتم ،
 و يمنكم^٤ إن تساهتم ، فهو^٥ نهى عن الربا بصريح العبارة ، و تحذير من
 أن يعودوا إلى ما صدر منهم من الإقبال على الغنائم قبل انفصال الحرب
 فعلا^٦ و قوة بطريق الإشارة ، و هى من أدلة إمامنا الشافعى على استعمال
 اللفظ فى حقيقته و مجازه ، و الذى دلنا^٧ على إرادة المعنى التضمنى^٨ ١٠
 المجازى نظمها ، و الناظم حكيم فى سلك هذه القصة^٩ و وضعها فى هذا
 الموضع ، فلا يقدح فى ذلك أنه قد كان فى هذه القصة أمر يصلح أن
 يكون سببا لنزول هذه الآية و وضعها هنا ، لأن ذلك غير لازم و لا مطرد ،
 فقد كان حلفه^{١٠} صلى الله عليه وسلم أنه يمثل بسبعين منهم كما مثلوا بعمه
 (١) فى ظ : زادى (٢) زيد من مد (٣) فى مد : الزيادة (٤) فى ظ : من .
 (ه) من مد ، و فى الأصل و ظ : و منعكم ، و العبارة من بعده إلى « ما صدر »
 ساقطة من ظ (٦) فى مد : نهى (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : فعال (٨) من
 ظ و مد ، و فى الأصل : ادلنا (٩) من مد ، و فى الأصل : المتضمن ، و فى ظ :
 التضمن (١٠) العبارة من هنا إلى « هذه القصة » متكررة فى ظ (١١) فى
 الأصل : خلقه ، و فى ظ و مد : خلفه - كذا .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٣٠) ج - ٥

حمزة رضى الله عنه سببا لنزول آخر سورة النحل "و ان عاقبتهم فعاقبوا
بمثل ما عوقبتهم به"^١ - إلى آخرها، ولم توضع هنا، و الامر الصالح لأن
يكون سببا لها ما روى أبو داود في سننه بسند رجاله رجال الصحيح
عن أبي هريرة أن عمرو بن أقيش^٢ رضى الله عنه كان له ربا في الجاهلية،
فكره أن يسلم حتى يأخذه، فجاء يوم أحد فقال: أين بنو عمي؟ قالوا:
بأحد، قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد^٣، قال: فأين؟ [فلان - °]؟
قالوا: بأحد؛ فلبس لأمته وركب فرسه ثم توجه قبلهم، فلما رآه^٤ المسلمون
قالوا: إليك عنا يا عمرو! قال: إني قد آمنت، فقاتل [حتى - °]
جرح، فحمل إلى أهله جريحا، فجاءه سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال
١٠ لاخته: سليه: حمية لقومك أو غضبا [لهم، أم غضبا - °] لله عز وجل؟
فقال: بل غضبا لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، فمات فدخل
الجنة وما صلى الله^٥ عز وجل صلاة. و القصة في جزء^٦ عبيد الله بن
محمد بن حفص العيشي^٧ - بالمهملة ثم التحتانية ثم المعجمة - تخرج أبو القاسم
(١) سورة ١٦ آية ١٢٦ (٢) من سنن أبي داود - باب فيمن يسلم ويقتل مكانه
في سبيل الله عز وجل، وفي الأصل ومد: أقيس، وفي ظ: نيس (٣) العبارة
من بعده إلى «قالوا بأحد» سقطت من ظ ومد (٤ - ٤) من السنن، وفي
الأصول: قالوا اين (٥) زيد من السنن (٦) من السنن، وفي الأصول: راوه.
(٧) زيد من مد و السنن (٨) من السنن، وفي النسخ: الله (٩) في الأصل: جزء،
وفي ظ: جزى، وفي مد: جزا - كذا (١٠) من مد، وفي الأصل و ظ:
العيسى - كذا بالسين المهملة، وقد ضبطه المفسر رحمه الله.

عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، و الجزء السابع عشر من المجالسة
 للدينوري من طريق حماد بن سلمة شيخ^١ أبي داود، و لفظ العيشي^٢:
 إن عمرو بن وقش - و قال الدينوري: أقيش - كان له ربا في الجاهلية،
 و كان يمنعه [ذلك -^٣] الربا من الإسلام حتى يأخذه ثم يسلم، فجاء
 ذات يوم و رسول الله صلى الله عليه وسلم - زاد الدينوري: و أصحابه -^٥
 بأحد فقال: أين سعد بن معاذ؟ و قال العيشي^٤: فقال لقومه: أين سعد
 ابن معاذ؟ قالوا: هو بأحد، قال الدينوري: فقال: أين بنو أخيه؟ قالوا:
 بأحد، فسأل/ عن قومه، فقالوا: بأحد، فأخذ سيفه و رمحه و لبس لامته،
 ثم أتى أحدا؛ و قال الدينوري: ثم ذهب إلى أحد، فلما رآه المسلمون قالوا:
 إليك عنا يا عمرو! قال: إني قد آمنت! فقاتل فحمل إلى أهله جريحا،^{١٠}
 فدخل عليه* سعد بن معاذ فقال - يعني لأمراته - سليه! و قال العيشي:
 فقال لأخته: ناديه، فقولي؛ و قال الدينوري: فقالت: أجت غضبا لله
 و رسوله أم حمية و غضبا لقومك؟ فنادته، فقال: جئت غضبا لله و رسوله!
 فأتت فدخل الجنة و لم يصل لله قط؛ و قال الدينوري: قال أبو هريرة:
 [و دخل الجنة و ما صلى لله صلاة. و رواها ابن إسحاق و الواقدي عن^{١٥}
 أبي هريرة رضي الله عنهم -^٦] أنه كان يقول: حدثوني عن رجل دخل
 الجنة لم يصل قط؛ و قال الواقدي: أخبروني برجل يدخل الجنة
 (١) سقط من ظ (٢) من مد، و في الأصل وظ: العيسى (٣) زيد من ظ
 ومد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: العيسى (٥) سقط من مد (٦) زيد ما بين
 الحائزين من مد.

لم يسجد^١ لله سجدة قط، فيسكت الناس، فيقول أبو هريرة رضي الله عنه:
هو أخو بني عبد الأشهل؛ وقال ابن إسحاق: فإذا لم يعرفه الناس سألوها:
من هو؟ فيقول: أصيرم بني عبد الأشهل عمرو بن ثابت [بن - ٢]
وقش^٢ رضي الله تعالى عنه؛ زاد ابن إسحاق: قال الحصين^٣ - يعني شيخه -:
فقلت لمحمود بن لبید: كيف كان شأن الأصيرم؟ قال: كان يأبى
الإسلام على قومه، فلما كان يوم^٤ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى أحد بدا له في الإسلام فأسلم، ثم أخذ سيفه فغدا^٥ حتى دخل في
عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته^٦ الجراحة، فبينما^٧ رجال من بني
عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم^٨ في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن
١٠ هذا للأصيرم^٩! ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكر بهذا^{١٠} الحديث!
فسأله ما جاء به، فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أحذب^{١١} على قومك أم
رغبة في الإسلام؟ فقال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله
[وأسلمت - ٢]، ثم أخذت سيفي فغدت^{١٢} مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم، [ثم - ٤] قاتلت حتى أصابني ما أصابني^{١٣} ثم لم يلبث أن
(١) في ظ و مد: لم يصل (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، وفي الأصل:
وقش (٤) في ظ: الحصين (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: بينهم (٦) في ظ:
فغدا (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: أثبت (٨) في مد: فيينا - كذا (٩) في
ظ: قتالهم - كذا (١٠) في ظ: الأصيرم (١١) في مد: بهذا، وفي سيرة ابن
هشام ٢ / ٨٨: لهذا (١٢) أي تعطف، وفي ظ: أحدث - كذا (١٣) في ظ:
وعدوت (١٤) زيد من ظ و مد.

مات في أيديهم . قد كرهه^١ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنه لمن أهل الجنة . و المعنى على هذا : يا أيها الذين^٢ يريدون الإيمان ! لا تفعلوا مثل فعل الأصيرم في تأخير إيمانه لأجل الربا ، بل سابقوا الموت لئلا يأتكم بغتة فتهلكوا . أو يا أيها الذين أخبروا عن أنفسهم بالإيمان ورسوخ^٣ الإذعان في أنفسهم و الإيقان^٤ بمر الزمان ! افعلوا^٥ مثل فعله^٦ ساعة أسلم^٧ في صدق الإيمان وإسلام نفسه إلى ربه بركوب الأهوال في غمرات القتال من غير خوف ولا توقف ولا التفات إلى أمر دنيوى وإن عظم : قد بان أنه به بالإشارة إلى قصة بدر ثم بهذه الآية على أن من أعرض عن الدنيا حصلت له بجز وإق كان قليلا ، ومن أقبل عليها فاتته بذل وإن كان كثيرا^٨ جليلا ، لأن من له ملك السماوات ١٠ والأرض يفعل ما يشاء ولا تقيد^٩ الآية بإساحة مطلق الفضل في الربا ما لم ينته إلى^{١٠} الاحتياط المضاعفة ، لأن إفهامها لذلك معارض لمنطوق^{١١} آيات البقرة الناهية عن مطلق الربا ، والمفهوم لا يعمل به إذا عارض منطوق نص آخر ، وهذا من مزيد الاعتناء بشأن الربا إذا حرم كل نوع منه في آية تخصه ، فحرم ربا الفضل في آيات البقرة ، ١٥

(١) في ظ : نذكره (٢) زيد بعده في ظ : امنوا (٣) في ظ : رجوع (٤) في

ظ : الإيمان (٥) في ظ : فعل (٦) من مد ، وفي الأصل و ظ : فعل .

(٧) من مد ، وفي الأصل و ظ : يسلم (٨) من مد ، وفي الأصل و ظ : كثيرا .

(٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل : لا تقيد (١١) من ظ

و مد ، وفي الأصل : المنطوق .

و يلزم من تحريمه تحريم ربا الأضعاف، ثم نص عليه في هذه الآية،
فصار محرما مرتين: مفهوما ومنطوقا، مع ما أفاد ذكره من النكت^٢ التي^٣
تقدم التنبيه عليها.

و لما كان الفائز بالمطالب قد لا يوقى المعاطب قال تعالى: ﴿واتقوا
النار﴾ أي إن لم تكونوا بمن^٢ يتقيه سبحانه لذاته ﴿التي أعدت﴾ أي
هيئت ﴿للكافرين﴾ أي بالله باستحلال الربا وغيره بالذات، و للكافرين
بالنعمة عصيانا بالعرض. و لما كان الفائز السالم قد لا يكون مقربا قال
اتباعا للوعيد بالوعد: ﴿واطيعوا الله﴾ ذاء الجلال والإكرام
﴿والرسول﴾ أي الكامل في الرسالة [كالا - °] ليس لأحد مثله،

١٠ / ٤١٧ أي^٦ في أمثال الأوامر / واجتنب التواهي بالإخلاص ﴿لعلمكم
ترحمون﴾ أي لتكونوا على رجاء^٧ و طمع في أن يفعل بكم فعل المرحوم
بالقريب و المحبة و إنجاز كل ما وعد على الطاعة من نصره^٨ وغيره.

و لما نهى عما منع النصر بالنهي عن الربا، المراد بالنهي عنه
الصرف عن مطلق الإقبال على الدنيا، المشار إلى ذمها في قوله تعالى "زين
١٥ للناس حب الشهوات من النساء والبنين"^٩ - الآية، و أمر بما تضمن الفوز
و النجاة و القرب، و كان ذلك قد يكون مع التواني أمر بالمسارعة فيه

(١) في ظ: النكت (٢) من مد، وفي الأصل و ظ: الذي (٣) من مد،
وفي الأصل و ظ: من (٤) من مد، وفي الأصل و ظ: ذوا (٥) زيد من
مد (٦) سقط من مد (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: بظا - كذا (٨) في ظ
و مد: نصر (٩) سورة ٣ آية ١٤.

توصلا إلى ما أعد للذين اتقوا الموعودين بالنصر المشروط بتقواهم و صبرهم
 في قوله "بلى ان تصبروا و تقوا و ياتوكم من فورهم هذا يمددكم"^١، "و ان
 تصبروا^٢ و تقوا^٣ لا يضركم كيدهم شيئا" الموصوفين بما تقدم في قوله
 تعالى في المقصد الثالث من^٤ دعائهم هذه السورة "قل انبئكم بخير من
 ذلكم للذين [اتقوا -^٥]"^٦ - الآيات، على وجه أبلغ من ذلك بالمسارعة إلى
 ما يوجب المغفرة من الرب اللطيف بعباده، و إلى ما يبيح الجنة الموصوفة
 بالاجتهاد^٧ [في الجهاد -^٨] على [ما -^٩] بحمد^{١٠} رسول الله صلى الله
 عليه و سلم من التقوى، فان هذه الجنة أعدت للتقين الذين تقدمت
 الإشارة إليهم في قوله تعالى "و اتقوا الله لعلكم تفلحون"^{١١} الذين يتخلون
 عن الأموال و جميع مصانع^{١٢} الدنيا فلا تمتد^{١٣} أعينهم إلى الازدياد من^{١٤}
 شيء منها، و يتحلون بالزهد فيها و الإنفاق لها في سبيل الله في مرضاة
 رسول الله صلى الله عليه و سلم من الجهاد و غيره في السراء و الضراء،
 لا بالإقبال على الدنيا من غنمة أو غيرها إقبالا يخل ببعض الأوامر،
 و"^{١٥} بالصبر بكظم الغيظ عن أصيب منهم بقتل أو جراحة، و العفو عن
 (١) زيد بعده في ظ : ربكم بخمسة (٢-٢) سقط من ظ (٣) من مد، و في
 الأصل و ظ : في (٤) زيد من ظ و مد و القرآن المجيد (٥) من مد، و في
 الأصل : باجتهاد، و سقط من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد من مد .
 (٨) من مد، و في الأصل و ظ : يحمد - كذا (٩) سورة ٢ آية ٣ (١٠) في
 ظ : مضايح (١١) من ظ و مد، و في الأصل : فلا تهتدو (١٢) سقطت الواو
 من ظ .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٣٢ و ١٣٤) ج - ٥

يحسن العفو عنه في التمثيل بالقتل في أحد أو غير ذلك إرشادا إلى أن لا يكون جهادهم إلا غضبا لله تعالى ، لا مدخل فيه لحظ من حظوظ النفس أصلا ، و بالصبر أيضا على حمل النفس على الإحسان إلى من أساء بذلك أو غيره كما فعل صلى الله عليه وسلم في فتح مكة بعد أن كان حلف ليمثلن بسبعين منهم مكان تمثيلهم بسيد الشهداء أسد الله وأسود رسوله عمه حمزة ابن ساقى الحجيج عبد المطلب ، فانه وقف صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم الذي كان أعظم أيام الدنيا الذي أثبت فيه نور الإسلام على مشرق الأرض^٢ ومغربها ، فهزم^٣ ظلام الكفر وضرب أوتاده في كل قطر على درج الكعبة وهم في قبضته فقال : ما تظنون أنى فاعل بكم يا معشر قريش ؟ قالوا : خيرا ١ أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأتهم الطلقاء ١ و بالاستغفار عن^٤ عمل الفاحشة من خذلان المؤمنين أو أكل الربا أو التولي عن^٥ قتال الأعداء ، وعن ظلم النفس من محبة الدنيا الموجب للاقبال على الغنائم التي كانت سبب الانهزام أو غير ذلك مما أراد الله تعالى فقال تعالى : ﴿ و سارعوا ﴾ أى بأن تفعلوا في الطاعات فعل من يسابق خصما ﴿ الى مغفرة من ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بارسال الرسل و إنزال الكتب بعمل ما يوجها^٦ من التوبة والإخلاص و كل ما يزيل العقاب ﴿ و جنة ﴾ أى عظمة جدا^٧ بعمل كل ما يحصل

(١) في ظ : يستد - كذا (٢) في ظ : الدنيا (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : نفهم (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : من (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : على (٦) من مد . وفي الأصل و ظ : ما (٧) في ظ توجهها (٨) العبارة من هنا إلى « الثواب » ساقطة من مد .

الثواب ، ثم بين عظمها بقوله : ﴿ عرضها السموات والارض ﴾ أى كعرضها ، فكيف بطولها ، ويحتمل أن يكون كطولها ، فهى أبلغ من آية الحديد - كما يأتى لما يأتى ، وعلى قراءة " سارعوا " - بحذف الواو يكون التقدير : سارعوا بفعل ما تقدم ، فهو فى معناه ، لا مغائر له .

ولما وصف الجنة بين أهلها بقوله : ﴿ أعدت ﴾ أى الآن وفرغ ٥

منها ﴿ للمتقين ﴾ وهم الذين صارت التقوى شعارهم ، فاستقاموا واستمروا على الاستقامة . ثم وصف المتقين بما تضمن تفصيل الطاعة للأمور بها قبل إجمالاً ، على وجه معرف بأسباب النصر إلى آخر ما قص من خبر الأنبياء الماضين^٢ ومن معهم من المؤمنين^١ بادئاً / بما هو أشق الأشياء

٤١٨ /

ولا سيما فى ذلك الزمان من التبر ومن المال الذى هو عديل الروح ١٠ فقال : ﴿ الذين ينفقون^٥ ﴾ [أى بما^١ آتاهم الله ، وهو تعريض بمن أقبل على الغنيمة - ٧] ﴿ فى السراء والضراء^٤ ﴾ [أى فى مرضات الله فى حال الشدة والرخاء . ولما ذكر^٩ أشق ما يترك ويبدل أتبعه أشق^١ ما يحبس فقال - ٧] : ﴿ والكُظمين ﴾ أى الحاسبين ﴿ الغيظ ﴾ عن^{١١}

- (١) من مد ، وفى الأصل و ظ : بطولها (٢) زيد بعده فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفناها (٣) فى ظ : الماضيين (٤) فى ظ : الرمين ، وفى مد : الربيين - كذا (هـ - هـ) تأخر فى الأصل عن « فى ذلك الزمان » .
- (٦) من مد ، وفى ظ : بما (٧) زيد ما بين الحازنين من ظ ومد .
- (٨-٨) تقدم فى الأصل على « من التبر » (٩) من مد ، وفى ظ : كان ذلك .
- (١٠) من مد ، وفى ظ : يشقى (١١) من ظ ومد ، وفى الأصل : من .

أن ينفذوه بعد أن امتلاؤا منه .

ولما كان الكاظم غيظه عن أن يتجاوز في العقوبة قد لا يعفو
حسه على العفو بقوله: ﴿و العافين﴾ وعمم في الحكم بقوله: ﴿عن الناس ط﴾
أى ظلمهم لهم ولو كانوا قد قتلوا منهم أو جرحوهم . ولما كان التقدير:
٥ فان الله يحجب لإحسانهم^٢ عطف عليه تنويها بدرجة الإحسان قوله:
﴿و الله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿يحب المحسنين ع﴾ أى بكرمهم
بأنواع الإكرام على سبيل التجديد والاستمرار .

ولما أخبر أنها [للمحسنين إلى الغير و من قاربهم أخبر أنها - ٢]
لمن دونهم فى الرتبة من التائبين [المحسنين - ٢] إلى أنفسهم استجلابا
١٠ لمن رجع^١ عن أحد من المنافقين و لغيرهم من العاصين فقال: ﴿و الذين
إذا فعلوا﴾ أى باشروا عن علم أو جهل فعله ﴿فاحشة﴾ أى من السيئات
الكبار ﴿أو ظللوا أنفسهم﴾ أى بأى نوع كان من الذنوب ، لتصير^٣
الفاحشة موعودا^٤ بغفرانها بالخصوص [و - ٢] بالعموم ﴿ذكروا الله﴾
أى بما له من كمال العظمة فاستحيوه^٥ و خافوه ﴿فاستغفروا﴾ [الله - ٨] ،
١٥ أى^٦ فطلبوا منه المغفرة بالتوبة بشرطها ﴿لذنوبهم ص﴾ أى فانه يغفر لهم
١ من مد ، وفى الأصل وظ : «و» (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :
باحسانهم (٣) زيد ما بين الحازرين من ظ و مد (٤) فى ظ : رفع (هـ) من ظ
ومد ، وفى الأصل : ليصير (٦) من مد ، وفى الأصل وظ : موعدا (٧) فى مد :
فاستحيوا (٨) زيد من ظ (٩) زيد بعده فى ظ : لذنوبكم .

لأنه غفار لمن تاب .

ولما كان هذا مفهوماً لأنه [تعالى - '] يغفر كل ذنب أتبعه تحقيق ذلك و نفي القدرة عليه عن غيره ، لأن المخلوق لا يمضي غفرانه لذنب إلا إذا كان مما شرع الله غفرانه ، فكان لا غافر في الحقيقة إلا الله قال مرغبا في الإقبال عليه ^٢ بالاعتراض بين المتعاطفين : ﴿ ومن يغفر الذنوب ﴾ ٥ أي يمحو آثارها حتى لا تذكر ^٢ ولا يحاكي عليها ﴿ إلا الله ﴾ أي الملك الأعلى . ولما كان سبحانه و تعالى قد تفضل برفع القلم عن العاقل قال : ﴿ ولم يصروا على ما فعلوا و هم يعلمون ﴾ أي أنهم على ذنب . ولما آثم وصف السابقين و هم المتقون و اللاحقين و هم التائبون قال - معلما بجزائهم الذي سارعوا إليه من المغفرة و الجنة مشيرا إليهم بأداة البعد ^{١٠} تعظيما لشأنهم على وجه معلم بأن أحدا لا يقدر أن يقدر الله حق قدره - : ﴿ أولئك ﴾ أي العالو الرتبة ﴿ جزاؤهم مغفرة ﴾ أي لتقصيرهم أو لطفواتهم أو لذنوبهم ، و عظمها بقوله : ﴿ من ربهم ﴾ أي المحسن إليهم بكل إحسان ، و أتبع ذلك للاكرام فقال : ﴿ و جنت ﴾ أي جنات ، ثم بين عظمها بقوله : ﴿ تجري من تحتها الأنهر ﴾ حال كونكم ﴿ تخلدين فيها ﴾ ^{١٥} هي أجرهم على عملهم ﴿ و نعم اجر العاملين ﴾ هي ، هذا على تقدير أن تكون الإشارة لجميع الموصوفين ، و إن كانت للاستغفرين خاصة فالأمر واضح في نزول رتبتهن عن قبلهم .

(١) زيد من مد (٢) نسخة مد مطبوعة من هنا إلى « ٧٨ » من صفحة الكتاب (٣) في ظ : لا يذكر (٤) زيد بعده في ظ : ظلما .

ولما فرغ من بيان الزلزال الذي وقع لهم به الخلل، والترهيب بما
يوقع فيه، والترغيب فيما ينجي منه في تلك الأساليب التي هي أحلى من
رائق الزلال ولذيذ الوصال بعد طول المطال أخذ يشجعهم^١ على الجهاد
لذوي الفساد^٢، فبدأ بالسبب الأقوى، وهو الأمر بمشاهدة مصارع من
مضى من المكذبين بروية ديارهم وتتبع آثارهم مع أنهم كانوا أشد خلقا
وأقوى هما وأكثر عددا وأحكم عددا، فقال تعالى معللا للأمر بالمسارعة
إلى المغفرة: ﴿قد خلت﴾ ولما كان العلم بالقرب في الزمان والمكان
أتم، وكان الذين وقعت فيهم السنن جميع أهل الأرض، ولا في جميع الزمان؛
أثبت الجار فقال: ﴿من قبلكم﴾ أي فلا تظنوا بما أملى لهم بهذه الإدالة^٣
١٠ أن نعمته انقطعت عنهم ﴿سنن^٤﴾ أي وقائع سننها الله في القرون الماضية
والأمة الحالية في المؤمنين والمكذبين، وأحوال وطرائق كانت للفريقين،
فأصا بالموثمين وتوقعوا لأعدائكم مثل ما للمكذبين، فانظروا وأنعموا^٥
التأمل في أحوال الفريقين وإن لم يحصل ذلك إلا بالسير^٦ في الكد
والتعب الشديد ﴿فسيروا في الأرض﴾ أي للاتعاظ بأحوال تلك الأمة
١٥ بروية آثارهم لتضموا^٧ الخير إلى الخير، وتعتبروا^٨ من العين بالآثر،
و تقرنوا بين النقل والنظر. ولما كان الرجوع عن الهفوة واجبا على
الفور عقب بالفاء قوله: ﴿فانظروا﴾ أي نظروا^٩ اعتبارا، ونبه على
١ (١) في ظ: بسجهم (٢) في ظ: العناد (٣) في ظ: الادلة (٤) سقط من ظ.
٥ (٥) في ظ: امعنوا (٦) من ظ، وفي الأصل: بالسير (٧) في ظ: انضمنا.
٨ (٨) في ظ: يعتبروا (٩) زيد بعده في ظ: أي.

عظمة المنظور فيه بأنه أهل لأن يستفهم عنه لأنه خرج عن العوائد فتعاضم
إشكاله فقال: ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ المكذبين ٥ ﴾ .
ولما تكفلت هذه الجمل بالهداية إلى سعادة الدارين نبه على ذلك
سبحانه و تعالى بقوله ١ على طريق الاستفتاح: ﴿ هذا يان ﴾ أى يفيد
إزالة الشبهة ﴿ للناس ﴾ أى المصدقين و المكذبين ﴿ و هدى ﴾ أى ٥
إرشاد بالفعل [و موعظة ﴾ أى تريق - ٢] ﴿ للائقين ٥ ﴾ .

ولما أمرهم بالمسارعة و أتبعها علتها و تبيحتها نهاهم ٢ عما يعوق ١
عنها من قبل الوهن الذى عرض لهم عند رؤيتهم الموت فقال - و يحوز
أن يعطف على ما تقديره: قتيبوا ٥ و اهتدوا و اتعظوا إن كنتم متقين ،
و انظروا أخذنا لمن كان قبلكم من أهل الباطل و إن كان ٦ لهم دول ١٥
و صولات و مكر و حيل - : ﴿ و لا تهنوا ﴾ أى فى جهاد أعدائكم
الذين ٢ هم أعداء الله ، فالله معكم عليهم ، و إن ظهروا يوم أحد ٤ نوع
ظهور فسترون إلى من يؤول الأمر ﴿ و لا تحزنوا ﴾ أى على ما أصابكم
منهم و لا [على - ١] غيره مما عساه ينوبكم ﴿ و ﴾ الحال أنكم ﴿ اتم الاعلون ﴾
أى فى الدارين ﴿ ان كنتم مؤتمنين ٥ ﴾ أى إن كان الإيمان - و هو ١٥
التصديق بكل ما يأتى ١٠ عن الله - لكم صفة راسخة ، فانهم لا يهنون ؛

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ ، و قد ثبت " و موعظة "
فى القرآن المجيد أيضا (٣) من ظ ، وفى الأصل : نهاها (٤) من ظ ، وفى
الأصل : يفرق (٥) فى ظ : فتنبوا (٦) فى ظ : كانت (٧) من ظ ، وفى الأصل :
الذى (٨) من ظ ، وفى الأصل : واحد (٩) زيد من ظ (١٠) من ظ ، وفى
الأصل : سياتى .

لأنكم بين إحدى الحسينين - كما لم يهن من سيفض عليكم بأنهم من كانوا
مع الأنبياء قبلكم لعلوكم عدوكم، أما في الدنيا فلأن دينكم حق ودينهم
باطل، ومولاكم العزيز الحكيم الذي قد وعدكم الحق الملك الكبير
لمن قتل^٢، والنصر^١ والتوزر لمن بقي، وهو^٣ حتى قيام، لا يخفى عليه
هـ شيء من أحوالكم، فهو ناصركم وخادلكم؛ وأما في الآخرة فلأنكم في
مقعد صدق عند مليك مقتدر، وهم في النار عند ملائكة العذاب الغلاظ
الشداد^٤ أبداً.

ولما نهام^٥ عما تقدم^٦ وبشرهم^٧ سلام و بصرهم^٨ بقوله:
(ان يمسخكم قرح) أى مصيبة بادلتهم عليكم اليوم (فقد مس القوم)
١. أى الذين لهم من قوة المحاولة ما قد علمتم، أى^٩ فى يوم أحد نفسه
وفى يوم بدر (قرح مثله) أى فى مطلق كونه قرحاً وإن كان
أقل من قرحكم فى يوم أحد وأكثر [منه -] فى يوم بدر، على أنه
كما أنه ظفرهم^{١٠} - بعد ما أصابهم وأنكأهم يوم بدر بالزهد الذى ليس بعده
وهو - بقتل مثل من قتل منكم وأسر مثلكم، و^{١١} يوم أحد بالقتل

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : قبل (٣) من ظ ، وفى الأصل : هى (٤) وإلى
هنا انتهى الانطاس من نسخة مد (٥) فى ظ : نهم (٦) فى ظ : يقدم ، وفى مد :
تقدم - كذا (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ وبعد لحذفناها .
من ظ و مسد ، وفى الأصل : بصره (٨) من مد ، وفى الأصل : وظ :
(٩) سقط من مد (١٠) زيد من مد (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل :

١ : فى .

والهزيمة أول النهار وهم أعداؤه، فهو جدير بأن يظفركم بعد وكنكم وأتم
أولياؤه، فكما لم يضعفهم وكنهم وهم على الباطل فلا تضعفوا أتم وأتم
على الحق، ترجون من الله ما لا يرجون، فقد أدلناكم عليهم يوما وأدلناهم
عليكم آخر' (و تلك الايام) ولما نبه على تعظيمها بأداة البعد، وكانت
إنما تعظم بعظم' أحوالها ذكر الحال المنبه^٢ عليها بقوله: (ندارها بين
الناس^٣) أى بأن نرفع من نشاء تارة ونرفع عليه أخرى.

ولما كان التقدير: ليدال على من كانت له الدولة، فيعلم كل أحد
أن الأمر لنا بلا شريك ولا منازع عطف عليه قوله: (وليعلم الله)
أى المحيط بجميع الكمال (الذين آمنوا) أى بتصديق دعوى الإيمان
ببنة الجهاد فيكرمهم، ومعنى "ليعلم" أنه يفعل فعل من يريد علم ذلك بأن ١٠
يرز^٤ ما يعلمه غيبا^٥ إلى عالم الشهادة ليقم الحجة على الفاعلين على ما يتعارفه
الناس بينهم' (ويتخذ منكم شهداء^٦) [أى - ^٨] بأن يجعل قتلهم
عين الحياة التى هى الشهادة، لا غيبة^٧ فيها، فهو سبحانه وتعالى يزيد
فى إكرامهم^٩ بما صدقوا فى إيمانهم بأن لا يكونوا^{١٠} مشهودا^{١١} عليهم

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: احد (٢) فى مد: بعظمة (٣) من ظ و مد،
وفى الأصل: المنبه - كذا (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: ان (٥) فى ظ:
بين (٦) فى ظ: عينا (٧) من مد، وفى الأصل و ظ: بينكم (٨) زيد من مد.
(٩) فى ظ: يحل (١٠) من ظ، وفى الأصل: عينه، وفى مد: غيبة (١١) من
مد، وفى الأصل: الإكرامة، وفى ظ: إكرامه (١٢) فى ظ: لا تكووا.
(١٣) من مد، وفى الأصل و ظ: شهدوا.

أصلا [بفتة في - '] قبورهم ولا غيرها ولا يغفلوا^٢ بخوف ولا صق^٣
 ولا غيره، فان الله يحب المؤمنين، وليعلم^٤ الذين ظلموا ويمحق منهم
 أهل الجحد والاعتداء (والله) أى الملك الأعلى (لا يحب الظلمين^٥)
 أى الذين يخالف فعلهم قولهم، فهو لا يستشهدهم^٦، وإنما يجعل قتلهم
 أول خيبتهم وعذابهم، و [فيه - '] بشارة^٧ فى ترغيب بأنه لا يفعل
 مع الكفرة فعل المحب، لئلا يحزنوا على ما أصابهم، ونذارة فى تأديب
 بأنهم ما خذلوا إلا بتضييعهم الثغر الذى أمرهم به من التزموا طاعته
 / وأمر الله بها فى المنشط والمكروه^٨ بحفظه، وأقبلوا على الغنائم قبل
 أن يفرغوا من العدو، والآية من الاحتباك: إثبات^٩ الالتخاذ أولا دال
 ١٠ على نفيه ثانيا، وإثبات الكراهة ثانيا دال على المحبة أولا.

ولما قدم التنفير من الظلم دلالة على الاهتمام به أكمل ثمرات
 المداولة بقوله: (و" ليمحص) أى وليظهر" (الله) أى ذو الجلال
 والإكرام (الذين آمنوا) أى إن أصيبوا، ويجعل مصيبتهم سببا لقوتهم
 (ويمحق الكافرين^{١٠}) أى شيئا فشيئا فى تلك الحالتين بما يلحقهم من

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفى الأصل و ظ : لا تفعلوا (٣) من ظ
 و مد، وفى الأصل : ضعف (٤) من ظ ، وفى الأصل و مد : و يعلم (٥) فى
 ظ : لا استشهدهم (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، وفى الأصل :
 بشارهم (٨) من ظ و مد، وفى الأصل : الكرة (٩) فى ظ : ثبات .
 (١٠) زبدت الواو من ظ و مد والقرآن المجيد (١١) من مد، وفى الأصل
 و ظ : ليظهر .

الرجس، أما إذا كانت لهم فبالنقص [بالقوة - '] بالبطر الموجب للعكس، و أما إذا كانت عليهم فبالنقص بالفعل الموجب للقطع بالنار .
 'ولما' كان السياق يرشد إلى أن المعنى : أحسبتم أنه^٢ لا يفعل ذلك ، عادله بقوله : ﴿ ام حسبتم ﴾ أى [يا - '] من استكره نبينا^٣ على الخروج فى هذا الوجه ﴿ ان تدخلوا الجنة ﴾ أى التى أعدت للثنين ٥
 ﴿ ولما يعلم الله ﴾ أى يفعل المحيط^٤ علما و قدرة^٥ بالامتحان فعل من يريد أن يعلم ﴿ الذين جهدوا منكم ﴾ أى أوقعوا الجهاد بصدق العزيمة ، ثم أمضوه بالفعل تصديقا للدعوى ﴿ و يعلم الصبرين ٥ ﴾ أى الذين شأنهم الصبر عند الهزاهز^٦ و الثبات عند جلائل المصائب تصديقا لظاهر الغرائز ، فان ذلك أعظم دليل على الوثوق بالله [و - '] وعده الذى هو صريح ١٠ الإيمان .

ولما أرشد السياق إلى أن التقدير : فلقد كنتم تقولون : لن نخرجت بنا ليتلين^٧ الله بلاء حسنا ، عطف عليه قوله : ﴿ ولقد ﴾ ويجوز أن يكون حالا من فاعل "حسبتم" ﴿ كنتم تمنون الموت ﴾ أى الحرب ، عبر عنها به لأنها سيئه^٨ ، ولقد تمنى بعضهم الموت نفسه بتمنى الشهادة ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) فى ظ : فلما (٣) فى ظ : لأنه (٤) زيد من مد .
 (٥) من ظ ، و فى الأصل و مد : بنينا (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : و قدرة علما (٧) الهزاهز : الشدائد ، و لا واحد لها (٨) زيدت الواو من مد (٩) من ظ ، و فى الأصل و مد : لتبين - كذا (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : شبه .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٤٣ و ١٤٤) ج - ٥

﴿من قبل ان تلقوه﴾ أى رغبة فيما أعد الله للشهداء ﴿فقد رايتموه﴾ أى برؤية قتل^٢ إخوانكم، والضمير يصلح أن يكون للموت المعبر به عن الحرب، وللموت نفسه برؤية أسبابه القريبة^٣، وقوله: ﴿وانتم تنظرون^٤﴾ بمعنى رؤية العين، فهو تحقيق لإرادة^٥ الحقيقة.

٥. ولما كان التقدير: فانهزمت عند ما^٦ صرخ الشيطان كذبا^٧:
ألا إن محمدا قد قتل! ولم يكن لكم ذلك فانكم إنما تعبدون رب محمد
الحى القيوم وتقاتلون^٨ له، وأما محمد فما هو بخالد لكم فى الدنيا قال:
﴿وما محمد الا رسول﴾ أى من شأنه الموت، لا إله، ثم قرر المراد
من السياق بقوله: ﴿قد خلت﴾ أى بمفارقة أمهم، إما بالموت أو الرفع
١٠. إلى السماء. ولما كان المراد أن الخلو منهم إنما كان فى بعض الزمان
الماضى لا مضى أثبت الجار فقال: ﴿من قبله الرسل^٩﴾ أى فيسلك^{١٠}
سبيلهم، فاسلكوا أتم سبيل من نصح نفسه من أتباعهم فاستمسك
بنورهم^{١١}.

١٥. ولما سبب عن ذلك إنكار انهزامهم ودعمهم على تقدير فقد
أنكر عليهم بقوله: ﴿افان﴾^{١٢} ولما كان الملك القادر على ما يريد

(١) فى مد: عند (٢) فى ظ: قبل (٣) من مد، وفى الأصل و ظ: العادلة.
(٤-٤) فى ظ: فقد رايتموه (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: الارادة (٦) فى
ظ: لما (٧) من مد، وفى الأصل و ظ: كذا (٨) فى ظ: تقادون (٩) فى ظ:
يسلك (١٠) فى ظ: بعذرهم (١١-١١) سقطت من ظ.

لا يقول ' شيئا وإن كان فرضا إلا فعله ولو على أقل وجوهه، [وكان -^٢]
 في علمه سبحانه أنه صلى الله عليه وسلم يموت موتا - لكونه على فراشه،
 وقتلا - لكونه بالسم، قال:^٣ ﴿ مات ﴾ أى موتا على الفراش ﴿ او قتل ﴾
 أى قتلا ﴿ انقلبتم ﴾ أى عن الحال التى فارقكم عليها فأضعتم ' مشاعر
 الدين وتركتم مشارع المرسلين^١ ثم قرر^٤ المعنى بقوله: ﴿ على أعقابكم ﴾^٥
 لتلا يظن أن المراد مطلق الانتقال وإن كان على الاستواء والانتقال
 إلى أحسن ﴿ ومن ﴾ أى انتقلتم والحال أنه من ﴿ ينقلب على عقبيه ﴾
 أى بترك ما شرعه له نبيه أو التخصير فيه ﴿ فلن يضر الله ﴾ أى المحيط
 بجميع العظمة ﴿ شيئا ﴾^٦ لأنه متعال عن ذلك بأن الخلق كلهم طوع
 أمره، لا يتحركون حركة إلا على وفق مراده، فلو أراد لهداهم أجمعين،^{١٠}
 ولو أراد أضلهم أجمعين، وإنما يضر ذلك المنقلب نفسه لكفره بالله،
 وسيجزى الله الشاكرين، ومن سار^٧ ثابتا على المنهج السوى فانما ينفع
 نفسه^٨ لشكره لله^٩ ﴿ وسيجزى الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال
 ﴿ الشكرين ﴾^٥ أى كلهم، فالآية من الاحتباك: أثبت الانقلاب وعدم
 الضر أولا دليلا^٩ على حذف ضده ثانيا، والجزء ثانيا^{١٠} دليلا على حذف^{١٥}
 مثله أولا.

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: لا تقول (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد في
 ظ و مد: افان (٤) في ظ: فأصبحتم (٥) في ظ: قرن (٦) من ظ و مد، وفي
 الأصل: صار (٧) من مد، وفي الأصل و ظ: لنفسه (٨) في ظ: بالله (٩) في
 ظ: دليل (١٠) زيد بعده في ظ: على.

نظم الدرر (سورة ال عمران ٣: ١٤٥ و ١٤٦) ج - ٥

ولما كان موت الرأس من أنصار الدين لا يصلح أن يكون سببا
للفرار إلا إذا كان موته بغير إذن صاحب الدين، و كان الفرار لا يصلح
إلا إذا كان يمكن أن يكون سببا [للنجاة، و أما إذا كان موته لا يكون
إلا بإرادة رب الدين، و الفرار لا يكون سببا - '] في زيادة الأجل
٥ و لا نقصه؛ أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ و ما كان لنفس ﴾ أى من الأنفس
كائنة من كانت ﴿ ان تموت ﴾ أى بشيء من الأشياء ﴿ الا باذن الله ﴾
أى يعلم الملك الأعلى الذى له الإحاطة التامة وإرادته وتمكينه من
قبضها وكتب لكل نفس عمرها، ﴿ كتباً مؤجلاً ﴾ أى أجلا لا يتقدم
/ ٤٢١ عنه ثبات، و لا يتأخر عنه بفرار أصلا .

١٠ ولما كان المعنى: فمن أقدم شكرته^٢ ولم يضره الإقدام، و من
أحجم ذمته^٣ ولم ينفعه الإحجام، و كان الحامل على الإقدام إشار ما
عند الله، و الحامل على الإحجام إشار الدنيا؛ عطف على ذلك قوله:
﴿ و من يرد ثواب الدنيا ﴾ أى بعمله - كما أفهمه التعبير بالثواب، و هم
المقبلون على الغنائم بالنهب و الفارون كفرا لنعمة الله ﴿ توتة منها^٤ ﴾
١٥ أى ما أراد، و ختام الآية يدل على أن التقدير هنا: و سرى الكافرين،
ولكن طواه رفقا بهم ﴿ و من يرد ثواب الآخرة ﴾ أى و هم الثابتون
شكرا على إحسانه إليهم من غير أن يشغلهم شاغل عن الجهاد. ولما كان
قصد الجزاء غير قادح^٥ في الإخلاص منه من الله تعالى علينا قال:
(١) زيد ما بين الخازين من مد (٢) من مد، و فى الأصل وظ: سكرته .
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ديمته (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد،
و فى الأصل: فادرج .

(توته) ونبه على أن العمل لذات الله من غير نظر إلى ثواب ولا عقاب أعلى فقال: (منهاط) أي وسنجزيه اشكره، وهو معنى قوله: (وسنجزى الشكرين) لكنه أظهر لتعليق الحكم بالوصف وعمم. ولما ذكر سبحانه وتعالى هذه الجمل على هذا الوجه الذي بين فيه العلل، وأوضح بحال الزلل، وكان التقدير بعد انقضائها: [فكأن - ٢] ٥ من قوم^٢ أمرناهم بالجهاد، فكانوا على هذين القسمين، فأثبنا الطائع وعذبنا العاصي، ولم بضربنا ذلك شيئاً، ولا جرى شيء منه على غير مرادنا؛ عطف عليه يؤسهم^٣ بطريق^٤ الصالحين من قبلهم ويسيلهم^٥ بأحوالهم^٦ قوله: (وكان) وهي^٧ بمعنى 'كم' وفيها لغات كثيرة، قرئ منها في العشر^٨ بثنيتين: الجمهور^٩ بفتح الهمزة بعد الكاف وتشديد ١٠ الياء المكسورة، وابن كثير وأبو جعفر بألف ممدودة بعد الكاف وهزمة مكسورة، ولعلها أبلغ - لأنه عوض عن الحرف المحذوف - [من - ١١] المشهورة بالمد، والمد أوقع في النفس وأقر في القلب؛ وفيها كلام كثير - في لغاتها ومعناها وقرأاتها^{١٢} المتواترة والشاذة وصلاً ووقفاً، ورسمها في مصحف الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه ١٥

- (١) تأخر في الأصل عن «العمل» (٢) زيد من ظ و مد (٣) في ظ : قوام .
 (٤) من مد، وفي الأصل : يؤسهم، وفي ظ : يؤسهم (٥) في مد : بطرائق .
 (٦) في ظ : تسليهم (٧) من مد، وفي الأصل و ظ : باموالهم (٨) من مد،
 وفي الأصل و ظ : هو (٩) في مد : العشرة (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل :
 الجمهور (١١) زيد من مد (١٢) في ظ : قراتها .

نظم الدرر (سورة ال عمران ٣: ١٤٥ - ١٤٧) ج - ٥

الذى وقع إجماع الصحابة عليه ليكون المرجع عند الاختلاف إليه،
 وهل هي بسيطة أو مركبة ومشتقة أو جامدة وفي كيفية التصرف
 في لغاتها - استوعبه^١ في كتابي الجامع المبين لما قيل^٢ في "كاين"، وقال
 سبحانه: ﴿من نبي﴾ لتكون التسلية أعظم بذكر ما هو طبق ما وقع
 في هذه الغزوة من قتل^٣ أصحابه، واحتمال العبارة لقتله نفسه بقوله:
 ﴿قتل﴾ أي ذلك النبي حال كونه ﴿معه﴾ لكن الأرجح إسناد "قتل"
 إلى "ريون"، لموافقته قراءة الجماعة - سوى الحرمين^٤ وأبي عمرو - : قاتل
 معه ﴿ريون﴾ أي علماءهم ورثة الأنبياء، وعلى منهاجهم ﴿كثير﴾
 ﴿فما﴾ [أي فما -^٥] تسبب عن [قتل نبيهم وهنهم، أو يكون المعنى -
 ١٠. ويؤيده^٦ الوصف بالكثرة - : قتل الريون، فما تسبب عن -^٧] قتلهم
 أن الباقيين بعدهم ﴿وهنوا﴾ أي ضعفوا عن^٨ عملهم ﴿لما أصابهم
 في سبيل الله﴾ أي الملك الأعظم من القتل لثيهم الذي هو عمادهم،
 أو لإخوانهم الذين هم أعضادهم لكونه من^٩ الله ﴿وما ضعفوا﴾ أي
 (١) في ظ: استوعبتها (٢) زيدت الواو بعده في الأصل وظ، ولم تكن
 في مد فحذفناها (٣) في ظ: قبل (٤) في الأصول: قاتل، وهي القراءة الشائعة
 ببلادنا، ولكن لا ارتباط لها بالتفسير الآتي التعلق بقراءة نافع وابن كثير
 وأبي عمرو ويعقوب: قَتِلَ - بالبناء للفعول، و قرئ: قَتَلَ - بالتشديد.
 (٥) من مد، وفي الأصل وظ: الحرمين (٦) زيد في مد «و» (٧) زيد ما بين
 الحازنين من ظ و مد (٨) من مد، وفي ظ: فيؤيده (٩) زيد قبله في ظ فقط:
 نبيهم وهنهم أو يكون المعنى - كذا (١٠) في مد: في.

مطلقا

مطلقا في العمل ولا في غيره ﴿وما استكانوا ط﴾ أى وما خضعوا
لأعدائهم فطلبوا أن يكونوا تحت أيديهم - تعريضا بمن قال : اذهبوا
إلى أبي عامر^٢ الراهب ليأخذ^٣ لنا أمانا من أبي سفيان، بل صبروا،
فأجبههم الله اصبرهم ﴿و الله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿يجب
الصبرين ه﴾ أى فليعلن بهم من النصر وإعلاء القدر وجميع أنواع ه
الإكرام فعل من يحبه .

ولما أننى سبحانه وتعالى على فعلهم أتبعه قولهم فقال : ﴿وما كان﴾
أى شيء من القول ﴿قولهم﴾ أى بسبب ذلك^٤ الأمر الذى دهمهم
﴿آ ان قالوا﴾ أى وهم يجتهدون في نصر دين الله ناسبين الخذلان إلى
أنفسهم بتعاطى [أسبابه -^٥] ﴿ربنا اغفر لنا ذنوبنا﴾ أى التى^٦ استوجبنا ١٥
بها الخذلان ﴿واسرافنا فى أمرنا﴾ هضا لأنفسهم، فع^٧ كونهم
ربانيين مجتهدين نسبوا ما أصابهم إلى ذنوبهم، فافعلوا أتم فعلهم لتسألوا
من الكرامة ما نالوا^٨، كما أشار^٩ لكم سبحانه وتعالى إلى ذلك قبل الأخذ
في قص القصة عند ما وصف به المتقين من قوله "أو ظلموا أنفسهم ذكروا
الله فاستغفروا لذنوبهم" .

١٥

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل : قالوا (٢) في ظ : ابن عامر (٣) من مد،
وفي الأصل : لناخذ، وفي ظ : فاخذ (٤) سقط من مد (٥) في ظ و مد : تحبه .
(٦) زيد من مد (٧) من مد، وفي الأصل و ظ : الذى (٨) من ظ و مد،
وفي الأصل : مع (٩) من مد، وفي الأصل و ظ : تسألوا (١٠) من ظ و مد،
وفي الأصل : استناد - كذا (١١) سورة ٣ آية ١٣٥ .

نظم الدرر ۱ سورة ال عمران ۳: ۱۴۷ و ۱۴۸ ج - ۵

و لما دعوا بمحو ما أوجب الخذلان دعوا بشمرة^١ المحو فقالوا:
﴿ وثبت اقدمنا ﴾ إشارة إلى أن الرعب من نتائج الذنب، والثبات من ثمرات^٢
الطاعة. «إنما تقاتلون^٣ الناس بأعمالكم^٤»، ثم أشاروا إلى أن قتالهم لهم إنما
هو لله، لا لحظ من حظوظ النفس أصلا بقوله: ﴿ وانصرنا / على
القوم الكافرين ﴾.

/ ٤٢٢

فلما تم الثناء على فدائهم وقولهم ذكر ما سببه لهم ذلك من الجزاء
[فقال - ٥]: ﴿ فأتتهم الله ﴾ المحيط علما وقدره ﴿ ثواب الدنيا ﴾
أى بأن قبل دعاءهم بالنصر [والغنى - ٥] بالغنائم^٦ وغيرها وحسن
الذكر وانشراح الصدر وزوال شبهات الشر.

١٠. ولما كان ثواب الدنيا كيف ما كان لا بد أن يكون بالكدر
مشوبا^٧ وبالبلاء مصحوبا^٨، لأنها دار الأكدار؛ أعراه^٩ من وصف الحسن،
وخص الآخرة به فقال: ﴿ وحسن ثواب الآخرة ط ﴾ أى مجازا بتوفيقهم
إلى الأسباب فى الدنيا، وحقيقة فى الآخرة، فانهم أحسنوا فى هذا
الفعال والمقال^{١٠}، لكونهم لم يطلبوا بعبادتهم غير وجه الله، فأحبهم
(١) من مد، وفى الأصل و ظ : فتمره (٢) من ظ و مد، وفى
الأصل : فوات - كذا (٣) فى ظ : تقابلون (٤) فى ظ : بأعمالهم (٥) زيد من
ظ و مد (٦) من ظ و مد، وفى الأصل : والغنائم (٧) من ظ و مد، وفى
الأصل : شوبا (٨) فى ظ : لصحوبا - كذا (٩) فى مد : أعراه (١٠ - ١٠) من
ظ و مد، وفى الأصل : القتال والقتال - كذا (١١) من مد، وفى الأصل
و ظ : بعنادهم.

لإحسانهم

(٢٢)

٨٨

لإحسانهم (والله) المحيط بصفات الكمال (يحب المحسنين) كلهم ،
فهو جدير بأن يفعل بهم كل جميل و لذلك^١ رفع منزلتهم و لم يجعل
ثوابهم بعضا ، كما فعل بمن عبد^٢ لإرادة الثواب فقال ” تؤته منها “ فقد بان
أن^٣ هذه الآية منعطفة على ما أمر به الصحابة رضى الله عنهم على طريقة
اللف و النشر المشوش ، فبنى الوهن تعريض بمن أشير إليه في آية ٥
” و لقد كنتم تمنون الموت “ و حجة الصابرين تعريض بمن لم يصبر ، و قوله
” و يعلم الصبرين “ و نحو ذلك و الثناء على قولهم حث على [مثل -] ما
ندبهم إليه في قوله ” ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم “ و ثبات الإقدام إشارة
إلى ” و اتم الاعلون ان كنتم مؤمنين “ و إلى^٤ أن ثبات القدم للتصر على
أعداء الله كان شاغلا لهم عن الالتفات إلى غيره ، و تعريض بمن^٥ أقبل ١٠
على الغنائم و ترك طلب العدو^٦ لتتام النصر المشار إليهم بآية ” و من
يرد^٧ ثواب الدنيا تؤته منها “ و إيتاء الثواب ناظر إلى النهي عن الربا
و ما انتظم في سلكه و دأبه^٨ ، و إلى الأمر بالمسارعة إلى الجنة و ما والاها ،
و إيماء إلى أن من فعل فعلهم نال ما نالوا ، و من ترك شيئا لله عوضه الله
خيرا منه ، لأن عليه ” محبط ، و كرمه لا يحد ، و خزائنه لا تنفذ ، بل ١٥

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : كذلك (٢) في ظ : عبده (٣) سقط من
ظ (٤) زيد من مد (٥) زيد بعده في مد : او (٦) من ظ و مد ، و في الأصل :
امى (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : بمن - كذا (٨) من ظ و مد ، و في
الأصل : الهدو (٩) سقط من مد (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : اودأه -
كذا (١١) في ظ : عمله .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٤٩ - ١٥١) ج - ٥

لا تنقص^١، ثم ختمها بما ختم به للحث على التخلق بأوصاف المتقين؛
 فقد اتضح بغير لبس أن المراد بهذه الآية - وهي الإخبار عن إيتائهم
 الثواب - التنبيه على أن أهم الأمور وأحقها بالبداة التخلق بما وعظوا
 به قبل^٢ قص القصة، ولا ريب أن في مدح من سوام^٣ تهيجاً زائداً
 ٥ لانبعاث^٤ نفوسهم وتحرك همهم وتنبيه نشاطهم وثوران عزائمهم غيرة^٥
 منهم أن يكون أحد - وهم خير أمة أخرجت للناس - أعلى همّة وأقوى
 عزيمّة وأشدّ شكيمة وأصلب عوداً وأثبت عموداً وأربط جأشاً^٦
 وأذكر لله^٧ وأرغب فيما عنده وأزهد فيما أعرض^٨ عنه^٩ منهم .

ولما أمر سبحانه وتعالى بطاعته الموجبة للنصر والاجر وختم
 ١٠ بمحبته للحسين^{١٠}، حذر من طاعة الكافرين المقتضية للخذلان رغبة في

موالاتهم^{١١} و مناصرتهم فقال تعالى واصلاً بالنداء في آية الربا^{١٢}:
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي أقروا بالإيمان ﴿إِنْ تَطِيعُوا﴾ بخضوع واستئمان
 أو غيره ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي هذا الفريق منهم أو غيره ﴿يُرِدُّكُمْ عَلَىٰ
 عِقَابِكُمْ﴾ بتعكيس^{١٣} أحوالكم إلى أن تصيروا مثلهم ظالمين كافرين

(١) في ظ: لا ينقص (٢) في ظ: قليل (٣) في ظ: سوامهم (٤) من ظ و مد،
 وفي الأصل: لا لتفاف (٥) في الأصول: غيره (٦) في الأصل و مد: حاشا،
 وفي ظ: حاشا - كذا (٧) من مد، وفي الأصل و ظ: الله (٨) من ظ و مد،
 وفي الأصل: عرض (٩) من مد، وفي الأصل و ظ: عنهم (١٠ - ١٠) في مد:
 بمحبة الحسين (١١) في ظ: مواتهم - كذا (١٢) سقط من ظ (١٣) في
 ظ: بتعكس .

فتقبلوا

(فتقلبوا نحسين ٥) في جميع أموركم في الدارين ، فتكونوا في غاية
البعد من أحوال المحسنين ، فتكونوا بمحل السخط من الله صغرة تحت
أيدى الأعداء في الدنيا خالدين في العذاب في الآخرة ، وذلك ناظر
إلى قوله تعالى أول ما حذر من مكر الكفار " يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا
فريقا من الذين أوتوا الكتب " - الآية ، وموضح أن جميع هذه الآيات ٥
شديد ٢ اتصال ٢ بعضها ببعض - والله الموفق .

ولما كان التقدير : فلا تطيعوهم ، إنهم ليسوا ١ صالحين للولاية
مطلقا ما دتم مؤمنين ، عطف عليه قوله : (بل الله) [أى - ٥]
الملك الأعظم (مولئكم ٣) بخبرا ٦ بأنه ناصرهم وأن نصره لا يساويه
نصر أحد سواه بقوله : (وهو خير النصيرين ٥) أى لأن ٤ من نصره ١٠
سبب له جميع أسباب النصر و أزال عنه كل أسباب الخذلان ، فنع
غيره - كائنا من كان - من إزاله ، ثم قرر ذلك بقوله محققا ٧ للوعد :
(سنلقى) أى بعظمتنا (في قلوب الذين كفروا الرعب) أى المقضى
لامثال ما أمر به من الجرأة عليهم وعدم الوهن في أمرهم ، كما افتتح
القصة بالإيماء إلى ذلك بالأمر بالسير ٨ في الأرض والنظر في عاقبة ١٥
المكذبين ، ثم بين سبب / ذلك ٩ فقال : (بما أشركوا بالله) أى ليعلموا

٤٢٣ /

(١) سورة ٣ آية ١٠٠ (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : شديدة (٣) في ظ ؛
الاتصال (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) في ظ : بخبرا (٧) من مد ،
وفي الأصل و ظ : تحققا (٨) من مد ، وفي الأصل و ظ : بالسير (٩) زيد
بعده في ظ : بقوله .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٥١ و ١٥٢) ج - ٥

قطعا أنه لا ولي لعدوه لأنه [لا - ١] كفو، [له - ١]، و بين بقوله:
 ﴿ما لم ينزل﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿به سلطانا﴾ أنه لا حجة
 لهم فى الإشراف، و ما لم ينزل به سلطانا فلا سلطان له، و مادة ٢ 'سلط'
 ترجع إلى القوة، و لما كان التقدير: فعليهم الذل فى الدنيا لا تبعاهم
 ٥ ما لا قوة به، عطف عليه: ﴿و ما ونهم النار﴾ ثم هوّل أمرها بقوله:
 ﴿و بشئ مثوى الظالمين ٥﴾ أى هى، و أظهر فى موضع الإضمار للتعميم
 و تعليق الحكم بالوصف.

و لما كانت السين فى "سنلق" مفهومة للاستقبال كان ذلك ربما أوهم
 أنه لم يرغبهم فيما مضى، ففى هذا الوهم محققا لهم ذلك بتذكيرهم بما أنجز
 ١٠ لهم من وعده فى أول هذه الواقعة * مدة تلبسهم بما شرط عليهم من الصبر
 و التقوى بقوله تعالى - عطفًا على قوله: "بلى ان تصبروا و تقوا" - الآية،
 مصرحًا بما لوح إليه تقديرًا قبل "و لقد نصركم الله يدر" - [كما مضى - ١] -:
 ﴿و لقد صدقكم الله وعدة﴾ أى ٦ فى قوله "و ان تصبروا و تقوا لا يضركم
 كيدهم" ﴿اذ تحسونهم﴾ أى تقتلونهم بعضهم بالفعل و الباقيين بالقوة
 ١٥ التى هيأها لكم ﴿بأذنه ٤﴾ فان الحس بالفتح ٧: القتل و الاستئصال -
 قاله فى القاموس ٥ ثم بين لهم سبب هزيمتهم بعد تمكينه منهم ليكون ٨

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ: أى (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: باد .
 (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: أمره (٥) فى مد: الواقعة (٦) منقط من مد .
 (٧) زبدت الواو بعده فى الأصل و ظ، و لم تكن فى مد فخذناها (٨) من
 ظ و مد، و فى الأصل: ليكونوا .

رادعا

(٢٣)

٩٢

رادعاهم عن المعاودة إلى مثله فقال مينا لغاية الحس : (حتى إذا فشلتم)
 أي ضعفتم و تراخيتم بالميل إلى الغيبة خلاف ما تدعو إليه الهمم العوالى ،
 فكيف بهم إذا كانوا من حزب مولى الموالى ! فلو كانت العرب على
 حال جاهليتها تتفاخر بالإقبال على الطعن و الضرب فى مواطن الحرب
 و الإعراض عن الغنائم^١ - كما قال عنزة بن شداد العبسى يفخر :
 هـ
 هلا سألت الخيل^٢ يا ابنه مالك^٣ إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
 إذ^٤ لا أزال على رحالة^٥ ساجح^٦ نهد تعاوره^٧ الحكاة مكلّم^٨
 طورا يعرض للطعان و تارة يأوى إلى حصد القسى عرمرم
 يخبرك من شهد الواقعة أننى أغشى^٩ الوغى و أعف عند المغنم
 و قال يفاخر^{١٠} بقومه كلهم :

إنا^{١١} إذا حمس^{١٢} الوغى زرى القنا^{١٣} و نعب^{١٤} عند مقاسم الأتقال
 و لما ذكر الفشل عطف عليه ما هو سببه فى الغالب فقال :
 (و تنازعتم) أى بالاختلاف ، و أصله من نزع بعض^{١٥} شيئا من
 (١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيكف (٢) فى مد : المغنم (٣) من ظ و مد
 و ديوانه ، و فى الأصل : الخليل (٤) من مد و ديوانه ، و فى الأصل و ظ : بنت
 مالك (٥) من مد و ديوانه ، و فى الأصل و ظ : اذا (٦) فى ظ : راحاله - كذا .
 (٧) فى ظ : يعاوره (٨) من ظ و مد و ديوانه ، و فى الأصل : تتكلم .
 (٩) من مد و ديوانه ، و فى الأصل : اغشى ، و فى ظ : اغنى - كذا (١٠) فى ظ :
 تفاخر (١١) فى ظ : الا (١٢) فى الأصول : حمس (١٣) من مد ، و فى الأصل
 و ظ : تعم (١٤) سقط من ظ .

يد بعض ﴿ في الامر ﴾ أى أمر الثغر المأمور بحفظه ﴿ وعصيتم ﴾ أى وقع العصيان بينكم بتضييع الثغر . وأثبت الجار تصويرا للخالفه بأنها كانت عقب رؤية النصر سواء ، و تبشيرا^١ بزوالها^٢ فقال : ﴿ من بعد ما آركم ما تحبون ط ﴾ أى من حسهم بالسيوف وهزيمتهم .

٥ . ولما كان ذلك ربما أفهم أن الجميع عصوا نفي ذلك معللا للعصيان بقوله : ﴿ منكم من يريد الدنيا ﴾ أى قد أغضى^٣ عن معايبها^٤ التى أجلاها^٥ فناؤها . ولما كان حكم الباقي غير معين للفهم^٦ من هذه الجملة قال : ﴿ ومنكم من يريد الآخرة ع ﴾ وهم الثابتون^٧ فى مراكزهم ، لم يرجوا على الدنيا .

١٠ . ولما كان التقدير جوابا لإذا : سلطهم عليكم ، عطف عليه قوله : ﴿ ثم صرفكم عنهم ﴾ أى لاندهاشكم^٨ لانيانهم إليكم [من ورائكم -^٩] ، وعطفه بتم لاستبعادهم للهزيمة بعد ما رأوا^{١٠} من النصر ﴿ ليتليكم ع ﴾ أى يفعل فى ذلك فعل من^{١١} يريد الاختبار فى ثباتكم على الدين فى حالى السراء والضراء . ولما كان اختباره تعالى بعصيانهم^{١٢} شديد الإزعاج

(١) من مد . وفى الأصل و ظ : تيسيرا (٢) فى ظ : بزولها (٣) فى ظ : اعصى (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : معايبها - كذا (٥) زيد بعده فى ظ : عضوا نفي ذلك معللا للعصيان بقوله (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : الفهم . (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : الثابتون (٨) من مد ، ولعله مطاوعة : أدهش ، وفى الأصل : لاندهاشكم ، وفى ظ : لاندهاشكم (٩) زيد من مد . (١٠) فى ظ : اراد (١١) من مد ، وفى الأصل و ظ : ما (١٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : بعصيانكم .

للقلوب عطف على قوله "صرفكم": (و لقد عفا عنكم ط) أى تفضلاً
عليكم لإيمانكم (والله) الذى له الكمال كله (ذو فضل على المؤمنين ه)
أى كافة، وهو من الإظهار فى موضع الإضمار للتعميم^١ و تعليق الحكم
بالوصف .

ولما ذكر علة الصرف و العفو عنه صورته^٢ فقال : (اذ ه)
[أى - ٢] صرفكم و عفا عنكم حين (تصعدون) أى تزيلون^٣ الصعود
فتحذرون^٤ نحو المدينة، أو^٥ تذهبون فى الأرض لتبعدوا عن محل الوقعة
خوفاً من القتل^٦ (ولا تلوّن) أى تمطفون (على احد) أى من
قريب : لا بعيد / (والرسول) أى الذى أرسل إليكم لتجيئوه^٧ إلى
كل ما يدعوكم إليه و هو الكامل فى الرسلية (يدعوكم فى آخركم) أى ١٠
ساقتم^٨ و جماعتكم الأخرى، و أتم مدبرين و هو ثابت فى مكانه فى
نحر العدو فى نفر يسير لا يبلغون أربعين نفساً - على اختلاف الروايات -
و ثوقاً بوعد الله و مراقبة له، يقول كلما^٩ مرت^{١٠} عليه جماعة^{١١} منهزمة^{١٢} :
إلى عباد الله ! أنا رسول الله ! "إلى إلى" عباد الله ! كما هو اللائق بمنصبه
الشريف من الاعتماد على الله و الوثوق بما عنده و عد من دونه من ولى ١٥

(١) فى ظ : للتعظيم (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : صورة (٣) زيد من
مد (٤) فى ظ : تزيدون (٥) فى ظ : فينحدون (٦) فى ظ "و" (٧) من مد،
و فى الأصل و ظ : الفعل (٨) فى ظ : فتجيئوه (٩) فى ظ : ساقتم (١٠) فى ظ :
فلها (١١) فى مد : مر (١٢) سقط من ظ (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل :
منهزمين (١٤-١٥) فى ظ : الى اى، و فى مد : اين اى .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٥٣ و ١٥٤) ج - ٥

وعدو عدما؛ وإنما قلت: إن معنى ذلك الانهزام، لأن الدعاء يراد منه الإقبال على الداعي بعد الانصراف عما يريده ليأمر وينهى، فلم بذلك أنهم مولون عن المقصود، وهو القتال، وفي التفسير من البخاري عن البراء رضى الله تعالى عنه قال: جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجال يوم أحد عبد الله بن جبير رضى الله تعالى عنه وأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعومهم الرسول في أخراهم، ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا.

ولما تسبب^٢ عن العفو ردم عن الهزيمة إلى القتال قال تعالى: ﴿فَاتَّبِعْكُمْ﴾ أى جعل لكم ربكم ثوابا ﴿غما﴾ أى باعتقادكم قتل الرسول صلى الله عليه وسلم. وكان اعتقادا كاذبا مُلْتَمَّ به رعبا ﴿بغم﴾ أى كان حصل لكم من القتل والجراح والهزيمة، وسماء - وإن كان في صورة العقاب - باسم الثواب لأنه كان سببا للسرور^٦ حين تبين^٦ أنه خبر كاذب، وأن النبي صلى الله عليه وسلم سالم^٧ حتى كأنهم - كما قال بعضهم - لم تصيبهم^٨ مصيبة، فهو من الدواء بالداء، ثم عاله بقوله: ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ أى من النصر والغنيمة ﴿ولا ما أصابكم ط﴾ أى من القتل^٩ والجراح والهزيمة لاشتغالكم عن ذلك

(١) في مد: إنما (٢) في ظ: تدعومهم (٣) في ظ: نسب (٤) في ظ: قبل.
(٥) من ظ و مد، وفي الأصل: القتال (٦-٦) في ظ: حتى يتبين (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: لئلا (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: لم تصبه (٩) سقط من ظ (١٠-١٠) في ظ: بالقتل.

بالسرور بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولما قص^١ سبحانه وتعالى عليهم ما فعلوه ظاهرا وما قصدهه باطنا وما داوام به قال - عاطفا على ما تقديره : فانه سبحانه وتعالى خير بما يصلح أعمالكم ويرى أدواءكم - : ﴿ والله ﴾ أى المحيط علما وقدره ﴿ خير بما تعملونه ﴾ أى من خير وشر في هذه الحال وغيرها ، وبما^٢ ه يصلح من جزائه ودوائه ، فسارة يداوى الداء^٣ بالداء وتارة بالدواء ، لانه الفاعل القادر المختار .

ولما كان أمانهم بعد انخلاع قلوبهم بعيدا ، ولا سيما بكونه بالنعاس^٤ الذى هو أبعد شيء عن ذلك المقام الوعر والمحل الضنك عطف بأداة البعد في قوله : ﴿ ثم انزل عليكم ﴾ ولما أفاد^٥ بأداة^٦ ١٠ الاستعلاء عظمة الأمن ، وكان^٧ متصلا بالغم ولم يستغرق زمن ما بعده أثبت الجار فقال : ﴿ من بعد الغم ﴾ أى المذكور وأتم في نحر العدو ﴿ امنه ﴾ أى أمنا عظيما ، ثم أبدل منها تنبيها على ما فيها من الغرابة قوله : ﴿ نعاسا ﴾^٨ دليلا قطعيا ، فانه لا يكون إلا من أمن^٩ ؛ روى البخارى في التفسير عن أنس رضى الله عنه أن أبا طلحة رضى الله عنه ١٥

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : قصد (٢) في ظ : ما (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : الله - كذا (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : بالناس (٥) في ظ : أفاده (٦) سقط من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « الجار فقال » تكررت في الأصل بعد « والمحل الضنك » (٨) في ظ : من (٩-٩) أخرت في ظ عن « وهم المؤمنون » وزيد فيها « عن الأمن » قبل « فانه » .

قال: غشينا النعاس^١ ونحن في مصافنا يوم أحد، فجعل سفي يسقط من يدي و آخذه^٢ و يسقط و آخذه^٣. ولما كان لبعضهم فقط استأنف وصفه بقوله: ﴿ يغشى طائفة منكم لا ﴾ وهم المؤمنون، وابتدأ الإخبار عن الباقيين بقوله: ﴿ و طائفة ﴾ أى أخرى من المنافقين ﴿ قد اهتمهم انفسهم ﴾ لا المدافعة عن الدين فهم^٤ إنما يطلبون خلاصها، ولا يجدون إلى ذلك فيما يظنون سبيلا لاتصال رعبهم و شدة جزعهم، فعوقبوا على ذلك بأنه لم يحصل لهم^٥ الأمن المذكور، ثم فسرهمهم فقال: ﴿ يظنون بالله ﴾ المحيط بصفات الكمال ﴿ غير الحق ﴾ أى من أن نصره بعد هذا لا يمكن، أو أنهم لو قعدوا في المدينة لم يقتل أحد، ونحو ذلك من ١٠. سفساف الكلام، و فاسد الظنون التى فتحتها 'لو' و الاوهام ﴿ ظن الجاهلية ﴾ أى الذين لا يعلمون - من عظمة الله سبحانه و تعالى بأن ما أراده^٦ كان و لا يكون غيره - ما يعلم أتباع الرسل. ثم فسر الظن بقوله: ﴿ يقولون ﴾ أى منكرين لأنه لم يجعل رأى رأبهم و يعمل بمقتضاه غضبا و تأسفا على خروجهم في هذا الوجه و عدم رجوعهم ١٥ مع ابن أبى بعد أن خرجوا ﴿ هل لنا من الامر ﴾ أى المسموع، و ليكون الاستفهام بمعنى النفي ثبت^٧ / أداة الاستفراق فى قوله: ﴿ من شئ ﴾. ﴿ فكأنه قيل: فماذا يقال لهم؟ فقيل: ﴾ ﴿ قل ﴾ أى لهم ردا عليهم احتقارا

(١) فى ظ: الناس (٢-٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: فانهم (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: اراد (٦) فى ظ: تعام - كذا (٧) فى ظ: ثبت.

بهم (ان الامر) أى الحكم الذى لا يكون سواء (كله لله ط) أى الذى لا كفوء له ، ليس لكم ولا لغيركم منه شيء ، شتم [أو أيتهم - ١] ، غزوتهم أو قعدتهم ، ثبتم أو فررتهم .

ولما قص سبحانه وتعالى عليهم بعض أمرهم فى هذه الحرب ٢ ، وبين لهم شيئا من فوائد ما فعل بهم بقوله " ان يمسسكم قرح " - الآيات ، ٥ و كان من جملة ذلك ما أظهر من أسرار المنافقين بهذه الواقعة ٢ فى اتهامهم ٤ الله و رسوله ، حتى وصل إلى هنا ، و كان ٢ قولهم هذا غير صريح ٥ فى الاتهام ٦ لإمكان حمله ٧ على مساق ٨ الاستفهام أخبر سبحانه وتعالى بتدليسهم بقوله : (يخفون) أى يقولون ذلك مخفين ٩ (فى انفسهم ما لا يبدون لك ط) [لكونه لا يرضاه الله . ثم بين ذلك بعد ١٠ إجماله فقال : (يقولون لو كان لنا من الامر) - ١] أى المسموع (شيء ما قتلنا ههنا ط) لانا كنا نمكث فى المدينة ولا نخرج إلى العدو .

ولما أخبر سبحانه وتعالى [عنهم - ١٠] بما أخفوه جهلا منهم ظنا أن الحذر يغنى عن القدر أمره سبحانه وتعالى بالرد عليهم بقوله : (قل ١٥ لو كنتم فى يوتكم) أى بعد ٢ أن أجمع ٣ رأيكم على أن لا يخرج منكم (١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) فى ظ : الحروب (٣) سقط من ظ . (٤) فى ظ : ابهامهم (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : صحيح (٦) فى ظ : الابهام . (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : جملة (٨) فى ظ : حذف - كذا (٩) فى ظ : مخفين (١٠) زيد من مد (١١) فى ظ : جمع .

أحد^١ ﴿لبرز الذين كتب عليهم القتل﴾ أى فى هذه الغزوة ﴿الى مضاجعهم^٢﴾ أى التى هى مضاجعهم بالحقيقة وهى التى قتلوا بها ، لأن ما قدرناه لا يمكن أحدا دفعه بوجه من الوجوه ، ثم عطف على ما علم^٣ تقديره ودل عليه السياق قوله : ” ليتلى “ ، أى لبرز المذكورون لينفذ^٤ قضاؤه ويصدق قوله لكم فى غزوة بدر : إن فاديتم الأسارى^٥ ولم تقتلوه قتل منكم فى العام المقبل^٦ مثلهم ﴿وليتلى الله﴾ أى المحيط بصفات الكمال بهذا^٧ الأمر التقديرى ﴿ما فى صدوركم﴾ [أى -^٨ من الإيمان و النفاق بأن يفعل فى إظهاره من عالم الغيب إلى عالم الشهادة فعل المختبر كما فعل بما وجد فى هذه الغزوة من الأمور التحقيقية^٩

١٠ ﴿وليمحص ما فى قلوبكم ط﴾ أى يطهره و يصفيه من جميع الوسواس الصارقة عن المراقبة من محبة الدنيا من الغنائم التى كانت^{١٠} سبب الهزيمة^{١١} وغيرها . و ختم بقوله : ﴿و الله﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شئ ﴿عليم بذات الصدور ه﴾ مرغبا و مرهبا و دافعا لما قد يتوهم من ذكر الابتلاء من عدم العلم بالخطايا^{١٢} .

١٥ و لما كانوا فى هذه الغزوة^{١٣} قد حصل لهم ضرر عظيم ، لكنه كان بما وقع من بعضهم من الخلل الظاهر فاديتهم بذلك ، عفا عنهم سبحانه

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لنفذ (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : الأسرى .
 (٤) فى ظ : القابل (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : هذه (٦) زيد من ظ و مد .
 (٧) فى ظ : الحقيقة (٨-٨) فى ظ : سببا لهزيمة (٩) فى ظ : بالخطايا (١٠) فى ظ : الفوقية .

و تعالى بعد ذلك التأديب و رحهم و طيب قلوبهم بهذه الآية بما فيها من التأمين^١ صريحا ، و بما فيها من الإشارة بجمع^٢ جميع^٣ حروف المعجم فيها تلويحا إلى أن أمرهم لا بد أن يتم كما تمت^٤ الحروف في هذه الآية ، لكنه افتتحها بأداة التراخي إشارة إلى أنه لا يكون إلا بعد مدة مديدة حتى^٥ تنصل مراى^٥ الصدور التي ختمها بها بخلاف ما في الآية الأخرى ه الجامعة [للحروف - ٦] في آخر سورة الفتح التي نزلت في الحديبية التي ساءهم^٧ رجوعهم منها دون وصولهم إلى قصدهم - كما يأتي إن شاء الله سبحانه و تعالى .

- ولما كان فيه مع^٨ ذلك معنى التعليل و التنبيه على أنه غنى عن^٩
- الاختبار ، خير بدقائق الأسرار أتبعه قوله مستأنفا ليان ما هو من ١٠
- ثمرات العلم : ﴿ ان الذين تولوا منكم ﴾ أى عن القتال و مقارعة الأبطال
- ﴿ يوم التقى الجمعان ﴾ أى من المؤمنين و الكفار ﴿ انما استزلم ﴾ أى
- طلب زلهم عن ذلك المقام العالى ﴿ الشيطان ﴾ أى عدوهم البعيد من
- الرحمة المحترق باللعة ﴿ يبعث ما كسبوا ﴾ أى من الذنوب التي لا تليق^{١١}
- بمن طلب الدنو إلى حضرات القدس و مواطن الأنس من ترك المركز ١٥
- و الإقبال على الغنيمة و غير ذلك ، فان القتال في الجهاد إنما هو بالأعمال ،
- (١) في الأصل ومد : التامن ، وفي ظ : التامل (٢) سقط من ظ (٣) فظ : لجميع .
- (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : يتم (هـ-هـ) من مد ، وفي الأصل : تنصل راي ،
- وفي ظ : بنفصل مرى - كذا (٦) زيد من ظ ومد (٧) من ظ ومد ، وفي
- الأصل : ساير (٨) في ظ : معنى (٩) من ظ ومد ، وفي الأصل : الذي .
- (١٠) في ظ : لا يليق .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٥٥ و ١٥٦) ج - ٥

من كان أصبر في أعمال^١ الطاعة كان أجلد على قتال الكفار، ولم يكن
توليهم^٢ عن ضعف^٣ في نفس الأمر.

و لما كان ذلك مفهما أن الذين تولوا صاروا من حزب الشيطان^٤
فاستحقوا ما استحق الصق به قوله: ﴿واقعد عفا الله﴾ أي الذي له
صفات الكمال ﴿عنهم ط﴾ لسلا تطير^٥ أفعدة المؤمنين^٦ منهم، و ختم
ذلك ببيان علته بما هو أهله من الغفران و الحلم فقال معيدا للاسم الأعظم
تنبها على أن الذنب عظيم و الخطر بسية جسم، فلولا الاشتمال / على
جميع صفات الكمال لعوجلوا بأعظم النكال: ﴿ان الله غفور﴾ أي
محاه للذنوب عينا و أثرا. و لما كان الغفر^٧ قد يكون مع تحمل نفاه بقوله:
١٠ ﴿حليم ه﴾ أي حيث لم يعامل^٨ المتولين حذر الموت معاملة الذين
خرجوا من ديارهم - كما تقدم - حذر الموت، فقال لهم الله: موتوا.

و لما كان قولهم: إنا لو ثبتنا في المدينة الممثلة بالدرع الحصينة -
كما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم و الأكابر من أصحابه - لسلنا، إلى
غير ذلك بما^٩ أشار سبحانه و تعالى إليه قولاً موجبا لغيظ رسول الله
١٥ صلى الله عليه وسلم. لما فيه من الاتهام^{١٠} و سوء العقيدة، وكان مع ذلك
مظنة لأن يخدع كثيرا^{١١} من أهل الطاعة لشدة حبهم لمن قتل منهم

(١) في ظ: الأعمال (٢-٢) سقط من ظ (٣) في ظ: الشياطين (٤) في ظ: يطير.
(٥) العبارة من هنا إلى «بقوله» حليم سقطت من ظ (٦) من مد، وفي الأصل
و ظ: القصد (٧) في ظ: العامل (٨) في ظ: بما (٩) في ظ: الاتهام (١٠) من
ظ، وفي الأصل: كثير، وفي مد: أكثر.

و تعاضم

و تعظم أسفهم عليهم . كان أنسب الأشياء المبادرة إلى الوعظ بما يزيل هذا الأثر ، ولما كان الرسول صلى الله عليه وسلم مؤيدا بأعظم الثبات لما طبع عليه من الشيم^١ الطاهرة [والمحاسن الظاهرة -^٢] كان الأنسب^٣ البداءة بغيره ؛ فهى الذين آمنوا عن الانخداع بأقوالهم فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى أظهرُوا^٤ الإقرار بالإيمان^٥ صدقوا قولكم^٦ بأن ﴿ لَا تَكُونُوا هٰكِلَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أى بقلوبهم على وجه الستر ﴿ وَقَالُوا ﴾ أى ما فضحهم ﴿ لَاخَوَانِهِمْ ﴾ أى لأجل إخوانهم الاعزة^٧ عليهم نسباً أو مذهباً ﴿ إِذَا ضَرَبُوا ﴾ أى سافروا مطلق سفر ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ أى لمتجر أو غيره ﴿ أَوْ كَانُوا غَزَى ﴾ أى غزاة مبالغين في الغزو في سبيل الله بسفر أو غيره ، جمع^٨ غاز ، فاتوا أو قتلوا ﴿ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا ﴾ أى لم يفارقونا^٩ . ﴿ مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ﴾ وهذا في غاية التهكم^{١٠} بهم ، لأن إطلاق هذا القول منهم - لا سيما على هذا التأكيد - يلزم منه ادعاء أنه لا يموت أحد في المدينة ، وهو لا يقوله عاقل .

ولما كان هذا القول محزناً اعتقاده وكتبانه علق سبحانه وتعالى بقوله " قالوا " و باتتفاء الكون كالذين قالوا قوله^١ : ﴿ لِيَجْعَلَ اللَّهُ ﴾ ١٥
أى الذى لا كفوء له ﴿ ذَلِكَ ﴾ أى القول أو^٢ الانفراد به عن مشارك
(١) من مد ، وفى الأصل و ظ : شيم (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : أنسب .
(٤-٥) فى ظ : الإيمان بالانفراد (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : قولهم (٦) من
ظ و مد ، وفى الأصل : لاعزة (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : جميع (٨) من
مد ، وفى الأصل و ظ : المهتم (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل « و » .

﴿ حسرة في قلوبهم^١ ﴾ أى باعتقاده وعدم المواسى فيه ، وعلى تقدير التعليق بـ "قالوا" يكون^٢ من باب التهكم بهم ، لأنهم لو لم يقولوه لهذا الغرض الذى لا يقصده^٣ عاقل لكانوا^٤ قد قالوه لا لغرض أصلا ، وذلك أعرق^٥ فى كونه ليس من أفعال العقلاء ﴿ والله ﴾ أى لا تكونوا مثلهم^٥ و الحال - أو قالوا ذلك و الحال - أن الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ يحى ﴾ [أى من أراد فى الوقت الذى يريد -^٦] ﴿ ويميت ط ﴾ [أى^٢ من أراد إذا أراد ، لا يغنى حذره من قدره -^٦] ﴿ والله ﴾ [أى المحيط بكل شيء قدرة و علما -^٦] ﴿ بما تعملون ﴾ أى بعملكم^٧ و بكل شيء منه ﴿ بصيره ﴾ و على كل شيء منه قدير ، لا يكون^٨ شيء منه^٩ بغير إذنه ، و متى كان على خلاف أمره عاقب عليه .

ولما نهام عن قول المنافقين الدائر على تمنى المحال من دوام البقاء و كراهة الموت بين لهم^٢ ثمرة فوات أنفسهم فى الجهاد بالموت أو القتل ليكون ذلك مبعدا لهم مما^٩ قال المنافقون ، موجبا لتسليم الأمر للخالق ، بل محيا^{١٠} فيه و داعيا إليه فقال : ﴿ ولئن ﴾ و هو حال أخرى من ١٥ " لا تكونوا " ﴿ قلتهم " ﴾ [أى من أى قائل كان -^٦] ﴿ فى سبيل الله ﴾

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بكونه (٢) ورد بعده فى الأصل : والله يحى ويميت ، فرتبناه حسبما ترتب فى ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : اغرق . (٥) فى الأصل : لهم ، و فى ظ و مد : كههم - كذا (٦) زيد ما بين الحاذرين من ظ و مد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : بعملكم (٨-٨) فى ظ : منه شيء (٩) فى ظ : كما (١٠) فى ظ : محيا (١١) تقدم فى الأصل : على « و هو حال » .

أى الملك الاعظم قتلاً^١ ﴿ او متم ﴾ أى فيه موتاً^٢ على أى حالة كانت .
ولما كان للنفوس غاية الجموح^٣ عن الموت زاد فى التأكيد فقال :
﴿ لمغفرة ﴾ أى لذنوبكم تنالكم ، فهذا تعبد بالخوف من العقاب ﴿ من الله ﴾
أى الذى له نهاية الكمال بما كنتم عليه من طاعة^٤ ﴿ ورحمة ﴾ أى لأجل
ذلك ،^٥ و هو تعبد لطلب الثواب^٦ ﴿ خير مما يجمعون^٧ ﴾ أى بما^٨ ٥
هو ثمرة^٩ البقاء فى الدنيا عند أهل الشقاء ، مع أنه ما فاتكم شئ من
أعماركم .

ولما ذكر أشرف الموت بادئاً بأشرفه^{١٠} ذكر ما دونه بادئاً بأدناه
فقال : ﴿ ولئن متم او قتلتم ﴾ أى فى أى وجه كان على حسب ما قدر
عليكم فى الأزل ﴿ لا إلى الله ﴾ أى الذى هو متوفيكم لا غيره ، وهو ١٠
ذو الجلال والإكرام الذى ينبغى أن يعبد لذاته . ودل على عظمته بعد
الدلالة بالاسم الأعظم بالبناء للجهول فقال : ﴿ تحشرون^{١١} ﴾ فان كان
ذلك الموت أو القتل على طاعته أنابكم وإلا عاقبكم ، والحاصل أنه لا حيلة
فى دفع الموت على حالة من الحالات : قتل أو غيره ، ولا فى الحشر إليه
سبحانه وتعالى ، وأما الخلاص من هول ذلك اليوم ففيه حيلة بالطاعة - ١٥
والله سبحانه وتعالى الموفق . وما أحسن ما قال عنبرة فى نحوه وهو

(١) سقط من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « التأكيد فقال » تأخرت فى الأصل
نقط عن « لأجل ذلك » (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ : الجموع (٤) فى ظ :
طاعته (٥-٦) تقدم فى الأصل على « لمغفرة » (٦) من مد ، وفى الأصل : ماء ،
وفى ظ : مع (٧-٨) سقط من ظ (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : شره .

جاهلي ، فالمؤمن أولى منه بمثل ذلك :

بكرت تخوفى الخوف كأننى أصبحت عن غرض^١ الخوف بم عزل
/ فأجبتها إن المنيّة منهل لا بد أن أسقى بكأس^٢ المنهل
فاقنى حياك لا أبالك و اعلى أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل

/ ٤٢٧

لما فرغ من وعظ الصحابة . رضى الله تعالى عنهم أتبعه تحيب
النبي صلى الله عليه وسلم فيما فعل بهم من الرفق^٣ واللين مع ما سبب
الغضب الموجب للعنف والسطوة من^٤ اعتراض^٥ من اعتراض^٥ على
ما أشار به ، ثم مخالفتهم لأمره في حفظ المركز والصبر والتقوى ،
ثم خذلانهم له و تقديم أنفسهم على نفسه الشريفة ، ثم عدم^٦ العطف عليه
١٠ . وهو يدعوهم إليه و يأمر^٨ بأقبالهم عليه ، ثم اتهام من اتهمه - إلى غير
ذلك من الأمور التى توجب لرؤساء الجيوش وقادة الجنود اتهام أتباعهم
و سوء الظن بهم الموجب للغضب والإيقاع ببعضهم ليكون ذلك زاجرا^٩
لهم عن العود إلى مثله فقال تعالى : ﴿ فيما رحمة من الله ﴾ أى^{١٠} الذى
له الكمال كله ﴿ لنت لهم ج ﴾ أى ما لنت^{١١} لهم هذا اللين الخارق للعادة^{١٢}
١٥ . و رفقت بهم هذا الرفق بعد ما فعلوا بك إلا بسبب رحمة عظيمة من

(١) من ديوانه ، وفى الأصول : عرض (٢) من ديوانه ، وفى الأصول : بذاك .
(٣) فى ظ : الرزق (٤) فى ظ : مع (٥ - ٥) سقط من مد (٦) سقط من ظ .
(٧) فى ظ : اعدم (٨) فى ظ : ما امر (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : زجرا .
(١٠) سقط من ظ و مد (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : ما كنت (١٢) فى
ظ : بالعادة .

الحاظر

الحائز لجميع الكمال ، فقابلتهم بالجميل ولم تغفهم بانهم امهم عنك بعد إذ خالفوا رأيك ، وهم كانوا سببا لاستخراجك ؛ و الذى اقتضى هذا الحصر هو ['ما' - ' '] لأنها نافية في سياق الإثبات فلم يمكن^٢ أن توجه إلا^٣ إلى ضد ما أثبت^٤ ، السياق ، ودلت زيادتها على أن تنوين^٥ "رحمة" ، للتعظيم ، أى فالرحمة^٦ العظيمة لا غيرها انت .

و لما بين سبحانه و تعالى سبب هذا اللين المتين بين ثمرته^٧ ببيان ما فى ضده من الضرر فقال : (و لو كنت فظا) أى سبى الخلق جافيا فى القول (غليظ القلب) أى قاسيه لا تتأثر بشىء^٨ ، تعاملهم بالعنف و الجفاء (لانفضوا) أى تفرقوا تفرقا^٩ قبيحا^{١٠} "لا اجتماع" معه (من حولك ص) أى فقات المقصود من البعثة .

و لما أخبره^{١١} سبحانه و تعالى أنه هو^{١٢} عفا عنهم ما فرطوا فى حقه أمره بالعفو عنهم فيما يتعلق به صلى الله عليه و سلم ، و بالاستمرار على مشاورتهم عند النوائب لئلا يكون خطأهم فى رأى - أولا فى الخروج من المدينة ، و ثانيا فى تضييع المركز ، و ثالثا فى إعراضهم عن الإثخان فى العدو^{١٣} بعد الهزيمة الذى ما شرع القتال إلا لاجله بأقباهم على النهب ، و رابعا^{١٤} ١٥

- (١) زيد من ظ ومد (٢) فى ظ : فلم تكن (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : اثبت (٥) فى ظ : ينوين (٦) فى ظ : قابلة لرحمته - كذا (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : ثمرة (٨) من مد ، وفى الأصل : لشيء ، وقد سقط من ظ . (٩) من ظ ، وفى الأصل ومد : تفريقا (١٠-١٠) من ظ ومد ، وفى الأصل : لاجتماع (١١) من ظ ومد ، وفى الأصل : اخبر (١٢-١٢) سقطت من ظ .

١ في و هـ هم عند ذكر العدو^١ إلى غير ذلك - موجبا لترك مشاورتهم ، فيقوت
 ما فيها من المنافع في نفسها و فيما ثمره^٢ من التآلف و التسنن^٣ و غير
 ذلك فقال سبحانه و تعالى : ﴿ فاعف عنهم ﴾ أى ما فرطوا في هذه الكرة
 في حقك ﴿ و استغفر لهم ﴾ أى الله سبحانه و تعالى لما فرطوا في حقه
 ٥ ﴿ و شاورهم ﴾ أى استخرج آراءهم ﴿ في الامر ﴾ أى الذى تريده
 من أمور الحرب تألفا لهم و تطييبا لنفوسهم ليستن^٤ بك من بعدك
 ﴿ فاذا عزمت ﴾ أى بعد ذلك على أمر فضيت فيه ، و قراءة من ضم
 التاء للتكلم بمعناها ، أى فاذا فعلت أنت أمرا بعد المشاورة لآنى فعلت
 فيه - بأنهم^٥ أردته - فعل العازم .

١٠ و لما أمر بالمشاورة التى هى النظر فى الأسباب أمر بالاعتصام
 بمسبها من غير التفات إليها ليكمل جهاد الإنسان بالملاسة ثم التجرد
 فقال : ﴿ فتوكل ﴾ أى فيه ﴿ على الله^٦ ﴾ أى الذى له الامر كله ،
 و لا يردك عنه خوف عاقبة - كما فعلت بتوفيق [الله فى هذه الغزوة ،
 ثم علل ذلك بقوله -^٨] : ﴿ ان الله ﴾ [أى الذى لا كفوء له -^٩]
 ١٥ ﴿ يحب المتوكلين^٥ ﴾ [أى فلا يفعل بهم إلا ما فيه -^٩] إكرامهم

(١ - ١) سقطت من ظ (٢) فى ظ : تنمر (٣) فى ظ : السن (٤) من ظ
 ومد ، وفى الأصل : استخراج (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : وليس - كذا .
 (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : بادنى (٧) ورد بعده فى الأصل " ان الله يحب
 المتوكلين " ، فرتبناه حسب ترتيب فى ظ ومد (٨) زيد ما بين الحاذرين من
 ظ ومد .

وإن رُئى غير ذلك .

ولما كان التقدير: فاذا فعلوا ما يحبه أعظامُ مُتألمٍ بما عزموا عليه لأجله؛ استأنف الإخبار بما يقبل بقلوبهم إليه^١ و يقصر همهم عليه، بأن من نصره هو المنصور، ومن خذله هو المخذول، فقال تعالى:

﴿ان ينصركم الله﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿فلا غالب لكم﴾ ٥
أى إن كان نبيكم صلى الله عليه وسلم بينكم أو لا، فما بالكم^٢ و هتمم
لما صاح^٣ إبليس أن محمداً قد قتل! وهلا فعلتم كما فعل سعد بن الربيع
رضى الله تعالى عنه و كما فعل أنس بن النضر رضى الله تعالى عنه حين
قال: موتوا على ما مات عليه نبيكم صلى الله عليه وسلم! فهو أعذر لكم
عند ربكم ﴿وان يخذلكم﴾ أى بإمكان العدو منكم ﴿فمن ذا الذى
ينصركم من بعده﴾ ١٠ أى من نبي أو غيره، ولما / كان التقدير: فعلى
الله^٤ فتوكلوا إن كنتم مؤمنين، عطف عليه قوله: ﴿وعلى الله﴾ أى
الملك الأعظم وحده، لا على نبي ولا على قوة بعدد ولا بمال من غنيمة
ولا غيرها ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ أى كلهم فيكون [ذلك - ٦] أمانة
صححة إيمانهم .

١٥

ولما كان الغلول من أعظم موجبات الخذلان أو أعظمها، والنزاهة
عنه من أعظم موجبات النصر، كان أنسب الأشياء تعقيب هذه الآية

(١) سقط من ظ (٢) في ظ و مد: لكم (٣) في ظ: صرح، وزيد بعده فيه:
إن (٤) من ظ و مد، وفي الأصل «و» (٥) من ظ و مد، وفي الأصل:
ذلك (٦) زيد من ظ .

بآية الغلول بياناً، لأنه كان سبب هزيمتهم في هذه الغزوة، فانه لا يخذل
 إلا بالذنوب، ومن أعظم الذنوب الموجبة للخذلان الغلول. فيكون
 المراد بتزييه صلى الله عليه وسلم عنه - والله أعلم - أن إقبالهم على نهب
 الغنائم قبل وقته إما أن يكون لقصد أن يغلوا باخفاء ما انتهوه أو بعضه،
 ٥ وإما أن يكون للخوف^١ من أن يغل رئيسهم وحاشاه! وإما أن
 يكون للخوف^٢ من مطلق الخيانة^٣ بأن لا يقسمه صلى الله عليه وسلم
 بينهم على السواء، وحاشاه من كل من ذلك! وأما المبادرة إلى النهب
 لغير هذا القصد نخفة وطيش^٤ وعبت^٥، لا يصوب^٦ عاقل إليه؛ إذا
 تقرر هذا فيمكن أن يكون التقدير: فليتوكلوا في كبت^٧ العدو وتحصيل
 ١٠ ما معه من الغنائم، فلا يقبلوا على ذلك إقبالا يتطرق منه احتمال لظن
 السوء بهاديتهم^٨ في أن يغل، وهو الذي أخبرهم بتحريم الغلول وبأنه
 سبب للخذلان، وما نهى صلى الله عليه وسلم قط عن شيء إلا كان
 أول تارك له وبعيد منه، [و-^٩] ما كان ينبغي^{١٠} لهم أن يفتحوا طريقا
 إلى هذا الاحتمال فعر^{١١} عن ذلك بقوله عطف^{١٢} [على-^{١٣}] "وكان
 ١٥ من نبي^{١٤}": (وما كان) أي ما تأتى^{١٥} وما صح في وقت من الأوقات
 (١-١) سقطت من ظ (٢) في ظ: الخايه - كذا (٣) من ظ ومد، وفي
 الأصل: لا يضرب (٤) من مد، وفي الأصل وظ: كتب (٥) من ظ
 ومد، وفي الأصل: لماديتهم (٦) زيد من ظ ومد (٧) سقط من ظ.
 (٨-٨) من ظ ومد، وفي الأصل: بذلك عن قوله عاطفا (٩) من ظ ومد،
 وفي الأصل: ما ياتي.

ولا على حالة من الحالات (لني) أي [أي - ١] نبي كان فضلا
عن سيد الأنبياء وإمام الرسل (ان يغل ط) تبشيعا لفعل^٢ ما يؤدي
إلى هذا الاحتمال زجرا من معارضة مثل ذلك الفعل المؤدى إلى
تجويز شيء مما ذكر، وعلى قراءة الجماعة غير ابن كثير وأبي عمرو^٣ -
بضم الياء وفتح العين مجهولا من: أغل^٤ - المعنى: وما كان له وما صح^٥
أن يوجد غاللا، أو ينسب إلى الغلول، أو يظن به ما يؤدي إلى ذلك؛
ويحوز أن يكون التقدير بعد الأمر بالتوكل على الله سبحانه وتعالى وحده:
فلا تأتوا إن كنتم مؤمنين بما يقدر في التوكل كالغلول وما يدانيه
فتخذلوا، فانه ما كان لكم أن تغلوا^٦، وما كان أي ما حل لنبي أي من
الأنبياء قط أن يغل، أي لم أخصكم بهذه الشريعة بل ما كان في شرع^٧
نبي قط إباحة الغلول، فلا تفعلوه ولا تقاربوه بنحو الاستباق إلى النهب،
فان ذلك يسلب^٨ كمال التوكل، فانه من^٩ يرتع حول الحمى يوشك أن
يواقع، فيوجب له الخذلان، روى الطبراني في الكبير - قال الهيثمي:
ورجاله ثقات - عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: بعث النبي صلى الله
عليه وسلم جيشا فردت رايته^{١٠}، ثم بعث فردت^{١١}، ثم بعث فردت^{١٢}
بغلول رأس غزال^{١٣} من ذهب، فنزلت "وما كان لنبي أن يغل".

- (١) زيد من ظ ومد (٢) في ظ: يفعل (٣) في ظ: ابن عمرو (٤) في ظ:
اعلى (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: يغلوا (٦) من ظ ومد، وفي الأصل:
يسلبه (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: صرنيته - كذا.
(٩-١٠) سقطت من ظ (١٠) في ظ: عرال.

و لما كان فعلهم ذلك محتملا لقصد الغلول و الخوفهم من غلول
غيرهم ععم في التهديد بقوله : ﴿ ومن يغفل ﴾ أى يقع منه ذلك كاتنا
من كان ﴿ يات بما غل يوم القيمة ﴾ و من عرف كلام أهل اللغة في
الغلول عرف صحة قولى : إنه لمطلق الحياثة ، و إنه يجوز أن يكون التقدير :
٥ و ما كان لأحد^٢ أن يفعل ما يؤدى - ولو^٣ على بُعد - إلى نسبة نبى إلى
غلول ، قال صاحب القاموس : أغل فلانا : نسبته إلى الغلول و الحياثة ،
و غل غلولا : خان - كأغل^٤ ، أو خاص بالنى ، و قال الإمام عبد الحق
الإشبلى في كتابه الواعى : أغل الرجل إغلالا - إذا خان ، فهو مغل ،
و غل في المغنم يغل غلولا ، و قرئ : أن يغل ، و أن يُغَل ، فن قرأ : يغُل -
١٠ أراد : يخون^٥ ، و من قرأ : يُغَل - أراد : يخان ، و يجوز أن يريد^٦ :
لا ينسب إلى الحياثة ، و كل من خان شيئا فى خفاء فقد غل يغل غلولا ،
و يسمى^٧ الخائن غالا ، و فى الحديث : لا إغلال و لا إسلال ، الإغلال :
الحياثة فى كل شيء ، و غللت الشيء^٨ أغله غلا - إذا سترته ، قالوا : و منه
الغلول فى المغنم ، إنما أصله أن الرجل كان إذا أخذ منه شيئا ستره فى
١٥ / ٤٢٩ متاعه ، فقبل للخائن : غال / و مغل ، و يقال : غللت الشيء^٩ فى الشيء -
إذا أدخلته فيه ، و قد انغل - إذا دخل فى الشيء ، و قد انغل فى الشجر^{١٠} :
١ (١) من ظ و مد ، و فى الأصل : المطلق (٢) فى ظ : لاجل (٣) - سقط من ظ .
(٤) فى ظ : كان على - كذا (٥) فى ظ : يحون - كذا (٦) من ظ و مد .
و فى الأصل : يريد (٧) فى ظ : تسمى (٨-٨) تكرر فى الأصل و مد (٩) فى
ظ : دخلته (١٠) فى ظ : السحر - كذا .

دخل - انتهى . فهذه الآية نهى للمؤمنين عن الاستباق إلى المغنم على طريق الإشارة^١ ، فتم بها الوعظ الذى^٢ فى أواخر القصة ، كما أن آية الربا نهى عنه على طريق الإشارة ، فتم بها الوعظ الذى فى أوائل القصة ، فقد اكتنف التنفير من الغلول - الذى هو سبب الخذلان فى هذه الغزوة بخصوصها لمباشرة ما هو مظنة له وفى الغزو مطلقا - طرفى الوعظ فيها ، ليكون من ٥ أوائل ما يترعرع السمع وأواخره .

ولما كان ثمرة الإتيان به الجزاء عليه عمم الحكم تنبيها على أن ذلك اليوم يوم الدين ، فلا بد من الجزاء فيه و تصويرا له تبشيعا^٣ للفضيحة فيه بحضرة الخلق^٤ أجمعين ، وزاد فى تعظيمه و تعظيم الجزاء فيه بأداة التراخي و تضعيف الفعل فقال معما الحكم^٥ ليدخل الغلول من باب ١٠ الأولى : ﴿ ثم توفى ﴾ أى فى ذلك اليوم العظيم ، و بناه للجهول إظهارا لعظمته على طريق كلام القادرين ﴿ كل نفس ﴾ أى غالة و غير غالة^٦ ﴿ ما كسبت ﴾ أى ما لها فيه فعل ما من خير أو شر و ايفا مبالغا فى تحريز وفائه ﴿ و هم لا يظلمون ٥ ﴾ أى لا يقع عليهم ظلم فى^٧ شئ منه بزيادة و لا نقص .

١٥

ولما أخبر تعالى أنه لا يقع فى ذلك اليوم ظلم أصلا تسبب عنه

(١) زيد بعده فى الأصل : فتح بها ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لخذفناها .
(٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : التى (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل :
بتسما - كذا (٤-٤) تكرر فى ظ (٥) فى ظ : للحكم (٦-٦) فى ظ : عاله و عبر
عالة - كذا (٧) سقط من ظ .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٦٢ - ١٦٤) ج - ٥

الإنكار على من^١ خدمته^٢ نفسه بالآماني الكاذبة، فظن غير ذلك من استواء حال المحسن وغيره، أو فعل فعلا^٣ و قال قولاً^٤ يؤدي إلى ذلك كالمناققين و كالمقبلين على الغنيمة فقال تعالى: ﴿افمن اتبع﴾ أي طلب بجد و اجتهاد ﴿رضوان الله﴾ أي ذى الجلال و الإكرام بالإقبال على ما أمر به الصادق، فصار إلى الجنة و نعم الصبر ﴿كن بآء﴾ أي رجع من تصرفه^٥ الذى يريد به^٦ الريح، أو حل^٧ و أقام ﴿بسخط من الله﴾ أي الملك الأعظم بأن فعل ما يقتضى السخط بالمخالفة ثم الإدبار لولا العفو ﴿وماونه جهنم ط﴾ أي جزاء بما جعل أسباب السخط مأواه ﴿وبئس المصير ه﴾ أي هي .

١٠ ولما أفهم الإنكار على من سوى بين الناس أنهم متبايزون صرح بذلك فى قوله: ﴿م درجت﴾ أي متباينون تباين الدرجات . ولما كان اعتبار التفاوت^٨ ليس بما عند الخلق قال: ﴿عند الله ط﴾ أي الملك الأعلى فى حكمه و علمه و إن خفى ذلك عليكم، لأن الله سبحانه و تعالى خلقهم فهو عالم بهم حين خلقهم ﴿و الله﴾ أي الذى له جميع صفات الكمال ﴿بصير﴾ أي بالبصر و العلم^٩ ﴿بما يعملون ه﴾ أي بعد إيجادهم^{١٠}، لأن ذلك أيضا خلقه و تقديره، وليس لهم فيه إلا نسبته

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : حديثه (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : تصرفه .
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل : مع (٥) فى ظ : محل - كذا (٦) فى ظ : التباين .
(٧) تأخر فى الأصل عن « صفات » (٨-٨) سقط من ظ (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : إيجادهم .

إليهم بالكسب، فهو يحازيهم بحسب تلك الأعمال، فكيف يتخيل^١
أنه يساوى بينهم في المآل وقد فاوت بينهم في الحال وهو الحكم العدل !
فعلم بما في هذا الختام من إحاطته بتفاصيل الأعمال صحة ما ابتدئ به
الكلام^٢ من التوفية .

ولما أرشدهم إلى هذه^٣ المرشد، وبين لهم بعض ما اشتملت عليه هـ
من الفوائد، وبأن بهذه القصة قدر من أسدى إليهم ذلك على لسانه
صلى الله عليه وسلم بما له من الفضائل التي من أعظمها كونه من جنسهم،
يميل إليهم ويرحمهم ويعطف عليهم، فيألفونه فيعلمهم؛ به على ذلك
سبحانه وتعالى ليستمسكوا بعرزته* ولا يلتفتوا لحظة عن لزوم هديه

فقال سبحانه وتعالى - مؤكدا لما اقتضاه الحال من فعل^٤ يلزم منه النسبة ١٠
إلى الغلول - : ﴿ لقد من الله ﴾ أى ذو الجلال والإكرام ﴿ على المؤمنين ﴾
[خصهم - ٧] لأنهم المجتبون^٥ لهذه النعمة^٦ ﴿ اذ بعث فيهم ﴾ أى
فيما بينهم^٧ أو بسبيهم^٨ ﴿ رسولا ﴾ وزادهم رغبة فيه بقوله^٩ : ﴿ من
انفسهم ﴾ أى نوعا وصفا، يعلون أماته و" صياته و شرفه " ومعاليه

- (١) سقط من ظ (٢) في ظ : الكمال (٣) من ظ و مد، وفي الأصل : هذا .
(٤) زيد بعده في الأصل : هى ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فخذناها (هـ) من
مد - أى أمره ونهيه، وفي الأصل : بصورة، وفي ظ : بعرزه (٦) زيد بعده
في ظ : من (٧) زيد من مد (٨) من مد، وفي الأصل : المجتبون، وفي ظ :
مجتبون (٩) في ظ : الأمة (١٠ - ١٠) من ظ و مد، وفي الأصل : وبينهم .
(١١) في ظ : بقولهم (١٢ - ١٢) في ظ و مد : شرفه وصيانه .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٦٤ و ١٦٥) ج - ٥

وطهارته قبل النبوة وبعدها^١ ﴿يتلوا عليهم آياته﴾ أى فيمحو ببركة
نفس التلاوة كبيرا من شر الجان وغيرها مما ورد فى منافع القرآن مما
عرفناه، وما لم نعرفه أكثر ﴿ويزكهم﴾ أى يطهرهم من أضرار الدنيا
والأوزار بما يفهمه^٢ بفهمه الثاقب من دقائق الإشارات وبواطن
العبارات، وقدم التزكية لاقتضاء مقام المعاتبة على الإقبال على الغنيمة
ذلك، كما مضى فى سورة البقرة ﴿ويعلمهم الكتاب﴾ أى [تلاوة -^٣]
بكونه من نوعهم^٤ يلذ لهم^٥ التلقى منه / ﴿والحكمة^٦﴾ تفسيرا وإبانة
وتحريرا ﴿وان﴾ أى والحال أنهم ﴿كانوا﴾ ولما كانوا قد مرت لهم
أزمان وهم على دين أبيهم إسماعيل عليه الصلاة والسلام [نبه على
١٠ ذلك بادخال الجار فقال -^٧]: ﴿من قبل^٨﴾ [أى من قبل ذلك -^٩]
﴿لنى ضلل مبين^{١٠}﴾ [أى ظاهر، وهو من شدة ظهوره كالذى ينادى^{١١}
على نفسه بايضاح لبسه، وفى ذلك إشارة إلى أنه عليه السلام -^{١٢}]
عليهم من الحكمة فى هذه الوقعة ما أوجب نصرتهم^{١٣} فى أول النهار،
فلما خالفوه^{١٤} حصل الخذلان. ولما أزال شبهة النسبة إلى الغلول
١٥ بخذافيرها، وأثبت ما له من أضدادها من معالى^{١٥} الشيم وشمائل الكرم
صوب^{١٦} إلى شبهة قولهم: لو كان رسولا ما انهزم أصحابه عنه، فقال

(١) فى ظ: بعبده (٢) زيد بعده فى ظ: من فهمه (٣) زيد ما بين الحاجزين من
ظ ومد (٤-٤) فى ظ: يكذبهم - كذا (٥-٥) تأخر فى الأصل عن فقال
تعالى (٦) فى ظ: بوادى (٧) فى ظ: نصرهم (٨) من ظ ومد، وفى الأصل:
خالفوا (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: حل (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل:
ضربه.

تعالى: ﴿ اُولَآءِ ﴾ اى اتركتم ما ارشدكم اليه الرسول الكريم 'الحليم
 العليم' الحكيم ولما ﴿ اصابكم ﴾ [أى - ٢] فى هذا اليوم ﴿ مصيبة ﴾
 لمخالفتكم لامره ٢ وإعراضكم عن إرشاده ﴿ قد اصابتم مثلها لا ﴾ اى
 فى بدر وأتم فى لقاء العدو ٣ وكأنا تساقون إلى الموت على الضد بما
 كنتم فيه فى هذه الغزوة، وما كان ذلك إلا بامثالكم لامره ٤ وقبولكم ٥
 لنصحه ﴿ قلتم ائى ﴾ من أين وكيف أصابنا ﴿ هذا ٦ ﴾ اى ٦ بعد
 وعدنا النصر ﴿ قل هو من عند انفسكم ٧ ﴾ اى لأن الوعد كان مقيدا
 بالصبر والتقوى، وقد تركتم المركز وأقبلتم على الغنائم قبل الامر
 [به - ٢]، وعن على رضى الله تعالى عنه أن ذلك باختيارهم الفداء
 يوم بدر الذى نزل فيه "لولا كتب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم ١٠
 عذاب عظيم ٧" وأباح لهم سبحانه وتعالى ٨ الفداء بعد أن عاتبهم
 وشرط عليهم [إن اختاروه ٩ أن يقتل منهم فى العام المقبل بعد الأسرى،
 فرضوا وقالوا: نستعين بما نأخذهم منهم عليهم - ٢] ثم فرزق الشهادة، ثم علل
 ذلك بقوله: ﴿ ان الله ﴾ اى ١١ الذى لا كفوء له ﴿ على كل شئ ١٢ ﴾
 اى من النصر والخذلان ونصب أسباب كل منها (١٥) (قديره) ١٥

(١-١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) من ظ و مد،
 وفى الأصل: الامر (٤) من مد، وفى الأصل: الله، وفى ظ: أبعد (٥) من
 مد، وفى الأصل و ظ: الأمر (٦) سقط من ظ (٧) سورة ٨ آية ٦٨ .
 (٨) زيد بعده فى الأصل: لهم، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذناها (٩) من
 مد، وفى ظ: اختياره (١٠) سقط من ظ و مد (١١) زيد بعده فى الأصل:
 قدير، ولم تكن الزيادة هنا فى ظ و مد فخذناها من هنا، وسبقنا (١٢) ٨٠ ع

وقد وعدكم بذلك سبحانه و تعالى في العام الماضي حين خيركم فاخترتم
الفداء، وخالف من خالف منكم الآن، فكان ذكر المصيبة التي كان
سيها مخالفة ما رتبته صلى الله عليه وسلم بعد ختم الآية التي قبلها بالتذكير
بما كانوا عليه من الضلال على ما ترى^١ من البلاغة .

٥ ولما كانت نسبة المصيبة إليهم ربما أوهمت من لم ترسخ قدمه
في المعارف الإلهية أن بعض الأفعال خارج^٢ عما مراده تعالى قال^٣ :
(وما أصابكم) ولما استغرقت الحرب ذلك اليوم نزع الجار فقال :
(يوم التقى الجمعان) أي [حزب الله -^٤] وحزب الشيطان في أحد
(فبأذن الله) أي بتمكين من له العظمة الكاملة وقضائه، وإثبات
١٠ أن ذلك بأذنه نحو ما ذكر عند التولية يوم التقى الجمعان من نسبة الإحياء
والإماتة إليه .

ولما كان التقدير : ليؤدبكم به، عطف عليه قوله : (وليعلم
المؤمنين^٥) أي الصادقين في إيمانهم . ولما كان تعليق العلم بالشئ
على حدته أتم وآكد من تعليقه به مع غيره أعاد العامل^٦ لذلك، وإشعاراً^٧
١٥ بأن أهل النفاق أسفل رتبة من^٨ أن يجتمعوا مع المؤمنين في شئ فقال :
(وليعلم الذين نافقوا^٩) أي علما تقوم^{١٠} به الحجة في مجاري عاداتكم،
وهذا مثل قوله هناك ” وليبتلي الله ما في صدوركم “ - الآية . وعطف

- (١) في ظ : نزي (٢) من ظ و مد، وفي الأصل : خارجاً (٣) سقط من ظ .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) في ظ : التائل (٦) في ظ : اشعار (٧) في ظ : مع .
(٨) في ظ : يقوم .

على قوله " نافقوا " ما أظهر نفاقهم ، أو يكون حالا من فاعل " نافقوا " فقال : ﴿ وقيل لهم تعالوا قاتلوا ﴾ أى أوجدوا القتال ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى الذى له الكمال كله بسبب تسهيل طريق الرب الذى شرعه ﴿ أو ادفعوا ﴾ أى عن أنفسكم وأجائكم على عادة الناس لا سيما العرب ﴿ قالوا لو نعلم ﴾ أى تيقن ﴿ قتالا ﴾ أى أنه يقع قتال ﴿ لا اتبعنكم ﴾ أى ٥ لكنه لا^٢ يقع فيما نزن^٢ قتال ورجعوا .

و لما كان هذا الفعل المسند إلى هذا القول ظاهرا فى نفاقهم ترجمه^٢ بقوله : ﴿ هم للكفر يومئذ ﴾ أى يوم إذ كان هذا حالهم ﴿ اقرب منهم للإيمان ٤ ﴾ عند كل من سمع قولهم أو رأى فعلهم ، ثم علل ذلك أو استأنف بقوله - معبرا بالآفواه التى منها ما^٥ هو أبعد من اللسان ١٠ لكونهم منافقين ، فقولهم إلى أصوات الحيوان^٦ أقرب منه إلى كلام الإنسان ذى العقل واللسان لأنهم - : ﴿ يقولون بأفواههم ﴾ ولما أفهم هذا أنه^٧ لا يجاوز^٨ ألسنتهم فلا حقيقة له ولا ثبات عندهم ؛ صرح به فى قوله : ﴿ ما ليس فى قلوبهم^٩ ﴾ بل لا شك عندهم فى وقوع القتال ، علم الله هذا منهم كما علموه من أنفسهم ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة ١٥ الكاملة ﴿ أعلم ﴾ أى منهم ﴿ بما يكتمون ١٠ ﴾ أى كله لأنه يعلمه قبل كونه وهم لا يعلمونه إلا بعد كونه ، وإذا كان نسوه بتطاول^{١١} / الزمان ٤٣١ /

(١) فى ظ : جددوا (٢) - قط من ظ (٣) فى ظ : يظن (٤) فى ظ : برحمه .
(٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : لما (٦) تكرر فى الأصل (٧) من ظ ، وفى الأصل و مد : انهم (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : لا يجاوزوا (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : تتطاول - كذا .

نظم الدرر (سورة ال عمران ٣: ١٦٨ و ١٦٩) ج - ٥

والله^١ سبحانه و تعالى لا ينساه .

ولما حكي عنهم ما لا يقوله ذو إيمان أتبعه ما لا يتخيله ذو مروءة
ولا عرفان فقال مينا للذين نافقوا: ﴿الذين قالوا لآخوانهم﴾ أى
لأجل إخوانهم و الحال أنهم قد أسلوهم ﴿وقعدوا﴾ أى عنهم خذلانا
لهم ﴿لو اطاعونا﴾ أى فى الرجوع ﴿ما قتلوا﴾ و لما^٢ كان هذا
موجبا للغضب أشار^٣ إليه باعراضه فى قوله: ﴿قل﴾ أى لهؤلاء
الآجانب الذين هم بمنزلة الغيبة عن حضرتي^٤ لما تسبب عن قولهم هذا من
ادعاء القدرة على دفع^٥ الموت ﴿فادروا﴾ أى ادفعوا بعز و منعة^٦
وميلاو ﴿عن أنفسكم الموت﴾ أى حتى لا يصل إليكم أصلا ﴿ان كنتم
١٠ صدقين﴾ أى^٧ فى أن الموت يغنى منه حذر . فقد انتظم الكلام بما قبل
الجملة الواعظة أتم انتظام على^٨ أنه قد لاح لك أن ملامة^٩ الجمل الواعظة
لما قبلها و ما بعدها^{١٠} ليس بدون ملامة ما قبلها من صلب القصة لما
بعدها^{١١} منه .

ولما أزاح سبحانه و تعالى العلل^{١٢} و شفى الغلل^{١٣} و ختم بأنه لا مفر
١٥ من القدر ، فلم يبق عند أهل الإيمان إلا ما طبع عليه الإنسان من الأسف
على فقد الإخوان ، و كان سرور المفقود يبرد غلة الموجود بشرم
بحياتهم و ما نالوه من لذاتهم ؛ و لما كان العرب^{١٤} "بعيدين" قبل الإسلام

(١) فظ و مد : هو (٢) فى ظ : لو (٣) فى ظ : اشارة (٤) فى ظ :
حضر - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : وقع (٦) فى ظ و مد : بمنعه .
(٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : الملامة (٩ - ١٠) سقطت من ظ (١٠) من ظ
و مد ، و فى الأصل : العبد (١١) فى ظ : يعتدين - كذا .

من اعتقاد الحياة بعد الموت خاطب الذى^١ لا ريب فى علمه بذلك إشارة إلى أنه لا يفهمه حق فهمه^٢ سواء ، كما أشار إليه قوله فى البقرة ” و لكن لا تشعرون “^٣ فقال تعالى عاطفا على ” قل “ محببا فى الجهاد ، إزالة لما بغضه به المنافقون من أنه سبب الموت : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا ﴾ أى وقع لهم القتل فى هذه الغزوة أو غيرها ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى الملك الأعظم ، والله أعلم ٥ بمن يقتل فى سبيله ﴿ امواتا ﴾^٤ أى الآن ﴿ بل ﴾ هم ﴿ احياء ﴾ وبين زيادة شرفهم معبرا عن تقربهم بقوله : ﴿ عند ربهم ﴾ [أى المحسن إليهم فى كل حال ، فكيف فى حال قتلهم فيه حياة ليست كالحياة الدنيوية ! فحقق حياتهم بقوله - °] : ﴿ يرزقون لا ﴾ أى رزقا يليق^٦ بحياتهم ﴿ فرحين بما آتاهم الله ﴾ أى الحساوى لجميع الكمال من ذلك ١٠ الفوز الكبير ﴿ من فضله لا ﴾ لأنه لو حاسبهم على أقل نعمة من نعمه لم توف^٧ جميع أعمالهم [بها - °] لأن أعمالهم من نعمه^٨ ، فأعلمنا سبحانه و تعالى بهذا تسليية^٩ و حسن تعزية أن لم يفت منهم إلا حياة الكدر التى لا مطمع^{١٠} لأحد فى بقائها وإن طال المدى ، و بقيت لهم

(١) فى ظ : الذين (٢) سقط من ظ (٣) آية ١٥٢ (٤) ونسخة مد من هنا إلى ص ١٢٤ فى غاية الانطباس فلم تقدر على المعارضة بها (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : يقوم (٧) فى ظ : لم يوف (٨) من ظ ، وفى الأصل : نعمة (٩) فى الأصل و ظ : تسليية - كذا (١٠) من ظ ، وفى الأصل : يطمع .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٧٠ - ١٧٢) ج - ٥

حياة الصفاء التي لا انفكك لها ولا آخر لنعيمها بغم ياحقهم ولا فتنة تنالهم
ولا حزن يعتريهم ولا دهش يلم بهم في وقت الحشر ولا غيره،
فلا غفلة لهم، فكان ذلك مذهبا لحزن من خلفوه ومرغبا لهم في الأسباب
الموصلة إلى مثل حالهم، وهذا - والله سبحانه وتعالى أعلم - معنى الشهادة،
٥ أي أنهم ليست لهم حال غيبة، لأن دائم الحياة بلا كدر أصلا كذلك .
ولما ذكر سرورهم بما نالوه ذكر سرورهم بما علموه لمن هو على دينهم فقال:
(ويستبشرون) أي توجد^٢ لهم البشرى وجودا عظيم الثبات حتى
كانهم يوجدونها كلما^٢ أرادوا (بالذين لم يلحقوا بهم) أي في الشهادة
في هذه الغزوة . ثم بين ذلك بقوله: (من خلفهم لا) أي في الدنيا .
١٠ ثم بين المبشر به فقال: (الآخوف عليهم) أي على إخوانهم في آخرتهم
(ولا هم يحزنون) أي أصلا، لأنه لا يفقد منه شيء، بل هم كل لحظة
في زيادة، وهذا أعظم البشرى لمن تركوا على مثل حالهم من المؤمنين،
لأنهم يلحقونهم في مثل ذلك، لأن السبب واحد، وهو منحة الله
[لهم - ٦] بالقتل فيه، أو مطلق الإيمان لمطلق ما هم فيه من السعادة بغير
١٥ قيد الشهادة .

ولما ذكر سرورهم لأنفسهم تارة ولإخوانهم أخرى كرره تعظيما
له وإعلاما بأنه في الحقيقة عن غير استحقاق، وإنما هو مجرد من فقال:
(يستبشرون بنعمة من الله) أي ذي الجلال والإكرام، كبيرة
(١) من ظ، وفي الأصل: عقل (٢) من ظ، وفي الأصل: توخذ (٣) في
ظ: فلما (٤) في ظ: يلحقونه (٥) في ظ: متجه (٦) زيد من ظ .

(و فضل^١) أى منه عظيم (و ان الله) أى الملك الأعظم الذى لا يقدره^٢ أحد حق قدره (لا يضيع اجر المؤمنين^٣) أى منهم و من غيرهم^٤. بل يوزيهم أجرهم على أعمالهم و يفضل عليهم ، و لو شاء لحاسهم على سبيل العدل ، و لو فعل ذلك لم يكن لهم شيء .

و لما ذم المنافقين برجعهم من غير أن يصيبهم قرح ، و مدح أحوال

الشهداء ترغيا / فى الشهادة ، و أحوال من كان على مثل حالهم ترغيا
 ٤٣٢ / فى النسخ على منوالهم^٢ ، و ختم بتعليق السعادة بوصف الإيمان^١؛ أخذ
 يذكر ما أثمر لهم إيمانهم من المبادرة إلى الإجابة إلى ما يهديهم^٥ إليه
 صلى الله عليه و سلم إشارة إلى أنه لم يحمل على التخلف عن أمره من
 غير عذر إلا صرح النفاق فقال: (الذين استجابوا) أى أوجدوا^٦ ١٠
 الإجابة فى الجهاد إجمادا مؤكدا محققا ثابتا بما عندهم من خالص الإيمان
 (لله و الرسول) أى لا لغرض مغم و لا غيره ، ثم عظم صدقهم بقوله -
 مثبتا الجار لإرادة ما يأتى من إحدى الغزوتين؛ إلا استغرق ما بعد الزمان:-
 (من بعد ما أصابهم القرح ط) .

و لما كان تعليق الأحكام بالأوصاف^٧ حاملا على التحلى بها عند ١٥

المدح قال سبحانه و تعالى: (للذين أحسنوا^٨) و عبر بما يصلح للبيان

(١) من ظ ، و فى الأصل: لا يقدر (٢) فى ظ: غيره (٣) من ظ ، و فى
 الأصل: سواهم (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: يديهم (٦) فى ظ: وجدوا .
 (٧) من ظ ، و فى الأصل: بالاذعان (٨) زيد فى الأصل بعده: منهم . و لم تكن
 الزيادة فى ظ لحذفها .

و البعض ليدوم رغبهم و رهبهم فقال: (منهم و اتقوا اجر عظيم ٤)
 و هذه الآيات من تنمة هذه القصة سواء قلنا: إنها إشارة إلى غزوة حراء
 الأسد، أو غزوة بدر الموعد، فإن الوعد كان يوم أحد - و الله الهادي؛
 و بما يحب التذية له أن البيضاوى قال تبعاً للزحشرى: إن النبي صلى الله
 عليه وسلم خرج إلى بدر الموعد في سبعين راكبا، و في تفسير البغوى
 أن ذلك كان في حراء الأسد. فإن حمل على أن الركبان من الجيش كان
 ذلك عددهم [و - ٢] أن الباقي كانوا مشاة فلعله، و إلا فليس كذلك
 و ٢ أما في حراء الأسد فإن النبي صلى الله عليه وسلم بلغه أن المشركين
 هموا بعد انفصالهم من أحد بالرجوع، فأراد ٢ أن يرهبهم ١ و أن ٢ يرهبهم
 ١ من نفسه و أصحابه قوة، فنادى مناديه يوم الأحد - الغد ٥ من يوم أحد -
 بطلب العدو، و أن لا يخرج معه إلا من كان حاضرا معه بالأمس،
 فأجابوا بالسمع و الطاعة، فخرج في ٥ أثرهم و استعمل على المدينة
 ابن أم مكتوم، و لا يشك ٨ في أنهم أجابوا كلهم، و لم يتخلف ٩ منهم أحد،
 و قد كانوا في أحد نحو سبعائة و لم يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ١٥ في الخروج معه لأحد [لم - ٢] يشهد القتال يوم أحد، و استأذنه ١٠

رجال لم يشهدوها فنعهم إلا ما كان من جابر بن عبد الله رضى الله عنهما

(١) في ظ «و» (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و في الأصل:
 يزلهم - كذا (٥) في ظ: الغزو (٦) في ظ: الأحد (٧) من ظ، و في الأصل:
 عن (٨) في ظ: لا يسئل (٩) من ظ، و في الأصل: لم يخلف (١٠) من ظ،
 و في الأصل: استأذن.

فانه أذن له لعله^١ ذكرها في التخلف عن أحد محمودة^٢ . قال الواقدي :
 ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلوائه وهو معقود لم يحل من
 الأمس ، فدفعه إلى علي رضي الله عنه ، ويقال : [إلى -^٣] أبي بكر رضي الله
 عنه ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه مشجوج^٤ وهو
 مجروح^٥ ، في وجهه أثر الحلقتين ، ومشجوج في جبهته في أصول الشعر ،
 ورابعيته قد سقطت^٦ ، وشفته قد كسبت من باطنها وهو متوهن^٧ منكبه
 الأيمن بضربة^٨ ابن قيثه ، وركبناه^٩ مجحوشتان - بأبي هو^{١٠} وأمي ووجهي
 وعيني ! فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فركع ركعتين
 والناس قد حشدوا ، ونزل أهل العوالي حيث جاءهم الصرخ ، ثم ركع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ، فدعا بفرسه على باب المسجد ،
 و تلقاه طلحة رضي الله عنه وقد سمع المنادي فخرج بنظر متي^{١١} يسير ،
 فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه الدرع والمغفر وما يرى منه
 إلا عيناه فقال : يا طلحة سلاحك ! قال : قلت : قريب ، قال :^{١٢} [فأخرج -^٣] ،
 أعد و فألبس^{١٣} درعي^{١٤} ، ولأنا أم^{١٥} بجراح رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) إلى هنا انتهى الانطماس من مد (٢) من مد ، وفي الأصل وظ : محموده .

(٣) زيد من ظ و مد (٤) في مد : مشجوج - كذا (٥) في ظ : بمجروح .

(٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : شطبت (٧) في ظ : متمكن (٨) سقط من

ظ و مد (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : ركبناها (١٠) سقط من ظ .

(١١) من ظ و مد ، وفي الأصل : ابن (١٢) زيد في المغازي : طلحة (١٣) من ظ

و مد ، وفي الأصل : البس (١٤-١٤) في ظ : ولا اناهم .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٧٢) ج - ٥

منى بجراحي، ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على طلحة فقال:
 أين ترى القوم الآن؟ قال: هم بالسيالة^١، قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم: ذلك الذى ظننت! أما إنهم يا طلحة إن ينالوا منا مثل أمس
 حتى يفتح الله مكة علينا! ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم^٢ فى
 أصحابه حتى عسكر بجمرات الأسد، قال جابر رضى الله عنه: وكان عامة
 زادنا التمر، وحمل سعد^٣ بن عباد رضى الله عنه ثلاثين بعيرا حتى
 وافت الحمرات، وساق جزورا فتحروا فى يوم اثنين^٤ وفى يوم ثلاثاء،
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرهم^٥ فى النهار^٦ بجمع
 الحطب^٧، فاذا أمسوا أمر أن توقد النيران، فيوقد كل رجل نارا،
 ١٠ فلقد كنا تلك الليالى نوقد خمسمائة نار حتى نرى^٨ من المكان البعيد،
 وذهب ذكر معسكرنا ونيراننا فى كل وجه حتى كان ما كبت الله به
 عدونا. فهذا ظاهر فى أنهم كانوا خمسمائة رجل - والله أعلم - ويؤيد
 ذلك ما نقل من أخبار المثقلين^٩ بالجراح - قال الواقدي: جاء سعد بن
 معاذ رضى الله عنه والجراح فى الناس فاشية، عامة بنى عبد الأشهل^٩
 ١٥ جريح، بل كلهم^{١٠} - رضى الله عنهم! فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم

/٤٣٣

(١) قيل: هى أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة، كما فى معجم البلدان.
 (٢-٢) سقط من ظ (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: سعيد (٤) من المغازى
 ٢٣٨/١، وفى الأصول: ثنتين (٥-٥) من ظ ومد والمغازى، وفى الأصل:
 بالنهار (٦-٦) فى ظ: بالحطب (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: يرى (٨) من
 ظ ومد، وفى الأصل: المتعلبين - كذا (٩) فى ظ: الاسهل (١٠) من ظ
 ومد، وفى الأصل: عليهم.

بأمرهم

يأمركم أن تطلبوا عدوكم، قال: يقول أسيد بن حضير^١ رضى الله عنه
 وبه سبع جراحات وهو يريد أن يداويها: سمعا وطاعة لله ولرسوله!
^٢ فأخذ سلاحه ولم يعرج على دواء^٢ جراحه ولحق برسول الله صلى الله
 عليه وسلم؛ وجاء سعد بن عباد رضى الله عنه قومه بنى ساعدة فأمرهم
 بالمسير، فلبسوا ولحقوا؛ وجاء أبو قتادة رضى الله عنه أهل خرب
 وهم يداوون الجراح فقال: هذا منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يأمركم بطلب العدو، فوثبوا إلى سلاحهم وما عرجوا على جراحاتهم -
 رضى الله عنهم! فخرج من بنى سلة رضى الله عنهم أربعون جريحا،
 وبالطفيل بن النعمان رضى الله عنه ثلاثة عشر جرحا، وبقطبة بن
 عامر بن حديدة رضى الله عنه تسع جراحات حتى وافوا^٣ النبي صلى الله
 عليه وسلم بيئر^٤ أبي عتبة^٥ إلى رأس الثنية^٦ عليهم السلاح، قد صفوا^٧
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما نظر إليهم والجراح فيهم فاشية
 قال: اللهم ارحم بنى سلة! وحدث^٨ ابن إسحاق والواقدي أن عبد الله
 ابن سهل ورافع بن سهل رضى الله عنهما كان بهما^٩ جراح كثيرة^{١٠}،
 (١) في ظ: جبر (٢) العبارة من هنا إلى « عليه وسلم » الآتى سقطت من مد.
 (٣) من ظ، وفي الأصل: داء (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: ينادى.
 (٥) من الإصابة ٢/٥، وفي الأصل: يقطبة، وفي ظ و مد: بعنة (٦) في
 ظ: واخوا (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: يبر (٨) في ظ و مد: ابى عينة.
 (٩) في ظ: النبى (١٠) في ظ: صبوا (١١) في ظ: حديث (١٢) في ظ:
 بهم (١٣) من ظ و مد، وفي الأصل: كبيرة.

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٧٢) ج - ٥

فلما بلغها النداء قال أحدهما لصاحبه: والله^١ إن تركنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لغيبنا^٢ والله ما عندنا دابة تركها^٣ وما ندرى كيف نصنع^٤! قال عبد الله: انطلق بنا، قال رافع: لا والله^٥ ما بنى مشى^٥! قال أخوه: انطلق بنا^٦ تتجار^٧، فخرجا يرحفان^٨، فضعف رافع فكان عبد الله يحمله على ظهره عقبه ويمشى الآخر عقبه حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العشاء وهم يوقدون النيران، فألقى^٩ بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى حرسه تلك الليلة عباد ابن^{١٠} "بشر فقال^{١٠}: ما حبسكما؟ فأخبراه بعلتهما، فدعا لهما بخير" وقال: إن طالت بكم مدة كانت لكم مراكب من خيل [وبغال - "١٢"] وإبل،^{١١} وليس ذلك بخير لكم. وأما غزوة بدر الموعد^{١٣} فروى الواقدي - و^{١٤} من طريقه^{١٥} الحاكم في الإكليل - كما حكاه ابن سيد الناس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج في هذه الغزوة في ألف وخمسمائة من

(١) من ظ ومد، وفي الأصل اية (٢) من ظ ومد والمغازي ١/ ٣٢٥، وفي الأصل: لعين - كذا (٣) من مد، وفي الأصل: تركتها، وفي ظ: تركها (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: يصنع (٥-٥) من ظ ومد، وفي الأصل: يابني - كذا. (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ومد - أي يجر أحدهما الآخر، وفي الأصل: يتجار (٨) في ظ ومد: يرحفان (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: قال. (١٠-١٠) من ظ ومد، وفي الأصل: بشير قال (١١) من ظ ومد، وفي الأصل: بحيرة (١٢) زيد من ظ ومد (١٣) في ظ: الموعود (١٤) سقطت الواو من ظ (١٥) من مد، وفي الأصل: طريقة، وفي ظ: طريق.

أصحابه رضى الله عنهم ، وكانت لخييل عشرة ، قال ^١ الواقدي : وأقبل رجل من بني ضمرة يقال له مخشى ^٢ بن عمرو فقال والناس مجتمعون في سوقهم وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ^٣ أكثر أهل الموسم : يا محمد ! لقد أخبرنا أنه لم يبق منكم [أحد - ^٤] ، فما أعلمكم إلا أهل الموسم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - ليرفع ذلك إلى عدوه : ما أخرجنا ^٥ إلا موعد أبي سفيان وقتال عدونا ، وإن شئت مع ذلك نبذنا إليك وإلى قومك العهد ثم جالدناكم قبل أن نبرح ^٥ من منزلنا هذا ، فقال الضمري : بل نكف ^٦ أيدينا عنكم وتمسك بحلقك ^٧ .

و لما كان قول نعيم بن مسعود أو ركب عبد القيس عند الصحابة رضى الله عنهم صدقا لا شك فيه لما قام عندهم من القرائن ، فكان بمنزلة ^{١٠} المتواتر الذى تمالأ عليه الخلاق ، وكانت قريش أعلى الناس شجاعة وأوفاهم قوة وأعرقهم ^٨ إصالة فكانوا كأنهم جميع الناس ، كان التعبير - بصيغة العموم في قوله : (الذين قال لهم الناس) أى نعيم أو ركب عبد القيس (ان الناس) يعنى قريشا (قد جمعوا لكم فاخشوهم) - أمدح للصحابة رضى الله عنهم من التعبير عن أخبرهم ومن جمع لهم ^{١٥} بخاص اسمه / أو وصفه .

٤٣٤ /

(١) في ظ : وقال (٢) في ظ : بنحشى (٣) العبارة من هنا إلى « عليه وسلم » سقطت من ظ (٤) زيد من مد و كتاب المغازى للواقدي ١ / ٣٨٨ (٥) من ظ و مد و المغازى ، وفي الأصل : يبرح (٦) من مد و المغازى ، وفي الأصل و ظ : يكف . (٧) من ظ و مد و المغازى ، وفي الأصل : بخلقك (٨) من مد ، وفي الأصل و ظ : اعزتهم .

ولما كان الموجب لإقدامهم على اللقاء بعد هذا القول الذي لم يشكوا
في صدقه ثبات الإيمان وقوة الإيقان قال تعالى: ﴿فزادهم﴾ أى هذا
القول ﴿إيماناً بـ﴾^١ لأنه ما ثنأهم^٢ عن طاعة الله ورسوله ﴿وقالوا﴾
ازدراء بالخلائق اعتماداً^٣ على الخالق ﴿حسبنا﴾^٤ أى كافينا^٥ ﴿الله﴾
٥ [أى الملك الأعلى -] فى القيام بمصالحنا . ولما كان ذلك هو شأن
الوكيل و كان فى الوكلاء^٥ من يندم قال: ﴿ونعم الوكيل هـ﴾ [أى
الموكل^٦ إليه المفوض إليه جميع الأمور؛ روى البخارى فى التفسير عن
ابن عباس رضى الله عنهما قال: هذه الكلمة قالها إبراهيم عليه السلام
حين ألقى فى النار، وقالها^٧ محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا: إن
الناس قد جمعوا لكم . و^٨ قال: كان آخر كلمة قالها إبراهيم عليه السلام
حين ألقى فى النار: حسبي الله ونعم الوكيل^٩ .

ولما كان اعتمادهم على الله سبباً لفلاحهم^٩ قال - [٤] ﴿فانقلبوا﴾
أى فكان ذلك سبباً لأنهم انقلبوا، أى من الوجه^{١٠} الذى ذهبوا فيه
مع النبي صلى الله عليه وسلم ﴿بنعمة﴾ و عظمتها باضافتها إلى الاسم
١٥ الأعظم فقال: ﴿من الله﴾ [أى الذى له الكمال كله -] [٥] ﴿وفضل﴾

(١-١) من ظ و مد، وفى الأصل: إلى ما تباهم (٢) فى ظ و مد: بالاعتماد .
(٢-٣) سقط من ظ (٤) زيد ما بين الخاجزين من ظ و مد (٥) فى ظ: الكلام .
(٦) من مد، وفى ظ: الموكل (٧) من مد، وفى ظ وقال (٨) سقط من
ظ (٩) من مد، وفى ظ: لعلاجه - كذا: (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل:
الوثة .

أى من الدنيا^١ ما طاب لهم من طيب الثناء بصدق الوعد ومضاء العزم وعظيم^٢ الفناء والجراة إلى ما نالوه عند ربهم حال كونهم ﴿لم يمسه سواه﴾ أى من العدو الذى خوفه^٣ ولا غيره ﴿واتبعوا﴾ أى مع ذلك بطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغاية جهدهم ﴿رضوان الله ط﴾ [أى الذى له الجلال والجمال - °] فحازوا أعظم فضله ه ﴿والله﴾ [أى الذى لا كفوء له - °] ﴿ذو فضل عظيم ه﴾ أى فى الدارين على من يرضيه، فيستظرون^٦ فوق ما تؤملون^٧، فليشر الحبيب ويقم^٨ ويحزن المختلف، ولعظم الأمر كرر الاسم الأعظم كثيرا . ولما جزاهم سبحانه على أمثال^٩ ذلك بما وقع لهم من فوزهم بالسلامة والغنية بفضل من حاز أوصاف الكمال ونزه عن كل نقص بما له من ١٠ رداء الكبرياء والجلال، ورجعهم فيما لديه لتوليتهم إياه، أتبع ذلك بما يزيدهم بصيرة من^{١١} أن المخوف لهم من كيد^{١٢} ضعيف وأمره هين خفيف وإم يخيف وهو الشيطان، وساق ذلك مساق التعليل^{١٣} لما قبله من حيازتهم^{١٤} للفضل وبعدهم عن السوء بأن وليهم الله وعدوهم

(١) زيد بعده فى الأصل : مع، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد، وفى الأصل : وعظم (٣) من ظ و مد، وفى الأصل : حرقوه (٤) فى ظ : لغاية (٥) زيد ما بين الحازرين من ظ و مد (٦) من مد، وفى الأصل : فيستظرون، وفى ظ : فيستظرون (٧) فى ظ : يؤملون (٨) سقط من ظ . (٩) فى ظ : امثال (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل : مع (١١) فى ظ : كيدهم (١٢) من ظ و مد، وفى الأصل : العلل (١٣) فى ظ : حازتهم .

نظم الدر (سورة آل عمران ٣: ١٧٥ و ١٧٦) ج - ٥

الشیطان فقال [التفاتا إليهم بزيادة في تنشيطهم أو تشجيعهم و تثبتهم -^١] :
 ﴿ انما ذلكم ﴾ أى القاتل الذى تقدم أنه الناس ﴿ الشیطن ﴾ أى
 الطريد^٢ البعيد المحترق .

و لما نسب القول إليه^٣ لأنه الذى زينه لهم حتى أشربته القلوب^٤
 ٥ و امتلأت به الصدور ، كان كأنه قيل : فاذا عساه يصنع ؟ فقال :
 ﴿ يخوف ﴾ أى يخوفكم ﴿ أولیاءه ﴾ م) لكنه أسقط المفعول الاول إشارة
 إلى أن تخوفه يؤول إلى خوف أولیائه ، لأن أولیاء الرحمن إذا ثبتوا
 لأجله أنجز لهم ما وعدهم من النصرة على أولیاء الشیطان ، و إلى أن من
 خاف من تخوفه و عمل بموجب خوفه فقیه ولاية له^٥ تصحیح^٥ إضافته
 ١٠ إليه قلت أو كثرت .

و لما كان المعنى أنه يشوش^٦ بالخوف من أولیائه ، تسبب عنه^٧ النهی
 عن خوفهم فقال : ﴿ فلا تخافوهم ﴾ أى لأن ولیهم الشیطان ﴿ و خافون ﴾
 أى فلا تعصوا^٧ أمرى و لا تتخلفوا أبدا عن رسولى ﴿ ان كنتم مؤمنین ﴾
 أى مباعدین^٨ لأولیاء الشیطان بوصف الإيمان .

١٥ و لما مدح سبحانه و تعالى المسارعین فى طاعته و طاعة رسوله

صلی الله علیه و سلم و ختم ذلك بالنهى عن الخوف من أولیاء الشیطان ،

(١) زيد ما بين الحازرين من ظ و مد (٢) في ظ : الطريق (٣) سقط من ظ .

(٤) زيد بعده في الأصل : و جعلته النفوس ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد

لحذفها (٥) في ظ : تصحیح (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : يومن (٧) في ظ

و مد : عن (٧) في ظ : فلا تقضوا (٨) في ظ : متباعدین .

أعقبه بدم المسارعين^١ في الكفر^٢ و انتهى عن الحزن من أجلهم .
 و لما كان^٣ أكثر الناس - كالمناققين الراجعين عن أحد ، ثم المقاتلين
 القائلين : هل لنا من الأمر من شيء - أرجفوا^٤ إلى^٥ أبي عامر و عبد الله
 ابن أبي لآخذ الأمان من أبي سفيان ، ثم ركب عبد القيس أو نعيم بن
 مسعود . ثم من استجاب من أهل المدينة و أرجف بما قالوا^٦ في بطن^٧ هـ
 المؤمنين ، و كان ذلك مما يخطر بالبال تمامدى أيام الكفر و أهله غاليين ،
 و يقدح في رجاء قصر مدته ، و يوجب الحزن على ذلك ؛ قال تعالى
 قاصرا الخطاب على أعظم الخلق و أشفقهم^٨ و أحبهم في صلاحهم :
 ﴿ و لا يحزنك الذين يسارعون ﴾ أى يسرعون إسرار من يسابق خصما
 ﴿ في الكفر ﴾^٩ ثم ؛ علل ذلك بقوله : ﴿ انهم لن يضروا الله ﴾ أى ١٠
 الذى له جميع العظمة ﴿ شينا ط ﴾ أى دبه باذلال أنصاره و القائمين به ،
 و حذف المضاف تفخيما له و ترغيبا فيه^{١١} حيث جعله هو المضاف إليه .
 و لما نفي ما خيف من أمرهم كان مظنة السؤال عن الحامل لهم
 على^{١٢} المسارعة ف قيل / جوابا : ﴿ يريد الله ﴾ أى الذى له الأمر كله
 ٤٣٥ / ﴿ ألا يجعل لهم حظا ﴾ أى نصيبا ﴿ في الآخرة ج ﴾ و لما كانت المسارعة ١٥
 في ذلك عظيمة ختمت الآية بقوله : ﴿ و لهم عذاب عظيم ه ﴾ قد عم^{١٣}
 (١ - ١) من ظ و مد ، و في الأصل : بالكفر (٢) في الأصول : كانوا .
 (٣) من ظ ، و في الأصل و مد : أرجعوا (٤) سقط من ظ (ه - ه) من مد ،
 و في الأصل : و نط ، و في ظ : و بظ - كذا (٦) في ظ : اسفقهم .
 (٧) في ظ : عنه (٨) في ظ : من (٩) في ظ : هم .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٧٧ - ١٧٩) ج - ٥

جميع ذواتهم ، لأن المسارعة دلت على أن الكفر قد ملا^١ أبدانهم
و نفوسهم و أرواحهم .

و لما كان قبول نعيم و ركب عبد القيس لذلك الجعل الذي هو
من أسباب الكفر شرى الكفر^٢ بالإيمان عقب^٣ بقوله : ﴿ ان الذين
اشتروا الكفر ﴾ أى فأخذوه ﴿ بالإيمان ﴾ أى فتركوه ، و أكد نفي^٤
الضرر و أبده^٥ فقال : ﴿ ان يضروا الله ﴾ أى الذى لا كفوه له
﴿ شيئاً ﴾ لما يريد سبحانه و تعالى من الإعلاء للإسلام^٦ و أهله ، و ختمها
بقوله : ﴿ و لهم عذاب اليم^٧ ﴾ لما نالوه من لذة العوض فى ذلك الشرى
كما هى^٨ العادة فى كل متجدد من الأرباح^٩ و الفوائد .

١٠ و لما كان مما اشترى به^{١٠} الكفر رجوع المنافقين عن أحد الذى
كان سبباً للإملاء لهم قال سبحانه و تعالى : ﴿ ولا يحسبن^{١١} الذين كفروا ﴾
أى بالله و رسوله ﴿ أنما نملى ﴾ أى أن إملاءنا أى إيماننا و إطالنا
﴿ لهم خير لانفسهم ط ﴾ و لما نفي عنهم الخير بهذا الإنهى تشوفت النفس
إلى ما لهم فقال : ﴿ انما نملى لهم ﴾ أى استدراجاً ﴿ ليزدادوا اثماً ﴾
١٥ و هو جميع ما سبق العلم الأزلى بأنهم يفعلونه ، فاذا بلغ النهاية أوجب

- (١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مال (٢) من ظ ، و فى الأصل و مد :
للكفر (٣) من مد ، و فى الأصل : عقيب ، و فى ظ : عقب (٤) فى ظ :
نفس (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : أبده (٦) فى ظ : الى الاسلام .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٨) فى ظ : الارباح (٩) سقط من ظ .
(١٠) فى ظ : لا تحسبن .

الآخذ . و لما كان^١ الرجوع المسفر عن السلامة مظنة لعزم في هذه الدار الفانية عند من ظن حسن ذلك الرأي؛ عوضوا عنه الإهانة الدائمة فقال سبحانه و تعالى : ﴿ و لهم عذاب مهين ٥ ﴾ .

و لما كان مطلق المسارعة أعم^٢ بالعوض ، و هو^٣ أعم مما بالرجوع ، جاء نظم الآيات على ذاك ؛ و لما كشفت هذه الواقعة^٤ جملة ٥ من المغيات^٥ من أعظمها^٦ تمييز المخلص^٦ فعلا أو قولا من غيره ، أخبر تعالى أن ذلك من أسرارها على وجه يشير إلى النعي على المنافقين بتأخيرهم أنفسهم^٧ بالرجوع و غيره فقال مشيرا بخطاب الاتباع إلى مزيد عليه صلى الله عليه و سلم و علو درجته لديه و عظيم قربه^٨ منه سبحانه و تعالى : ﴿ ما كان الله ﴾ أى مع ما له من صفات الكمال .

١٠

و لما [كان -]^٩ ترك التمييز غير محمود ، عبر بفعل الودر^٩ ، و أظهر موضع الإضمار لإظهار^{١٠} شرف الوصف تعظيها لأمله فقال : ﴿ ليدر المؤمنين ﴾ أى الثابتين في وصف الإيمان ﴿ على ما أتم عليه ﴾ من الاختلاط بالمنافقين^{١١} و من قاربهم من الذين آمنوا على حال الإشكال

- (١) العبارة من هنا إلى "عذاب مهين" سقطت من ظ (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : منها (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : هم (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : الواقعة (٥) في ظ : المعينات (٦ - ٧) في ظ : تصير الخلف . (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : انصبتهم (٨) في ظ : قربه (٩) زيد من ظ و مد (١٠) من مد ، و في الأصل و ظ : الورد (١١) سقط من ظ و مد . (١٢) من ظ و مد ، و في الأصل : المنافقين .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٧٩ و ١٨٠) ج - ٥

اللافتاع بدعوى اللسان دليلا على^١ الإيمان ﴿حتى يميز الخبيث من الطيب ط﴾
 بأن يفضح المبطل و^٢ إن طال^٣ ستره بتكاليف شاقة وأحوال
 شديدة، لا يصبر عليها إلا الخالص^٤ من العباد، المخلصون في الاعتقاد
 ﴿وما كان الله﴾ لا اختصاصه بعلم الغيب ﴿ليطلعكم على الغيب﴾
 ٥ [أى -^٥] وهو الذى لم يبرز إلى عالم الشهادة [بوجه -^٦] لتعلموا به^٧
 الذى فى قلوبهم مع احتمال أن يكون الرجوع للعلّة التى ذكروها فى الظاهر
 والقول لشدة الأسف على إخوانهم^٨ ﴿ولكن الله﴾ أى الذى له
 الأمر كله ﴿يجتبى﴾ أى يختار اختيارا بليغا ﴿من رسله من يشاء ص﴾
 أى فيخبر على ألسنتهم بما يريد من المغيات كما أخبر أنهم يرجعونهم^٩
 ١٠ للكفر أقرب منهم للإيمان، وأنهم يقولون بأفواههم^{١١} ما ليس فى
 قلوبهم^{١٢} . ولما تسبب عن هذا وجوب الإيمان به قال: ﴿قامنوا بالله﴾
 أى فى أنه عالم الغيب والشهادة، له الأسماء الحسنى ﴿ورسله ع﴾ فى أنه
 أرسلهم . وفى أنهم صادقون فى كل ما يخبرون^{١٣} به عنه .

ولما كان التقدير: فانكم إن لم تؤمنوا كان لكم ما تقدم من العذاب
 ١٥ العظيم الآليم^{١٤} المهين، عطف عليه قوله: ﴿وان تؤمنوا﴾ أى بالله

(١) زيد بعده فى الأصل: ان، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٢-٣) من
 ظ ومد، وفى الأصل: لا كان (٣) فى ظ: الخالص (٤) زيد من ظ ومد.
 (٥) فى ظ: انه (٦) فى ظ: أحوالهم (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: يرجوا
 عنهم (٨-٩) سقط من ظ ومد (٩) فى ظ: تخبرون (١٠-١١) فى ظ:
 الآليم العظيم .

ورسله ﴿ وتلقوا ﴾ أى بالمداومة على الإيمان وما يقتضيه من العمل
الصالح ﴿ فلكم اجر عظيم ﴾ أى منه أنه لا يضركم كيد أعدائكم شيئا كما
تقدم وعدكم به .

ولما كان من جملة مباني^١ السورة الإتفاق^٢، وتقدم فى غير آية

مدح المتقين به وختم^٣ عليه، وتقدم^٤ أن الكفار سارعوا فى الكفر: ٥

٤٣٦ /

أبو سفيان بالإتفاق / فى سبيل الشيطان على من يخذل الصحابة، ونعيم

أو عبد القيس بالسعى فى ذلك . وكان المبادرون إلى الجهاد قد تضمن

فعلهم السماح بما آتاهم الله من الأنفس والأموال، وكان الله سبحانه

وتعالى قد أخبر بما لهم عنده من الحياة التى هى خير من حياتهم التى

أذهبها فى حبه، والرزق الذى هو أفضل مما أنفقوا فى سبيله؛ ذم الله سبحانه ١٠

وتعالى الباخلين بالأنفس والأموال فى سبيل الله فقال راداً^٥ الخطاب

إليه صلى الله عليه وسلم لأنه أمكن لسروره وأوثق فى إنجاز الوعد:

﴿ ولا تحسبن ﴾ أى أنت يا خير البرية - هذا على قراءة حمزة، وعند

الباقي^٦ الفاعل الموصول فى قوله: ﴿ الذين يخلون ﴾ أى عن الحقوق

الشرعية ﴿ بما^٧ اتهم الله ﴾ أى بجلاله وعز كاله^٨ ﴿ من فضله ﴾ أى ١٥

لا لاستحقاقهم له يخلهم^٩ ﴿ هو خيرا لهم ط ﴾ أى لشير^{١٠} المال بذلك

(١) فى ظ: مثاني (٢) فى ظ: بالاتفاق (٣) فى ظ: ختم (٤) زيد بعده فى

الأصل: وعدمكم به، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فخذناها (٥) من مد، وفى

الأصل: راد، وفى ظ: ولاداً - كذا (٦) بالياء التحتية: ولا يحسبن - كما فى

مصحفنا المتداولة (٧) فى ظ: ما (٨) فى ظ: جلالة (٩) من مد، وفى الأصل

وظ: بخالهم (١٠) من مد، وفى الأصل: ليميزهم، وفى ظ: ليميزوا.

(بل هو) أى البخل (شر لهم ط) لأنهم مع جعل الله البخل متلفة
 لأموالهم (سيطوقون) أى بفعل من يأمره بذلك كائنا من كان بغاية
 السهولة عليه (ما بخلوا به) أى يجعل لهم يوعد صادق لا خلف فيه
 بعد الإملاء لهم طوقا بأن يجعله شجاعا أى حية عظيمة مهولة^٢، تلزم
 ٥ الإنسان منهم، محيطة بعنقه. تضربه فى جانبى وجهه (يوم القيمة ط)
 لأن الله سبحانه وتعالى يرثه منهم بعد أن كان خوّلهم فيه، فيجعله
 بسبب ذلك التحويل عذابا عليهم^٣، روى البخارى رضى الله تعالى عنه
 فى التفسير عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله^٤ شجاعا أقرع،
 ١٠ له زيبتان، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه - يعنى بشدقيه^٥ - يقول:
 أنا مالك! أنا كنزك! - ثم تلا هذه الآية.

و لما كان هذا طلبا منهم للاتفاق، و كان الطالب منا محتاجا إلى
 ما يطلبه، و كان ذو المال إذا علم أنه ذاهب و أن ماله موروث عنه
 تصرف فيه؛ أخبر تعالى بغناه على وجه يجرّتهم على الإنفاق فقال عاطفا
 ١٥ على ما تقديره: لأنه ثمرة كونه من فضله فله كل ما فى أيديهم:
 (و لله) أى الذى له الكمال كله (ميراث السموات و الأرض ط)
 أى اللذين هذا بما فيها، بأن يعيد سبحانه وتعالى جميع الأحياء و إن
 (١) من مد، و فى الأصل و ظ: يجعل (٢) فى ظ: حنه (٣) فى ظ: مهولة.
 (٤) فى ظ و مد: التحويل، و زيد فى ظ بعده: بل (٥) فى ظ: أيا (٦) فى ظ:
 مالا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: شدقيه (٨) سقط من ظ (٩) من مد،
 و فى الأصل: الذين، و فى ظ: الذى.

أملى لهم ، ويقفى سائر ما وهبهم من الأعراض ، ويكون هو الوارث لذلك كله .

ولما كانت هذه الجمل في الإخبار عن المغيات دنيا وأخرى ، وكان البخل من الأفعال الباطنة التى يستطاع^١ إخفاؤها ودعوى الاتصاف بضدها كان الحتم بقوله : ﴿ والله ﴾ أى الملك الأعظم . ولما كان ه منصب النبي صلى الله عليه وسلم الشريف فى غاية النزاهة صرف الخطاب إلى الاتباع فى قراءة غير ابن كثير وأبى عمرو^٢ ، وهو أبلغ فى الوعيد من تركه على مقتضى السياق من الغيبة فى قراءتهما ، وقدم الجار إشارة إلى أن عليه بأعمالهم بالغ إلى حد لا تدرك^٣ عظمته لأن ذلك أبلغ فى الوعيد الذى اقتضاه السياق : ﴿ بما تعملون خبير ﴾

١٠

ولما كان العمل شاملا لتصرفات الجوارح كلها من القلب واللسان وسائر الأركان قال^٤ - دالا على خبره بسامع^٥ ما قالوه متجاوزين وهدة البخل^٦ إلى حضيض القبح^٧ مردين التشكيك لأهل الإسلام بما يوردونه من الشبه قياسا على ما يعرفونه من أنفسهم من أنه - كما تقدم - لا يطلب^٨ إلا محتاج - : ﴿ لقد سمع الله ﴾ أى الذى له جميع الكمال ﴿ قول الذين ١٥ قالوا ﴾ [أى - ٩] من اليهود ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ فقير ﴾

(١) فى ظ : تستطاع (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : أبى عمر (٣) فى ظ : لا يدرك (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : السامع (٦) فى ظ : سجل - كذا . (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : القبيح (٨-٨) فى ظ : يطلب (٩) زيد من ظ ومد .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٨١ - ١٨٣) ج - ٥

أى لطلبه القرض^١ ﴿ ونحى أغنياء^٢ ﴾ لكونه يطلب منا، وهذا رجوع منه سبحانه وتعالى إلى^٣ إتمام ما نبه^٤ عليه قبل هذه القصة من بغض أهل الكتاب لأهل هذا الدين وحسدهم لهم وإرادة تشكيكهم فيه للرجوع عنه على أسنى المناهج^٥ وأعلى الأساليب .

٥ ولما تشوفت النفوس إلى جزائهم على هذه العظيمة، وكانت الملوك إذا علمت انتقاص أحدها وهى قادرة عاجلته لما عندها من نقص الأذى بالغيط قال سبحانه وتعالى / مهددا لهم مشيرا إلى أنه على غير ذلك : / ٤٣٧ ﴿ سنكتب ﴾ أى على عظمتنا لإقامة الحجة عليهم على ما يتعارفونه فى الدنيا ﴿ ما قالوا ﴾ أى من هذا الكفر وأمثاله ، والسين للتأكيد، ويجوز أن تكون؛ على بابها من المهلة للحث على التوبة قبل ختم رب الشهادة، و سياتى فى الزخرف له مزيد بيان .

و لما كان هذا اجتراء على الخالق أتبعه اجتراءهم على أشرف الخلائق فقال - مشيرا بإضافة المصدر إلى ضميرهم، وبجمع التكسير الدال على الكثير إلى أنهم أشد^٦ الناس تمردا وتمرنا^٧ على ارتكاب العظام، وأن الاجتراء على أعظم أنواع الكفر^٨ قد صار لهم خلقا - : ﴿ وقلهم الانبياء ﴾ ١٥

(١) سقط من ظ (٢-٢) فى ظ : تمام مناسبة - كذا (٣) فى ظ ومد : المناهج ، وفى الأصل : المناجيج (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : يكون (٥-٥) سقط من ظ ، وزيد بعده فى الأصل : الأمر ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفنا . (٦) فى ظ : بإضافته (٧) سقط من ظ ومد (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : تمربا .

أى الذين أقنأهم فيهم لتجديد ما أروهوه من بنیان دينهم ، و لما لم يكن فى^١
 قتلهم شبهة أصلا قال : ﴿ بغير حق ﴾^٢ فهو^٣ أعظم ذما بما قبله من
 التعبير بالفعل المضارع فى قوله " و يقتلون الانبياء بغير حق "^٤ . ثم عطف
 على قوله " سنكتب ، قوله : ﴿ و نقول ﴾ أى بما لنا من الجلال ﴿ ذوقوا ﴾
 أى بما نمسكم^٥ به من المصائب فى الدنيا و العقاب^٦ فى الآخرة كما كنتم^٧
 تذوقون الاطعمة التى كنتم تبخلون بها^٨ فلا تؤدون حقوقها ﴿ عذاب
 الحريق ﴾^٩ جزاء على ما أحرقتكم به^{١٠} قلوب عبادنا ، ثم بين السبب
 فيه بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى العذاب العظيم ﴿ بما قدمت ايديكم ﴾ أى
 من الكفر^{١١} بقتلهم و بغيره ﴿ و ان ﴾ أى و بسبب أن^{١٢} ﴿ الله ﴾
 أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ ليس بظلام ﴾ أى بئذى ظلم^{١٣}
 ﴿ للعبيد ﴾ و لو لم يعذبكم لكان ترككم على صورة الظلم لمن عادىكم فيه
 و اشتد إذاكم لهم .

و لما كان القربان من جنس النفقات و بما يتبين به سماح النفوس
 و شحها حسن^{١٤} نظم آية القربان هنا بقوله - [رادا شبهة لهم أخرى
 و ميينا قتلهم الانبياء -^{١٥}] : - ﴿ الذين قالوا ﴾ تقاعدا عما يجب عليهم من
 المسارعة بالإيمان ﴿ ان الله ﴾ [أى الذى لا أمر لأحد معه -^{١٦}] ﴿ عهد
 النبأ ﴾ و قد كذبوا فى ذلك ﴿ الا تؤمن لرسول ﴾ أى^{١٧} كاتنا من كان

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : و هو (٣) سورة ٣ آية ١١٢ (٤) من ظ و مد ،
 و فى الأصل : يمسكم (٥) فى ظ : العذاب (٦) زيد بعده فى ظ : الآية .
 (٧-٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : جنس (٩) زيد ما بين الحازرين من ظ و مد .
 (١٠) سقط من ظ و مد .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٨٣ و ١٨٤) ج - ٥

﴿ حتى ياتينا بقربان ﴾ أى [عظيم - ١] تقربه الله تعالى، فيكون متصفا بأن^٢ ﴿ تاكله النار ﴾ عند تقريبه له^١، وفي ذلك أعظم بيان لأنهم ما أرادوا - بقولهم "ان الله فقير" حيث طلب الصدقة - إلا التشكيك حيث كان التقرب إلى الله بالمال من دينهم^٥ الذى يتقربون إلى الله به، بل ٥ و ادعوا أنه لا يصح دين بغيره .

ولما افتروا^٦ هذا التشكيك أمر سبحانه بنقضه بقوله: ﴿ قل قد جاءكم رسل ﴾ فضلا عن رسول^٧. [ولما كانت مدتهم لم تستغرق الزمان الماضى أثبت الجار فقال - ١]: ﴿ من قبلى ﴾ كزكريا [وابنه - ١] يحيى وعيسى عليهم السلام ﴿ باليئس ﴾ [أى من المعجزات - ١] ١٠ ﴿ وبالذى قلتم ﴾ أى [من القربان - ١] فان الغنائم لم تحل - كما فى الصحيح - لاحد كان قبلنا، فلم تحل^٨ [لعيسى عليه السلام فلم تكن - ١] ١٠ لما نسخه من^٩ أحكام التوراة، وقد كانت تجمع فنزل نار من السماء [فتأكلها - ١] إلا^{١٠} أن وقع فيها غلول ﴿ فلم قتلتموهم ﴾ [١ - ١] أى

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: الى الله . (٣) فى ظ و مد: بانه (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: به (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: قريهم (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: اقروا (٧) زيد بعده فى الأصل: الله، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (٨) العبارة من هنا إلى «عليهم السلام» تأخرت فى الأصل عن «من القربان» (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: فلم يحل (١٠-١٠) من مد، وفى الأصل: لنا لنسخة فى، وفى ظ: ناسخة من - كذا (١١) فى ظ: الى .

قَتَلَهُمْ^١ أسلافكم ورضيتم أتم بذلك فشاركتموهم^٢ فيه [ان كنتم
 صدقين^٣] أى فى أنكم تؤمنون^٤ لمن أناكم على الوجه الذى
 ذكرتموه ، و- [فى ذلك رد^٥ على الفريقين : اليهود المدعين^٦
 أنهم قتلوه الزاعمين [أنه عهد إليهم -^٧] فى الإيمان بمن^٨ أناكم بذلك^٩ ،
 والنصارى^{١٠} المسلمين لما ادعى اليهود [من قتله -^{١١}] المستلزم لكونه
 ليس باله .

ولما كانت هذه السورة متضمنة لكثير من الدقائق التى أخفوها
 من كتابهم الذى جعلوه قراطيس ، يبدونها^{١٢} ويخفون كثيرا ، وفى
 هذه الآية بخصوصها من ذلك ما يقتضى تصديقه صلى الله عليه وسلم ،
 و كان سبحانه عالما بأن أكثرهم يعاندون سبب^{١٣} عن ذلك أن سلاه فى ١٠
 تكذيب المكذبين منهم بقوله : (فان كذبوك) فكان كأنه قيل :
 هذا الذى أعلنتك به يوجب تصديقك ، فان لم يفعلوا^{١٤} بل كذبوا^{١٥}
 (فقد) ولما كان السياق لإثبات مبالغتهم فى الغلظة^{١٦} والجفاء

- (١) من مد ، وفى ظ : قتلتم (٢) من مد ، وفى ظ : فشاركتموهم (٣-٢) من
 ظ و مد ، وفى الأصل : انهم يؤمنون (٤) زيد ما بين الحاذرين من ظ و مد .
 (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : ردا (٦) فى ظ : المدعين (٧) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : بما (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : ذلك (٩) زيد بعده فى الأصل :
 من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (١٠) زيد من مد ، وموضعه فى
 ظ : لعاه (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : يبدونها (١٢) من ظ و مد ، وفى
 الأصل : تسلب (١٣-١٢) سقط من ظ (١٤) فى ظ : العظمة .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٨٤ و ١٨٥) ج - ٥

١ والكفر^١ و عدم الوفاء، [و كانت السورة سورة التوحيد -^٢]، [و الرسل متفقون عليه، و قد أتى كل منهم فيه بأنهى البيان و أزال كل لبس -^٣] أسقط تاء التانيث لأنها ربما دلت على نوع^٤ ضعف فقال: ﴿كذب رسل﴾ [ولما كانت تسلية الإنسان بمن قاربه في الزمان أشد أثبت الجار فقال -^٥]: ﴿من قبلك﴾ أى فلك فيهم مسلاة^٦ و بهم أسوة ﴿جاءوا بالبينت﴾ أى من^٧ المعجزات ﴿و الزبر﴾ أى من الصحف المضمنة للوعاظ و الحكم الزواجر و الرقائق التى يزبر العالم بها عن المساوى ﴿و الكتب^٨ المنيرة﴾ أى الجامع للأحكام و غيرها. الموضح لأنه الصراط المستقيم.

١٠ و لما تقدم فى قصة أحد رجوع المنافقين و هزيمة بعض المؤمنين بما^٩ كان / سبب ظفر الكافرين، و عاب سبحانه ذلك^{١٠} عليهم بأنهم هربوا من موجبات^{١١} السعادة و الحياة الأبدية إلى ما لا بد منه، و إلى ذلك أشار بقوله^{١٢} "قل لو كنتم فى يوتكم"، "و لن قتلتم فى سبيل الله"، "قل فادعوا عن أنفسكم الموت"، "و لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله" - و غير ذلك بما^{١٣}

/ ٤٣٨

(١ - ١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) زيد ما بين الحاجزين من مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: نوعه (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: سلاة (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و مد و القرآن المجيد، وفى الأصل: البيان (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: بما (٩) سقط من ظ. (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: موخات - كذا (١١) فى ظ و مد: قوله (١٢) من ظ و مد، وفى الأصل: ما.

بكتهم (٣٦)

بكتهم به في رجوعهم حذر الموت و طلب امتداد العمر، مع ما افتتح به من أن موت هذا النبي الكريم و قتله^١ ممكن كما كان من قبله من إخوانه من الرسل [على جميعهم أفضل الصلاة والسلام و التحية و الإكرام! و ختم بالإخبار بأنه وقع قتل كثير من الرسل -^٢]، فكان ذلك محققا لأنه لا يسان من الموت خاص و لا عام، مضموما إلى ما نشاهد من ذلك في كل لحظة؛ صور ذلك الموت بعد أن صار مستحضرا للبيان تصويرا أوجب^٣ التصريح به إشارة إلى أن حالهم في هربهم و رجوعهم و ما تبع ذلك من قولهم حال من هو في شك منه فقال تعالى: ﴿ كل نفس ﴾ أي منقوسة^٤ من عيسى و غيره من أهل الجنة و النار ﴿ ذاتقة الموت ﴾ أي و هو المعنى الذي يطل^٥ معه تصرف [الروح في البدن، ١٠ و تكون هي باقية بعد موته لأن الذائق لا بد أن يكون حال ذوقه حيا حساسا -^٦]، و من يجوز عليه ذوق الموت يجوز عليه ذوق النار، و هو عبد محتاج، فالعاقل من سعى^٧ في النجاة منها و الإنجاء^٨ كما فعل الخالص الذين منهم عيسى و محمد عليهما أفضل الصلاة و أزكى السلام، و كان نظمها بعد الآيات المقتضية لتوفية الأجور [-^٩ بالإثابة^{١٠} عليها و أنه ١٥ ليس بظلام للعبيد شديد الحسن، و ذلك مناسب أيضا لحتم الآية بالتصريح

(١) في ظ: فعله (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) في ظ: و جب (٤) في ظ: يتبع (٥) من ظ و مد، و في الأصل: نفوسة (٦) في ظ: يدخل، و في مد: يدخل (٧) في ظ: يبقى (٨) في مد: الجاء - كذا (٩) من مد، و في ظ: في الإثابة.

لتوفية [الأجور] يوم الدين ، [و أن الزحزحة عن النار و دخول^١
الجنة هو^٢ الفوز، لا الشح في الدنيا بالنفس و المال الذي -^٣] ربما كان
سيا لا امتداد العمر و سعة المال بقوله : ﴿ و إنما توفون ﴾ أى تعطون
﴿ اجوركم ﴾ على التمام جزاء على ما عملتموه من خير و شر ﴿ يوم
القيمة ط ﴾ و أما ما يكون قبل ذلك من نعيم القبر و نحوه فبعض لا وفاة
﴿ فمن زحزح ﴾ أى أبعد فى ذلك اليوم إبعادا عظيما سريعا ﴿ عن النار
و ادخل الجنة فقد فاز ط ﴾ أى بالحياة الدائمة و النعيم الباقي ، و المعنى
أن كل نفس توفى ما عملت ، فتوفى أنت أجرك على صبرك على أذاكم ،
و كذا من أطاعك ، و يجازون هم^٦ على ما فرطوا فى حقلك فيفقدون
١٠ فى غمرة النار ، و كان الخصر إشارة إلى تقبيح إقبالهم على الغنيمة و غيرها
من التوسع العاجل ، أى إنما مقتضى الدين الذى دخلتم فيه هذا ، و ذلك
ترهيبا من الالتفات إلى تعجل شيء من الأجر فى الدنيا - كما قال أبو بكر
رضى الله تعالى عنه فى أول إسلامه : وجدت بضاعة بنسيئة ، ما وقعت^٩
على بضاعة قط أنفس منها ، و هى لا إله إلا الله . فالحاصل أن^٨ ” كل
١٥ نفس “ أى حذرة من الموت و مستسلمة ” ذائقة الموت “ أى فعلام
الاحتراس منه بعود عن الغزو أو هرب من العدو ” و إنما توفون
اجوركم “ أى يا أهل الإسلام - التى^٩ وعدتموها على الأعمال الصالحة

(١) من مد ، و فى ظ : بدخول (٢) من مد ، و فى ظ : هو (٣) زيد ما بين
الحاجزين من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) سقط من مد (٦ - ٦) فى الأصل :
يجازونهم ، و فى ظ : مجازواهم ، و فى مد : يجازواهم - كذا (٧) فى ظ : وضعت .
(٨) فى ظ و مد : انه (٩) فى الأصول : الذى .

”يوم القيمة“ أى فالكم تريدون تعجلها باسراعكم إلى الغنائم أو غيرها
 بما يزيد فى أعراض الدنيا فتكونوا ممن تعجل طيباته^٢ فى الحياة الدنيا
 ”فن“ أى حيث علم أنه لا فوز فى الدنيا إلا بما يقرب إلى الله سبحانه
 وتعالى تسبب عن ذلك أنه من ”زحزح عن النار“ أى بكونه وفى
 أجره ولم يتعجل طيباته^٢ ”و ادخل الجنة“ أى بما عمل من الصالحات ه
 فحاز الحياة الدائمة مع الطيبات الباقية ”فقد فاز“ أى كل الفوز، و لما
 صح أنه لا فوز إلا ذلك صح قوله: ﴿وما الحياة الدنيا﴾ أى التى
 أُملى لهم فيها و أزيلت عن الشهداء ﴿الامتاع الغرور﴾ أى المتاع
 الذى يدلس الشيطان أمره على الناس حتى يفتروا به فيغنوا^٢ بترك الباقي
 و أخذ الأشياء الزائلة بانقضاء؛ لذاتها و القدم على شهواتها بالخوف ١٠
 من تبعاتها .

و فى ذلك أيضا مناسبة من وجه آخر، وهو أنه لما سلاه سبحانه
 و تعالى بالرسول - الذين لازموا الصبر و الاجتهاد فى الطاعة حتى ماتوا -
 و أممهم، و تركوا ما كان بأيديهم عاجزين عن المدافعة، و لم يبق إلا ملكه
 سبحانه و تعالى، و أن الفريقين ينتظرون الجزاء، فالرسول لتمام الفوز، ١٥
 و الكفار لتمام الهلاك؛ أخبر أن كل نفس كذلك، ليجتهد الطامع
 و يقتصر العاصي، و فى ذلك تعريض للمنافقين الذين رجعوا عن أحد
 خوف القتل و قالوا عن الشهداء: لو أطاعونا ما قتلوا، أى إن الذى فرتم
 (١) من مد، و فى الأصل و ظ ”و“ (٢-٢) سقط من ظ (٣) فى مد؛
 فيغضبوا (٤) فى ظ: فى انقضاء .

منه / لا بد منه ، و الحياة التي آثرتموها متاع يندم عليه من ' متحضره للتمتع
كما يندم المغرور بالمتاع^٢ الذي غر به ، فالسعيد من سعى في أن يكون
موته في رضى مولاه الذي لا محيص له عن الرجوع إليه و الوقوف
بين يديه .

٥ و لما سلى الله سبحانه و تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم عن تكذيبهم
له بما لقي إخوانه من الرسل و بأنه لا بد من الانقلاب إليه ، فيفوز من
كان من أهل حزبه ، و يشقى من وإلى أعداءه و ذوى حزبه ؛ أعاد التسليّة
على وجه يشمل المؤمنين ، و ساقها مساق الإخبار بحلول المصائب الكبار
التي هي من شعار^٢ الأخيار في دار الأكداد المغلبة لهم في دار القرار
١٠ فقال - مؤكداً لأن الواقف في الخدمة ينكر أن يصيبه معبوده بسوء ،
هذا طبع البشر و إن تطبع^٣ بخلافه ، و أفاد ذكره^٤ قبل وقوعه تهوينه
بتوطين النفس عليه^٥ ، و أفاد بناؤه للفعل أن المنكى البلاء ، لا كونه
من جهة معينة - : (لتبلون) أى تعاملون معاملة المختبر لتبين المؤمن من
المنافق (في أموالكم) ' أى بأنواع الإنفاق (و انفسكم ق) أى بالإصابة
١٥ في الجهاد و غيره ، فكما نالكم ما نالكم من الأذى باذن ليلحقكم بعده من
الأذى ما أمضيت به ستنى في خلص عبادى و ذوى محبى ، و كان إيلاء
ذلك للآية التي فيها الإشارة إلى أن توفية الأجور للأعمال الصالحة بما ينيل

(١) في ظ : ممن (٢) ليس في ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : شعار .
(٤) في ظ : يطمع - كذا (٥) سقط من ظ (٦) زيد بعده في الأصل : اد -
كذا ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٧) زيد في ظ : و انفسكم .

الفوز مناسباً من حيث الرغبة في كل ما يكون سبباً لذلك من الصبر على ما يبتلى به سبحانه و تعالى من كل ما يأمر به من التكليف، أو يأذن فيه من المصائب، و قدم المال لأنه - كما قيل - عدل الروح، وربما هان على الإنسان الموت دون الفقر المؤدى إلى الذل بالشتمات و العار بما تقصر^١ عنه يده بفقره من أفعال المكارم، و ما أحسن ذكر هذه الآية ٥ إثر قصة أحد التي وقع فيها القتل بسبب الإقبال على المال، و كان ذكرها^٢ تعليلاً لبعثه أهل الكتاب و غيرهم من الكفار .

ولما كان يومها^٣ يوم بلاء و تمحيص، و كان ربما أطمع في العافية بعده، فتوطنت النفس على ذلك فاشتد ارتعاجها بما يأتي من أمثاله^٤، و ليس ذلك من أخلاق المشمرين^٥ أراد سبحانه و تعالى توطين النفوس ١٠ على ما طبعته عليه^٦ الدار من^٦ الأثقال و الآصار^٧، فأخبر أن البلاء لم ينقص به، بل لا بد بعده من بلايا و سماع أذى من سائر الكفار، و رغب^٨ في شعار^٩ المتقين: الصبر الذي قدمه في أول السورة ثم قبل قصة أحد، و بناها عليه معلماً أنه مما يستحق أن يعزم عليه ولا يتردد فيه فقال: ﴿ و لتسمن ﴾ أى بعد هذا اليوم ﴿ من الذين ﴾ و لما كان ١٥ المراد تسوية العالم بالجاهل في الذم نزه^{١٠} المعلم عن الذكر فبنى للفعول

(١) في ظ: يقصر (٢) في ظ: ذكر، و زيد بعده فيه: هذه الآية (٣) في ظ: يومنا (٤) في ظ: أمثالها (٥) في ظ: المشمون (٦-٧) من ظ و مد، وفي الأصل: الدارين (٧) في ظ: الاخبار (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: رهب (٩) في ظ و مد: شعار (١٠) في مد: نر - كذا .

قوله: ﴿أوتوا الكتب﴾ ولما كان إيتاؤهم له لم يستغرق الزمن الماضي
أدخل الجار فقال: ﴿من قبلكم﴾ أى من اليهود والنصارى ﴿ومن
الذين أشركوا﴾ أى من الأميين ﴿أذى كثيرا﴾ أى من الطعن فى
الدين وغيره بسبب هذه الواقعة أو غيرها ﴿وان تصبروا﴾ أى
تخلقوا^١ بالصبر على ذلك وغيره ﴿وتتقوا﴾ أى وتعملوا بينكم وبين
ما يسخط الله سبحانه وتعالى وقاية بأن تغضوا عن كثير من أجوبتهم
اعتمادا على ردهم بالسيف وإزال الحتوف ﴿فان ذلك﴾ أى الأمر
العالى الرتبة ﴿من عزم الأمور﴾ أى الأشياء التى هى أهل لأن يعزم
على فعلها، ولا يتردد فيه، ولا يعوق عنه عائق، فقد ختمت قصة
١٠ أحد بمثل ما سبقت دليلا عليه من قوله ”قد بدت البغضاء من أفواههم“ -
إلى أن ختم بقوله ”وان تصبروا وتقوا لا يضركم كيدهم شيئا“ هذا
ما أخبر به هنا بأنه من عزم الأمور .

ولما قدم سبحانه وتعالى فى أوائل قصص اليهود أنه أخذ على
النيين الميثاق بما أخذ، وأخبرهم أنه من تولى بعد ذلك فهو الفاسق،
١٥ ثم أخبر بقوله ”قد جاءكم رسل من قبلى“، ”وان كذبوك فقد كذب رسل
من قبلك“ أن النيين وفوا بالعهد، وأن كثيرا من أتباعهم خان؛ ثنى هنا
بالتذكير بذلك العهد على وجه يشمل جميع العلماء بعد الإخبار بسماع
الأذى المتضمن لنقضهم للعهد، فكان التذكير بهذا الميثاق كالدليل على

/ ٤٤٠

(١) سقط من ظ (٢) من مد، وفى الأصل وظ ”و“ (٣) من ظ ومد،
وفى الأصل: يتخلقوا (٤) فى ظ: خيرهم .

مضمون الآية التي قبلها . و كأنه قيل : فاذكروا قولي لكم "لبلون"
 واجعلوه^١ نصب أعينكم لتوطنوا أنفسكم عليه . فلا يشتد جزعكم بحلول
 ما يحل منه ﴿ و ﴾ اذكروا^٢ ﴿ اذ اخذ الله ﴾ الذي لا عظيم إلا هو
 ﴿ ميثاق الذين ﴾ .

ولما كانت الحياة^٣ من العالم أشنع ، و كان ذكر العلم دون ه
 تعيين المعلم كافيا في ذلك بنى للجهول قوله : ﴿ اوتوا الكتب ﴾
 [أى - °] في البيان ، فخافوا فما آذوا^٤ إلا أنفسهم ، [وإذا آذوا
 أنفسهم - °] بخيانة عهد الله سبحانه و تعالى كانوا في أذاكم أشد و إليه
 أسرع ، أو يكون التقدير : و اذكروا^٥ ما أخبرتكم به عند ما أنزله بكم ،
 و اصبروا^٦ لتفوزوا ، و اذكروا إذ أخذ الله ميثاق من قبلكم فضيعوه ١٠
 كيلا تفعلوا فعلهم . فيحل بكم ما حل بهم من الذل و الصغار في الدنيا
 مع ما يدخر في الآخرة من عذاب النار .

هذا ما كان ظهر لى أولا ، ثم بان أن الذي لا معدل عنه أنه لما
 انقضت قصة أحد و ما تبعها^٧ إلى أن ختمت بعد الوعظ بتحتم الموت
 الذي فر^٨ من فر منهم منه و خَوْفُ الباقيين أَمْرَهُ بمثل ما تقدم أنه جعلها ١٥

(١) في ظ : اجعلوا (٢) زيدت الواو بعده في ظ (٣) من ظ و مد ، وفي
 الأصل : الجنة (٤) في ظ : العالم (٥) زيد من ظ و مد (٦) في ظ : اذ - كذا .
 (٧) العبارة من هنا إلى " و اذكروا " سائطة من ظ (٨) زيدت الواو بعده
 في الأصل ، ولم تكن في مد لحذفها (٩) في ظ : يتبعها (١٠) في ظ : تختم .
 (١١) زيد بعده في ظ : منه .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٨٧ و ١٨٨) ج - ٥

دليلا عليه من بغض^١ أهل الكتاب وما تبعه؛ عطف على "اذ" المقدرة -
لعطف "و اذ غدوت" عليها - قوله "و اذ اخذ الله" أى اذكروا ذلك
يدلكم على عدائهم^٢، و اذكروا ما صح عندكم من إخبار الله تعالى
المشاهد^٣ بإخبار من أسلم من الأخبار و القسيسين أن الله أخذ "ميثاق
الذين ارتوا الكتب" أى من اليهود و النصارى بما أكد في كتبه و على
السنّة رسله: ﴿ليبينه﴾ أى الكتاب ﴿لنّاس ولا يكتُمونه﴾
أى نصيحة منهم لله سبحانه و تعالى و لرسوله صلى الله عليه و سلم و لأئمة
المؤمنين و عامتهم ليؤمنوا بالنبي المبشر به ﴿فبذره﴾ أى الميثاق ببذ
الكتاب ﴿ورآه ظهورهم﴾ حسدا لكم و بغضا، و هو تمثيل لتركهم
العمل به، لأن من ترك شيئا وراءه نسيه ﴿واشتروا به﴾ و لما كان
التمن الذى اشتروه^٤ خسارة لا ربح فيه أصلا على العكس مما بذلوه على
أنه ثمن، و كان الثمن إذا نض^٥ زالت مظنة الربح منه عبر عنه بقوله:
﴿ثمنا﴾ و زاد فى بيان سفههم بقوله: ﴿قليلًا﴾ أى بالاستكثار من
المال و الاستهتار للرئاسة، فكتموا ما عندهم من العلم بهذا النبي الكريم
١٥ ﴿فبئس ما يشترونه﴾ أى لأنه مع فوائده أورتهم العار الدائم و النار

(١) فى ظ و مد: بعض (٢) فى مد: عدوانهم (٣) من ظ و مد، وفى الأصل:
الشاهدة (٤) من ظ و مد - كما قرأ ابن كثير و أبو عمرو و عاصم فى رواية
ابن عباس بياء الغيبة، وفى الأصل: لتبينته - بالخطاب كما هو الثابت فى مصاحف
بلادنا، ولكن التفسير الآتى بلفظ "نصيحة منهم" لا يناسبه (٥) فى ظ: اشتراه .
(٦) من ظ و مد، أى تبسر، وفى الأصل: نص .

الباقي، و عبر عن هذا الأخذ^١ بالشراء إعلاما بلجاجهم فيه، و نبه بصيغة
الافتعال على مبالغتهم في اللجاج .

و لما أخبر سبحانه و تعالى بأنهم احتوا على المال و الجاه بما كنتموا^٢
من العلم و أظهروا من خلافه المتضمن لمحبة أهل دينهم فيهم و ثنائهم
عليهم بأنهم على^٣ الدين الصحيح و أنهم أهل العلم، فهم أهل الاقتداء^٥
بهم؛ قال سبحانه و تعالى مخبرا عن مآلهم تحذيرا^٤ من مثل حالهم على
وجه يعم كل امرئ^٥: ﴿ لا تحسبن ﴾ على قراءة الجماعة بالغيب ﴿ الذين
يفرحون بما آتوا ﴾ أى مما يخالف ظاهره باطنه. و توصلوا به إلى
الأغراض الدنيوية من الأموال و الرئاسة و غير ذلك، أى لا يحسبن
أنفسهم، و فى قراءة الكوفيين و يعقوب بالخطاب المعنى: لا تحسبنهم أيها
الناظر لمكرمهم و رواجهم بسببه فى الدنيا واصلين إلى خير ﴿ و يحبون
ان يحمدوا ﴾ أى يوجد الثناء بالوصف الجميل عليهم ﴿ بما لم يفعلوا ﴾
أى بذلك الباطن الذى لم يفعلوه، قال ابن هشام فى السيرة: أن يقول
الناس^٦: علماء، و ليسوا بأهل علم، لم يتحملوهم على هدى و لا حق .

و لما تسبب عن ذلك العلمُ بهلاكهم قال: ﴿ فلا تحسبنهم ﴾ أى ١٥
تحسبن أنفسهم، على قراءة ابن كثير و أبى عمرو بالغيب^٧ و ضم الباء^٨،

(١) سقط من مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: كنتموه (٣) من ظ و مد،
و فى الأصل: علم (٤) فى ظ: بخبر، و فى مد: تحيرا (٥) فى ظ و مد: مرا -
كذا (٦) زيد فى تفسير الطبرى نسبة إلى سيرة ابن هشام: لهم، و لكن ما وجدنا
هذه الزيادة فى النسختين منها (٧) زيد بعده فى الأصول: و على، فحذفناها لئلا
يتنقى الكلام (٨) أى على الجمع - كما فى نثر المرجان ١/ ٥٣٣ .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٨٨ - ١٩٠) ج - ٥

وعلى قراءة الجماعة المعنى: لا تحسبنهم أيها الناظر^١ (بمفازة من العذاب ج) بل هم بمهلكة منه (و لهم عذاب اليم ه) .

ولما أخبر بهلاكهم دل عليه بحال من فاعل "يحسب"، فقال تعالى:

(و الله) أى / الذى له جميع صفات الكمال وحده (ملك السموت

ه و الارض ه) أى لا يقع فى فكرهم ذلك والحال أن ملكه محيط بهم،

وله جميع ما يمكنهم الانحياز^٢ إليه ه، وله ما لا تبلغه قدرتهم من ملك

الخافقين فهو بكل شيء محيط (و الله) أى الذى له جميع العظمة

(على كل شيء قدير ه) وهو شامل القدرة، فمن كان فى ملكه كان فى

قبضته،^٣ ومن كان فى قبضته كان^٢ عاجزا عن التفصى^٤ عما يريد به،

١٠ لأنه الحى القيوم الذى لا إله إلا هو - كما افتتح به السورة .

ولما ذكر هذا الملك العظيم وختم بشمول القدرة دل على ذلك

بالتنيه على التفكير فيه الموجب للتوحيد الذى^٢ هو المقصد الأعظم من

هذه السورة الداعى إلى الإيمان الموجب للمفازة من العذاب، لأن^٢

المقصود^٥ الأعظم من إنزال القرآن تنوير القلوب بالمعرفة، وذلك

١٥ لا يكون إلا بغاية التسليم، وذلك هو اتباع الملة الخيفية، وهو متوقف

على صدق النبى صلى الله عليه وسلم، فبدأ سبحانه وتعالى السورة بدلائل

صدقه بإعجاز القرآن بكشفه^٦ - مع الإعجاز بنظمه على لسان النبى الأمى -

(١) زيد بعده فى الأصل وظ: لهم . ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) من

مد، وفى الأصل وظ: الانحياز (٣ - ٣) سقطت من ظ (٤) من مد . وفى

الأصل وظ: التفص - كذا (٥) فى ظ: المقصد (٦) من ظ ومد . وفى

الأصل: كشفه .

للشبهات^١ و بيانه للخفيات، و أظهر مكابرة أهل الكتاب، و فضجهم
 أتم فضيحة، فلما تم ذلك على أحسن وجه منظما يبدائع^٢ الحكم من
 الترغيب و الترهيب شرع في بث أنوار^٣ المعرفة بنصب دلائلها القرينة
 و كشف أستارها العجيبة فقال: ﴿ان في خلق السموات و الارض﴾
 أى على كبرهما و ما فيها من المنافع، و نبه على التغير الدال على التغير
 بقوله: ﴿و اختلاف الليل و النهار﴾ أى اختلافا هو - كما ترون - على
 غاية الإحكام بكونه على منهاج قويم و سير لا يكون إلا بتقدير العزيز
 العليم^٤ ﴿لأينت﴾ أى على جميع ما جاءت به الرسل عن الخالق،
 و زاد الحث على التفكير و التهيج إليه و الإلهاب من أجله بقوله:
 ﴿لاولى الالباب لا﴾^٥ و ذكر سبحانه و تعالى في أخت^٦ هذه الآية في ١٠
 سورة البقرة ثمانية أنواع من الأدلة و اقتصر هنا على ثلاثة، لأن السالك
 يفتقر في ابتداء السلوك إلى كثرة الأدلة، فإذا استنار قلت حاجته إلى
 ذلك، و كان الإكثار من الأدلة كالحجاب الشاغل له عن استغراق
 القلب في لجج المعرفة، و اقتصر هنا من آثار الخلق على المساوية لأنها
 أقهر و أبهر و العجائب فيها أكثر، و انتقل القلب منها إلى عظمتها ١٥
 سبحانه و تعالى و كبرياته أشد و أسرع، و ختم تلك بما هو لأول السلوك:
 العقل^٧، و ختم هذه بلبه لأنها لمن تخلص من وساوس الشيطان و شوائب
 هواجس الوهم المانعة^٨ من الوصول إلى حق اليقين بل علم اليقين .

(١) في ظ: المشبهات (٢) في ظ: يبديع (٣) في ظ: ايقاع (٤) سقط من ظ.

(٥) من ظ و مد، و في الأصل: اخر (٦) في ظ: تلب (٧) سورة ٢ آية ١٦٤ .

(٨) في ظ و مد: البالغة.

ولما كان كل يميز يدعى أنه في الذروة من الرشاد نعتهم بما بين
من يعتد بعقله فقال: ﴿الذين يذكرون الله﴾ أى الذى ليس فى خلقه
لها ولا لغيرها شك، وله جميع أوصاف الكمال. ولما كان المقصود
الدوام وكان قد يتجاوز به عن الأكثر، عبر عنه لهذا التفصيل نفيًا
للاحتمال التجوز ودفعًا لدعوى العذر فقال: ﴿قيما وقعودا﴾ ولما
كان أكثر الاضطجاع على الجنب قال: ﴿وعلى جنوبهم﴾ أى فى
اشتغالهم بأشغالهم وفى وقت استراحتهم وعند منامهم، فهم فى غاية
المراقبة.

ولما بدأ من أوصافهم بما يجلو أصداء القلوب ويسكنها وينق عنها
الوساوس حتى استعدت لتجليات الحق وقبول الفيض^٢ بالفكر لانتفاء
قوة الشهوة وسورة الغضب^٣ وقهرهما^٤ وضعف داعية الهوى، فزالت
نزغات الشيطان وسواسه وخطرات النفس ومغالطات الوهم قال:
﴿ويتفكرون﴾ أى على الأحوال.

ولما كانت آيات المعرفة إما فى الآفاق وإما فى الأنفس، وكانت
١٥ آيات الآفاق أعظم "لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس"،
قال: ﴿فى خلق السموات والأرض﴾ على كبرهما واتساعهما وقوة^٥
ما فيهما^٦ من المنافع لحصر الخلائق فيعلمون - بما فى ذلك من الأحكام

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: استجلت (٢) من مد، وفى الأصل وظ: القبض.

(٣-٢) فى مد: فخرهما - كذا (٤) سورة. ٤ آية ٥٧ (٥) من ظ، وفى الأصل

ومد: قوت (٦) العبارة من هنا إلى «مع جرى» سقطت من ظ.

مع جرى ما فيها من الحيوان الذى خلقا لأجله على غير / انتظام - أن
وراء هذه الدار ' دارا ثبت ' فيها الحق و ينفى الباطل و يظهر العدل
و يضمحل الجور ، فيقولون تضرعا إليه و إقبالا عليه : ﴿ ربنا ﴾ أى
أيها المحسن إلينا ﴿ ما خلقت هذا ﴾ أى الخلق العظيم المحكم ﴿ باطلا ﴾
أى لأجل هذه الدار التى لا تفصل^٢ فيها على ما شرعت القضايا ، ه
ولا تنصف فيها الرعاة الرعايا ، بل إنما خلقته لأجل دار أخرى ، يكون
فيها محض العدل ، و يظهر فيها الفصل .

و لما كان الاختصار على هذه الدار مع ما يشاهده من ظهور
الأشعار نقصا ظاهرا و خلا بينا نزهوه^٣ عنه فقالوا : ﴿ سبّحك ﴾ وفى
ذلك تعليم العباد أدب^٤ الدعاء بتقديم^٥ [التناء قبله ، و تنبيه على ١٠
أن العبد كلما غزرت معرفته زاد خوفه فزاد تضرعه ، فانه يحسن منه
كل شيء من تعذيب الطائع و^٦ غيره ، و لو لا أن ذلك كذلك لكان
الدعاء بدفعه عبثا -^٧] ، و ما أحسن ختمها حين تسبب عما مضى تيقنهم^٨
أن أماننا دارا يظهر فيها العدل بما هو شأن كل أحد فى عيده^٩ ، فيعذب
فيها العاصى و ينعم فيها الطائع ، كما هو دأب كل ملك فى رعيته بقولهم ١٥

(١-١) من مد ، وفى الأصل : دار يتنبه ، وفى ظ : دارا ثبت - كذا (٢) فى ظ :
لا تفضل (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : نزهون (٤) سقط من ظ و مد .
(٥) زيد بعده فى الأصل : عييده ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) سقط
من ظ (٧) زيد ما بين الحاسجين من ظ و مد (٨) من مد ، وفى الأصل :
تعيّنهم ، وفى ظ : تعينهم - كذا .

رغبة في الخلاص في تلك الدار: ﴿فَقنا عذاب النار﴾ على وجه جمع بين ذكر العذاب المحتتم به آية محبي المحمدة بالباطل، و النار المحذر منها في "فن زحزح عن النار". ثم تعقبها^٢ [بقولهم - ٣] معظمين ما سألو دفعه من العذاب ليكون موضع السؤال أعظم، فيدل على أن الداعية في ذلك الدعاء أكمل وإخلاصه أتم، مكررين الوصف المقضى للاحسان مبالغة في إظهار الرغبة استمطارا للإجابة: ﴿ربنا﴾ وأكدوا مع علمهم بأحاطة علم المخاطب إعلاما بأن [حالمهم في - ٢] تقصيرهم حال^١ من أمن النار حثا لأنفسهم على الاجتهاد في العمل فقالوا: ﴿انك من تدخل النار﴾ أي للعذاب ﴿فقد اخزيته^٤﴾ أي أذلته وأهنته ١٠. إهانة عظيمة بكونه ظالما، و ختمها بقوله^٥: ﴿وما للظالمين من انصار﴾ الحاسم لطمع من يظن منهم أنه بمفازة من العذاب، و أظهر موضع الإضمار لتعليق الحكم بالوصف والتعميم.

ولما ابتهلوا^٦ بهاتين الآيتين في الإنجاء من النار توسلوا بذكر مسارعتهم إلى إجابة الداعي بقولهم^٧: ﴿ربنا﴾ ولما كانت حالهم - ١٥ لمعرفتهم بأنهم لا ينفكون^٨ عن تقصير وإن بالغوا في الاجتهاد، لأنه لا يستطيع أحد أن يقدر الله حق قدره - شديدة^٩ بحال من لم يؤمن؛ اقتضى

- (١) من مد، وفي الأصل: بحى، وفي ظ: بحى - كذا (٢) في ظ: تعقيبها .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) في ظ: دفعة (٥) في ظ: فيكون (٦) سقط من مد .
(٧) سقط من ظ (٨ - ٨) سقطت من ظ (٩) في ظ: لا يتفكرون .
(١٠) في ظ: شبهه .

المقام التأكيد إشارة إلى هضم أنفسهم بالاعتراف بذنوبهم فقالوا مع عليهم بأن المخاطب عالم بكل شيء: ﴿ اننا ﴾ فأظهروا النون إبلاغا في التأكيد ﴿ سمعنا متاديا ﴾ أى من قبلك ، وزاد في تفخيمه بذكر ما منه النداء مقيدا^١ بعد الإطلاق بقوله: ﴿ ينادى ﴾^٢ قال محمد بن كعب القرظي: هو القرآن ، ليس كلهم رأى النبي صلى الله عليه وسلم^٣.

و لما كانت اللام تصلح للتعليل ومعنى 'إلى' عبر بها فقليل: ﴿ للإيمان ﴾ ثم فسروه تفخيما له بقولهم: ﴿ ان آمنوا بربكم ﴾ ثم أخبر بمسارعتهم إلى الإجابة بقولهم: ﴿ فآمنوا ﴾ أى عقب السماع. ثم أزالوا ما^٤ ربما يظن من ميلهم إلى ربوة الإعجاب بقولهم تصرحاً بما أفهمه التأكيد لمن عليه محيط: ﴿ ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ﴾ أى التى أسلفناها قبل الإيمان ١٠ بأن تقبل منا الإيمان فلا تزيع قلوبنا ، فيكون جاباً لما قبله عندك كما كان جاباً له فى ظاهر الشرع ، وكذا ما فرط منا بعد الإيمان ولو كان بغير توبة ، وإليه الإشارة بقولهم: ﴿ وكفر عنا سيئاتنا ﴾ أى: بأن توقنا بعد تشريفك لنا بالإيمان لاجتباب الكبائر بفعل الطاعات المكفرة^٥ للصغائر ﴿ وتوفنا مع الأبرار ﴾ أى ليس لنا سيئات . ١٥

و لما كان الله سبحانه وتعالى هو المالك اتام الملك ، فهو ذو التصرف المطلق الذى لا يجب عليه شيء ، ولا يقبح منه شيء ؛ أشار إلى ذلك بقوله ملقنا لهم مكررا صفة الإحسان تنبيها على مزيد الابتهاال والتضرع

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل: معدا (٢-٢) سقطت من ظ و مد (٣) سقطت من ظ (٤) سقطت من ظ و مد (٥) فى ظ: المكفر .

نظم الدرر (سورة ال عمران ٣: ١٩٤ و ١٩٥) ج - ٥

و التخضع و التخشع : ﴿ ربنا و اتنا ما وعدتنا ﴾^١ ثم أشار إلى صدق هذا الوعد بحرف الاستعلاء الدال على الالتزام والوجوب فقال : ﴿ على رسلك ﴾ أى من إظهار الدين و النصر على الأعداء و حسن العاقبة و إیراث الجنة فى مثل قوله تعالى ” و بشر الذين آمنوا و عملوا الصلح ان لهم جنّۃ“^٢ و فى الدعاء بذلك إشارة إلى أنه لا يجب^٣ على الله سبحانه و تعالى شيء ولو تقدم به وعده^٤ / الصادق و إن كنا نعتقد أنه لا يدل القول لديه ﴿ و لا تخزنا يوم القيمة ﴾^٥ أى بالمواخذة بالسيئات ، ثم أرشدهم إلى الإلهاب و التهيج مع التنبيه على ما به عليه أولاً من أنه لا يجب عليه شيء بقوله باسقاطهم بلذة المذاممة بالمخاطبة^٦ : ﴿ انك لا تخلف ١٠ الميعاد ﴾ .

/ ٤٤٣

و لما تسبب عن هذا الدعاء الإجابة^٧ لتكمل شروطه و هى استحضار عظمته [تعالى بعد معرفته بالدليل و إدامة ذكره و التفكير فى بدائع صنعه و افتتاحه بالثناء عليه سبحانه و تنزيهه و الإخلاص فى سؤاله -^٨] قال : ﴿ فاستجاب ﴾ أى فأوجد الإجابة حتماً ﴿ لهم ﴾ قال الأصفهاني : ١٥ و عن جعفر الصادق : من حزبه أمر فقال خمس مرات ” ربنا “ أنجاه الله مما يخاف ، و أعطاه ما أراد - و قرأ هذه الآية . و أشار إلى أنها من^٩ (١-١) سقطت من مد (٢) سورة ٢ آية ٢٥ ، و زيد بعده فى ظ ” تجرى من تحتها “ (٣) فى مد : لا تجب (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : المخاطبة (٦) وقع فى ظ : الا - كذا مقطوعاً (٧) زيد ما بين الحازرين من ظ و مد (٨) سقط من ظ و مد .

منه وفضله بقوله ^١: ﴿ ربهم ﴾ أى المحسن إليهم المتفضل عليهم ﴿ انى
 لا اضيع عمل عامل منكم ﴾ كائنا من كان ﴿ من ذكر او اثنى ﴾
 وقوله معللا: ﴿ بعضكم من بعض ﴾ التفات ^٢ إلى قوله "سبحانه
 " ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم " الناظر إلى قوله ^٣ " ذرية بعضها
 من بعض " المفتوح بأن الله سبحانه وتعالى " اصطفى ادم ونوحا " ^٥
 المنادى بأن البشر كلهم فى العبودية للواحد - الذى ليس كمثل شئ الحى
 القيوم - سواء من غير تفاوت فى ذلك أصلا ، والمراد أنهم إذا كانوا
 مثلهم فى النسب فهم مثلهم فى الأجر على العمل .

ولما أقر أعينهم بالإجابة ، وكان قد تقدم ذكر الانصار عموما
 فى قوله " ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم - وان الله
 لا يضيع أجر المؤمنين " ^٥ خص المهاجرين بيانا لفضلهم وزيادة شرفهم
 بتحقيقهم لكونهم معه ، لم يأنسوا بغيره ولم يركنوا لسواه من أهل
 ولا مال بقوله مسيا عن الوعد المذكور ومفصلا ومعتبرا ومجلا ^٦:
 ﴿ فالذين هاجروا ﴾ أى صدقوا إيمانهم بمفارقة أحب الناس إليهم
 [فى الدين المؤدى إلى المقاطعة - ^٧] وأعز البلاد عليهم . ^{١٥}

ولما كان للوطن من القلب منزل ^٨ ليس لغيره نبه عليه بقوله:
 ﴿ واخرجوا من ديارهم ﴾ أى ^٩ وهى أثر المواطن عندم بعد أن

(١) فى ظ : بقولهم (٢) فى ظ : التفاوت (٣-٣) سقطت من ظ (٤) فى ظ :
 الانضمار - كذا (٥) - سورة ٣ آية ١٧٠ و ١٧١ (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل :
 مجلا (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٨) فى ظ : لنزل (٩) سقط من ظ .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٩٥ و ١٩٦) ج - ٥

باعدوا أهلهم وهم أقرب الخلائق إليهم، ولما كان الأذى مكروها
لنفسه لا بالنسبة إلى معين بنى للفعول قوله: ﴿واودوا﴾ أى بغير ذلك
من أنواع الأذى ﴿فى سبيل﴾ أى بسبب دينى الذى نهجته لیسلك
إلى فيه، وحكمت أنه لا وصول إلى رضائى بدونہ^٢ ﴿وقتلوا﴾ أى
٥ فى سبيل .

ولما كان القتل نفسه هو المكروه^٣، لا بالنسبة إلى معين؛ كان المدح
على اقتحام موجباته، فبنى للفعول قوله: ﴿وقتلوا﴾ أى فيه . فخرجوا
بذلك عن مساكن أرواحهم بعد النزع^٤ عن منازل أشباحهم، وقراءة
حمزة والكسائى بتقديم المبنى للفعول أبلغ معنى، لأنها أشد ترغيبا فى
١٠ الإقدام على الأخصام، لأن من استقتل^٥ أقدم على الغمرات إقدام
الأسد قتل^٦ أخص منه^٧ ولم يقف أحد أمامه، فكأنه قيل^٨:
وأرادوا^٩ القتل، هذا^{١٠} بالنظر إلى الإنسان نفسه، ويجوز أن يكون
الخطاب للجموع^{١١} فيكون المعنى: وقاتلوا بعد أن رأوا كثيرا من
أصحابهم قد قتل ﴿لا كفرن عنهم سيئاتهم﴾ كما تقدم سؤلهم إياى
١٥ فى ذلك علما منهم بأن أحدا لن يقدر على أن يقدر الله حق قدره

(١) من مد، وفى الأصل و ظ : بهجته (٢) زيد بعده فى الأصل : معللا،
ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٣) زيدت الواو بعده فى ظ و مد .
(٤) من مد، وفى الأصل : النزول، وفى ظ : البروح (٥) فى الأصول : استقل .
(٦) فى ظ : فليل (٧) سقط من مد (٨) من ظ و مد، وفى الأصل : قتل (٩-١٠) من
ظ و مد، وفى الأصل : بالقتل بدا (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل : لجموع .

وإن

وإن اجتهد ﴿و لا دخلهم﴾ أى بفضل ﴿جنت تجرى من تحتها الأنهر﴾^٥
 كما سبق به^١ الوعد ﴿ثوابا﴾ وهو وإن كان على أعمالهم فهو فضل
 منه، وعظمه بقوله: ﴿من عند الله ط﴾ أى المنعوت بالأسماء الحسنى
 التى منها الكرم والرحمة لأن أعمالهم لا توازى أقل نعمه ﴿والله﴾
 أى الذى له^٢ الجلال والإكرام^٣، ونبه على عظمة المحدث عنه بالعندية^٥
 فقال: ﴿عنده﴾ أى فى خزائن ملكوته التى هى فى غاية العظمة
 ﴿حسن الثواب ه﴾ أى وهو ما لا شائبة كدر فيه، لأنه شامل
 القدرة بخلاف غيره.

ولما كانت هذه المواعدة^٤ آجلة، وكان نظرهم إلى ما فيه الكفار
 من عاجل السعة ربما أثر فى بعض النفوس أثرا يقدر فى الإيمان بالغيب^{١٠}
 الذى هو شرط قبول الإيمان؛ داواه^٥ سبحانه بأن تلاقى^٦ تبشير^٧ المجاهدين
 بأنذار الكفار المنافقين والمصارحين الذين أملى لهم بخذلانهم المؤمنين
 بالرجوع عن قتال أحد وغيره من أسباب الإملاء على وجه يصدق
 ما تقدم أول السورة من الوعد بأنهم سيغلبون، وأن أموالهم إنما هى
 صورة، [لا -^٨] حقائق لها، عطفًا لآخرها على أولها، وتأكيدًا لاستجابة^{١٥}
 دعاء أوليائه آخر التى قبلها بقوله - مخاطبًا لأشرف عباده، والمراد من

(١) فى ظ: فيه (٢) زيد بعده فى الأصل: ذو، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد
 فخذناها (٣) فى ظ ومد: الجمال (٤) فى مد: المواعيد (ه) فى ظ: داوه، وفى
 مد: دواه - كذا (٦) سقط من ظ (٧) من مد، وفى الأصل: بتبشير، وفى
 ظ: تيسير (٨) زيد من ظ ومد.

يمكن ذلك عادة فيه ، لأن خطاب الرئيس أمكن في خطاب الاتباع :-
 (لا يعزك قلب) أى لا تغترر بتصرف (الذين كفروا) تصرف
 من يقلب الأمور بالنظر في عواقبها لسلامتهم ' في تصرفهم و فوائدهم
 و جودة ما يقصدونه ' في الظاهر بجودة القلب في البدن (في البلاد)
 ٥ فان قلبهم (متاع قليل) أى لا يعاب به ذو همة عليه ، و عبر بأداة
 التراخي إشارة إلى أن تمتيعهم - وإن فرض أنه طال زمانه و علا شأنه -
 تافه ؛ لزواله ثم عاقبته ، و إلى هول تلك العاقبة و تنهى عظمتها ، فقال :
 (ثم ماؤهم) أى بعد التراخي إن قدر * (جهنم ط) أى الكريهة
 المنظر . الشديدة الأحوال ، العظيمة الأوجال ، لا مهاد لحم غيرها (و لبس
 ١٠ المهاد) أى الفراش الذى يوطأ و يسهل للراحة و الهدوء .

و لما بين بآية المهاجرين أن النافع من الإيمان هو الموجب للثبات
 عند الامتحان . و كانت تلك الشروط قد لا توجد ، ذكر وصف التقوى
 العام للأفراد الموجب للاسعاد ، فعقب تهديد الكافرين بما لاضدادهم
 المتقين الفائزين بما تقدم الدعاء إليه بقوله تعالى " قل انبئكم بخير من
 ١٥ ذلكم " فقال تعالى : (لكن الذين اتقوا ربهم) أى أوقعوا الاتصاف
 بالتقوى بالاتتمار بما أمرهم به * المحسن إليهم و * الانتهاء عما نهام شكرا

(١) في ظ : تمكن (٢) من مد ، و في الأصل و ظ : بسلامتهم (٣) من ظ
 و مد ، و في الأصل : يصدقونه (٤) من مد ، و في الأصل و ظ : تافه (٥) سقط
 من ظ (٦) من ظ و مد و القرآن المجيد ، و في الأصل : لبس .

لإحسانه^١ و خوفا من عظم شأنه ﴿ لهم جنات ﴾ و ألى^٢ جنات ،
ثم وصفها بقوله : ﴿ تجري من تحتها الأنهر ﴾ تعريفا بدوام تنوعها^٣
وزهرتها و عظيم بهجتها .

و لما وصفها بضد ما عليه النار وصف قلوبهم فيها بضد ما عليه
الكفار من كونهم في ضيافة الكريم الغفار فقال : ﴿ خلدين فيها ﴾ و لما كان ه
الزل ما يعد للضيف عند نزوله قال معظما ما لمن يرضيه : ﴿ نزلا ﴾
و لما كان الشيء يشرف بشرف^٤ من هو من عنده نبه على عظمته بقوله :
﴿ من عند الله ﴾ مضيفا إلى الاسم الأعظم ، و أشار بجعل الجنات
كلها نزلا إلى التعريف بعظيم ما لهم بعد ذلك عنده سبحانه من النعيم
الذى لا يمكن الآدميين [وجه - °] الاطلاع على حقيقة وصفه ، ١٠
و لهذا قال معظما - لأنه لو أضمر لظن الاختصاص بالزل - : ﴿ و ما عند الله ﴾
أى الملك الأعظم من الزل و غيره ﴿ خير للابرار ه ﴾ مما فيه الكفار
و من كل ما يمكن أن يخطر بالبال من النعيم .

و لما كان للمؤمنين من أهل الكتابين - مع التشرف بما كانوا عليه
من الدين [الذى - ١] أصله حق - حظ^٥ من الهجرة ، فكانوا قسما ثانيا ١٥
من المهاجرين ، و كان إنزال كثير من هذه السورة في مقابلة أهل
الكتاب و مجادلهم و التحذير من مخاللتهم^٦ و مخادعتهم و الإخبار - بأنهم
(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لإحسانهم (٢) من ظ و مد ، أى النعمة ، و فى
الأصل : أى (٣) من ظ ، و فى الأصل : نوعها ، و فى مد : يتوعها - كذا (٤) سقط
من ظ (٥) زيد من مد (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : مخاللتهم .

نظم الدرر (سورة آل عمران ٣: ١٩٩ و ٢٠٠) ج - ٥

يغضون^١ المؤمنين مع محبتهم لهم، وأنهم لا يؤمنون بكتبهم، وأنهم
 سيسمعون منهم أذى كثيرا إلى أن وقع الحتم في أرضهم بأنهم اشتروا
 بآيات الله ثمنا قليلا - ربما أياس من إيمانهم؛ أتبع ذلك مدح مؤمنهم^٢،
 وغير الأسلوب عن أن يقال مثلا: والذين آمنوا من أهل الكتاب -
 ٥ إطماعا في موالاتهم بعد التدريب بالتحذير منهم على مناوأتهم [وملاواتهم-]^٣
 فقال: ﴿وان من أهل الكذب﴾ أي اليهود والنصارى ﴿لمن
 يؤمن بالله﴾ أي [الذي-^٤] حاز صفات الكمال، وأشار إلى الشرط
 المصحح^٥ لهذا الإيمان بقوله: ﴿وما أنزل اليكم﴾ [أي-^٦] من
 هذا القرآن ﴿وما أنزل اليهم﴾ أي كله، فيدعن لما بأسر منه باتباع
 ١٠ هذا النبي العربي، وإليه الإشارة بقوله جامعا للنظر إلى معنى 'من'
 تعظيما لوصف الخشوع بالنسبة إلى مطلق الإيمان^٧: ﴿خشعين لله﴾
 أي لأنه الملك الذي لا كفوء له، غير مستكفين عن نزل المؤلف
 ﴿لا يشتركون بآيت الله﴾ أي التي متى تأملوها علموا أنه لا يقدر عليها
 إلا من أحاط بالجلال والجمال، الآمرة لهم بذلك ﴿ثمنا قليلا﴾
 ١٥ بما هم^٨ عليه من الرئاسة ونفوذ الكلمة - كما تقدم قريبا في وصف
 معظمهم، فهم يبينونها^٩ ويرشدون إليها ولا يحرفونها.

(١) في ظ ومد: ينقصون (٢) في ظ ومد: مومنهم (٣) زيد من مد، وموضعه
 في ظ: وملاقاتهم (٤) سقط من ظ ومد (٥) زيد من ظ ومد (٦) من
 ظ ومد، وفي الأصل: الصحيح (٧) سقط من ظ (٨-٨) من ظ ومد،
 وفي الأصل: فمالهم (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: يسبونها.

و لما أخبر تعالى عن حسن ترحمهم إليه أخبر عن جزائهم عنده بما يسر النفوس ويبعث الهمم فقال: ﴿اولئك﴾ أى العظمى الرتبة ﴿لهم اجرهم﴾ أى الذى يؤملونه، ثم زادهم فيه رغبة تشريكه بقوله: ﴿عند ربهم﴾ أى الذى رباهم ولم يقطع إحسانه لحظة عنهم، كل ذلك تعظيما له من حيث أن لهم الأجر مرتين .

و لما اقتضت هذه التأكيدات المبشرات إنجاز الأجر وإتمامه وإحسانه، و كان قد تقدم أنه تعالى يؤتى كل أحد^١ من ذكر وأنثى أجره، ولا يضيع شيئا، ويجازى المسيء والمحسن، وكانت^٢ العادة قاضية بأن كثرة الخلق سبب لطول زمن الحساب، وذلك^٣ سبب لطول الانتظار، وذلك سبب لتعطيل^٤ الإنسان عن مهماته ولضيق صدره بتفرق عزمه وشتاته^٥ كان ذلك محل عجب يورث توهم ما لا ينبغي، فأزال هذا التوهم بأن أمره تعالى على غير ذلك لأنه لا يشغله شأن عن شأن بقوله: ﴿ان الله﴾ أى بماله من الجلال والعظمة والكمال (سريع الحساب^٥) .

و لما كثر فى هذه الآيات الأمر بمقاساة الشدائد وتجرع مرارات^٦ ١٥ الأذى واقتحام الحروب واستهانة عظام الكروب، والحث على المعارف الإلهية والآداب الشرعية من الأصول والفروع انخلاعا من المألوفات

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: احسانهم (٢) سقط من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل: لا، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٤) فى ظ: سبلك (٥) فى ظ: لتفضيل (٦) فى الأصل و مد: شتاته، وفى ظ: ساته (٧) فى ظ: مراوت .

إلى ما يأمر به سبحانه من الطاعات، و ختم بتجرع فرقة من أهل الكتاب
 لتلك المرات كانت نتيجة ذلك لا محالة قوله تعالى منها على عظمة
 ما يدعو^١ إليه لأنه شامل لجميع الآداب^٢ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى
 بكل ما ذكرنا فى هذه السورة ﴿اصبروا﴾ أى أوقعوا الصبر تصديقا
 ٥ لإيمانكم على كل ما ينبغى الصبر عليه مما تكرهه النفوس مما^٣ دعتمكم
 إليه الزهراوان ﴿و صابروا﴾ أى أوجدوا المصابرة للأعداء من الكفار
 والمنافقين وسائر العصاة، فلا يكونن^٤ على باطلهم أصبر منكم على حقكم
 ﴿ورابطوا﴾ أى بأن تربطوا فى الثغور خيلا تكون بازاء ما لهم
 من الخيول إرهابا لهم و حذرا منهم - هذا أصله، ثم صار الرابط^٥ يطلق
 ١٠ على المكث فى الثغور لأجل الذب عن الدين ولو لم تكن^٦ خيول،
 بل [و -^٧] تطلق على المحافظة على الطاعات، ثم أمر بملاك ذلك كله
 فقال : ﴿واتقوا الله﴾ أى فى جميع ذلك بأن تكونوا مراقبين له ،
 مستحضرين لجميع ما يمكنكم أن تعلموه من عظمته بنعمته ونقمته
 ﴿اعلمكم تفلحون^٨﴾ أى ليكون [حالك^٩ -^{١٠}] حال من يرجى فلاحه
 ١٥ و ظفره بما يريد من النصر على الأعداء و الفوز بعيش الشهداء^{١١}، وهذه
 الآية - كما ترى - معللة بشرط استجابة الدعاء^{١٢} بالنصرة على الكافرين ،

(١) فى ظ : يدعون (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : الاداء (٣) من ظ
 و مد ، وفى الأصل : ما (٤) فى ظ : فلا تكون (٥) فى ظ : الرابط (٦) من
 ظ و مد ، وفى الأصل : لم يكن (٧) زيدت الواو من ظ و مد (٨) زيد من
 ظ و مد (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : السعداء (١٠) سقط من ظ .

المختتم به البقرة "فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا الى
وليؤمنوا بي لعالمهم يرشدون" داعية الى تذكير اولى الالباب بالمرآة
للوحد الحى القيوم الذى لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء
فى اتباع آياته ومعاداة أعدائه، كما أن التى قبلها فيمن آمن بجميع
الكتب: هذا القرآن المصدق^٢ [لما - ٢] بين يديه والتوراة والإنجيل،^٥
كل ذلك للفوز بالفرقان بالنصر و تعذيب أهل الكفر بأيديهم تمكيناً
من الله - والله عزيز ذو انتقام - رداً^٦ للقطع على المطلع على أحسن
وجه^٧ - والله أعلم بالصواب^٨ وعنده حسن المآب^٩:

سورة النساء

مقصودها الاجتماع على التوحيد الذى هدت إليه آل عمران،^{١٠}
والكتاب الذى حدث عليه البقرة لأجل الدين الذى جمعه الفاتحة
تحذيراً مما أرادته شأس^{١١} بن قيس وأظاؤه من الفرقة، وهذه / السورة
من أواخر^{١٢} ما نزل، روى البخارى فى فضائل القرآن عن يوسف بن
ماهلك أن عراقياً سأل أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن تریه
مصحفها، فقالت: لم؟ قال: لعل أولف^{١٣} القرآن عليه، فانه يقرأ^{١٥}

(١) آية ١٨٦ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ: بمكننا - كذا.
(٥) سقط من مد (-) من مد، وفى الأصل وظ: وذا (٦) زيد فى الأصل ومد:
وابدع، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٨-٨) سقط من ظ ومد (٩) مدنية،
وعدة آياتها عند الشاميين مائة وسبع وسبعون، وعند الكوفيين ست وسبعون،
وعند الباقيين خمس وسبعون (١٠) فى مد: ساس - كذا (١١) من ظ ومد،
وفى الأصل: الاواخر (١٢) من ظ ومد وصحيح البخارى، وفى الأصل:

غير مؤلف^١، قالت: وما يضرك أيّه قرأت^٢ قبل، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها^٣ ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام. ولو نزل أول شيء 'لا تشربوا' الخمر' لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل 'لا تزنوا' لقالوا: لا ندع الزنا أبدا، لقد نزل بمكة^٤ على محمد^٥ وإني لجارية ألب وبل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر^٦ " وما نزلت^٧ سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف فأملت عليه آي السور^٨ - انتهى. وقد عنت بهذا رضى الله عنها أن القرآن حاز أعلى^٩ البلاغة في إنزاله مطابقا لما تقتضيه^{١٠} الأحوال بحسب الأزمان، ثم رتب على أعلى^{١١} وجوه البلاغة بحسب ما تقتضيه^{١٢} المفاهيم من المقال^{١٣} - كما نشاهده من هذا الكتاب البديع المثال البعيد المثال.

ولما كان مقصودها الاجتماع على ما دعت^{١٤} إليه السورتان قبلها

-
- (١) من ظ و مد و الصحيح، وفي الأصل: موافقة (٢) من مد و الصحيح، وفي الأصل وظ: قريب (٣) من ظ و مد و الصحيح، وفي الأصل: منها. (٤) في ظ: لا يشربوا (٥) في ظ: خمر (٦) سقط من ظ (٧) ومن هنا إلى ص ١٧٢ أسستنا المتن على ظ لكون الأصل في غاية الانطماس (٨-٨) من مد و الصحيح، وفي ظ: وقد انزلت (٩) من مد و الصحيح، وفي ظ و هامش الصحيح: السورة (١٠) من مد، وفي ظ: على (١١) من مد، وفي ظ: يقتضيه، وزيد فيه بعده: في، ولم تكن الزيادة في مد فحذفناها (١٢) من مد، وفي ظ: يقتضيه. (١٣) في مد: الحال (١٤) من مد، وفي ظ: دلت.

من التوحيد ، و كان السبب الأعظم في الاجتماع [و - '] التواصل
عادةً الأرحام العاطفة التي مدارها النساء سميت 'النساء' لذلك ، ولأن
بالاتقاء فيهن تتحقق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد (بسم الله)
الجامع لشتات الأمور باحسان التزامج^٢ في لطائف المقدور (الرحمن)
الذي جعل الأرحام رحمة عامة (الرحيم هـ) الذي خص من أراد هـ
بالتواصل على ما دعا إليه دينه الذي جعله^٣ نعمة تامة .

لما تقرر أمر ' الكتاب الجامع الذي هو الطريق ، وثبت الأساس
الحامل الذي هو التوحيد احتيج إلى الاجتماع على ذلك ، فجاءت هذه
السورة داعية إلى الاجتماع والتواصل والتعاطف والتراحم فابتدأت^٤
بالنداء العام لكل الناس ، وذلك أنه لما كانت أمهات الفضائل - كما
تبين في علم الأخلاق - أربعا : العلم والشجاعة والعدل والعفة ، كما يأتي
شرح ذلك في سورة لقمن عليه السلام ، وكانت^٥ ال عمرن داعية
مع ما ذكر من مقاصدها إلى اثنتين^٦ منها ، وهما العلم والشجاعة - كما
أشير إلى ذلك في غير آية " نزل عليك الكتاب بالحق " ، " وما يعلم
تأويله الا الله والرسخون في العلم " ، " شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
واولو العلم " ، " ولا تهنوا ولا تحزنوا واتم الاعلون ان كنتم مؤمنين " ،
" فإوهنوا لما أصابهم في سبيل الله " ، [" فاذا عزمتم فتوكل على الله " ،

(١) زيدت الواو من مد (٢) من مد ، وفي ظ : التجاوز (٣) زيد في ظ :
تامة ، ولم تكن الزيادة في مد لحذفها (٤) من مد ، وفي ظ : من (هـ) في مد :
فابتدأت (٦) من مد ، وفي ظ : كما نزلت (٧) من مد ، وفي ظ : اثنتين .

”ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله -^١ [امواتا] - الآية، ”الذين استجابوا لله و الرسول من بعد ما اصابهم القرح“، ”يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا“ - الآية، وكانت قصة أحد قد أسفرت عن أيتام استشهد مورثوهم في حب الله، وكان من أمرهم في الجاهلية منع أمثالهم من الإرث جوراً عن سواء السبيل وضلالاً عن أقوم الدليل؛ جاءت هذه السورة داعية إلى الفضيلتين الباقيتين، وهما العفة والعدل مع تأكيد الحاصلتين الآخرين^٢ حسبما تدعو إليه المناسبة، وذلك مشعراً للتواصل بالإحسان، التعاطف باصلاح الشأن للاجتماع على طاعة الديان، فقصودها الأعظم الاجتماع على الدين بالاقتداء بالكتاب المبين، وما

١٠ أحسن ابتداءها بعموم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ بعد اختتام تلك بخصوص ”يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا [و صَابِرُوا] - الآية .

ولما اشتملت هذه السورة على أنواع كثيرة^٣ من التكليف، منها التعطف على الضعاف بأمور كانوا قد مروا على خلافها، فكانت في غاية^٤ المشقة على النفوس، وأذن بشدة الاهتمام بها بافتتاح السورة

١٥ واختتامها بالحث عليها قال: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي سيدكم ومولاكم المحسن إليكم بالتربية بعد الإيجاد، بأن تجعلوا بينكم وبين سخطه وقاية، لئلا يعاقبكم بترك إحسانه إليكم / فيزل بكم كل بؤس . ابتداء هذه ببيان

/ ٤٤٧

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد والقرآن المجيد (٢) من مد، وفي ظ: الآخرين (٣) من مد، وفي ظ: مستمر (٤) وإلى هنا انتهى تأسيس ظ متنا (٥) زيد من مد والقرآن المجيد (٦) في مد: كبيرة (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: غايته - كذا: كيفية (٤٣)

كيفية ابتداء الخلق حثا على أساس^١ التقوى من العفة والعدل فقال :
 ﴿الذى﴾ جعل بينكم غاية الوصلة لئلا تراعوها ولا تضيعوها^٢ ، وذلك
 أنه ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ هي أبوكم آدم عليه الصلاة والسلام
 مذكرا^٣ بعظيم قدرته ترهيبا للعاصي وترغيبا للطائع توطئة للأمر بالإرث،
 وقد جعل سبحانه الأمر بالتقوى مطلعا لسورتين : هذه وهي رابعة ٥
 النصف الأول ، والحج وهي رابعة النصف الثاني ، وعلل الأمر بالتقوى
 في هذه بما دل على كمال قدرته وشمول عله وتام حكمته من أمر
 المبدأ ، وعلل ذلك في الحج بما صور المعاد^٤ تصويرا لا مزيد عليه ،
 فدل [فيها - ٦] على المبدأ والمعاد تنبيها على أنه محط الحكمة ، ما خلق
 الوجود [إلا - ٦] لأجله ، لتظهر^٥ الأسماء الحسنى والصفات العلى ١٠
 أتم^٦ ظهور يمكن البشر الاطلاع عليه ، ورتب ذلك على الترتيب
 الأحكم ، فقدم سورة المبدأ على سورة المعاد لتكون الآيات المتلوة طبق
 الآيات المرئية ، وأبدع من ذلك كله وأدق أنه لما كان أعظم مقاصد
 السورة الماضية المجادلة في أمر عيسى ، وأن مثله كمثل آدم عليهما الصلاة
 والسلام ، وكانت حقيقة حاله أنه ذكر^٧ تولد من أنثى فقط بلا واسطة ذكر؛ ١٥

(١) في ظ : اثاث - كذا (٢) من مد ، وفي الأصل و ظ : لا يضيعوها .

(٣) من مد ، وفي الأصل و ظ : مذكر (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ :

لما (٥) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ و مد فحذفناها (٦) زيد

من ظ و مد (٧) من مد ، وفي الأصل : يتظهر ، وفي ظ : ليظهر (٨) من ظ

و مد ، وفي الأصل : ثم .

بين في هذه السورة بقوله - عظما على ما تقديره جوابا لمن كأنه قال: كيف كان ذلك؟ - إنشاء تلك النفس، أو تكون 'الجملة حالية - :
 ﴿وخلق منها زوجها﴾ أى مثله في ذلك أيضا كمثل حواء: أمه، فانها أنثى تولدت من ذكر بلا واسطة أنثى، فصار مثله كمثل^٢ كل من أبيه و أمه: آدم و حواء معا عليهما الصلاة و السلام، و صار الإعلام بخلق آدم و زوجته و عيسى عليهم الصلاة و السلام - المندرج تحت آية^٣ "بعضكم من بعض" مع آية البث التي بعد هذه - حاصرا^٤ للقسمه الرباعية العقلية التي لا مزيد عليها، و هى بشر لا من ذكر و لا أنثى، بشر منهما، [بشر -^٥] من ذكر فقط، بشر من أنثى فقط؛ و لذلك عبر في هذه السورة بالخلق، و عبر في غيرها بالجعل، لخلو السياق عن هذا الغرض، و يؤيد هذا أنه قال تعالى في أمر يحيى عليه الصلاة و السلام "كذلك الله يفعل ما يشاء"^٦ و في أمر عيسى عليه الصلاة و السلام "يخلق ما يشاء"^٧ و أيضا فالسياق هنا للترهيب الموجب للتقوى، فكان بالخلق الذى هو أعظم في إظهار الاقتدار - لأنه اختراع الاسباب و ترتيب المسببات عليها -
 ١٥ أحق من الجعل الذى هو ترتيب المسببات على أسبابها و إن لم يكن اختراع - فسبحان العزيز العليم العظيم الحكيم!

و لما ذكر تعالى الإنشاء عبر بلفظ الرب الذى هو من الترية، و لما

(١) في ظ: يكون (٢) من مد، و في الأصل و ظ: مثل (٣) سقط من ظ .

(٤) سورة ٣ آية ١٩٥ (٥) من ظ و مد، و في الأصل: حاضرا (٦) زيد من

ظ و مد (٧) سورة ٣ آية ٤٠ (٨) سورة ٣ آية ٤٧ .

كان الكل - المشار إليه بقوله تعالى عطفًا على ما تقديره: و بث لكم منه إليها: ﴿و بث منها﴾ أى فرق ونشر 'من التوالد'، ولما كان المبوث قبل ذلك عدما وهو الذى أوجده من العدم نكر^٢ لإفهام ذلك قوله: ﴿رجالا كثيرا ونساء ج﴾ - من نفس واحدة؛ كان إحسان^٣ كل من الناس إلى كل منهم من صلة^٤ الرحم، و^٥ وصف الرجال دونهن ٥ مع أنهن أكثر منهم إشارة إلى أن لهم عليهن درجة، فهم أقوى وأظهر وأطيب وأظهر فى رأى العين لما لهم من الانتشار وللنساء من الاختفاء والاستتار.

ولما كان قد أمر سبحانه وتعالى أول الآيات بتقواه مشيرا إلى أنه جدير بذلك منهم لكونه ربهم، عطف على ذلك الأمر أمرا آخر مشيرا ١٠ إلى أنه^٦ يستحق ذلك لذاته لكونه الحاوى لجميع الكمال المنزه عن كل شائبة نقص فقال: ﴿واتقوا الله﴾ أى عموما لما له من إحاطة الأوصاف كما اتقيتموه خصوصا لما له إليكم من الإحسان والتربية، واحذروه وراقبوه فى أن تقطعوا أرحامكم التى جعلها سببا لتريتمكم.

ولما كان المقصود من هذه السورة المواصلة وصف^٧ نفسه المقدسة ١٥

بما يشير إلى ذلك فقال: ﴿الذى تسألون﴾ أى يسأل / بعضكم بعضا ٤٤٨ / ﴿به﴾ فانه لا يسأل باسمه الشريف المقدس إلا الرحمة والبر والعطف،

(١-١) فى مد: بالتوالد (٢) فى ظ: يكن (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: احصان.

(٤) من ظ ومد، وفى الأصل: اصنة (٥) سقطت الواو من ظ (٦-٦) سقطت

من ظ (٧) من مد، وفى الأصل وظ: وصل.

ثم زاد المقصود إيضاحا فقال: ﴿و الأرحام﴾ أي [و - ١] اتقوا
 قطعة الأرحام التي تساءلون بها، فانكم تقولون: ناشدتك بالله والرحم!
 وعلل هذا الأمر بتخويفهم عواقب بطشه، لأنه مطلع على سرهم
 وغلثهم مع ما له من القدرة الشاملة. فقال مؤكدا لأن أفعال الناس
 ٥ في ترك التقوى وقطعة الأرحام أفعال^٢ من يشك في أنه بعين الله سبحانه:
 ﴿ان الله﴾ أي المحيط علما وقدره ﴿كان عليكم﴾ وفي أداة الاستعلاء
 ضرب من التهديد ﴿رقيبا﴾ وخفض حمزة "الأرحام" المقسم بها
 تعظيما لها وتأكيذا للتنبيه على أنهم قد نسوا الله في الوفاء بحقوقها - كما
 أقسم^٣ بالنجم والتين، وغيرهما، [والقراءتان - ٥] مؤذنتان^٤ بأن
 ١٠ صلة الأرحام من الله بمكان عظيم، حيث قرنها باسمه سواء كان عظما -
 كما شرحته آية "وقضى ربك ان لا تعبدوا إلا اياه"^٥ وغيرها - أركان
 قسما، واتفق المسلمون على أن صلة الرحم واجبة، وأحقهم بالصلة
 الولد، وأول صلته أن يختار له الموضع^٦ الحلال.

ولما بان من هذا تعظيمه لصلة الرحم بجعلها في سياق ذكره سبحانه
 ١٥ و تعالى المعبر عنه باسمه الأعظم - كما فعل نحو ذلك في غير^٧ آية، وكان

(١) زيدت الواو من مد (٢) من مد، وفي الأصل وظ: نقال - كذا.
 (٣) من مد، وفي الأصل وظ: قسم (٤) من مد، وفي الأصل: البر،
 وقد سقط من ظ (٥) زيد من مد (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: موديان -
 كذا (٧) سورة ١٧ آية ٢٣ (٨) من مد، وفي الأصل وظ: الوضع (٩) زيد
 بعده في الأصل ومد: ما، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها.

قد تقدم في السورة الماضية ذكر قصة أحد التي انكشفت عن أيتام^١،
ثم ذكر في قوله تعالى " كل نفس ذائقة الموت " أن الموت مشرع^٢ لا بد
لكل نفس من وروده؛ علم أنه لا بد من وجود الأيتام في كل وقت،
فدعا إلى العفة و العدل فيهم لأنهم بعد الأرحام أولى من يتقى الله فيه^٣
و يخشى مراقبته بسببه فقال: ﴿ وَاَتُوا الْيَتَامَى ﴾ أي الضعفاء الذين ه
انفردوا عن آبائهم، و أصل اليتيم؛ الانفرد ﴿ اموالهم ﴾ أي هيئوها
بحسن التصرف فيها لأن توتوهم إياها بعد البلوغ - كما يأتي، أو يكون
الإيتاء^٤ حقيقة و اليتيم باعتبار ما كان، أو باعتبار الاسم اللغوي
و هو مطلق الانفرد، و ما أبدع إيلاءها للآية الآمرة بعد عموم تقوى
الله بخصوصها^٥ في صلة الرحم المحتمة بصفة الرقيب^٦ لما لا يخفى من ١٠
أنه لا حامل على العدل في الأيتام إلا المراقبة، لأنه لا^٧ ناصر لهم، و قد
يكونون ذوى رحم.

و لما أمر بالعفة في أموالهم أتبعه تقييح^٨ الشره^٩ الحامل للغافل^{١٠}
على لزوم المأمور به فقال: ﴿ وَلَا تَبْدُلُوا ﴾ أي تكلفوا أنفسكم أن
تأخذوا على وجه البديلة ﴿ الخبيث ﴾ أي من الخبائث التي لا أخبث منها، ١٥

- (١) من ظ و مد، وفي الأصل: الأيتام (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: مشروع.
- (٣) في مد: فيهم (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: اليتيم (٥) في ظ: الاتيان.
- (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: نخصوصها (٧) سقط من ظ (٨) من مد،
- وفي الأصل: بقيق، وفي ظ: بفتح - كذا (٩) من ظ و مد، وفي الأصل:
- العشرة (١٠) في مد: لغافل.

لأنها تذهب بالمقصود من الإنسان، فتهدم جميع أمره ﴿بالطيب ص﴾
 أى الذى هو [كل - ١] أمر يحمل على معالى الاخلاق الصائبة^٢ للعرض،
 العملية لقدر الإنسان؛ ثم بعد هذا النهى العام نوه^٣ بالنهى عن نوع منه
 خاص، فقال معبرا بالاكل^٤ الذى^٥ كانت العرب تدم بالإكثار منه
 ٥ ولو أنه حلال طيب، فكيف إذا كان حراما ومن مال ضعيف مع الغنى
 عنه: ﴿ولا تاكلوا اموالهم﴾ أى تنفعوا بها أى انتفاع كان،
 مجموعة ﴿الى اموالكم ط﴾ شرها وحرصا وجبا فى الزيادة من الدنيا
 التى^٦ علمت شؤمها وما أثرت من الخذلان فى آل عمران، وعبر بالى
 إشارة إلى تضمين الاكل معنى الضم تنبيها على أنها متى ضمت إلى مال
 ١٠ الولى أكل منها فوقع فى النهى، فحضر بذلك على تركها محفوظة على
 حياها^٧؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿انه﴾ أى الاكل ﴿كان حوبا﴾ أى
 إنما وهلاكا ﴿كبرا﴾.

ولما كان تعالى [قد - ١] أجرى سنة الإلهية فى أنه لا بد فى
 التناسل من توسط^٨ النكاح إلا ما كان من آدم وحواء وعيسى عليهم
 ١٥ الصلاة والسلام، وكانوا قد أمروا بالعدل فى أموال اليتامى، وكانوا
 يلون^٩ أمور يتامهم، وكانوا ربما نكحوا من فى حجورهم منهم، فكان
 ربما أوقفهم هذا التحذير من أموالهم عن النكاح خوفا من التقصير فى

(١) زيد من مد (٢) فى ظ: الصائبة (٣) من مد، وفى الأصل وظ: بالاهل .
 (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: التى (٥) فى ظ: الذى (٦) أى انفرادها، وفى
 الأصل ومد: حياها، وفى ظ: مثالا (٧) فى ظ: توسطه (٨) فى ظ: يولون .

حق من حقوقهن أتبعه تعالى عطفًا على ما تقديره: فإن وثقتم من أنفسكم^١ بالعدل فخالطوهم بالنكاح وغيره: ﴿وان خفتم﴾ فعبّر بأداة الشك حثًا على الورع ﴿الا تقسطوا﴾ أى تعدلوا ﴿فى الشىء﴾ ووثقتم من أنفسكم بالعدل فى غيرهن ﴿فانكحوا﴾ .

و لما كانت النساء ناقصات عقلا ودينا، عبر عنهن بأداة ما لا يعقل ٥
 إشارة إلى الرفق بهن و التجاوز / عنهن فقال: ﴿ما﴾ و لما أفاد 'انكحوا' ٤٤٩ /
 الإذن المتضمن للحل. حمل الطيب على اللذيق المنفك عن النهى السابق ليكون الكلام عاما مخصوصا بما يأتى من آية المحرمات من النساء، و لا يحمل الطيب على الحل لثلا يودى - مع كونه تكرارا - إلى أن يكون الكلام مجملا - لأن الحل لم يتقدم عليه، و الحل على العام المخصوص ١٠
 أولى، لأنه حجة فى غير محل التخصيص، و المجمل^٢ ليس بحجة أصلا -
 أفاده^٣ الإمام الرازى؛ فقال تعالى: ﴿طاب﴾ أى زال عنه حرج النهى السابق و لذ، و أتبعه قيدا لا بد منه بقوله: ﴿لكم﴾ و صرح بما علم^٤ التزاما فقال: ﴿من النساء﴾ أى من غيرهن ﴿مثنى وثلث وربع ج﴾
 أى حال كون هذا المأذون فى نكاحه^٥ موزعا هكذا: ثنتين ثنتين و ثلاثا ١٥

ثلاثا و أربعا أربعا لكل واحد، و هذا الحكم عرف من العطف بالواو، و لو كان بأو لما أفاد الزوج إلا على أحد هذه الوجوه الثلاثة^٦،

(١) فى ظ: انفسهم (٢) فى ظ: الحمل (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: افادة .
 (٤) تكرر فى الأصل (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: غيره (٦) فى مد: الثلاث .

ولم يفد التخيير المفيد للجمع بينها على سبيل التوزيع ، وهذا دليل واضح على أن النساء أضعاف الرجال ؛ و روى البخارى فى التفسير عن عروة ابن الزبير أنه سأل عائشة رضى الله عنها عن قوله تعالى " وان خفتم الا تقسطوا فى الشئى " فقالت : يا ابن أخى ! هذه اليتيمة تكون فى حجر وليها ، تشرك فى ماله ، ويعجبه مالها وجمالها ، ف يريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط^٢ فى صداقها فيعطيهها [مثل ما يعطيها - ٢] غيره ، فنها عن ذلك أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن و يبلغوا لهن أعلى سنتهن فى الصداق ، فأمرُوا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن ؛ قال عروة : قالت عائشة : و إن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية ، فأ نزل الله عز وجل " [و - ٥] يستفتونك فى النساء " قالت عائشة : و قول الله عز وجل فى آية أخرى " و ترغبون ان تنكحوهن " رغبة^٦ أحدكم عن يتيمة حين تكون قليلة المال و الجمال ، قالت^٧ : فنها أن ينكحوا من رغبوا فى ماله و جماله فى يتامى النساء إلا بالقسط ، من أجل رغبتهن عنهن إذا كن قليلات [- ٨ المال و الجمال ، و فى رواية

(١) فى ظ : قول (٢) من ظ و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : يسقط - كذا (٣) زيد من ظ و مد و صحيح البخارى (٤) من صحيح البخارى ، و فى الأصل و مد : على ، و قد سقط من ظ (٥) زيد من صحيح البخارى و القرآن المجيد (٦) من صحيح البخارى ، و فى الأصول : رغب (٧) فى ظ : قال (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد ، و لفظ « المال و الجمال » ثبت فى صحيح البخارى أيضا .

”فإن النكاح“، فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا [فيها] إلا أن يقسطوا لها و يعطوها حقها الأوفى في الصداق؛ وهذا الخطاب للأحرار دون العبيد، لأن العبد لا يستقل^٢ [بنكاح-^٢] ما طاب له، بل لا بد من إذن السيد .

ولما كان النساء كاليتمى في الضعف قال مسيبا عن الإذن في ه
النكاح: ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا﴾ أى فى الجمع؛ ﴿فواحدة﴾ أى
فانكحوها، لأن الاقتصار عليها أقرب إلى العدل، لأنه ليس معها من
يقسم له فيجب العدل بينها وبينه، ولما كان حسن العشرة المؤدى إلى
العدل دائرا على إطراح النفس، وكان الإمام - لكسره من بالقرية وعدم
الأهل - أقرب إلى حسن العشرة سوى بين العدد منهم إلى غير نهاية ١٠
وبين الواحدة من الحرائر فقيل: ﴿أو ما﴾ أى انكحوا ما ﴿ملكتم﴾
إيمانكم ط فانه لا قسم بينهما، وذكر ملك اليمين يدل أيضا على أن
الخطاب من أوله خاص بالأحرار ﴿ذلك﴾ أى نكاح غير اليتامى
والتقلل من الحرائر و الاقتصار على الإمام ﴿ادنى﴾ أى أقرب* إلى
﴿الاعتدوا ط﴾ أى تيملوا^١ بالجور عن^٢ منهاج القسط وهو ١٥
الوزن المستقيم، أو تكثر^٣ عيالكم، أما عند الواحدة فواضح، وأما

(١) سقط من ظ (٢) من مد، وفى الأصل: لا يشتغل، وفى ظ: لا يشتغل.
(٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: الجميع (٥) من ظ ومد،
وفى الأصل: الأقرب (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: يميلوا (٧) من ظ ومد،
وفى الأصل: على (٨) فى ظ: يكثر .

عند الإماء فبالعزل^١، و عدم احتياج الرجل معهن لخدم له أو لهن،
و البيع لمن أراد منهن، و أمرهن بالأكتساب، أو محتاجوا فظلوا
بعض النساء، أو تأكلوا أموال اليتامى؛ و كل معنى من هذه راجع إلى
لازم لمعنى^٢ المادة الذى مدارها عليه، لأن مادة 'علا'^٣ - واوية بجميع
تقاليها الست : علو، عول، لوع، لعو، 'وعل، ولع'؛ و يائية بتركيبها:
ليع^٤، عيل - تدور على الارتفاع، و يلزمه الزيادة و الميل، فن^٥ الارتفاع:
العلو و الوعل و الولع، و من الميل و الزيادة: العول، و بقية المادة
يائية^٦ و^٧ واوية إما للزالة، و إما لأحد هذه المعانى - على ما يأتى بيانه؛
فعلا يعلو: ارتفع، و العالية: الفتاة القويمة - لأنها تكون أرفع مما ساواها
١٠ و هو معوج، و العالية من محال الحجاز - لإشرافها على ما حولها، و كذا
العوالى - لقرى^٩ بظاهر المدينة الشريفة^{١٠} - / لأنها فى المكان العالى الذى
يمجرى ماؤه إلى غيره، و المعلقة: كعب الشرف، و مقبرة^{١١} مكة
بالحجون - لأنها فى أعلى مكة و ماؤها يصب إلى مادونه، و فلان من
عليه الناس، أى أشرافهم، و العلية بالتشديد: الغرفة، و 'على'
(١) من مد، و فى الأصل: فبالعز - كذا، و فى ظ: بالعدل (٢) فى ظ: المعنى.
(٣) سقط من ظ (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: و ولع على - كذا.
(٥) فى ظ: بيع (٦) زيد بعده فى ظ: الزيادة (٧) العبارة من هنا إلى
« و العالية » الآتى سقطت من ظ (٨) من مد، و فى الأصل: ماما - كذا.
(٩) من مد، و فى الأصل و ظ: القرى (١٠) فى مد: الشرفة (١١) فى مد:
لقبرة.

حرف الاستعلاء^١، وتعلت المرأة من نقاسها، أى طهرت و شفيت - لأنها كانت فى سفول من الحال، و العلاوة: رأس الجبل و عنقه، و ما يحمل على البعير بين العدلين، و من كل شيء: ما زاد عليه، و المعلى: القدح السابع^٢ من^٣ الميسر - لأنه الغاية فى القداح الفائزة، لأن القداح عشرة: السبعة الأولى منها فائزة، و الثلاثة الأخيرة مهملة لا أنصاء^٤ لها، و علوان الكتاب: عنوانه، و ارتفاعه على بقية الكتاب واضح، و العليان: الطويل و الضخم، و الناقة المشرفة، و من الأصوات: الجهيرة، و العلاء: السندان، و العلياء: رأس كل جبل مشرف، و السماء، و المكان العالى، و كل ما علا من شيء، و عليك زيدا: الزمه - لأنه يلزم من ملازمته له العلو على أمره، و علا النهار: ارتفع^٥، و علا الدابة: ركبها، ١٠ و أعلى عنها: نزل - كأنه من الإزالة، و كذا على المتاع عن الدابة تعلية: أنزله، و أعليت عن الوادة [و عاليت -^٦] : ارتفعت و تنجيت^٧، و رجل على^٨ الكعب: شريف، و على الكتاب^٩ تعلية: عنوانه^{١٠} كعلونه^{١١}، و عالوا نعيه^{١٢}: أظهروه، و العلى: الشديد^{١٣} القوى، و عليون فى السماء

- (١) فى مد: استعلاء (٢) فى ظ: السابع (٣) فى مد: فى (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: انصاء (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: ترحلت (٨) فى ظ: على (٩-٩) فى ظ: تقليبه بنونه - كذا . (١٠) تقدم فى ظ على « شريف » غير أنه وقع فيه « كعلويه » - كذا (١١) من لسان العرب، و فى الأصل: نعيه، و فى ظ: نعه، و فى مد: بنيه - كذا . (١٢) من مد و القاموس، و فى الأصل و ظ: الشريف .

السابعة، وأخذه علوا: عنوة، و تعالى^١: الارتفاع، إذا أمرت^٢
 منه^٣ قلت^٤: تعالى - بفتح اللام، ولها: تعالى - ولو كنت في موضع
 أسفل من موضع المأمور، لأنه يحتاج إلى تطاول مهما^٥ كان^٦ بينك
 وبينه مسافة، ولأن^٧ الأمر أعلى من المأمور رتبة فوضعه كذلك،
 ٥ و تعالى^٨: علا في مهلة^٩، و المعتلى^{١٠}: الأسد؛ و اللعوى: السبق الخلق،
 و^{١١} الفسل، و الشرء^{١٢} الحريص، و اللاعى: الذى يفزعه أدنى شيء،
 إما^{١٣} لأنه وصل إلى الغاية في السفل فتنم أعلاها حتى رضى لنفسه
 هذه الأخلاق^{١٤}، و إما لأنه من باب الإزالة، أو^{١٥} التسمية بالضد،
 و^{١٦} ذئبة لعوة^{١٧} و امرأة لعوة^{١٨}، أى حريصة، و اللعوة: السواد بين
 ١٠ حلتى الثدى، إما لأن ذلك أعلاه، و إما لدلو^{١٩} لون السواد على لون
 الثدى، و الألعاء: السلاميات، و السلامى عظم يكون في فرسن البعير،
 (١) في ظ و مد: العتاني (٢) سقط من ظ و مد (٣) في ظ: سنة (٤) من
 ظ و مد، و في الأصل: قال (٥) من ظ و مد، و في الأصل: منها (٦) من
 مد، و في الأصل و ظ: كانتك (٧) من ظ و مد، و في الأصل: ان (٨) من
 ظ و اللسان، و في الأصل و مد: تعالى، و الواو التي قبله ساقطة من ظ (٩) من
 ظ و اللسان، و في الأصل و مد: مهلة (١٠) من ظ و مد و القاموس،
 و في الأصل: المعتل (١١-١٢) من اللسان، و في الأصل و مد: العل و السر،
 و في ظ: العل و الشر - كذا (١٢) في ظ: لامبا (١٣) في ظ: الاخلاص.
 (١٤) في ظ « و » (١٥-١٥) من اللسان، و في الأصل: دقوة، و في ظ: ديته
 لغوه، و في مد: ديته لغزه - كذا (١٦) من مد و اللسان، و في الأصل:
 اقوة، و في ظ: لغوه - كذا (١٧) من ظ و مد، و في الأصل: العلوى.
 ١٨٤ (٤٦) و عظام

و عظام^١ صغار في اليد و الرجل . و ذلك لأن العظام أعلى ما في الجسد
 في القوة و الشدة و الصلابة ، و هي أعظم قوامه ؛ و اللاعية : شجيرة^٢
 في سفح الجبل ، لها نور أصفر ، و لها لبن ، و إذا^٣ ألقى منه شيء في غدير^٤
 السمك أطفاها ، أى جعلها طافية أى عالية^٥ على وجه الماء ، سميت بذلك
 إما من باب الإزالة نظراً^٦ إلى محل بيتها^٧ ، وإما لأن ريحها يعلو كل
 ما خالطه و يكسبه طعمها . و إما^٨ لفعلها هذا في السمك ، و تلغى^٩ العسل :
 تعتقد وزناً و معنى^{١٠} - إما من اللاعية لأنها كثيرة العقد ، و إما من لازم
 العلو : القوة و الشدة ، و لما لك - يقال عند العثرة ، أى أنعشك^{١١} الله ؛
 و العول : ارتفاع الحساب في الفرائض ، و العول : [الميل ، و قد تقدم
 أنه لازم للعلو ، و العول -^{١٢}] : كل أمر غلبك^{١٣} ، كأنه علا عنك^{١٤}
 فلم تقدر^{١٥} على نيله ، و المستعان به - لأنه لا يتوصل به إلى المقصود إلا وفيه
 علو ، و قوت العيال - لأنه سبب علوم ، و عول^{١٦} عليه معولاً^{١٧} : اتكل
 (١) سقط من ظ (٢) في ظ : شجيرة (٣) من مد ، و في الأصل و ظ : اذ .
 (٤) من مد ، و في الأصل و ظ : غدير - كذا (٥) من ظ و مد ، و في الأصل :
 عاليها (٦) في ظ : نظر (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : بينها (٨) من ظ
 و مد ، و في الأصل : ان (٩) من القاموس ، و في الأصول : تلغى (١٠) زيد
 في مد « و » (١١) من مد ، و في الأصل : انفسك ، و في ظ : انعشك - كذا .
 (١٢) زيد ما بين الحاذرين من مد (١٣) في ظ : عليك (١٤) في ظ : فلم يقدر .
 (١٥) من ظ و مد ، و في الأصل : عال (١٦) ولا يقال : تعويلاً - كما
 في أقرب الموارد .

و اعتمد ، و الاسم كعنب ، و عتيل ككيس^١ ، و عال : جار^٢ ، و الميزان :
نقص أو زاد ، فالزيادة من الارتفاع ، و النقص من لازم الميل ،
و عالت الفريضة : ارتفعت أى زادت^٣ سهامها فدخل النقصان على
أهل الفرائض ، قال أبو عبيد^٤ : أظنه مأخوذاً^٥ من الميل ، و عال أمرهم :
اشتد و تفاقم ، و عال فلان عولا و عيالا : كثر^٦ عياله ، كأعول و أعيل ،
و رجل مَعِيل [و معيل - ^٧] : ذو عيال ، و أعال الرجل و أعول - إذا
حرص ، إما عما تقدم تخريجهم ، و إما لأنه لازم لذى العيال ، و عال عليه :
حمل ، أى رفع عليه المحول كعول ، و فلان : حرص ، و الفرس : صوتت ،
و أعولت المرأة : رفعت صوتها بالبكاء ، و عيل عوله^٨ : ثكلته أمه -
١٠ لما يقع من صياحها ، و عِيل ما هو عائله : غلب^٩ ما هو غالبة ، يضرب
لمن يعجب من كلامه و نحوه [لأنه - ^{١٠}] لا يكون كذلك إلا و قد
خرج عن أمثاله علوا ، و قد يكون بسفول ، فيكون من التسمية بالضد ،
و العالة^{١١} : النعامة - لأنها أطول الطير ، و ماله عال و لا مال : شيء -
لأن ذلك غايبة في السفول إن كان مجزأ ، و فى العلو إن كان زهدا ،
١٥ / ٤٥١ و يقال للعائر : عالك عاليا / ، كقولهم : لعالك ، و المِعول : حديدة
تنقر^{١٢} بها الجبال - من القوة اللازمة للعلو^{١٣} ، و العالة : شبه الظلة^{١٤} يستر بها

- (١) فى ظ : كلبس (٢) فى ظ : الجار (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : زاد .
(٤) فى ظ : ابو عبيدة (٥) من تاج العروس ٣٨ / ٨ ، و فى الأصول : مأخوذ .
(٦) من مد ، و فى الأصل : كبير ، و فى ظ : كثير (٧) زيد من ظ و مد .
(٨) فى ظ : عولته ، و فى مد : عولة (٩) فى ظ : علت (١٠) فى ظ : افعاله - كذا .
(١١) فى ظ : تنقر (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : للعول (١٣) من ظ و مد ،
و فى الأصل : الظلمة .

من المطر^١ ؛ واللوعة : [حرقة -^٢] توجد من الحزن أو^٣ الحب أو^٤ المرض
أو^٥ الهم - لأنها تعلو الإنسان ، ولاعه الحب : أمرضه ، و أتان لاعة الفؤاد
إلى جحشها - كأنها ولهى^٦ فزعاً ، ولاع يلاع : جزع أو مرض ،
و رجل هاع^٧ لاع : جبان جزوع ، أو حريص ، أو سيء الخلق - لما
علاه من هذه^٨ الأخلاق المنافية للعقل و غلبه^٩ منها ، ولاعه^{١٠} ه
الشمس : غيرت لونه ، و اللاعة أيضاً : الحديدية^{١١} الفؤاد الشهمة^{١٢} -
"لأنه يعلو غيره"^{١٣} ، و امرأة لاعة : التي^{١٤} تغازلك ولا تتمكنك^{١٥} - لما لها
في ذلك من الغلبة و العلو على القلوب ؛ و الوعل : تيس الجبل^{١٦} ، و الشريف ،
و الملجأ ، و الوعلة : الموضع المنيع من الجبل ، أو صخرة مشرفة منه ، و هم
علينا وعل واحد : مجتمعون ، و ما لك عن ذلك وعل ، أى بد - فانه^{١٧} ١٠
لو لا علوه عليك ما اضطرت إليه ، و الوعل : اسم شوال^{١٨} - كأنه لما له
من العلو بالعيد و الحج ، و الوعل ككتف^{١٩} : اسم شعبان - لما له من العلو
بتوسطه بين رجب و شوال ، و الوعلة^{٢٠} أيضاً : عروة القميص

- (١) في ظ : المظهر (٢) زيد من ظ و مد (٣) في ظ د و (٤) في ظ : و لهن .
(٥) من اللسان ، و في الأصول : صاع - كذا (٦) من مد ، و في الأصل و ظ :
هذا (٧) في ظ : عليه (٨) من مد ، و في الأصل و ظ : لاعة (٩) من القاموس ،
و في الأصول : الحديد (١٠) من القاموس ، و في الأصول : الشبهة (١١-١٢) كذا ،
و السياق يقتضى : لأنها تعلو غيرها (١٣) من القاموس ، و في الأصول : اى .
(١٤) من ظ و مد ، و في الأصل : لا يكفك (١٥) من اللسان ، و في الأصول :
الحليل (١٦) من مد ، و في الأصل : فاه ، و في ظ : فاة - كذا (١٧) في ظ :
سوال (١٨) في ظ : الكتف (١٩) و من هنا نسخة مد في غاية الانطاس ،
و إذا اتضح شيء ذكرناه .

[واليزرزه - ^١] و القدح و الإبريق الذى يعلق بها فيعلو ، و وعال
 كغراب : حصن باليمن ، و المستوعل - بفتح العين : حرز الوعل ، و وعل
 كوعد : أشرف ، و توعلت الجبل ^٢ : علوته : و أولع فلان بكذا ،
 أو ^٣ ولع - بالكسر : استخف ^٤ ، أى صار ^٥ عالياً عليه غالباً له لإطاقته
 ٥ حملته ، و ولع بحقه : ذهب ، و ولع بالفتح - إذا كذب ، إما للإزالة
 و إما لأنه استخفه الكذب فحمله ، و ولع بالع - مبالغة ، أى كذب عظيم ،
 و المولع : الذى فيه لمع من ألوان - كأنه علا على تلك الألوان ، أو غلب
 تلك الألوان أصل لونه ، و عبارة القاموس : و التوليع : استطالة البلق ،
 [يقال - ^٦] : برذون و ثور مولع - كمعظم ، و الوليع : الطلع ما دام في قبائه ،
 ١٠ أى وعائه ^٧ . و هو قشرة الطلع لعلوه ^٨ ، و ما أدرى ما ولعه - بالفتح ،
 أى حبسه ، إما للإزالة ، لأنه لما منعه كان ^٩ كأنه أزال علوه ، و إما لأنه
 علا عليه ، و أولعه به ^{١٠} : أى أغراه ، أى حمّله عليه ؛ و العيلة ^{١١} : الحاجة ،
 و عال يعيل - إذا افتقر ، و ذلك إما من الإزالة ، أو لأن الحاجة علته ،
 أو لأنها ميل ، و عالى الشئ : أعجزنى ، و عيل صبرى : قل و ضعف ^{١٢} ،
 ١٥ أى علاه من الأمر ما أضعفه ، و علت الضالة : لم أدر أين أبغيها ، و المعيل ^{١٣} :

(١) زيد من مد و تاج العروس (٢) فى ظ : الخيل (٣) فى ظ « و » (٤) من
 ظ و القاموس ، و فى الأصل : استحق (٥) فى ظ : فصار (٦) من ظ ، و فى
 الأصل : عالاً - كذا (٧) زيد من القاموس (٨) فى الأصل : وعاية ، و فى ظ :
 وقاية - كذا (٩) فى ظ : بعلوه ، و زيد بعله : ورى - كذا (١٠) سقط من
 ظ (١١) فى ظ : العيل (١٢) من ظ ، و فى الأصل : ضعه (١٣) من القاموس ،
 و فى الأصل و ظ : العيل .

الأسد والنمر والذئب - لأنه يعمل صيدا أى يلتمس ، فهو يرجع إلى
العلو والقدرة على الطلب ، وعالى الشيء : أعزنى - إما أزال علوى ،
أو علا عنى ، و عال فى [١ - مشبه ٢ : تمايل ٣ واختال و تبختر ٢ - لأنه
لا يفعله إلا عال فى نفسه مع أنه كله من الميل ، و عال فى [الأرض :
ذهب ، أى علا عليها مشيا ، و الذكر من الضباع ٤ عيلان ، و العيل ٥
محركة : عرضك حديثك و كلامك على من لا يريده ٥ و ليس من شأنه -
كأنه لم يهتد لمن يريده فعرضه على من لا يريده ٥ ، فهو يرجع إلى الحاجة
الزيلة للعلو ؛ وليعة ٦ الجوع - بالفتح : حرقه - كما تقدم فى اللوعة ،
ولعت - بالكسر : ضجرت ، كأنه من الإزالة ، أو أن العلو للأمر
المتضرر منه ، و الملياع ٧ - بالكسر : السريعة العطش - لأنها تعلو الإبل ١٠
حيثند سبعا ٨ إلى الماء ، أو لأن العطش علاما ، و الملياع : التى تقدم
الإبل سابقة ثم ترجع إليها ، و ريج لباع ٩ - بالكسر : شديدة ، وقد
وضع بذلك صحة ما ١٠ فسر به ١٠ إمامنا الشافعى صريحا ومطابقة - كما تقدم ،
و شهد له العول فى الحساب و السهام ، و هو كثرتها ، و ظهر تحامل من

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من القاموس ، وفى ظ : مسبه (٣-٢) من
القاموس ، وفى ظ : و اجتاله و منحير - كذا (٤) من اللسان ، وفى الأصل :
الضفادع ، وفى ظ : الضفادع - كذا (٥-٥) سقطت من ظ (٦) من القاموس ،
وفى الأصل : ليعه ، وفى ظ : ليعه - كذا (٧) من القاموس ، وفى الأصل :
الملياع ، وفى ظ : الباع - كذا (٨) فى ظ : سابقا (٩) من القاموس ، وفى
الأصل و ظ : لباع (١٠-١٠) من ظ ، وفى الأصل : فسرته .

رد ذلك و قال : إنه لا يقال في كثرة العيال إلا : عال^١ يعيل ، و كم
من عائب^٢ قولا صحيحا ، و كيف لا و هو من الأئمة المحتج بأقوالهم في
اللغة ، و قد وافقه غيره و شهد لقوله الحديث الصحيح ؛ قال الإمام يحيى
ابن أبي الخير العمراني الشافعي في كتابه البيان : ” الا تعولوا^٣ “ قال
٥ الشافعي : معناه أن لا تكثر^٤ عيالكم^٥ و من تمنونه^٦ ، و قيل : إن أكثر
السلف قالوا : المعنى أن لا تجوزوا^٧ ، يقال : عال يعول - إذا جاروا ،
عال يعيل - إذا كثر عياله ؛ إلا زيد بن أسلم فانه قال : معناه أن لا تكثر
عيالكم ، و قول النبي صلى الله عليه و سلم يشهد لذلك ، قال : ابدأ بنفسك
ثم بمن تعول ، انتهى .

١٠ و هذا الحديث أخرجه الشيخان و غيرهما عن حكيم بن حزام عن
/ أبي هريرة رضي الله عنهما بلفظ : أفضل الصدقة ما كان عن^٨ ظهر غني ،
٤٥٢ / و اليد العليا خير من اليد السفلى ، و ابدأ بمن تعول ، و في الباب أيضا
عن عمران بن حصين و أبي رمية العلوي^٩ و أبي أمامة رضي الله عنهم ،
و أثر زيد بن أسلم رواه الدارقطني و البيهقي من طريق سعيد بن أبي هلال
١٥ عنه ، قال : ذلك أدنى أن لا يكثر من يعولونه - أفاده^{١٠} شيخنا ابن حجر

(١) في ظ : اعال (٢) في ظ : غائب (٣) في ظ : لا يقولوا (٤) في ظ : لا يكثر .
(٥ - هـ) من مد ، و في الأصل و ظ : لمن تمنونه - كذا (٦) من ظ ، و في
الأصل : لا تجوزوا (٧) في ظ : على (٨) كذا في الأصول ، و لم نفرز بتحقيقه
فيما عندنا من المراجع ، فلعله : أبي رمية البلوي (٩) من ظ و مد ، و في
الأصل : افادة .

في تخريج أحاديث الرافعي وقال الإمام: إن تفسير الشافعي هو تفسير الجماعة، عبر عنه بالكناية^١ وهي ذكر الكثرة، وأراد^٢ الميل لكون الكثرة لا تفك عنه، وقال ابن الزبير: لما تضمنت سورة البقرة ابتداء الخلق وإيجاد آدم عليه الصلاة والسلام من غير أب ولا أم، وأعقب بسورة آل عمران لتضمنها - مع^٣ ما ذكر^٤ في صدرها - أمر عيسى عليه الصلاة والسلام، وأنه كمثل آدم عليه الصلاة والسلام في عدم الافتقار إلى أب، وعلم الموقنون من ذلك أنه تعالى لو شاء لكانت ستة فيمن بعد آدم عليه الصلاة والسلام، [فكأن سائر الحيوان -^٥] لا يتوقف إلا على أم فقط؛ أعلم سبحانه أن من عدا المذكورين عليهما الصلاة والسلام من ذرية آدم سييلهم^٦ سليل الأبوين فقال تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ - إلى قوله: و بث منهما^٧ رجالا كثيرا ونساء"، ثم أعلم تعالى كيفية النكاح المعمول سببا^٨ في التناسل وما يتعلق به، وبين حكم الأرحام و"الموارث فتضمنت السورة ابتداء الأمر وانتهاءه"، فأعلمنا بكيفية التناكح وصورة الاعتصام واحترام بعضنا^٩ لبعض وكيفية تناول الإصلاح فيما بين الزوجين عند التشاجر والشقاق، وبين لنا ما ينكح^{١٠}

(١) في الأصول: بالكتابة - كذا (٢) من ظ، وفي الأصل: افراد (٣-٣) في ظ: ذكر ما (٤) من ظ، وفي الأصل: ذلك (٥) زيد ما بين الحاذرين من مد (٦) من ظ، وفي الأصل: بسيلهم (٧) وإلى هنا انتهى الانطباع من نسخة مد (٨) في ظ: الكيفية، وفي مد: بكيفية (٩) زيدت الواو بعده في الأصل، ولم تكن في ظ و مد لحذفها (١٠) سقط من ظ (١١) في مد: انتهاء (١٢) من ظ و مد، وفي الأصل: بعضها.

وما أبيح من العدد و حكم من لم يجد الطول وما يتعلق بهذا إلى المواريث ،
فصل ذلك كله إلا الطلاق ، لأن أحكامه تقدمت ، ولأن بناء
[هذه السورة على التواصل و الائتلاف و رعى حقوق ذوى الأرحام
و حفظ ذلك كله إلى حالة - ٢] الموت المكتوب علينا ، و ناسب هذا
المقصود [من - ١] التواصل و الألفة ما افتتحت به السورة من قوله
تعالى " الذى خلقكم من نفس واحدة " - الآية ، فافتتحها بالائتلاف و الوصلة
[و لهذا خصت من حكم تشاجر الزوجين بالإعلام بصورة
الإصلاح و المعدلة إبقاء لذلك التواصل - ٢] فلم يكن الطلاق ليناسب
هذا ، فلم يقع له هنا ذكر^١ إلا إيماء^٢ " و ان يفرقا يغن الله كلا من
سعته " ، و لكثرة^٣ ما يعرض من رعى حظوظ النفوس عند الزوجية
و مع القرابة - و يدق ذلك و يغمض^٤ - تكرر كثيرا فى هذه
السورة الأمر بالاتقاء ، و به افتتحت " اتقوا ربكم " ، " و اتقوا الله الذى
تساءلون به و الأرحام " ، " و لقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
و اياكم ان اتقوا الله " ، ثم حذروا من حال من صمم على الكفر و حال
اليهود و النصارى و المنافقين و ذوى التقلب فى الأديان بعد أذن اليقين ،
و كل ذلك تأكيد لما أمروا به من الاتقاء ، و التحمت الآيات إلى الختم
(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : الى - كذا (٢) فى ظ : لانه (٣) زيد ما بين
الحاجزين من ظ و مد (٤) زيد من مد (٥ - ٥) من مد ، و فى ظ : واته
اخصبت - كذا (٦) من مد ، و فى ظ : المعدلة (٧) سقط من ظ (٨ - ٨) من
مد ، و فى الأصل و ظ : الايمان - كذا (٩) فى ظ : الكثرة (١٠) زيد بعده فى
الأصول : لذلك ما ، فخذفنا تلك الزيادة لئلا ينتسق الكلام (١١) من ظ و مد ،
و فى الأصل : اعلى .

بالكلالة من المواريث المتقدمة - انتهى .

و لما حذروا من القول الذى من مدلوله^١ الحاجة عن كثرة النساء ؛
كان ربما تعلق به من يخل عن بعض الحقوق ، لا سيما ما^٢ يستكثره
من الصداق ، فأتبعه ما^٣ بنى ذلك ، فقال - مخاطبا للآزواج ، لأن السياق
لهم ، معبرا بما يصلح للدفع و الالتزام المهيئ له - : ﴿ و اتوا النساء ﴾ أى ٥
عامة من اليتامى و غيرهن^٤ ﴿ صدقتهن ﴾ ، و قوله مؤكدا للإيتاء بمصدر
من معناه : ﴿ نحلة ط ﴾ مؤيداً لذلك ، لأن معناها : عطية عن طيب نفس ؛
[قال الإمام أبو عبد الله القزاز فى ديوانه : و أصله - أى النحل : إعطاء
الشيء لا يراد به عوض - °] و كذا إن قلنا : معنى النحلة الديانة و الملة
و الشرعة و المذهب ، أى آتوهن ذلك ديانة .

١٠

و لما وقع الأمر بذلك كان ربما أبى المتخلق^٦ بالإسلام قبول ما تسمع
به المرأة منه بآراء^٧ أو رد على سبيل الهبة - لظنه أن ذلك لا يجوز
أو غير ذلك فقال : ﴿ فان طبن لكم ﴾ أى متجاوزات ﴿ عن شيء ﴾
و وُحد الضمير ليرجع إلى الصداق المفهوم من الصدقات ، و لم يقل :
منها ، لئلا يظن أن الموهوب لا يجوز إلا إن كان صداقا كاملا فقال :^٨ ١٥
﴿ منه ﴾ أى الصداق ﴿ نفسا ﴾ أى عن شهوة صادقة من غير إكراه^٩

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مدلوله (٢) فى ظ : من (٣) من ظ و مد ،
و فى الأصل : مما (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرهم (٥) زيد ما بين
الحاجزين من مد (٦) فى ظ : المستخلق (٧) من مد ، و فى الأصل : آراء ، و فى
ظ : من آراء - كذا (٨) فى ظ : قال (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل :
إكراه - كذا .

ولا خديعة ﴿ فكلوه ﴾ أى تصرفوا / فيه بكل تصرف يخصكم^١
 ﴿ هنيئاً ﴾ أى سائفاً صالحاً لذيذاً فى عافية بلا مشقة ولا مضرة
 ﴿ مريئاً ﴾ أى جيد المغبة^٢ بهجاً ساراً، لا تنقيص^٣ [فيه -^٤] ،
 وربما كان التبعض^٥ ندباً إلى التعفف عن قبول الكل ، لأنه فى الغالب
 ٥ لا يكون إلا عن خداع أو ضرر فربما أعقب الدم ، وهذا الكلام
 يدل أيضاً على تخصيص الأحرار دون العبيد ، لأنهم لا يملكون ما جعلته
 النساء لهم ليأكلوه هنيئاً . قال الأصمهانى : فإن وهبت له ثم طلبت منه
 بعد الهبة علم أنها لم تطب^٦ نفسها ، وعن الشعبي أن رجلاً أتى مع امرأته
 شريحاً فى عطية أعطتها إياه وهى تطلب أن ترجع ، فقال شريح : رد
 ١٠ عليها ، [فقال الرجل -^٧] : أليس قد قال الله تعالى " فإن طبن لكم^٨ " -
 الآية ، [قال -^٩] : لو طابت نفسها^{١٠} لما رجعت فيه ؛ وعنه قال^{١١} :
 أقبلها^{١٢} فيها وهبت ولا أقبله ، لأنهن^{١٣} يخدعن .

(١) فى مد : تخصم (٢) من مد - أى العاقبة ، وفى الأصل : الاعنه ، وفى ظ :
 العيه - كذا ، وفى القاموس : وقد مرأ الطعام مرأة فهو مرءى : هنىء حميد
 المغبة (٣) فى الأصل و مد : تنقيص ، وفى ظ : تنقيص - كذا ، وفى تاج
 العروس على رواية الكشف : الهنىء والمرءى صفتان من : هنا الطعام ومرأ -
 إذا كان سائفاً لا تنقيص فيه (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : التنقيص (٦) من
 مد ، وفى الأصل و ظ : لم تطلب (٧) زيد من روح المعانى ٢/ ٢٠ (٨) سقط
 من ظ و مد (٩) زيد من ظ و مد (١٠) زيد فى روح المعانى : عنه (١١) سقط
 من مد (١٢) فى ظ : اقبلها (١٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : لأنه .

ولما أمر بدفع أموال اليتامى والنساء إليهم ، ونهى عن أكل شيء منها تزهيدا في المال واستهانة به ، وكان في النساء والمهاجرين من الأيتام وغيرهم سفهاء ، وأمر بالاقتصاد في المعيشة حذرا من الظلم والحاجة نهى عن التبذير ، وقد حث سبحانه على حسن رعاية المال في غير آية من كتابه لأنه « نعم المال الصالح للرجل الصالح » - رواه أحمد ٥ وابن منيع عن عمرو بن العاص رفعه ؛ لأن الإنسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بتحصيل ما يهمه من الدنيا ، وما لم يتمكن من تحصيل ما يهمه من الدنيا لا يمكنه أمر الآخرة ، ولا يكون فارغ البال إلا بواسطة ما يكفيه من المال - لأنه لا يتمكن في هذه الدار التي مناها على الأسباب من جلب المنافع ودفع المضار إلا به ، فمن أرادته لهذا ١٠ الغرض كان من أعظم الأسباب المعينة له على اكتساب سعادة الآخرة ، ومن أراد لنفسه كان من أعظم المعوقات ٦ عن سعادة الآخرة فقال تعالى : ﴿ ولا توتوا ﴾ أيها الأزواج [والاولياء - ٧] ﴿ السفهاء ﴾ أي من محاجيركم ونسائكم وغيرهم ﴿ أموالكم ﴾ أي الأموال التي خلقها الله لعباده سواء كانت محتصة بكم أو بهم ، ولكم بها علفة بولاية ١٥ أو غيرها ، فانه يجب عليكم حفظها ﴿ التي جعل الله ﴾ أي الذي له

(١) في ظ : المحاضر (٢) سقط من ظ (٣-٢) سقطت من ظ (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ : اراد (٥) العبارة من هنا إلى « سعادة الآخرة » سقطت من ظ . (٦) من مد ، وفي الأصل : العراقات - كذا (٧) زيد من ظ ومد (٨) في ظ : عليهم .

الإحاطة بالعلم الشامل والقدرة التامة ﴿لَكُمْ قِيَمًا﴾ أى ملاكا وعمادا
تقوم^١ بها أحوالكم^٢، فيكون ذلك سببا لضياعها، فضياعها سبب
لضياعكم، فهو من تسمية السبب باسم المسبب للبالغة في سببته
﴿وارزقوهم﴾ متجرين^٣ ﴿فيها﴾ وعبر بالظرف^٤ إشارة إلى الاقتصاد
هـ واستثمار الأموال حتى لا تزال^٥ موضعا للفضل، حتى تكون النفقة
والكسوة من الربح لا من رأس المال ﴿واكسوم﴾ أى فان ذلك
ليس من المنهى عنه، بل هو من معالى الأخلاق^٦ ومحاسن الأعمال
﴿وقولوا لهم﴾ [أى-^٧] مع ذلك ﴿قولا معروفا﴾ أى فى الشرع
والعقل كالعِدَّة الحسنة ونحوها، وكل ما^٨ سكنت إليه النفس^٩ وأحبته^{١٠}
من قول أو عمل وليس مخالفا للشرع فهو معروف، فان ذلك ربما كان
أنفع من كثير من الإعطاء وأقطع للشر^{١١}؛ والحجر^{١٢} على السفه مندرج
فى هذه الآية، لأن ترك الحجر عليه من الإيتاء المنهى عنه.

ولما نهى عن ذلك البذل للسفهاء أيتاما كانوا أو^{١٣} غيرهم، بين^{١٤} أنه
ليس دائما بل ما^{١٥} دام السفه [قائما-^{١٦}]، فست الحاجة إلى التعريف
١٥ بمن يعطى ومن يمنع وكيف يفعل عند الدفع، ولما كان السفه أمرا
(١) فى ظ: يقوم (٢) من مد، وفى الأصل وظ: أموالكم (٣) من مد، وفى
الأصل: متجرين، وفى ظ: متحجر - كذا (٤) من مد، وفى الأصل وظ:
بالظفر (٥) فى ظ: لا يزال (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ ومد (٨) فى ظ:
لما (٩-٩) فى ظ: الواجبة - كذا (١٠) فى ظ: للشرع (١١) فى ظ: «و» .
(١٢) من مد، وفى الأصل وظ: لا .

باطناً لا يعرف إلا بالتصرف ولا سيما في المال؛ بدأ^١ سبحانه بتعليم ما يتوصلون به إلى معرفته فقال مصرحاً بالآيتام اهتماماً بأمرهم: ﴿وابتلوا اليتيم﴾ أي اختبروهم في أمر الرشد في الدين والمال في مدة مراقبتهم واجعلوا ذلك دأبكم ﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾ أي وقت الحاجة إليه

بالاحتلام أو^٢ السن ﴿فإن أنتم﴾ أي علمتم [علماء - ٢] أنتم في عظيم تيقنه كأنكم تبصرونه^٣ على وجه تحبونه و تطيب أنفسكم به ﴿منهم﴾ أي عند بلوغه ﴿رشداً﴾ أي بذلك التصرف، ونكده لأن وجود كمال

الرشد في أحد يعز وقوعه ﴿فادفعوا / إليهم أموالهم﴾ أي لزوال الحاجة إلى الحرج بخوف التبذير، وأضافها إليهم بعد إضافتها أولاً إلى المعطين إشارة إلى أنه لا يستحقها إلا من يحسن^٤ التصرف فيها. ١٠

ولما كان الإنسان مجبولا على نقائص منها الطمع وعدم الشبع لا سيما إذا خالط، لا سيما إن حصل له إذن ما^٥، أدبه سبحانه بقوله: ﴿ولا تاكلوها﴾ أي بعله استحقاقكم لذلك بالعمل فيها ﴿اسرافاً﴾ أي مسرفين بالخروج عن القصد في التصرف ووضع الشيء في غير موضعه

وإغفال العدل والشفقة ﴿وبداراً﴾ أي مبادرين ﴿ان يكبروا﴾ ١٥ أي فإخذوها منكم عند^٦ كبرهم فيفوتكم^٧ الانتفاع بها، وكأنه عطف

(١) من مد، وفي الأصل و ظ: ابدا (٢) في ظ «و» (٣) زيد من ظ ومد.

(٤) في ظ: تنفيرونه (٥) من مد، وفي الأصل: حسن، وفي ظ: احسن.

(٦) في ظ: بما (٧-٧) من مد، وفي الأصل: كبركم فيفوتكم، وفي ظ:

كبركم فيفوتكم.

بالواو الدالة على تمكن الوصف و تمامه إشارة إلى عدم المؤاخذه بما يعجز عنه الإنسان المجبول على النقصان مما يجري في الأفعال مجرى الوسوسة في الأقوال و و لن يشاذ الدين أحد إلا غلبه .

و لما أشعر النهى عن أكل الكل بأن لهم في الأكل في الجملة علة مقبولة ، أفصح به في قوله : ﴿ و من كان ﴾ أى منكم^١ أيها الأولياء ﴿ غنيا فليستعفف ﴾ أى يطلب العفة و يوجد^٢ها^٣ و يظهرها عن الأكل منها جملة ، فيعف^٤ عنه بما بسط الله له^٥ من رزقه^٦ ﴿ و من كان فقيرا ﴾ و هو يتعهد مال اليتيم لإصلاحه^٧ ، و لما كان يخشى من امتناعه من الأكل منه التفريط فيه بالاشتغال بما يهمه في نفسه ، أخرج الكلام في صيغة ١٠ الامر فقال معبرا بالأكل لأنه معظم المقصود : ﴿ فلياكل بالمعروف ﴾ أى بقدر^٨ أجره^٩ سعيه .

و لما كان ذلك ربما أفهم^{١٠} الأمان^{١١} إلى الرشد^{١٢} بكل اعتبار ، أمر بالحزم - كما في الطبراني^{١٣} الأوسط عن أنس^{١٤} و احتسوا من الناس^{١٥} بسوء الظن ، - فقال : ﴿ فاذا دفعتم إليهم ﴾ أى اليأسى ﴿ اموالهم ﴾ ١٥ أى التى كانت تحت أيديكم لعجزهم^{١٦} عن حفظها ﴿ فاشهدوا عليهم ﴾

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : يوجد (٣) من مد ، وفي الأصل وظ : فيعفا - كذا (٤ - ٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : رزقه من (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : لا خلاصه (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : يقد - كذا (٧) في ظ : اجر . (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : فهم (٩) في ظ : الايمان (١٠) في ظ و مد : الرشيد (١١) من ظ و مد ، وفي الأصل : الطرف - كذا (١٢) في ظ : التباس . (١٣) في ظ : لعجزكم .

أى احتياطاً^١ لأن الأحوال تبدل ، و الرشد يتفاوت ، فالإشهاد أقطع
للشهر^٢ ، و أنفع فى كل أمر ، و الأمر بالإشهاد أزجر للولى عن الخيانة ،
لأن من عرف أنه لا يقبل عند الخصام إلا بينة^٣ عفا غاية العفة ،
و احترز غاية الاحتراز .

و لما كانت الأموال مظنة لميل النفوس ، و كان [الحب - ^٤] للشيء^٥ .
يعمى و يصم ؛ ختم الآية بقوله : ﴿ و كفى بالله ﴾ أى الذى له الحكمة
البالغة و القدرة الباهرة و العظمة التى لا مثل لها ، و الباء فى مثل هذا
تأكيد لأن ما قرنت به هو الفاعل حقيقة لا مجازاً - كما إذا أمرنا^٦
بالفعل مثلاً ﴿ حسياء ﴾ أى محاسباً بليغاً فى الحساب ، فهو أبلغ تحذيراً^٧
لهم و للاهتمام من الحياة و التعدى و مدّ العين إلى حق الغير . ١٠

و لما ذكر أموال اليتامى على حسب ما دعت إليه الحاجة و اقتضاه
التناسب إلى أن ختم بهذه الآية ، [كان - ^٨] كأن سائلاً [سأل - ^٩] :
من أين تكون^٩ أموالهم ؛ فين ذلك بطريق الإجمال بقوله تعالى : ﴿ للرجال ﴾
أى الذكور من أولاد الميت و أقربائه^{١٠} ، و اعلم^{١١} عبر بذلك دون الذكور
لأنهم كانوا لا يورثون الصغار ، و يخصون الإرث بمن عمر الديار ، فيه ١٥

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : احتياجا (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :
للمر (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : بينة (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ
و مد ، وفى الأصل : الشئ (٦) فى ظ و مد : امر (٧) فى ظ : تحذير (٨) زيد
من مد (٩) فى ظ : يكون (١٠) فى ظ : بانه - كذا (١١) من ظ و مد ، وفى
الأصل : لعل .

سبحانه على أن العلة النطفة^١ (نصيب) [أى منهم معلوم -^٢]
(مما ترك الوالدان والاقربون ص) .

ولما كانوا لا يورثون^٣ النساء قال: (و للنساء نصيب)
ولقصد التصريح للتأكيد قال موضع 'مما تركوا': (مما ترك الوالدان
والاقربون) مشيرا إلى أنه لا فرق بينهما وبين الرجال في^٤ القرب
الذى هو سبب الإرث، ثم زاد الأمر تأكيدا وتصريحا بقوله إبدالا
مما قبله بتكرير العامل: (مما قل منه أو كثر^٥) ثم عرف بأن ذلك
على وجه الختم^٦ الذى لا بد منه، فقال مينا للاعتناء به بقطعه عن الأول
بالنصب^٧ على الاختصاص بتقدير 'أغنى': (نصيبا مفروضا) أى
١٠ مقدرا واجبا مينا، وهذه الآية مجملة ينتها^٨ آية الموارث، وبالأية
علم أنها^٩ خاصة بالعصبات من التعبير بالفرض، لأن الإجماع - كما نقله
الاصهباني عن الرازي - على أنه ليس لذوى الأرحام نصيب مقدر .

ولما بين المفروض أتبعه المندوب فقال تعالى: (وإذا حضر

القسمه اولوا القربى) أى ممن لا يرث / صغارا أو كبارا (و اليشمى

/ ٤٥٥

١٥ و المسكين) أى قرياء أو غرباء^{١٠} (فارزقوم منه) أى المتروك،

(١) فى الأصول: الظنة - كذا (٢) زيد من مد (٣) من ظ ومد، وفى

الأصل: يورثون (٤) من ظ ومد، وفى الأصل «و» (٥) من مد، وفى

الأصل و ظ: الختم (٦) فى ظ: بالنصيب (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من

ظ ومد، وفى الأصل: مينا (٩) فى ظ: بانها (١٠) فى ظ: بما (١١) فى

ظ: قربانا .

و هو أمر نذب لتطيب^١ قلوبهم ، و قرينة صرفة عن الوجوب ترك
التحديد^٢ (و قولوا لهم) أى مع الإعطاء (قولوا معروفاه) أى حسنا
سائغا فى الشرع مقبولا تطيب به نفوسهم .

ولما أعاد الوصية^٣ باليتامى مرة بعد أخرى ، و ختم بالأمر بالآلة^٤
القول ، و كان للتصوير فى التأثير فى النفس ما ليس لغيره ؛ أعاد الوصية^٥
بهم لضعفهم مصورا لحالم مبينا أن* القول المعروف هو الصواب الذى
لا خلل فيه فقال : (وليخش) أى يوقع الخشية على ذرية غيرهم
(الذين) و ذكر لهم حالا هو جدبر^٦ بايقاع الخشية فى قلوبهم فقال :
(لو تركوا) أى شارفوا الترك بموت أو هرم ، و صور حالهم و حقه
بقوله : (من خلفهم) أى بعد موتهم أو عجزهم العجز الذى هو كونهم^{١٠}
(ذرية) أى أولادا من ذكر أو^٧ إناث (ضعفا) أى لصغر أو غيره
(خافوا عليهم) أى جور الجائرين .

ولما تسبب عن ذلك التصور فى أنفسهم خوفهم^٨ على ذرية غيرهم
كما يخافون على ذريتهم ، سواء كانوا أوصياء أو أولياء أو أجنب ، و كان
هذا الخوف ربما أدام^٩ فى قصد نفعهم إلى جور على غيرهم ؛ أمر بما^{١٥}

- (١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتطيب (٢) فى الأصل و مد : التهديد ، و فى
ظ : التجديد (٣) العبارة من هنا إلى ” أعاد الوصية “ سقطت من ظ (٤) من مد ،
و فى الأصل : بالآلة - كذا (٥) فى ظ : اى (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل :
جدبرا (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ « و » (٨) من مد ، و فى الأصل : خافوهم ،
و قد سقط من ظ (٩) من مد ، و فى الأصل : ادهم ، و فى ظ : اذاهم .

يحفظهم على الصراط السوى بقوله: ﴿فليتقوا﴾ و عبر بالاسم ' الأعظم
إرشادا^٢ إلى استحضار جميع عظمتهم فقال: ﴿الله﴾ أى فليعدلوا في
أمرهم ليقض^٣ الله لهم من يعدل في ذريتهم، وإلا أوشك أن يسلط
على ذريتهم من يحور عليهم ﴿وليقولوا﴾ أى في ذلك وغيره ﴿قولا
سديدا﴾ أى عدلا قاصدا صوابا^٤، يدل هذا الظاهر على صلاح
ما أتمره من الباطن .

ولما طال التحذير [٥ - و الزجر^٦ و التهويل في شأن التامى،
و كان ذلك ربما أرجب النفرة من مخالطتهم رأسا فتضيع مصالحهم^٧،
وصل بذلك^٨ ما بين أن ذلك خاص بالظالم في سياق موجب لزيادة
١٠ التحذير [فقال مؤكدا^٩ لما كان^{١٠} قد رسخ في نفوسهم من الاستهانة
بأموالهم: ﴿ان الذين﴾ و لما كان الأكل أعظم مقاصد الإنسان عبر به
عن جميع الأغراض فقال: ﴿ياكلون اموال اليتيم ظلما﴾ أى أكلا
هو في غير موضعه بغير دليل يدل^{١١} عليه، فهو كفعل من يمشى في الظلام،
ثم أتبعه ما زاده تأكيدا بالتحذير في سياق الحصر فقال: ﴿انما ياكلون﴾
١٥ أى في الحال، و صور الأكل وحققه بقوله: ﴿في بطونهم ناراً﴾ أى

(١) من مد، و في الأصل و ظ: الاسم (٢) في ظ: اشارة (٣) من ظ و مد،
و في الأصل: ليقضى (٤) في الأصول: ثوابا - كذا بالناء (٥) زيد ما بين
الحاجزين من ظ و مد (٦) من مد، و في ظ: الجزو (٧) من مد، و في ظ:
مصلحتهم (٨) في ظ: بذ - كذا مقطوعا (٩ - ١٠) من ظ و مد، و في الأصل:
لكان - كذا (١٠) في ظ: تبدل .

تحرّق المعاني الباطنية^١ التي تكون بها قوام الإنسانية، وبين أنها على حقيقتها في الدنيا، ولكننا^٢ لا نحسها الآن لأنها غير النار المعهودة في الظاهر بقوله - مكررا التحذير مينا بقراءة الجماعة بالبناء^٣ للفاعل أنهم يلجأون إليها إجماع^٤ يصيرهم كأنهم يدخلونها بأنفسهم^٥ - : ﴿وسيلون﴾ أي في الآخرة - بوعيد حتم لا خلف فيه ﴿سعيراء﴾ أي عظيما هو ه نهاية في العظمة، وذلك هو معنى قراءة^٦ ابن عامر وعاصم بالبناء للجهول، أي يلجئهم إلى صليها^٧ ملجئ قاهر لا يقدرّون^٨ على نوع^٩ دفاع له .

ولما تمّ ذلك تشوّفت النفوس إلى بيان مقادير الاستحقاق بالإرث لكل واحد، وكان قد تقدم ذكر استحقاق الرجال والنساء من ١٠ غير تقييد يتم، فاقتضت البلاغة بيان^{١١} أصول جميع^{١٢} الموارد، وشفاء العليل^{١٣} بإيضاح أمرها، فقال - مستأنفا في جواب من كأنه سأل عن ذلك مؤكدا لما أمر به منها غاية التأكيد مشيرا إلى عظمة هذا العلم بالتقدم^{١٤} في الإيصاء في أول آياته، والتحذير من الضلال في آخرها، ورجب فيه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه نصف العلم، وحذر من ١٥ إضاعته بأنه أول علم ينزع من الأمة - : ﴿يوصيكم الله﴾ أي بما له من (١) من ظ ومد، وفي الأصل: الباطنة (٢) في ظ: لكنها (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: بالياء (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: انفسهم (٥) في ظ: قرا. (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: جبالها (٧-٧) سقط من ظ (٨-٨) في مد: جميع اصول (٩) في مد: العليل (١٠) في ظ: بالقدم .

الظمة الكاملة و الحكمة البالغة ، وبدأ بالآولاد لأن تعلق الإنسان بهم
أشد فقال : ﴿ في أولادكم ﴾ أى إذا مات مورثهم .

ولما كان هذا مجعلا كان بحيث يطلب تفسيره ، فقال جوابا
لذلك بادئا بالاشرف^١ يانا لفضله بالتقديم^٢ وجعله أصلا [و - ٢]

التفضيل : ﴿ للذكر ﴾ أى منهم إذا كان معه شيء من الإناث ، ولم يمنع
مانع من قتل ، ولا مخالفة دين ونحوه ﴿ مثل حظ الانثيين ﴾

أى نصيب من شأنه أن يغنى^٣ ويسعد ، وهو / الثلثان ، إذا انفردتا^٤ / ٤٥٦

فللواحدة معه الثلث ، فأثبت سبحانه الاناث حظا^٥ تغليظا [لهم - ٨]

في منعهن^٦ مطلقا ، ونقصهن عن نصيب الرجال تعريضا بأنهم أصابوا
١٠ في نفس الحكم بازالهن^٧ عن درجة الرجال .

ولما بان سهم الذكر مع الانثى بعبارة النص ، وأشعر ذلك

يأن هن^٨ إرثا في الجملة وعند الاجتماع مع الذكر ، وفهم بحسب

إشارة النص - وهى ما ثبت بنظمه ، لكنه غير مقصود ، ولا سبق له

النص - حكم الانثيين إذا لم يكن [معهن - ٩] ذكر ، وهو أن

١٥ لها الثلثين ، و كان ذلك أيضا مفهما لأن الواحدة إذا كان لها مع الأخ

الثلث كان لها ذلك مع الأخت إذا لم يكن ثم ذكر من باب الأولى ،

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : لاشرف (٢) في مد : بالتقدم (٣) زيدت

الواو من ظ و مد (٤) في ظ : قبل ، وفي مد : قبل - كذا (٥) من ظ و مد ،

وفي الأصل : يعين (٦) في ظ : انفرد (٧) سقط من ظ (٨) زيد من مد (٩) من

ظ و مد ، وفي الأصل : متهن (١٠) من مد ، وفي الأصل : وظ : بأزاله .

(١١) من ظ و مد ، وفي الأصل : لهم .

فاتقضى ذلك أنهن إذا كن ثلاثا أو أكثر ليس معهن ذكر^١ استغرقن^٢ التركة، وإن كانت واحدة ليس معها ذكر لم تزد على الثلث؛ بين [أن-^٣] الأمر ليس كذلك- كما تقدم- بقوله مبينا إرثهن حال الانفراد: ﴿فإن كن﴾ أى الوارثات؛ ﴿نساء﴾ أى إناثا.

ولما كان^٤ ذلك قد يحمل على أقل الجمع، وهو اثنتان حقيقة ٥ أو مجازا حقق ونفى هذا الاحتمال بقوله: ﴿فوق اثنتين﴾ أى لا ذكر معهن ﴿فلهن ثلثا ما ترك﴾ أى الميت، لا أزيد من الثلثين ﴿وان كانت﴾ أى الوارثة ﴿واحدة﴾ أى منفردة، ليس معها غيرها^٦ ﴿فلها النصف^٧﴾ أى فقط.

ولما قدم الإيصاء بالأولاد لضعفهم إذا كانوا صغارا، وكان ١٠ الوالد^٨ أقرب الناس إلى الولد^٩ وأحقهم بصلته وأشدهم^{١٠} اتصالا به أتبعه حكمه فقال: ﴿ولا يورثه﴾ أى الميت، ثم فصل بعد أن أجل ليكون الكلام أكدا، ويكون سامعه إليه أشوق^{١١} بقوله مبدلا^{١٢} بتكرير العامل: ﴿لكل واحد منهما﴾ أى أبيه وأمه اللذين ثنيا^{١٣} بأبوين

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: ذكرا (٢) من مد، وفي الأصل وظ: استغرق. (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: الوارثات (٥) من مد، وفي الأصل وظ: كانت (٦) من مد، وفي الأصل وظ: غيرها (٧) في ظ: الولد (٨) في ظ: الوالد (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: أشدهم (١٠) من ظ ومد، وفي الأصل: أشوق (١١) زيد بعده في الأصل وظ: لا، ولم تكن الزيادة في مد فخذناها (١٢) في ظ: سميئا - كذا.

(السدس مما ترك) تم بين شرط ذلك فقال: (ان كان له) أي الميت (ولد) أي ذكر، فان كانت أنثى أخذ الأب السدس فرضاً، و الباقي بعد الفروض حق عصوبة .

ولما بين حكمهما مع الأولاد تلاه بحالة فقدم فقال: (فان لم يكن له ولد) أي ذكر ولا أنثى (وورثة أبوه) [أي - ١] فقط (فلامه الثلث ج ٢) أي وللأب الباقي لأن الفرض أنه لا وارث له غيرهما، ولما كان التقدير: هذا مع فقد الإخوة أيضاً، بنى عليه قوله: (فان كان له أخوة) أي اثنان فصاعداً ذكورا أو ٢ لا، مع فقد الأولاد (فلامه السدس) أي لأن الإخوة ينقصونها^١ عن الثلث إليه، ١٠. و الباقي للأب، ولا شيء لهم، وأما الأخت الواحدة فانها لا تنقصها إلى السدس سواء كانت وارثة أو لا، وكذا الأخ إذا كان واحداً، ثم بين أن هذا كله بعد إخراج الوصية والدين لأن ذلك سبق فيه حق الميت الذي جمع المال فقال: (من بعد وصية يوصى بها) أي كما مندوب لكل ميت، وقدمها في الوضع على ما هو مقدم عليها في الشرع ١٥ بعثاً على أدائها، لأن أنفس الورثة تشع بها، لكونها^٢ مثل مشاركتهم في الإرث لأنها بلا عوض (أر دين^٣) [أي - ١] إن كان

(١) زيد من ظ ومد (٢-٢) تأخر ما بين الرقين في ظ عن «بنى عليه قوله» .
(٣) من ظ ومد، وفي الأصل «و» (٤) من ظ، وفي الأصل: تقضوا ما، وفي مد: تقصوها (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: عننا - كذا (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: لكونه .

عليه دين .

ولما كان الإنسان قد يرى أن بعض أقربائه من أصوله أو فصوله أو غيرهم أنفع له ، فأحب تفضيله فتعدى هذه الحدود لما رآه، و كان ما رآه خلاف الحق في الحال أو في المآل، و كان الله تعالى هو المستأثر^٢ بعلم ذلك، و لهذا قال صلى الله عليه وسلم: أحب حبيك هونا ما ه عسى أن يكون بغيضك يوما [ما - ٢] - الحديث، لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن، يقلبها كيف شاء؛ قال تعالى حاثا على لزوم ما حده مؤكدا^٣ بالجملة الاعتراضية - كما هو الشأن في كل اعتراض - لأن هذه القسمة مخالفة لما كانت العرب تفعله، و هي على وجوه لا تدرك عللها: ﴿ اَبَاؤُكُمْ وَاَبْنَاؤُكُمْ ﴾ أى الذين^٤ فضلنا لكم إرثهم^٥ على ١٠ ما ذكرنا ﴿ لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا^٦ ﴾ أى من غيره، لأنه لا إحاطة / لكم في علم ولا قدرة، فلو وكل الامر في القسمة إليكم لما وضعت الامور في أحكم^٧ مواضعها .

٤٥٧ /

ولما بين أن الإرث على ما حده سبحانه و تعالى مؤكدا له بلفظ الوصية، وزاده تأكيدا بما جعله اعتراضا بين الإيصاء^٨ و بين "فريضة" ١٥ بين أنه على سبيل الحتم^٩ الذى من تركه عصي، فقال ذاكرا مصدرا

(١) من مد، وفي الأصل وظ: لهم (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: النثر .
(٣) زيد من مد وجامع الترمذى - أبواب البر والصلة (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: مؤكدا (٥) في ظ: الذى (٦) في ظ: ارثهم (٧) من مد، وفي الأصل وظ: انهم - كذا (٨) في ظ ومد: الانصاء (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: الحتم .

مأخوذاً من معنى الكلام: ﴿فريضة من الله^١﴾ أى الذى له الأمر كله، ثم زادهم حثاً على ذلك ورغبة فيه بقوله تعليلاً لفريضته عليهم مطلقاً وعلى هذا الوجه: ﴿ان الله﴾ أى المحيط علماً وقدره ﴿كان﴾ ولم يزل ولا يزال^١ لأن وجوده لا يتفاوت فى وقت من الأوقات، لأنه لا يجرى عليه زمان، ولا يحويه مكان، لأنه خالقهما ﴿عليما﴾ أى بالعواقب ﴿حكيماء﴾ أى فوضع لكم هذه الأحكام على غاية الإحكام فى جلب المنافع لكم ودفع الضر عنكم، ورتبها سبحانه وتعالى أحسن ترتيب، فان الوارث يتصل بالميت تارة بواسطة وهو الكلاله، وأخرى بلا واسطة، وهذا^٢ تارة يكون^٢ بنسب، وقارة بصهر^٣ ونسب^٤، ١٠. فقدم ما هو^٥ بلا واسطة لشدة قرب، وبدأ منه بالنسب لقوته، وبدأ منهم بالولد لمزيد الاعتناء به.

ولما كان الإرث بالمصاهرة أضعف من الإرث بالقرابة ذكره بعده، وقدمه على الإرث بقرابة الأخوة تعريفاً بالاهتمام به ولأنه بلا واسطة، وقدم منه الرجل لأنه أفضل فقال: ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم﴾ ١٥ وبين شرط هذا بقوله: ﴿ان لم يكن لهن ولد﴾ أى منكم أو من غيركم، ثم بين الحكم على التقدير الآخر فقال: ﴿فان كان لهن ولد﴾ أى وارث وإن سفل سواء كان ابناً أو بنتاً ﴿فلكم الربع مما تركن﴾ أى (١) من مد، وفى الأصل وظ: لم يزال (٢-٣) فى مد: يكون تارة (٣) فى ظ: يضيئه - كذا (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: نصب - كذا بالصاد (٥) سقط من مد.

تركت كل واحدة منهن، ويغسلها الزوج^١ لأن الله أضافها إليه باسم الزوجية، والأصل الحقيقة، ولا يضر حرمة جماعها بعد الموت وحل نكاح أختها وأربع سواها، لأن ذلك لفقد المقتضى أو المانع وهو الحياة، وذلك لا يمنع علاقة^٢ النكاح المصحح للغسل - كما لم يمنعها لأجل^٣ العدة لو كان الفراق بالطلاق، ثم كرر حكم الوصية اهتماماً بشأنها فقال: ﴿من بعد وصية يوصي بها﴾ أى الأزواج أو بعضهن، ولعله جمع إشارة إلى أن الوصية أمر عظيم ينبغي أن يكون مستحضراً في الذهن غير مغفول عنه عند أحد من الناس ﴿أو دين^٤﴾ .

[ولما بين إرث الرجل أتبعه إرثها فقال معلماً أنه على النصف بما للزوج - كما مضى في الأولاد -^٥]: ﴿وله^٦﴾ أى عدداً كن أولاً ١٠ ﴿الربع مما تركتم﴾ أى يشتركن فيه على السواء إن كن عدداً، وتفرد^٧ به الواحدة إن لم [يكن -^٨] غيرها، ثم بين شرطه بقوله: ﴿إن لم يكن لكم ولد﴾ ثم بين حكم القسم الآخر بقوله: ﴿فإن كان لكم ولد﴾ أى

(١) وفي الدر المختار: ويمنع زوجها من غسلها ومسها لا من النظر إليها على الأصح - منيه، وقالت الأئمة الثلاثة: يجوز لأن علياً رضي الله عنه غسل فاطمة رضي الله عنها، فلما: هذا محمول على بقاء الزوجية لقوله عليه السلام: كل سبب ونسب ينقطع بالموت إلا سببى ونسبى، مع أن بعض الصحابة رضي الله عنه أنكروا عليه؛ شرح المجمع للمبني - اهـ (٢) في ظ: علقه - كذا (٣) من مد، وفي الأصل: الأجل، وفي ظ: إلا أجل - كذا (٤) من مد والقرآن المجيد، وفي الأصل و ظ: يوصى (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد (٦) من مد، وفي الأصل: ينفر: وفي ظ: يفرد (٧) زيد من ظ و مد .

وارث (فلهن الثمن مما تركتم) كما تقدم في الربع ، ثم كرر الخروج عن حق المورث ، فقال : (من بعد وصية يوصون بها أو دين) .

و لما فرغ من قسمي ما اتصل بالميت بلا واسطة أتبعه الثالث وهو

ما اتصل بواسطة ، و [لا - ١] كان قسمين ، لأنه تارة يتصل من جهة الأم فقط وهم الأخياف ، أمهم واحدة و آباؤهم^٢ شتى ، و تارة من جهة الأب [فقط - ١] وهم العلات ، أبوم واحد و أمهاتهم شتى ، و تارة من جهة الأبوين وهم الأعيان ، و كانت قرابة الأخوة أضعف من قرابة البنوة ؛ أكدها بما يقتضيه^٣ حالها ، فجعلها^٤ في قصتين ، ذكر إحداهما هنا^٥ إدخالا لها^٦ في حكم الوصية المفروضة ، و ختم بالآخرى السورة ١٠ لأن الختام من مظان الاهتمام .

و لما كانت قرابة الأم أضعف من قرابة الأب قدمها هنا دلالة على الاهتمام^٦ بشأنها ، و أن [ما - ١] كانوا يفعلونه من حرمان الإناث خطأ و جور عن منهاج العدل ، فقال تعالى : (و ان كان) أى وجد (رجل يورث) أى من ورث حال كونه (كلفة) أى ذا حالة ١٥ لا ولد له^٧ فيها و لا والده^٨ ، أو^٩ يكون " يورث " من : أورث - بمعنى أن يرث الوارث بواسطة / من مات كذلك : لا^{١٠} هو ولد للميت و لا والد ،

/ ٤٥٨

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : إياهم (٣) في ظ : تقتضيه (٤) سقط من ظ (هـ-هـ) من مد ، و في الأصل و ظ : ادخلها (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : اهتمام (٧) سقط من مد (٨) في ظ : ولد (٩) في مد " و " (١٠) في ظ : الا .

و وارثه

و^١ وارثه أيضا كلاله^٢ لأنه ليس بوالد ولا ولد، فالورث كلاله وارثه، والوارث^٣ كلاله مورثه؛ قال الأصهباني: رجل كلاله، و^٤ امرأة كلاله، وقوم كلاله، لا يثنى ولا يجمع، لأنه مصدر كالدلالة والوكالة، وهو بمعنى الكلال، وهو ذهاب القوة^٥ من الإعياء، وقد تطلق الكلاله على القرابة من غير جهة الولد والوالد، ومنه قولهم: ه ما ورث المجد عن كلاله [- ^٦ (او^٧)] وجدت^٨ (امرأة^٩) أى تورث كذلك، ويجوز أن يكون "ورث" صفة، و"كلاله" خبر "كان" [(ولة^{١٠})] أى للذكور وهو الموروث^{١١} على أى الحالتين كان. ولما كان الإدلاء^{١٢} بمحض الأنوثة^{١٣} يستوى^{١٤} بين الذكر والأنثى لضعفها قال: (اخ او اخت) أى من الأم - بالجمع^{١٥} المفسرين، وهى ١٠ قراءة أبى وسعد بن مالك رضى الله عنهما (فلكل واحد منهما السدس ج) أى من تركته، من غير فضل للذكر على الأنثى.

ولما أنهم ذلك - أى بتحويل العبارة المذكورة من أن يقال: فله السدس - أنها إن كانا^{١٦} معا كان لهما الثلث، وكان ذلك قد يفهم أنه

- (١) فى ظ: له (٢) العبارة من هنا إلى «والوارث كلاله» سقطت من ظ.
 (٣) من مد، وفى الأصل: الوارثة (٤) من مد، وفى الأصل و ظ: او.
 (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: القوم (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٧) ليس فى مد (٨) من مد، وفى ظ: جد - كذا (٩) فى ظ: المورث.
 (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل: الادالا - كذا (١١) من ظ ومد، وفى الأصل: الاتركة (١٢) من ظ ومد، وفى الأصل: ليسوى (١٣) من ظ ومد، وفى الأصل: بالاجماع (١٤) من مد، وفى الأصل و ظ: كان.

إن زاد وارثه^١ زاد الإرث عن الثلث نفاء بقوله: ﴿فإن كانوا﴾ أى ما أفهمه "اخ او اخت" من الوراثة^٢ منهم ﴿اكثر من ذلك﴾ أى واحد، كيف كانوا ﴿فهم شركاء﴾ أى بالسوية^٣ ﴿فى الثلث﴾ أى المجتمع من^٤ السدسين اللذين تقدم أنهم بينهما، لا يزدون على ذلك شيئاً، ثم كرر الحث على مصلحة الميت بيانا للاهتمام بها^٥ فقال: ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين لا﴾ .

ولما كان الميت قد يضار ورثته، أو بعضهم بشيء يخرجهم عنهم ظاهراً أو^٦ باطناً كأن يقر بماله لأجنبي، أو يدين لا حقيقة له،^٧ أو يدين كان له^٨ بأنه استوفاه؛ ختم الآية بالزجر عن ذلك بقوله: ﴿غير مضار﴾ .
١٠ مع ما تقدم من الإشارة إلى ذلك أول القصة بقوله "لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعاً"؛ قال الأصهباني: والإضرار فى الوصية من الكبار .
ثم أكد ذلك بقوله مصدراً ليوصيكم: ﴿وصية من الله﴾ أى الذى له الأمر كله مع تأكيده بجميع ما فى الآيات تعظيماً للأمر باكتناف الوصية بأولها وآخرها، وهو دون الفريضة فى حق الأولاد، لأن
١٥ حقهم أكد .

ولما بين سبحانه الأصول وفصل النزاع، وكان ذلك خلاف ما لفهمهم

(١) فى ظ: ارثته (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: الوارث (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: بالوصية (٤) من مد، وفى الأصل و ظ: فى (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ "و" (٧-٧) سقط ما بين الرقيمن من ظ (٨) فى ظ: بان .
(٩) سقط من مد .

وكان الفطام عن المألوف في الذروة من المشقة؛ اقتضى الحال الوعظ بالترغيب والترهيب، فتم القصة بقوله: ﴿ والله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال من الجلال والجمال، والاشارة إلى عظيم الوصية كرر هذا [الاسم - ١] الأعظم في جميع القصة، ثم قال: ﴿ عليم ﴾ أى فلا يخفى عليه أمر من خالف بقول أو فعل، نية أو غيرها ﴿ حلیم ط ﴾ فهو ٥ من شأنه أن لا يعاجل بالعقوبة، فلا يغتر^٢ بامهاله، فانه إذا أخذ بعد طول الأناة لم يفلت^٣ فاحذروا غضب الحلیم ١ و في الوصفين مع التهديد استجلاب للتوبة .

ولما كان فطم أنفسهم عن منع الاطفال والنساء شديدا عليهم لمروهم^٤ عليه بمرور الدهور الطويلة على إطباقهم على فعله واستحسانهم له ١٠ أتبعه سبحانه الترغيب [والترهيب - ٥] لئلا يغتر بوصف الحلیم^٦، فقال معظما للأمر بأداة البعد ومشيئا إلى جميع ما تقدم من أمر الموارد والنساء واليتامى وغيره: ﴿ تلك ﴾ أى هذه الحدود الجليلة النفع العظيمة الجدوى المذكورة من^٧ أول هذه السورة، بل من أول القرآن ﴿ حدود الله ط ﴾ أى الملك الأعظم، فن^٨ راعاها - ولو^٩ لم يقصد ١٥

(١) زيد من ظ ومد (٢) من مد، وفي الأصل وظ: فلا يضر - كذا .
(٣) من ظ ومد، وفي الأصل: لم يقلب - كذا (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: لمروهم (٥) زيد من مد (٦) من مد، وفي الأصل وظ: الحكيم .
(٧) من مد، وفي الأصل وظ: في (٨-٨) من مد، وفي الأصل: راعاها و، وفي ظ: راعاها - كذا .

طاعته، بل رفعاً لنفسه عن دناءة الإخلاص^١ إلى الفاني ومعة^٢ الاستتار
 على الضعيف المنبئ عن البخل وسفول المهمة - نال خيراً كبيراً، فانه
 يوشك^٣ أن يحمره^٤ ذلك إلى أن يكون ممن يطيع الله ﴿ومن يطع الله﴾
 الحائز اصفى الجلال والإكرام ﴿ورسوله﴾ أي في جميع طاعاته^٥
 هذه وغيرها، بالإقبال عليها وترك ما سواها لأجله سبحانه؛ قال
 الأصهباني: 'من' عام ووقوعه عقيب هذه التكاليف الخاصة لا يخصه .
 / ولما تشوف السامع بملكته إلى الخبر^٦ التفت إليه تعظيماً للأمر -
 على قراءة نافع وابن عامر بالنون - فقال: ﴿ندخله^٧ جنت﴾ أي بساتين،
 وقراءة الجماعة بالياء عظيمة^٨ أيضاً لبنائها على الاسم الأعظم وإن كانت
 ١٠ هذه أشد تنشيطاً بلذة الالتفات ﴿تجرى من تحتها الأنهر﴾ أي لأن
 أرضها معدن^٩ المياه، ففي أي موضع أردت جرى نهر، فهي لا تزال
 يابنة^{١٠} غضة^{١١}، وجمع الفائزين بدخول الجنة في قوله: ﴿خلدين فيها ط﴾
 تبشيراً بكثرة الواقف عند هذه الحدود، [و-] لأن منادمة الإخوان
 من أعلى نعيم الجنان .

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: الاخلاق (٢) من ظ و مد، وفي الأصل:
 بعدة - كذا (٣) من مد، وفي الأصل و ظ: السامح - كذا (٤) من ظ
 و مد، وفي الأصل: طاعته (٥) في ظ: الخير (٦) ورد في الأصول: يدخله -
 كذا بالغية على قراءة الجماعة وهي الشائنة في مصاحف بلادنا، ولكن أرجعناها
 إلى التكلم حسبما اختاره المفسر (٧) في ظ: التحنانية (٨) في مد: معادن (٩) في
 ظ: يابسه، (١٠) في ظ: غضة - كذا (١١) زيد من مد .

و لما كان اختصاصهم بالإرث عن النساء و الأطفال من الفوز
عندهم ، بل لم يكن الفوز [العظيم - ١] عندهم إلا الاحتواء على الأموال
و بلوغ ما في البال منها من الآمال قال تعالى معظمها بأداة البعد :
(و ذلك) أى الأمر العالى المرتبة ^٢ من الطاعة المندوب إليها (الفوز
العظيم) أى لا غيره من الاحتواء على ما لم يأذن به الله ^٣ ، و هذا أنسب
شئ لتقديم الترغيب لتسمح ^٤ نفوسهم بترك ما كانوا فيه مع ما فيه من
التلطف بهذه الأمة و التبشير له صلى الله عليه و سلم بأنها مطيعة ، راشدة .
و لما أشربت القلوب الصافية ذوات الهمم العالية حب نيل هذا
الفوز أتبعه الترهيب فطما لها عن تلك الفوائد بالكلية فقال : (و من
يعص الله) أى الذى له العظمة كلها (و رسوله) أى فى ذلك و غيره ١٠
(و يتعد حدوده) أى التى حدها فى هذه الأحكام و غيرها ، و أفرد
العاصى فى النيران ^٦ فى قوله ^٦ : (يدخله نارا خالدا فيها ص) لأن الانفراد ^٧
المقتضى للوحشة من العذاب و الهوان . و لما كان منعهم للنساء و الأطفال
من الإرث استهانة بهم ختم الآية بقوله : (و له عذاب مهين) .

و لما تقدم سبحانه فى الإيضاء بالنساء ، و كان الإحسان فى الدنيا ١٥
تارة يكون بالثواب ، و تارة يكون بالزجر و العتاب ^٨ ، لأن مدار الشرائع
على العدل و الإنصاف ، و الاحتراز فى كل باب عن طرفى الإفراط

(١) زيد من مد (٢) سقط من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل : لتسمع ، و فى
ظ : ليسمع (٤) فى ظ : و طيبة (٥) فى ظ : نقل (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى
الأصل : فقال (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الافراد (٨) فى مد : العقاب .

والتفريط ، وختم سبحانه باهانة العاصي إحسانا إليه بكفه عن الفساد ،
 لئلا يلقيه ذلك إلى الهلاك أبد الآباد ، وكان من أخفش العصيان الزنا ،
 وكان الفساد في النساء أكثر ، والفتنة بهن أكبر ، والضرر منهن
 أخطر ، وقد يدخلن على الرجال من يرث منهم من غير أولادهم ؛
 ٥ قدمهن فيه اهتماما بزجرهن فقال : ﴿ وَاَتَى ﴾ وهو جمع ' التي ' ولعله
 عبر فيهن بالجمع إشارة إلى كثرتهم - كما أشار إلى ذلك " مثني و ثلاث
 و رباع " و إلى كثرة الفساد منهن ﴿ يَاتِينَ ﴾ أى يفعلن - من ' إطلاق
 السبب على المسبب ، والتعبير به أبلغ ﴿ الفاحشة ﴾ أى الفعلة الشديدة
 الشناعة ، وفي الآية - لأن من أعظم المرادات بنظمها عقب ٢ [آيات - ٢]
 ١٠ الإرث وما ١ تقدمها الاحتياط للنسب - إشارة بذكر عقوبة الزانية من
 غير تعرض لإرث الولد الآتى منها إلى أن الولد للفراش ، وأنه لا ينق ٥
 بالمظنة ، بل بعد التحقق على ما في سورة النور ، لأنه لا يلزم من وجود
 الزنا نفيه ، و كونه من الزنى ، قال أبو حيان في النهر : والفاحشة هنا
 الزنا باجماع المفسرين إلا ما ذهب إليه مجاهد و تبعه أبو مسلم الأصفهاني ٦
 ١٥ من أنها المساحقة ٧ ، و من الرجال اللواط ، ثم بين الموصل بقوله :
 (١) من ظ و مد ، و في الأصل : بمن (٢) في ظ عقيب (٣) زيد من ظ و مد .
 (٤) في ظ : لما (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : لا ينبغي (٦) من ظ و مد
 و معجم المصنفين ٩/ ٩٧ ، و في الأصل : الاصبهاني (٧) وهى ما يجرى في النساء
 مجرى اللواط في الرجال ، و في تاج العروس : و قال الأزهري : مساحقة النساء
 لفظة مولدة .

(من نساآتكم) أى الحرائر (فاستشهدوا) أى فاطلبوا أن تشهدوا
(عليهن أربعة) من الرجال .

ولما كان تعالى قد جعل هذه الأمة وسطا يقبلون على غيرهم
ولا يقبل 'غيرهم' عليهم^١ قال: (منكم ج) أى من عدول المسلمين
بأنهن فعلنها (فان شهدوا) أى بذلك (فامسكوهن) أى فاحبسوهن^٥
(فى البيوت) أى وامنعوهن من الخروج، فان ذلك أصون لهن،
وليستمر هذا المنع (حتى يتوفهن الموت) أى يأتين و هن وفيات^٢ /
الأعراض^٣ (او يجعل الله^٤) المحيط علمه و حكمته (لهن سيلا^٥)
أى للخروج قبل الموت بتبين الحد أو بالنكاح، وإن لم يشهد^٥ الأربعة
لم يفعل بهن ذلك وإن تحقق الفعل .

١٠

ولما ذكر أمر النساء أتبعه حكم الرجال على وجه يعم النساء أيضا
فقال: (والذن) وهو تثنية 'الذى' وشدد نونه ابن كثير تقوية له^٦
ليقرب من الأسماء المتمكنة (ياتينها منكم) أى من بكر أو ثيب،
أو رجل أو امرأة، ويثبت ذلك بشهادة الأربعة - كما تقدم (فأذوها ج)
وقد بين مجمل الأذى الصادق باللسان وغيره آية الجلد و سنة الرجم^{١٥}
(فان تابا) أى بالندم والإقلاع والعزم على عدم العود^٧ (واصلحا)

(١-١) من ظ و مد، وفى الأصل: عليهم غيره (٢) من مد:، وفى
الأصل: وافيض، وفى ظ: باقيات - كذا (٣) فى ظ: الأعراض (٤) زيد فى
ظ: اى (٥) فى مد: لم تشهد (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد، وفى الأصل:
الفرد - كذا .

أى بالاستمرار على ما عزم عليه^١، ومضت مدة علم فيها الصدق في ذلك (فاعرضوا عنهما ط) أى عن أذاهما، وهو يدل على أن الأذى باللسان يستمر حتى^٢ يحصل الاستبراء، ثم علل ذلك بقوله: (إن الله) أى الذى له جميع صفات الكمال (كان تواباً) أى رجاءاً بمن رجع عن عصيانه إلى ما كان فيه من المنزلة (رحيماً) أى يخص من يشاء من عباده بالتوفيق لما يرضاه له، فتخلقوا^٣ بفعله [سبحانه و ارحموا -^٤] المذنبين^٥ إذا تابوا، ولا يكن^٦ إذا كنتم لهم^٧ إلا الله^٨ ليرجعوا، وليكن أكثر كلامكم لهم الوعظ بما يقبل بقلوبهم^٩ إلى ما^{١٠} ترضاه الإلهية، ويؤيد أن المراد بهذا البكر والثيب من الرجال والنساء تفسير^{١١} النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه مسلم والأربعة والدارمى عن عبادة ابن الصامت رضى الله عنه قد جعل الله لمن سيلا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب [بالثيب -^{١٢}] [جلد مائة و -^{١٣}] الرجم^{١٤} فالحديث مبين لما أجمل في الآية من ذكر السيل.

ولما ختم ذلك^{١٥} بذكر توبة الزناة، وكان الحامل على الزنا - على ما يقتضيه الطبع البشرى^{١٦} - شدة الشبق وقلة النظر في العواقب، وكان

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: حين (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: فتخلقوا. (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٥) في ظ: المومنين (٦) في ظ: لم يكن (٧) في ظ: له (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: الله (٩-١٠) في ظ: بما. (١٠) زيد من ظ ومد والصحيح لمسلم - كتاب الحدود (١١) زيد من الصحيح لمسلم (١٢) زيد بعده في ظ: بقوله (١٣) من مد، وفي الأصل وظ: البشر.

ذلك إنما هو في الشباب^١؛ وصل بذلك قوله تعالى معرفاً بوقت التوبة وشرطها مرغبا في تعجيلها مرهبا من تأخيرها: ﴿انما التوبة﴾ وهي رجوع العبد عن المعصية اعتذارا إلى الله تعالى، والمراد هنا قبولها، سماه باسمها^٢ لأنها بدون القبول لا تنفع لها، فكأنه لا حقيقة لها.

ولما شبه قبوله لها بالواجب من حيث أنه أخبر بها، لأنه لا يبدل ٥ القول لديه؛ عبر بحرف الاستعلاء المؤذن بالوجوب حثا عليها وترغيا فيها فقال: ﴿على الله﴾ أي الجامع بصفات الكمال ﴿لذين يعملون السوء﴾ أي سوء كان من فسق أو كفر، وقال: ﴿بجهالة﴾ إشارة إلى شدة قبح العصيان، لا سيما الزنا من المشايخ، لإشعار السياق ترهبا بأن^٣ الأمر فيهم ليس كذلك - كما صرح به النبي صلى الله عليه وسلم ١٠ فيما رواه البزار باسناد جيد عن سلمان رضي الله عنه «ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزاني، والإمام الكذاب، والعائل المزهو»، وهو في مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة [ولا ينظر إليهم - °] ولا يزيكهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر، وهو عن كثير من الصحابة من ١٥ طرق كثيرة، وذاك لأن حضور الموت بالقوة القرينة من الفعل

(١) في مد: الشاب (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: باسمها (٣) من مد، وفي الأصل و ظ: لان (٤) من مد - بمعنى التكبر، وفي الأصل و ظ: الزهو (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد والصحيح لمسلم - كتاب الإيمان.

وإضعاف القوى^١ الموهنة لداعية الشهوة^٢ قريبٌ من حضوره بالفعل،
 وذلك ينبغي أن يكون مذهبا لداعية الجهل، ماحقا لعرامة^٣ الشباب،
 سواء قلنا: إن المراد بالجهالة^٤ ضد الحلم^٥، أو ضد العلم؛ قال الإمام
 عبد الحق في كتابه الواعى: قال أبو عبد الله - يعنى القزاز^٦ - : و الجاهلية
 ٥ الجهلاء اسم وقع على^٦ أهل الشرك يكون مأخوذا من الجهل الذى
 هو ضد العلم والذى هو ضد الحلم، قال: و أصل الجهل من قولهم:
 استجهلت الريح الغصن - إذا حركته، فكأن الجهل إنما هو حركة تخرج
 عن الحق و العلم - انتهى . فالمعنى حيثئذ: يعملون السوء ملتبسين بسفه
 أو بحركة وخفة أخرجتهم^٧ / عن الحق و العلم، فكانوا كأنهم لا يعلمون -
 ١٠ بعملهم عمل أهل الجاهلية الذين لا يعلمون، وزاد فى التنفير من مواجهة
 السوء و التحذير بقوله: ﴿ثم يتوبون﴾ [أى يحددون التوبة -^٨] .
 ولما كان المراد الترغيب فيها ولو قصر زمنها بمعاودة الذنب
 أثبت الجار فقال: ﴿من﴾ أى^٩ من^{١٠} بعض زمان ﴿قريب﴾ أى
 من زمن المعصية وهم فى فسحة من الأجل، وذلك كناية عن
 (١) فى ظ: القوة (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: الشهرة (٣) من ظ ومد -
 بمعنى: الشدة و الشراسة، وفى الأصل: لقوامة - كذا (٤-٤) فى ظ: ضيد
 الحكم - كذا (٥) فى ظ: القزاز (٦) من مد، وفى الأصل و ظ: قال .
 (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: أخرجتهم - كذا (٨) زيد ما بين الحاذرين
 من ظ ومد، غير أن «أى» ليس فى ظ (٩) سقط من ظ (١٠) سقط
 من مد .

عدم الإصرار^١ إلى الموت ، ولعله عبر بتم إشارة إلى بُعد التوبة ولا سيما مع القرب ممن واقع المعصية ، لأن الغالب أن الإنسان إذا ارتبك في حائلها^٢ لا يخلص إلا بعد عسر ، ولذلك أشار إلى تعظيمهم بأداة البعد في قوله - مسيا عن توبتهم واعداء أنه فاعل ما أوجه على نفسه لا محالة من غير خالف وإن كان لا يجب عليه شيء ، ولا يقبح منه شيء - : ٥

(فاولئك) أى العظمى الرتبة الصادقو الإيمان (يتوب الله) أى الذى له جميع صفات الكمال (عليهم ط) أى يردهم إلى ما كانوا فيه عندهم من مكانة القرب قبل مواجهة الذنب (وكان الله) أى المحيط علما وقدره^٣ (علما) أى بالصادقين فى التوبة والكاذبين وبنياتهم^٤ ، فهو يعاملهم بحسب ما يقتضيه حالهم (حكماء) فهو يضع الأشياء فى ١٠ أحكم محل لها ، فهما فعله لم يمكن نقضه .

ولما بين سبحانه المقبول أتبعه المطرود فقال : (وليست التوبة) أى قبولها (للذين يعملون السيئات ج) أى واحدة بعد أخرى مصرين عليها ، فسقة^٥ كانوا أو كفرة ، غير راجعين من قريب ، بل يمهلون (حتى إذا حضر) ولما كان تقديم المفعول - على وجه يجوز كل ١٥ سامع وقوعه عليه - أهول ، لكونه يصير مرتقبا حال فاعله ، خائفا من عاقبته قال : (احدم الموت) أى بأن وصل إلى حد الغرغرة ، وهى

(١) من مد ، وفى الأصل وظ : الاضرار (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : حبايلها .
(٣-٢) فى ظ : قدرة وعلما (٤) العبارة من هنا إلى يقتضيه حالهم - سقطت من ظ (٥) من مد ، وفى الأصل : بنياهم - كذا (٦) من مد ، وفى الأصل وظ : فسقة .

حالة المعايبة ﴿ قال ﴾ أى بلسانه كفرعون ، أو قلبه ^١ ﴿ انى تبت
الثن ﴾ فبين أن ^٢ ما قبل الاحتضار قريب مع الترغيب فى المسارعة
جدا ^٣ بالتعبير بقريب ﴿ ولا الذين ﴾ أى وليست التوبة للذين ﴿ يموتون
وهم كفار ط ﴾ حقيقة أو مجازا ، من غير أن يتوبوا ، ولا عند الغرغرة ،
٥ فسوى بين الفسق والكفر تنفيرا من الفسق لصعوبة النزع عنه بعد
مواقفته ، ^٤ ولذلك جمعها فى العذاب بقوله - جوابا لمن كأنه قال :
فما جزاء هذين الصنفين - : ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء من الرحمة ، الذين
لم يتوبوا إلا حال الغرغرة ، والذين ^٥ ماتوا مصرين ﴿ اعتدنا ﴾ أى هيأنا
وأحضرنا ﴿ لهم عذابا ﴾ ولما كان تأخير التوبة لذة نفسانية ختم بقوله ^٦ :
١٠ ﴿ الياء ﴾ أى نعذب به الكافرين ومن شئنا من عصاة المؤمنين ، لأن
توبتهم فى تلك الحالة عدم ^٧ ، والميت من غير توبة من المؤمنين فى المشيئة .
ولما انقضى ما تحلل ذكر النساء الوالدات للوراث ^٨ ، وختمه بهذا
التهديد الهائل لمن فعل ما لا يحل له ؛ وصل الكلام فيهن بأمر من
فعله ، فهو زان مصر على الزنا إلى الموت إنهم اعتقد [حرمة ، أو كافر
(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : قبله (٢) - نقط من ظ (٣) فى ظ و مد : حدا .
(٤-٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : وكذلك جمعها (٥) زيد بعده فى الأصل :
صاروا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد بعده فى الأصل :
لهم عذابا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد ، وفى
الأصل : مهدم (٨) من مد ، وفى الأصل و ظ : الوارث .

إن اعتقد - [حله ، فقال مشيراً بتخصيص المؤمنين عقب^٢ ” ولا الذين يموتون وهم كفار“ إلى أنه لا يرث كافر من مسلم ، وإلا لقال : يبايها الناس^٣ - مثلاً ، منفراً من ذلك بالتقييد بما هو لادنى الإيمان : ﴿ يبايها الذين آمنوا ﴾ أى فوقف بهم الإيمان عند زواجنا ﴿ لا يحل لكم أن ترثوا النساء ﴾ أى ما لهن ﴿ كرها ﴾ أى كارهين لهن ، لا حامل لكم على نكاحهن إلا رجاء الإرث ، وذلك أنهم كانوا ينكحون اليتامى لما لهن ، وليس لهم فيهن رغبة إلا تربص الموت لأخذ ما لهن ميراثاً - كما سيأتى فى تفسير ” ويستفتونك فى النساء^٤ “ - الآية ، أو يكون الفعل واقعا على نفس النساء ، ويكون ” كرها “ على هذا حالا مؤكدة ، أى كارهات ، أو^٥ ذوات كره ، وذلك لأن الرجل كان إذا مات وله امرأة جاء ابنه^٦ من غيرها أو قريبه^٧ من عصبته فيلقى ثوبه عليها ، فيصير أحق بها من نفسها ومن غيرها ، فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق الأول / ٤٦٢ الذى أصدقها الميت ، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها ، وإن شاء عضلها ومنعها من الأزواج ، يضارها لتفتدى منه بما ورثت من الميت ، أو تموت هى فيريثها ، وكان أهل المدينة على هذا حتى توفى ١٥

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) فى ظ : اعقب (٣) زيد بعده فى الأصل : ضرب ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذناها (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : بالتعبد - كذا (٥) فى ظ : عن (٦) سورة ٤ آية ١٢٧ (٧) سقط من ظ (٨) من مد ، وفى الأصل و ظ : ابنة (٩) فى مد : قريبة .

[أبو - ١] قيس بن الأسلت ، ففعل ابنه^٢ حصن هذا مع زوجة له ، فشكت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله هذه الآية ، روى البخارى فى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانوا [إذا - ٢] مات الرجل كان أولياؤه أحق بامراته ، إن شاء بعضهم تزوجها ، وإن شاؤا زوجوها ، وإن شاؤا لم يزوجوها ، وهم أحق بها من أهلها ، فزلت هذه الآية فى ذلك ” لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها “ ولهذا أتبعه سبحانه قوله : ﴿ ولا تعضلوهن ﴾ أى تمنعهن من التزوج بعد طلاقكم لهن أو بعد موت أزواجهن ، أو تشددوا عليهن بالمضارة وهن [فى - ٤] حائلكم ؛ قال البيضاوى : وأصل العضل : الضيق ، يقال : ١٠ عضلت الدجاجة يعضها - انتهى . والظاهر أن مدار مادته إنما هو على الاشتداد ، من . عضلة الساق ، وهى اللحمية التى فى باطنه ، ونقل عبد الحق أنها كل لحم اجتمع ، قال : وقال الخليل : كل لحمة اشتملت على عصبه - انتهى . وتارة يكون الاشتداد ناظرا إلى المنع ، وتارة إلى الغلبة والضيق ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن ﴾ أى ١٥ أتم إن كن^٣ أزواجا لكم^٤ ، أو مورثوكم إن كن أزواجا لهن^٥ وعضلتموهن^٦ بعدهم ، ليذهب ذلك بسبب إنقاعهن له على أنفسهن فى زمن العضل ،

(١) زيد من الإصابة ٧ / ١٥٨ ، وقد سقط من الأصول (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : ابنة (٣) زيد من مد والصحيح للبخارى (٤) زيد من مد . (٥) سقط من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل وظ : الاسداد - كذا (٧-٧) فى ظ : أزواجكم (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : لهن (٩) فى ظ : عضلتموهن .

أو بسبب افتدائهن لأنفسهن به منكم، ثم استثنى من تحريم العضل في^١
 جميع الحالات فقال: ﴿الآن﴾ أى لا تفعلوا ذلك لعله من العلل إلا لعله
 [أن -] ﴿باتين بفاحشة﴾ أى^٢ فعلة زائدة القبح ﴿مبينة ج﴾ أى
 بالشهود الأربعة إن كانت [زنا -]^٣، فاعضلوهم بالإمساك فى البيوت
 - كما مضى^٤ - لأن من تعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه، أو بمن يقبل ٥
 من الشهود إن كانت نشوزاً وسوء عشرة، فلكم العضل حيثذ إلى
 الصلاح أو الافتداء بما تطيب^٥ به النفس، والأنسب لسياق الأمر فى
 ﴿وعاشروهن﴾ أن^٦ يكون "تعضلوهم" منها، لا معطوفاً على "إن
 زئوا" ﴿بالمعروف ج﴾ أى من القول والفعل بالمبيت والنفقة والمودة^٧
 قبل الإتيان بالفاحشة ﴿فإن﴾ أى إن^٨ كنتم لا تكرهونهن^٩ فالأمر ١٠
 واضح، وإن ﴿كرهتموهن﴾ فلا تبادروا إلى المضاجرة أو المفارقة،
 واصبروا عليهن نظراً لما هو الأصح، لا لمجرد الميل النفسى، فإن الهوى
 شأنه أن لا يدعو إلى خير، ثم دل على هذه العلة بقوله: ﴿فمستى﴾
 ولوضوح دلالتها على ذلك صح جعلها جواباً للشرط ﴿إن تكرهوا
 شيئاً﴾ أى من الأزواج أو غيرها، لم يقيدته سبحانه تعميماً تميماً للفائدة ١٥
 ﴿ويجعل الله﴾ أى المحيط علماً وقدره، وغيب بحكمته علمكم العواقب

- (١) من مد، وفى الأصل وظ: من (٢) زيد من ظ ومد (٣) من ظ ومد،
 وفى الأصل: أو (٤) زيد بعده فى ظ: من (٥) فى ظ: يطيب (٦) من ظ ومد،
 وفى الأصل: أى (٧) من ظ، وفى الأصل ومد: المودة (٨) سقط من ظ.
 (٩) من مد، وفى الأصل: لا تكرهوهن، وفى ظ: لا تكرهن - كذا.

لثلاث تسكنوا^١ إلى مألوف^٢، أو تفروا من مكروه^٣ (فيه خيرا كثيرا)
ولما نهى عن العضل تسبيا إلى إذهاب^٤ بعض ما^٥ أعطيت المرأة
أتبعه التصريح بالنهي عن أخذ شيء^٦ منه في غير الحالة التي أذن فيها
في المضارة فقال: (وان) أي إن لم تعزلوا المرأة، بل (أردتم
استبدال زوج) أي تكحونها (مكان زوج) [أي - °] فارقتموها
أو لا، ولم يكن من قبلنا ما يبيح الضرار^٧.

ولما كان المراد بزواج^٨ الجنس جمع في قوله: (واقيم أحدهن)
أي إحدى النساء اللاتي [وقع - °] الإذن لكم في جمعهن في النكاح
سواء كانت بدلا^٩ أو مستبدلا بها^{١٠} (قطارا) أي مالا جما (فلا تأخذوا
١٠ منه شيئا) أي بالمضارة عن غير طيب نفس منها، ولا سبب
مباح، ثم عظم أخذه باستفهام إنكار وتوبيخ فقال: (اتخذونه)
أي على ذلك الوجه، ولما تقدم أن من صور النصب على الافتداء
حال^{١١} الإتيان بالفاحشة شبه الأخذ في هذه الحالة التي لا سبب لها
بالأخذ في تلك الحالة، فجعل الأخذ على هذه الصورة قائما^{١٢}

(١-١) في ظ: بمألوف (٢-٢) من ظ ومد، وفي الأصل: بعضها.
(٣) من مد، وفي الأصل وظ: شيئا (٤) سقط من ظ ومد (٥) زيد من مد.
(٦) في مد: الضرر (٧) في ظ: زوج (٨) زيد من ظ ومد (٩-٩) من مد،
وفي الأصل وظ: ويستبدلونها - كذا (١٠) من مد، وفي الأصل وظ:
مال (١١) من مد، وفي الأصل وظ: سبيل (١٢) من ظ ومد، وفي
الأصل: قائم.

٤٦٣ /

المقام القذف بما لا حقيقة له فلذلك^١ قال: ﴿ بهتاناً وأثماً ميناها ﴾ أى كذبى
بهتان فى أخذه وإثم مبين - لكونه لا سبب له - يورث شبهة فيه ،
ثم غلط ذلك باستفهام آخر كذلك^٢ فقال: ﴿ وكيف تأخذونه وقد ﴾
أى والحال أنه قد ﴿ افضى ﴾ أى باللامسة^٣ ﴿ بعضكم الى بعض ﴾
أى فكذلك أن تصيروا جسداً واحداً ﴿ واخذن ﴾ أى النساء ٥
﴿ منكم ﴾ أى بالإفضاء والاتحاد ﴿ ميثاقاً غليظاً ﴾ قويا عظيماً ، أى
بتقوى الله فى المعاشرة بالإحسان وعدم الإساءة ، لأن مبنى النكاح على
ذلك وإن لم يصرح به فيه .

ولما كرر ذكر الإذن فى نكاجهن وما تضمنه منطوقاً مفهوماً ،
وكان قد تقدم الإذن فى نكاح ما طاب من النساء ، وكان الطيب ١٠
شريعاً قد يحمل على الحل ؛ مست الحاجة إلى ما يحل منهن [لذلك - °]
وما يحرم فقال: ﴿ ولا تنكحوا ﴾ أى تزوجوا [وتجامعوا - °]
﴿ ما نكح ﴾ أى بمجرد العقد فى الحرية ، وبالوطء فى ملك اليمين
﴿ أبأؤكم ﴾ وبين " ما " بقوله: ﴿ من النساء ﴾ أى سواء كانت
إماء أو لا ، بنكاح أو ملك يمين ، وعبر بما دون 'من' لما فى النساء ١٥
غالباً من السفه المدنى لما [لا - ٦] يعقل .

ولما نهى عن ذلك فزعت^٤ النفوس عما^٥ كان قد^٦ ألفت^٧ بهاؤه^٨ ،

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : فكذلك (٢) فى ظ : لذلك (٣) من ظ و مد ،
وفى الأصل : باللامسة (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : يصيروا (٥) زيد من
مد (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : فزعت (٨) من ظ
و مد ، وفى الأصل : بما (٩) من مد ، وفى الأصل و ظ : هذا (١٠) فى ظ :
الفت - كذا (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : لها ، وفى ظ : بها ، وفى مد :
بهاه - كذا .

فلاح أنه في غاية القباحة وأن الميل^١ إليه^٢ إنما هو^٣ شهوة بهيمة^٤،
 لا شيء فيها من عقل ولا مروءة، وكانت عاداتهم في مثل ذلك مع
 التأسف على ارتكابه السؤال عما مضى منه - كما وقع في استقبال بيت
 المقدس وشرب الخمر؛ أتبعه الاستثناء من لازم الحكم وهو: فانه
 ٥ موجب لمقت^٥ من ارتكبه وعقابه فقال: ﴿الما قد سلف ط﴾ أي
 لكم من فعل ذلك في أيام الجاهلية^٥ كما قال الشافعي رحمه الله في
 الأم، قال السهيلي في روضه^٦: وكان ذلك مباحا في الجاهلية لشرع^٦
 متقدم، ولم يكن من الحرمات التي انتهكوها. ثم علل النهي بقوله:
 ﴿انه﴾ أي هذا النكاح ﴿كان﴾ أي الآن وما بعده كونا راسخا
 ١٠ ﴿فاحشة﴾ أي والفاحشة لا يقدم عليها تام العقل ﴿ومقتا ط﴾ أي
 أشر^٧ ما يكون بينكم وبين ذوي الهمم لما انتهكتكم من حرمة آبائكم
 ﴿وساء سيلا ط﴾ أي قبح طريقا طريقه.

ولما ابتدأ بتعظيم الآباء واحترامهم في أن ينكح الأبناء أزواجهم^٨
 على العموم ثنى بخصوص الأم بقوله: ﴿حرمت عليكم﴾ ولما كان
 ١٥ أعظم مقصود من النساء النكاح، فكان إضافة التحريم إلى أعيانهن
 لإفادة التأكيد غير قادح في فهمه، وكان مع ذلك قد تقدم ما يدل

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: المثل (٢-٢) من مد، وفي الأصل وظ: انه
 كان (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: بهيمة (٤) في مد: لفته (٥) العبارة من
 هنا إلى «في الجاهلية» سقطت من ظ (٦) سقطت من مد (٧) من مد، وفي
 الأصل: روضة (٨) من مد، وفي الأصل: لزج، وفي ظ: شرع - كذا.
 (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: اسر - كذا (١٠) في ظ: ازواجهن.

على أن المراد النكاح؛ أسند التحريم إلى الذات تأكيداً للتحريم فقال: ﴿امهتكم﴾ أى التمتع بهن بنكاح أو ملك يمين، فكان تحريمها مذكوراً مرتين تأكيداً له وتغليظاً لأمره فى نفسه واحتراماً للأب وتعظيماً لقدره ﴿وبنتكم﴾ أى وإن سفلن؛ لما فى ذلك من ضرار أمهاتهن، وهذان الصنفان لم يحللن فى دين من الأديان ﴿واخوتكم﴾ أى أشقاءه أو لا ﴿وعمتكم﴾ كذلك ﴿وخلتكم﴾ أيضاً، والضابط لهما أن كل ذكر رجع نسبك إليه فأخته عمتك، وقد تكون من جهة الأم وهى أخت أبى أمك؛ وكل أنثى رجع نسبك إليها بالولادة فأختها خالتك، وقد تكون الحالة من جهة الأب وهى أخت أم أهلك ﴿وبنت الاخ﴾ شقيقاً كان أو لا ﴿وبنت الاخت﴾ أى كذلك، وفروعهن ١٠ وإن سفلن.

ولما انقضى أمر النسب وهى سبعة أصناف أتبعه أمر السبب وهى ثمانية: أوله أزواج الآباء، أفردتها وقدمها تعظيماً لحرمتها، لما كانوا استهانوا من ذلك، وآخره المحصنات، وبدأ من هذا القسم بالأم من الرضاع كما بدأ النسب بالأم فقال: ﴿وامهتكم التى ارضعنكم﴾ ١٥ تنزيلاً له منزلة النسب، ولذلك سماها أما، فكل أنثى انتسبت باللبن

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: اشد (٢) من مد، وفى الأصل وظ «و» .
 (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: تعظيماً (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: سلفت - كذا (٥) فى ظ: ضرر (٦) من مد، وفى الأصل وظ: له (٧) من مد، وفى الأصل وظ: يكون (٨) فى ظ: لذلك (٩) فى ظ: انتسب .

إليها فهي أمك، وهي من أرضعتك، أو أرضعت امرأة أرضعتك،
 أو رجلا أرضعتك [بلبانه من زوجته أو أم ولده، وكل امرأة ولدت
 امرأة أرضعتك أو رجلا أرضعتك - ١] فهي أمك من الرضاعة،
 والمرأضة^٢ أختك، وزوج المرضعة الذي أرضعت هي بلبانه أبوك
 ٥ وأبواه جدك، وأخته^٣ عمتك، وكل ولد^٤ ولد له من غير المرضعة
 قبل الرضاع وبعده إخوة الأب، وأم المرضعة جدتك، وأختها
 خالتك، وكل من ولد لها من هذا الزوج إخوة لأب^٥ وأم، [و- ١]
 من ولد لها من غيره فهم إخوانه وأخواته لأم، فعلى ذلك ينزل قوله:
 ﴿واخوانكم من الرضاعة﴾ كما في النسب بشرط أن يكون^٦ خمس
 ١٠ رضعات وفي الحولين، وبسمية^٧ المرضعة أما والمشاركة في الرضاع^٨
 أختا علم أن الرضاع كالنسب - كما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
 "يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب"، فالصورتان منبهتان^٩ على بقية^{١٠}
 السبع؛ الأم منبهة^{١١} على البنت بجامع الولادة، والأخوات على العمات
 والحالات وبنات الأخ^{١٢} وبنات الأخت بجامع الأخوة.
 ١٥ ولما انقضى ما هو كلحمة النسب أتبعه أمر ما بالمصاهرة فقال:

(١) زيد ما بين الحائزين من مد (٢-٢) سقطت من ظ (٣) من ظ ومد،
 وفي الأصل: له - كذا (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: اب (٥) في ظ: تكون.
 (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: بتيعة (٧) في ظ: الرضاعة (٨) في الأصول:
 منبهان - كذا (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: بقيته (١٠) من مد، وفي الأصل:
 منه، وفي ظ: منه - كذا (١١) سقط من مد.

وامهت

﴿وامهت نساآئكم﴾ أى دخلتم بهن أولا - لما فى ذلك من إفساد ذات البين غالبا ﴿وربآئكم﴾ وذكر سبب الحرمة فقال: ﴿الَّتِى فى حجوركم﴾ أى بالفعل أو بالقوة - لما فىهن من شبه^٢ الأولاد ﴿من نساآئكم﴾ ولما كانت الإضافة تسوغ فى اللغة بأدنى ملاسة بين سبحانه أنه لا بد من الجماع الذى كفى عنه بالدخول لأنه يمكن لحكم^٥ الأزواج^٣ الذى يصير به أولادها كأولاده فقال: ﴿الَّتِى دخلتم بهن^٤﴾ قيد بالدخول لأن غير الأم من ابنتها دون غير البنت من أمها .

ولما أشعر هذا القيد بحل بنت من عقد عليها ولم يدخل بها أفصح به آيها على عظيم حرمة الإرضاع فقال: ﴿فان لم تكونوا دخلتم بهن﴾ أى الأمهات ﴿فلا جناح عليكم^٦﴾ أى فى نكاحهن؛ ولما افتتح^{١٠} المحرمات على التأيد بزوجة الأب ختمها بزوجة الولد فقال: ﴿وحلائل ابناآئكم﴾ أى زوجة كانت أو موطوءة بملك يمين؛ ولما لم يكن المتنبى^٧ مرادا قيد بقوله: ﴿الذين من اصلا بكم لا﴾ أى وإن سفلوا، و"دخل ما" بالرضاع لأنه كلحمة^٨ النسب فلم يخرج القيد .

ولما انقضى التحريم المؤبد أتبعه الموقت فقال: ﴿وأن﴾ أى^{١٥} وحرم عليكم أن ﴿تجمعوا﴾ بعقد^٩ نكاح لأن مقصوده الوطنى،

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: اى (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: نسبة .
(٣) فى مد: الزواج (٤) فى ظ: لتبنى (٥ - ٥) من ظ و مد، وفى الأصل: دخلها (٦) فى ظ: كلحمة - كذا بتقديم الميم على الحاء (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: العقد .

أو بوطىء في ملك يمين ﴿ بين الاختين ^١ ﴾ فان كانت إحداهما ^٢ منكوحة
و الأخرى ^٣ مملوكة حلت المنكوحة و حرمت المملوكة ما دام الحل ،
لأن الشكاح أقوى ، فاذا زال الحل حلت الأخرى و ^٤ لو في ^٥ عدة التي
كانت حلالا .

٥ و لما كان الجمع بين الاختين شرعا قديما قال : ﴿ الا ما قد سلف ط ﴾
أى فانه لا إثم عليكم فيه رحمة من الله لكم ، ثم علل رفع حرجه فقال :
﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ كان غفورا ﴾ أى ساترا لما
يريد من أعيان الزلل و آثاره ﴿ رحيمًا ﴾ أى معاملا بغاية الإكرام
الذى ترضاه الإلهية .

١٠ و لما ذكر مضارة الجمع أتبعه مضارة الإغارة على الحق ،
و الأول جمع بين [المنكوحين و هذا جمع بين - ^٥] الناكحين
فقال - عاطفا على النائب عن فاعل " حرمت " - :

(١) و المراد جمعهما في النكاح ، لا في ملك اليمين ، ولا فرق بين كونهما اختين
من النسب أو الرضاة حتى قالوا : لو كان له زوجتان رضيعتان أرضعتها أجنبية
فسد نكاحهما ، و حكى عن الشافعى أنه يفسد نكاح الثانية فقط ، و لا يحرم الجمع
بين الاختين في ملك اليمين ، نعم جمعهما في الوطء بمالك اليمين ملحق به بطريق
الدلالة لاتحادهما في المدار فيحرم عند الجمهور ، وعليه ابن مسعود و ابن عمر و عمار
ابن ياسر رضى الله تعالى عنهم ، و اختلفت الرواية عن علي كرم الله تعالى وجهه
فاخرج البيهقي و ابن أبي شيبة عنه أنه سئل عن رجل له أمتان أختان و طوىء إحداها ،
ثم أراد أن يطأ الأخرى ! قال : لا حتى يخرجها من ملكه ، و أخرجا من طريق
أبي صالح عنه أنه قال في الاختين المملوكتين : أحلتها آية و حرمتها آية و لا
أمر و لا أنهى و لا أحلل و لا أحرّم و لا أفعله أنا و لا أهل بيتي - روح
المعاني ٢/٦٠ (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : أحدهما (٣) في ظ : الآخر .
(٤-٥) من ظ و مد ، و في الأصل : لو طوى في - كذا (٥) زيد ما بين الحائزين
من ظ و مد (٦) في ظ : المنكوحين .

(والمحصنات) أى الحرائر المزوجات لأنهن مُنِعَتْ فزوجهن بالنكاح عن غير الأزواج (من النساء إلا ما ملكت إيمانكم) أى من أزواج أهل الحرب، فإن الملك بالأسر يقطع النكاح.

ولما أتم ذلك قال مؤكدا له ومبينا عظمته: (كتب الله) أى خذوا فرض الملك الأعظم الذى أوجه عليكم إيجاب ما هو موصول ٥ فى الشيء بقطعه منه، و ألزموه غير ملتفتين إلى غيره، و زاد فى تأكيده ' بأداة الوجوب فقال: (عليكم) و لما أفهم ذلك حل ما سواه أفصح به احتياطا للإيضاح^٢ و تعظيما لحرمتها فى قوله: (واحل لكم) و بين عظمة هذا التحريم^٣ بأداة البعد فقال: (ما وراء ذلكم) أى الذى ذكر لكم من المحرمات العظيمة.

١٠

ولما كان الكلام فى المنع لم يصرح بالفاعل بل قال "حرمت" - ترفقا فى الخطاب حثا على الآداب^٤، فلما وصل الأمر إلى الحل أظهره تطييبا للقلوب و تأنيسا^٥ للنفوس فى قراءة ابن كثير و نافع و ابن عمرو و ابن عامر بفتح الهمزة و الحاء^٦، و أبهمه فى قراءة الباقرين على نسق "حرمت" لأن فاعل الحل و الحرمة عند أهل [هذا - ^٧] الكتاب ١٥ معروف أنه الملك الأعلى الذى لا أمر لاحد معه أصلا، ثم أتبع التحليل^٨ علته فقال: (ان) أى إرادة أن (تبتغوا) أى تطلبوا متبعين^٩ من شئتم بما أحل لكم (بأموالكم) اللاتى / تدفعونها^{١٠} مهورا

٤٦٥ /

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تأنيب (٢) فى الأصول: للإيضاح - كذا. (٣) فى ظ: التحذير (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ترغبا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الأداة (٦) فى ظ: تأسيبا - كذا (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: الحاء (٨) زيد من ظ و مد (٩) فى مد: التحلل (١٠) فى ظ: منثنين، و لا يتضح فى مد (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: تدفعوها.

حال كونكم ﴿محصنين﴾ أى قاصدين بذلك العفة لأنفسكم و لهن ﴿غير
مُسْفَحِينَ^١﴾ أى قاصدين قضاء الشهوة و صب الماء الدافق لذلك فقط ،
و هو على هذا الوجه لا يكون إلا زنا سرا و جهرا ، فيكون فيه حينئذ
إضاعة المال و إهلاك الدين ، و لا مفسدة أعظم مما يجمع هذين الخسرانين .
و لما تقدم أول السورة و أنشاءها الأمر بدفع الصداق و النهي
عن أخذ شيء مما دفع إلى المرأة^٢ ، و كان ذلك أعم من أن يكون بعد
الدخول أو قبله ، مسمى^٣ [أو لا - ٢] قال هنا مسيا عن الابتغاء المذكور :
﴿ فاستمتعتم ﴾ أى أوجدتم المتاع و هو الانتفاع ﴿ به منهن ﴾ بالبناء
بها ، متطلبين لذلك من وجوهه الصحيحة راغبين فيه ﴿ فأتوهن أجورهن ﴾
١٠ أى عليه^٤ كاملة ، و هى المهور ﴿ فريضة^٥ ﴾ أى حال كونها واجبة
من الله و مساة مقدرة قدرتموها على أنفسكم^٦ ؛ و يجوز كونه تأكيدا لأتوا
بمصدر من معناه ﴿ و لا جناح ﴾ أى حرج و ميل ﴿ عليكم فيما ترضىتم
به^٧ ﴾ أى^٨ أتمم و الأزواج ﴿ من بعد الفريضة^٩ ﴾ أى من طلاق أو فراق
أو زيادة أو نقص إن كانت موجودة مقدرة ، أو من مهر المثل من بعد
١٥ تقديره إن لم تكن مساة فيمن عقد عليها من غير تسمية صداق .

و لما ذكر في هذه الآيات أنواعا من التكاليف هى^٩ فى غاية الحكمة ،
و التعبير عنها فى الذروة العليا من العظمة ، و ختمها باسقاط الجناح عند
الرضى و كان الرضى أمرا باطنا لا يطلع عليه حقيقة إلا الله تعالى ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : البراءة - كذا (٢) من ظ و مد ، و فى
الأصل : سمي (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل :
كذلك (٥) فى ظ : عيلة - كذا (٦) فى ظ : نفسم (٧) سقط من ظ (٨) زيدت
الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فخذناها (٩) فى ظ : هن .

حث على الورع في شأنه بنوط الحكم بغلبة الظن فقال مرغبا في امتثال أوامره ونواهيه: ﴿ان الله﴾ أى الذى له الإحاطة التامة علما و قدرة ﴿كان عليما﴾ أى بمن يقدم^١ متحريرا لرضى صاحبه أو غير متحر لذلك ﴿حكيماه﴾ أى يضع الأشياء في أماكن مواضعها من الجزاء على الذنوب وغيره .

ولما مضى ذلك على هذا الوجه الجليل عرف أنه كله في الحرار لأنه الوجه الأحكم في الشكاح، وأتبعه تعليم الحكمة في نكاح الإمام؛ فقال - عاطفا على ما تقديره: هذا حكم من استطاع نكاح حرة - : ﴿و من لم يستطع منكم﴾ أى أيها المؤمنون ﴿طولا﴾ أى سعة وزيادة، عبر فيما قبله بالمال تهوينا لبذله بأنه ميال^٢، لا ثبات له، وهنا بالطول^{١٠} الذى معناه: التى قل من يحدها ﴿ان﴾ أى لأن^٣ ﴿ينكح المحصنت﴾ أى الحرائر، فإن الحرة مظنة [العفة - ^٤] الجاعلة^٥ لها فيما هو كالخصن على مرید الفساد، لأن العرب كانوا يصونهن وهن^٦ يصن^٧ أنفسهن عن أن يكن كالإماء ﴿المؤمنت﴾ بسبب كثرة المؤنة وغلاء المهر ﴿فن﴾ أى فلينكح إن أراد من^٨ ﴿ما ملكت إيمانكم﴾ أى بما ملك^{١٥} غيركم من المؤمنين ﴿من فتيبتكم﴾ أى إيمانكم، وأطلقت الفتوة (١) في ظ: تقدم (٢) من مد، وفي الأصل و ظ: مثال (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: الان (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد، وفي الأصل و ظ: الجاهلة (٦) من ظ، وفي الأصل و مد: هم (٧) من مد، وفي الأصل: يصن، وفي ظ: يضمن - كذا (٨) زيد بعده في الأصل: ما، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فخذناها .

- وهى الشباب - على الرقيق لأنه يفعل ما يفعل الشاب لتكليف السيد له إلى الخدمة وعدم توقيره وإن كان شيخاً^١، ثم وضع المراد بالإضاعة فقال: ﴿المؤمنت^٢﴾ أى لا من الحرائر الكافرات ولا بما^٣ ملكتم من الإماء الكافرات^٤ ولا بما ملك الكفار حذرا من مخالطة كافرة^٥ خوفا من الفتنة - كما مضى فى البقرة، و^٦ لئلا يكون الولد المسلم بحكم تبعية أمه فى الرق ملكاً^٧ لكافر، هذا ما تفهمه العبارة ولكنهم قالوا: إن تقييد المحصنات بالمؤمنات لا مفهوم له، وإلا لصار نكاح الحرة الكتائية المباح بآية المائدة مشروطا بعقد^٨ مسلمة، حرة كانت أو أمة، ولم يشترط ذلك؛ ومذهب الشافعى أنه لا يجوز نكاح الأمة مع القدرة ١٠ على حرة كتائية، والظاهر أن فائدة التقييد الندب إلى مباحة الكفار، فلا ينكح منهن إلا لضرورة^٩، فكأن هذه سورة^{١٠} المواصلة، أسقط فيها أهل المباحة، والمائدة سورة تمام الدين، فذكر فيها ما يجوز [لأهله - ^{١١}] فلا ضرر فى القيد، لأن المفهوم لا يقوى لمعارضة المنطوق مع ما فيه من فائدة الندب إلى الترك، وهذا كما أن قيد الإحصان^{١٢} هنا ١٥ للندب إلى عدم نكاح الزواني مع جوازه بآية النور^{١٣} "وانكحوا الإيامى منكم"^{١٤} - كما يأتى بيانه هناك إن شاء الله / تعالى .

(١) فى ظ : شبعنا - كذا (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) فى ظ : الكافرة (٤) سقط من ظ (٥) من مد، وفى الأصل : بفقد، وفى ظ : بقدر - كذا (٦) من ظ ومد، وفى الأصل : الضرورة (٧) فى الأصول : صورة (٨) زبد من ظ ومد (٩) من مد، وفى الأصل وظ : الامكان (١٠) سورة ٢٤ (١١) آية ٣٢ - و لا (٥٩) ٢٣٦

ولما شرط في هذا النكاح الإيمان، وعبر فيه بالوصف، وكان
أمرا قليا، لا يطلع على حقيقته إلا الله؛ أعقبه ببيان أنه يكتفى فيه
بالظاهر فقال: ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة التامة بالمعلومات
والمقدورات ﴿ اعلم يايمانكم ﴾ فربما ظهر ضعف إيمان أحد و الباطن
بخلافه، لكن في التعبير به و بالوصف لا بالفعل إرشاد إلى مزيد التحرى ٥
من جهة الدين « فاظفر بذات الدين، تربت يداك! » . و لما اشترط الدين
كان^١ كأنه قيل: فالنسب؟ فأشير إلى عدم اشتراطه بقوله: ﴿ بعضكم
من بعض ﴾ أى كلكم من آدم و إن تشعبتم بعده ﴿ فانكمحوهن ﴾ أى
بشرط العجز^٢ ﴿ باذن اهلن ﴾ أى من^٣ موالين^٤، و لا يجوز نكاحهن
من غير إذنهم^٥.

١٠

و لما كان مما لا يخفى أن السيد المالك للرقبة^٦ مالك للنفعة^٧ من
باب الأولى^٨ كان الأمر^٩ بدفع المهور إليهن^{١٠} مفيدا لدب السيد إلى
جبرها به من غير أن يوم أنها تملكه و هى لا تملك نفسها، فلذلك قال
تعالى: ﴿ واتوهن اجورهن ﴾ و هى المهور ﴿ بالمعروف ﴾ أى من
غير ضرار^{١١}، لا عليكم و لا عليهن و لا على اهلن، حال كونهن^{١٢}
﴿ محصنت ﴾ أى عفافن بأنفسهن أو بصون الموالى لهن ﴿ غير مشفحت ﴾

١٥

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: المهر (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد، وفي
الأصل: موالين (٥) في ظ: اذنه (٦-٧) من مد، وفي الأصل و ظ: ملك
للتعة (٧-٧) سقط ما بين الرقيين ٥ من ظ (٨) من ظ و مد، وفي الأصل:
اليمين (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: اضرار.

أى مجاهرات بالزنا لمن أراد، لا لشخص معين (ولا متخذت اخدان ٤)
 أى أخلاء^١ فى السر للزنا معينين، لا تعدو ذات^٢ الخدن خدنها إلى
 غيره؛ قال الأصبهانى: وهو^٣ - أى الخدن - الذى يكون معك^٤ فى
 كل ظاهر و باطن .

٥ ولما لم يتقدم بيان حد الإمام قال مينا له^٦: (فاذا احصن)
 مبنيًا للفاعل فى قراءة حمزة والكسائى وأبى بكر عن عاصم، والمفعول
 فى قراءة الباقيين، أى انتقلن من حيز التعريض للزنا بالإكراه إلى حيز
 الحرائم بأن حفظن فروجهن بكرهتهن للزنا، أو حفظهن^٧ الموالى
 بالرضى لهن بالعفة؛ وقال الشافعى فى أوائل الرسالة فى آخر النسخ
 ١٠ والمنسوخ الذى يدل الكتاب على بعضه والسنة على بعضه: إن^٨ معنى
 "احصن" هنا: أسلن، لا نكحن فأصبن بالنكاح، ولا أعتقن
 وإن لم يصبن، وقال: فان قال قائل: أراك^٩ توقع الإحصان^{١٠} على
 معان مختلفة؟ قيل: نعم، جماع الإحصان أن يكون دون التحصين
 مانع [من تناول المحرم، فالإسلام مانع، وكذلك الحربة مانعة،
 ١٥ وكذلك الزوج والإصابة^{١١} مانع - ١٢] وكذلك الحبس فى البيوت

(١) فى ظ: اجلاء (٢-٢) من مد، وفى الأصل: لا تعدو ذوات، وفى ظ:
 لا تعد ذات (٣) فى ظ: هى (٤) من مد، وفى الأصل وظ: الخذلان - كذا .
 (٥) من مد، وفى الأصل وظ: معه (٦) سقط من ظ (٧) من مد، وفى الأصل
 وظ: حفظن (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: اذ (٩) فى ظ: وان - كذا (١٠) زيد
 بعده فى ظ: لا (١١) ليس فى مد (١٢) زيد ما بين الحاجزين من مد والرسالة ٢١ .

مانع، و كل 'ما منع' أحسن، وقد قال الله عز و جل "وعلته صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم"^٢ وقال "لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة"^٣، يعنى ممنوعة، قال: و آخر الكلام و أوله يدلان على أن معنى الإحصان المذكور عام؛ في موضع دون غيره، إذ الإحصان مهنا الإسلام دون النكاح و الحرية و التحصين بالحبس و العفاف، و هذه ه الاسماء التي يجمعها اسم الإحصان - انتهى . (فان اتين بفاحشة) ولا تكون^١ حيثند إلا عن رضى من غير إكراه .

و لما كان من شأن النكاح تغليظ الحد، فغلظ^٤ في الحرائر بالرجم؛ بين تعالى أنه لا تغليظ على الإماء، بل حدهن بعده هو حدهن قبله، فقال: (فعليهن نصف ما على المحصنات) أى الحرائر لأنهن في مظنة ١٠ العفة و إن كن بغير أزواج (من العذاب) أى الحد - كما كان ذلك عذابهن قبل الإحصان، و هذا يفهمه بطريق الأولى، و المراد هنا الجلد، لأن الرجم لا ينتصف .

و لما كان كأنه قيل: هل هذا لكل^٥ عاجز عن الحرية؟ استؤنف جواب هذا السؤال بقوله تعالى مشيرا بأداة البعد إلى أنه مما لا يحسن ١٥ قربه: (ذلك) أى حل نكاح الإماء الذي ينبغى البعد منه (لمن خشي العنت) أى 'الوقوع في' الزنا الموجب للآثم المقتضى للهلاك

(١-١) في ظ: مانع (٢) سورة ٢١ آية ٨. (٣) سورة ٩ آية ٤١ (٤) من الرسالة، وفي الأصول: عاما (٥) من الرسالة، وفي الأصول: ان (٦) في ظ: لا يكون. (٧) في مد: ققط (٨) من مد، وفي الأصل و ظ: الكل (٩-٩) في ظ: في و نوع.

بالعذاب في الدنيا والآخرة بما عنده من عظيم الداعية إلى ' النكاح
ومشقة الصبر عنه؛ قالوا: وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر،
فاستعير لكل مشقة وضرر؛ قال الأصماني: وقيل: إن الشبق الشديد
والغلبة العظيمة قد يؤدي بالإنسان^٢ إلى الأمراض الشديدة، أما في حق
النساء فقد يؤدي إلى اختناق الرحم، وأما في حق الرجال / فقد يؤدي إلى
أوجاع^٣ الوركين والظهر.

ولما كان هذا التخفيف والتيسير خاصا بالمؤمنين [منا -^٤] قيد بقوله:

﴿منكم﴾.

ولما بين إباحته وأشار إلى البعد عنه لما فيه من استرقاق الولد

١٠ صرح بالنذب إلى حبس النفس عنه فقال: ﴿وان تصبروا﴾ أي عن

نكاحهم متعفين ﴿خير لكم^٥﴾ أي لثلاث تعيروا بهن، أو تسترق

أولادكم منهن، ثم أتبع ذلك بتأكيد^٦ لذوى البصائر والهمم في سياق

دال على رفع الحرج^٦ فقال: ﴿والله﴾ أي الذي له الجلال والإكرام

﴿غفور﴾ أي لمن^٧ لم يصبر^٧، والمغفرة^٨ تشير إلى نوع تقصير

د١ ﴿رحيم﴾ أي فاعل به فعل الراحم منكم بالإذن في قضاء وطره

واللطف فيما^٩ يتبع ذلك من المحذور.

ولما أتم سبحانه بيان الحلال والحرام من هذه الحدود والأحكام،

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: بالاسناد (٣) في ظ: إجماع (٤) زيد من ظ

ومد (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: بتأكيد (٦) من مد، وفي الأصل

وظ: الجرح (٧-٧) في ظ ومد: يصبر (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ.

وختنها (٦٠) ٢٤٠

و ختمها بصفة الرحمة بين ما أراد بها من موجبات الرحمة تذكيرا بالنعمة
 لشكر، و تحذيرا من أن تنسى فتكفر^١ فقال تعالى: ﴿ يريد الله ﴾ أى
 الملك الاعظم إزال هذه الأحكام على هذا النظام ﴿ لين لكم ﴾ أى
 ليوقع لكم البيان الشافي فيما لكم و عليكم من شرائع الدين ﴿ و يهديكم ﴾
 أى يعرفكم ﴿ سنن ﴾ أى طرق ﴿ الذين ﴾ و لما كان المراد بعض الماضين ٥
 قال: ﴿ من قبلكم ﴾ أى من أهل [الكتاب - ٢]: الانبياء و أتباعهم
 ﴿ و يتوب عليكم^٣ ﴾ أى يرجع بكم عن كل ما لا يرضيه، لا سيما ما يجر
 إلى المقاطعة^٢ - مثل منع النساء و الأطفال الإرث، و مثل نكاح
 ما يحرم نكاحه و غير ذلك، فأعلمهم بهذا أنهم لم يخصهم* بهذه التكليف،
 بل يسلك بهم فيها صراط الذين أنعم^٤ عليهم ليكون ذلك أدعى لهم إلى ١٠
 القبول و أعون على الامثال، و ليتحققوا أن إلقاء أهل الكتاب الشبه إليهم
 و تذكيرهم بالأضغان^٥ لإرادة إلقاء العداوة محض حسد لمشاركتهم لهم
 في منتهم [إذ - ٨] هدوا^٦ لسننهم^٧، و ما أحسن ختم ذلك بقوله:
 ﴿ والله ﴾ أى المحيط بأوصاف الكمال ﴿ عليم حكيم ٥ ﴾ فلا يشرع
 لكم [شيئا - ٩] إلا و هو فى غاية الأحكام، فاعملوا به يوصلكم إلى ١٥
 دار السلام .

بيان ذلك أن ما فى هذه السورة الأمر بالتقوى و الحث عليها،

- (١) فى ظ: تفكرو (٢) زيد من مد (٣) فى ظ: العاطفة (٤) سقط من ظ (٥) فى
 مد: لم يختصهم (٦) فى مد: انعمت (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بالاحسان.
 (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: و ا، كذا (١٠) من مد،
 و فى الأصل: لسننهم، و فى ظ: لسننهم (١١) فى ظ: الاسلام .

و بيان الفرائض و أمر الزناة، و ما يحل و يحرم من النساء، و التحرى
 فى الأموال، و الإحسان إلى الناس، لا سيما الأيتام و الوالدين، و الإذعان
 للأحكام، و تحريم القتل، و الأمر بالعدل فى الشهادة و غيرها، و كل
 ذلك مبين أصوله فى التوراة كما هو مبثوث^١ فى هذا الديوان عن نصوصها
 ٥. فى المواضع اللاتفة به، لكن القرآن أحسن بياناً و أبلغ تبياناً و أبدع
 شأناً و ألطف عبارة و أدق إشارة، و أعجب^٢ ذلك أن سبب إزال
 فرائض الميراث فى شريعتنا النساء، فى الصحيحين و غيرها عن جابر
 رضى الله عنه قال: مرضت فعادنى^٣ رسول الله^٢ صلى الله عليه و سلم،
 فأتانى و قد أغمى علىّ، و فى رواية البخارى فى التفسير: عادنى النبي
 ١٠. صلى الله عليه و سلم و أبو بكر فى بنى سلبة ما شيين، فوجدنى النبي
 صلى الله عليه و سلم لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ فصب علىّ وضوءه
 فأفقت، فقلت: يا رسول الله! كيف أضنع فى مالى؟ - و فى رواية لمسلم:
 إنما يرثنى كلاله - فلم يجبنى بشيء، و فى رواية الترمذى: و كانت لى تسع
 أخوات حتى نزلت آية الميراث، و فى رواية للبخارى^٥: فنزلت، و فى
 ١٥. رواية للترمذى: حتى نزلت "يوصيكم الله فى اولادكم" و فى رواية
 للترمذى: حتى نزلت آية الميراث "يستفتونك قل الله يفتيك فى الكلالة" -
 الآية، و قال: حديث صحيح. و لآبى داود و الترمذى و ابن ماجه
 و الدارقطى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: جاءت
 (١) من ظ و مد، و فى الأصل: منبوت (٢) فى ظ: اعب - كذا (٣-٢) فى
 ظ: النبي (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: فى (٥) فى ظ: البخارى
 امرأة

امراً سعد بن ربيع بابتئها من سعد رضى الله عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت^١: يا رسول الله! هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قتل أبوهما معك يوم أحد شهيدا، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع^٢ لهما مالا، ولا تنكحان^٣ إلا ولهما مال، قال: يقضى^٤ الله عز وجل في ذلك، فنزلت آية الميراث - وفي رواية أبي داود: ونزلت الآية في سورة النساء ٥

”يوصيكم الله في أولادكم“^٥ وفي رواية الدارقطني: فنزلت سورة النساء، وفيها ”يوصيكم الله في أولادكم“^٥ - إلى آخر الآية - فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال: أعط^٦ ابنتي سعد الثلثين، وأعط أمهما الثمن، وما بقي فهو لك؛ وفي رواية للدارقطني^٧: إن امرأة سعد

ابن الربيع قالت: يا رسول الله! إن سعدا هلك وترك ابنتين وأخاه، فعمد أخوه^٨ فقبض ما ترك سعد، وإنما تنكح النساء على أموالهن، فلم يجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه^٩ ذلك، ثم جاءته^{١٠} فقالت: يا رسول الله! ابنتا سعد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ادعى لي أخاه^{١١} فقال: ادفع إلى ابنتيه الثلثين، وإلى امرأته الثمن،

(١) من مد والترمذى - الفرائض، وفي الأصل و ظ: فقال - كذا (٢) من مد والترمذى، وفي الأصل و ظ: ولم يدع (٣) في ظ: لا ينكحان (٤) من ظ و مد والترمذى، و وقع في الأصل: يعنى - كذا مصحفا (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) من ظ و مد والترمذى، وفي الأصل: أعطى (٧) في مد: الدارقطني (٨) في مد: عمهما (٩) من سنن الدارقطني - الفرائض، وفي الأصول: مجلسها (١٠) من ظ و مد والسنن، وفي الأصل: جاءت (١١) في مد: فجاءه.

ولك ما بقي . وقال شيخنا حافظ عصره أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر
في الإصابة في أسماء الصحابة : روى أبو الشيخ في تفسيره من طريق
عبد الله بن الأجلح الكندي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال : كان أهل الجاهلية ' لا يورثون ' البنات ولا الأولاد^١
٥ الصغار حتى يدركوا ، فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت ،
وترك بنتين وابنا صغيرا ، فجاء ابنا عمه خالد وعرفطة فأخذوا ميراثه ،
فقال امرأته للنبي صلى الله عليه وسلم [ذلك - ٢] ، فأنزل الله تعالى
" للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون " فأرسل إلى خالد وعرفطة
فقال : لا تحركا^٢ من الميراث شيئا^٣ . ورواه أبو الشيخ من وجه آخر
١٠ فقال : قتادة وعرفطة ، ورواه الثعلبي في تفسيره^٤ فقال : سويد وعرفطة ،
٧ ووقع^٥ عنده أنها أخوات^٦ أوس^٧ ، ورواه مقاتل في تفسيره فقال :
إن أوس بن مالك توفي يوم^٨ أحد وترك امرأته أم بكة^٩ وبنتين -
١١ (١-١) من ظ ومد والإصابة ٨١/١ ، وفي الأصل : يورثون (٢) من الإصابة ،
وفي الأصول : الموالى (٣) زيد من الإصابة (٤) العبارة من هنا إلى « قتادة
وعرفطة » سقطت من مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ومد والإصابة ، وفي
الأصل : تفسير (٧-٧) في ظ : فوق (٨) في ظ : اجزا - كذا (٩) من الإصابة ،
وفي الأصول : وين - كذا ، وزيد بعده في الإصابة : وذكر ابن منده في ترجمته
أنه أوس بن ثابت أخو حسان ، وهو خطأ لأن أوسا ليس له أحد من إخوته
ولامن أعمامه يسمى عرفطة ولا خالد (١٠) في الأصل ومد : أم ككة ، وفي
ظ : أم لحه - كذا ، والتصحيح من ترجمتها في الإصابة ٢٧٠/٨ ، وأما هنا فقد
ثبت في الإصابة أيضا : أم ككة .

فذكر القصة . وذكر شيخنا في تخریج أحاديث الكشف أن الثعلبي
والبغوی ساقا بلا سند أن أوس بن الصامت الأنصاري ترك امرأته
أم بكجة^١ وثلاث بنات، فزوى^٢ ابنا عمه سويد وعرفته أو قتادة وعرجة
ميراثه عنهن، وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الأطفال
ويقولون: لا يرث إلا من طاعن بالرماح، وذاد عن الحوزة، وحاز
الغنيمة، فجاءت أم بكجة^٣ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد
الفضيخ، فشكت إليه، فقال: أرجعي حتى أنظر ما يحدث الله، فزلت
”للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون“ فبعث إليهما: لا تفرقا
من مال أوس شيئا، فإن الله قد جعل لهن نصيبا، ولم يبين حتى نزلت
”يوصيكم الله في أولادكم“^٤ - الآية، فأعطى أم بكجة^٥ الثمن والبنات ١٠
الثلثين والباقي لابني^٦ العم . ورواه الطبراني من طريق ابن جريج عن
عكرمة على غير هذا السياق، ولفظه: نزلت في أم بكجة^٧ و”ابنة أم بكجة“^٨
و ثعلبة وأوس بن سويد، وهم من الأنصار، كان أحدهما زوجها
والآخر عم ولدها، فقالت: يا رسول الله! توفي زوجي وتركني وابنته
فلم نورث^٩، فقال عم ولدها: إن ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ١٥

- (١) من الإصابة، وفي الأصل ومد: أم بكجة، وفي ظ: أم بكجة - كذا .
(٢) زوى الشيء عنه: منعه، وفي الأصول: فروى، والتصحيح من الكشف
١٩٢/١ (٣) زيد بعده في ظ: للذكر (٤) في الكشف: ابني (٥-٥) في الأصول:
ابنة بكجة، والتصحيح من الإصابة ٢٧١/٨، حيث سبقت هذه الرواية لإحالة
على الطبري بفرق يسير (٦) من مد والإصابة، وفي الأصل: فلم ترث، وفي
ظ: فلم ترث .

ولا ينكأ عدوا، فنزلت "للرجال نصيب" - الآية، و روى من طريق السدى، قال في قوله "يوصيكم الله في اولادكم" - الآية: كانه^١ أهل الجاهلية لا يورثون الجوارى ولا الضعفاء من الغلمان، ولا يورثون إلا من أطاق القتال، فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر وترك امرأة يقال لها أم بكجة^٢، وترك خمس أخوات، فجاءت الورثة فأخذوا ماله، فشكت أم بكجة^٣ [ذلك - ٢] إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله "فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك" ثم قال في أم بكجة^٤ "ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد" - الآية .

جميع هذه الروايات - كما ترى - ناطقة بأن سبب نزول آيات الميراث النساء، ويمكن أن يكون المجموع سببا - والله أعلم؛ وذلك كما أن سبب إنزال الفرائض في التوراة كان النساء أيضا، وذلك أنه^٥ جل^٦ أمره وعز اسمه وتعالى جده لما أمات من نكص عن أمره من بني إسرائيل ومن^٧ آلافيهم في التيه^٨ / وأخرج أبناءهم منه؛ أمر موسى عليه الصلاة والسلام بقسمة أرض الكنعانيين بين بنيهم^٩ بعد معرفة عددهم على منهاج ذكره^{١٠}، ولم يذكر البنات، وكان فيهم بنات^{١١} لا أب^{١٢}

/ ٤٦٩

(١) من مد والإصابة، وفي الأصل وظ: قال (٢) من الإصابة، وفي الأصول: أم بكجة (٣) زيد من الإصابة، والعبارة من بعده إلى «عليه وسلم» سائطة من مد (٤) من مد، وفي الأصل وظ: أية (٥) في ظ: حلى (٦) من مد، وفي الأصل وظ: النية - كذا (٧) من مد، وفي الأصل وظ: بينهم (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: ذكرهم (٩-١٠) من ظ ومد، وفي الأصل: لا ب .

لهن

[لن - ١] فسألن ميراث أيهن ، فأنزل الله حكمن ؛ قال في السفر الرابع من التوراة ما نصه : ولما كان بعد^٢ الموت^٣ الفاشي^٤ قال الرب لموسى وللعاذر^٥ بن هارون الحبر : احفظا^٦ عدد جماعة بني إسرائيل من ابن عشرين سنة إلى فوق ، كل من خرج للحاربة من بين بني إسرائيل ، فكلما^٧ الجماعة في^٨ عربات مؤاب^٩ التي عند أردن أريحا ، وأخبرهم^{١٠} بقول الرب ، ثم أحصياهم ، فكان عددهم^{١١} ستمائة ألف و سبعمائة و ثلاثين رجلا غير اللاويين^{١٢} سبط موسى فانهم^{١٣} كانوا لحفظ قبة الزمان و خدمتها ، و كانوا ثلاث^{١٤} قبائل : أحدهم^{١٥} فغث^{١٦} فولد له عمران^{١٧} ، وكان اسم امرأة عمران^{١٨} حنة^{١٩} ابنة لوى ، ولدت له بأرض مصر هارون

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : بعض (٣) سقط من ظ .
(٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : الفاشي - كذا (٥) من مد و تاريخ يعقوبى ١ / ٤١ ، وفي الأصل : للعاذر ، وفي ظ : للعاذر (٦) من مد ، وفي الأصل و ظ : احفظ (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : فكلما (٨-٩) في الأصل : عربية مواب ، وفي ظ : عربته مرات ، وفي مد : عزية مواب ، والتصحيح من كتاب أسفار موسى الخمسة المطبوعة ببيروت سنة ١٨٦٢ م - الإصحاح الثانى والعشرون من السفر الرابع (٩) زيد في الأصل و مد : احدى و ، وفي ظ : احدا و - كذا (١٠) من مد ، وفي الأصل : اللاويين ، وفي ظ : اثنين - كذا (١١) من مد ، وفي الأصل و ظ : بانهم (١٢) في الأصول : ثلاثة (١٣) من تاريخ يعقوبى ١ / ٣٣ ، وفي الأصل : فانات ، وفي ظ و مد : فاهات (١٤) من التاريخ ، وفي الأصل و مد : عمرم ، وفي ظ : عموم - كذا (١٥) من التاريخ ١ / ٦٨ ، وفي الأصل و ظ : يوحان ، وفي مد : يوحانا .

و موسى و مريم ، و كان عددهم في هذا الوقت ثلاثة و عشرين ألفا ، كل ذكر منهم ابن شهر فافوق ، و لم يكن في هؤلاء بمن أحصاه موسى و هارون حيث عدا^١ بنى إسرائيل في بركة سيناء ، لأن الرب قال لهم : يقتلون^٢ في هذه المفازة ، و لا يبق منهم رجل ما خلا^٣ كلاب بن يوفسا^٤ و يوشع^٥ بن نون ، و دنا بنات^٦ صلفحد^٧ من قبيلة منشى^٨ ابن يوسف و قن : أبونا توفى في البرية و لم يخلف ابنا ، أعطنا^٩ ميراثنا ، فرفع موسى أمرهم إلى الرب ، فقال الرب لموسى : الحق قلن^{١٠} أعطهن ميراثا^{١١} مع أعمامهن ليتبن ميراث أيهن ، و قل لبنى إسرائيل : أى رجل مات و لم يخلف [ابنا - "] يعطى ميراثه ابنته ، و إن لم يكن له^{١٢} ابنة^{١٣} يعطى ميراثه إخوته ، و من لم يكن له إخوة يعطى ميراثه أعمامه و من لم يكن له أعمام يعطى^{١٤} ميراثه لمن كان قرابته من أهل عشيرته ، و تكون هذه سنة لبنى إسرائيل في أحكامهم كما أمر الرب موسى ؛ و قال في السفر الثالث منها ما نصه : سنة الخطايا^{١٥} التى^{١٦} إذا ارتكبها إنسان

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقتلون .
(٣-٢) من تاريخ الطبرى ١/ ٢٢٦ ، و فى الأصل و مد : كلاب بن يوفسا ، و فى ظ : كلاب بن يوفسا (٤) من تاريخ الطبرى ، و فى الأصل و ظ : يسوع ، و فى مد : يشوع (٥) فى ظ : بنات - كذا (٦) فى مد : صلفحد (٧) من ظ و مد و تاريخ يعقوبى ١/ ٣١ ، و فى الأصل : سنا (٨) فى ظ : منشأ - كذا (٩) سقط من ظ (١٠-١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعظمهن ميراث (١١) زيد من ظ و مد (١٢) فى ظ : ابنة ، و فى مد : بنت (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيعطى (١٤) فى ظ : الخطا (١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى .

عوقب بالموت: وكلم الرب موسى وقال له: كلم بني إسرائيل، وقل لهم: أنا الله ربكم! لا تعملوا مثل أعمال أهل مصر التي سكتتموها، ولا تعملوا مثل أعمال أهل كنعان التي أدخلكم إليها ولا تسيروا سنتهم^١ ولكن اعملوا بأحكامي، واحفظوا وصاياي، وسيروا بها، أنا الله ربكم! احفظوا شرائعي وأحكامي. لأن الذي يعمل بها يعيش، أنا الرب ٥ وليس إله غيري! ولا يحسرن^٢ الرجل منكم أن يكشف عورة^٣ قرابته، أنا الرب وليس إله غيري! ولا تكشف^٤ عورة أهلك^٥ - ولا عورة أمك، لأنها أمك، ولا تفضح امرأة ابنك ولا تكشف عورتها، لأن عورتها عورة ابنك^٦، ولا تفضح أختك من أهلك ومن أمك التي ولدت من أهلك، أو أختك من أمك لا من أهلك، لا تكشف ١٠ عورتها، لأن فضيحتها فضيحتك، ولا تكشف عورة بنت امرأة أهلك التي ولدت من أهلك، لأنها أختك، ولا تكشف عورة عمك، لأنها أخت أهلك، ولا تكشف^٧ عورة خالتك، لأنها أخت أمك، ولا تكشف^٨ عورة امرأة عمك ولا تدن من امرأته، لأنها امرأة عمك، ولا تكشف عورة كنتك^٩، لأنها^{١٠} امرأة ابنك^{١١}، ولا تكشف ١٥

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: بينتهم - كذا (٢) في ظ ومد: لا يحسرن.

(٣) في ظ: عورته (٤) سقط من ظ ومد (٥) من ظ ومد، وفي الأصل:

لا تكشف (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٧) في ظ ومد: أهلك - كذا.

(٨) في مد: لا تكشف (٩) في ظ: ابتك (١٠-١١) في ظ: ابتك، والعبارة

من بعده إلى «لا تزوج بهما» ساقطة من ظ.

عورة امرأة أخيك، لأن فضيحتها فضيحة أخيك، ولا تكشف عورة امرأة
وبنتها، أى لا تزوج بهما، ولا تكشف عورة بنت الابن ولا بنت
البنت، لأن فضيحتها فضيحتك، ولا تكشف عورتها، من 'قربانك'
وارتكابهن إثم، ولا تزوج أخت امرأتك في حياتها فتحزنها^٢،
ولا تكشف عورتها جميعا في حياة امرأتك، والمرأة إذا حاضت وطمت^٣
لا تدن لتكشف عورتها، ولا تسفح بامرأة صاحبك ولا تنجس^٤،
ولا تُنَجِّسُ اسم^٥ إلهك، أنا الله ربكم ! لا تضاجعن^٦ الذكر^٧،
ولا ترتكب من الذكر ما ترتكب من المرأة، لأنه فعل [نجس، ولا بهيمة،
ولا تلق زرعك فيها فتنجس بها، والمرأة أيضا لا تقوم بين يدي
١٠. بهيمة تطأها، لأنه فعل - '] نجس، لا تنجسوا منها بشيء، فهذه كلها
تنجست^٨ الشعوب التى أهلكتها من بين أيديكم، وتنجست أرضهم
بفعلهم، وعاقبتها بأسمها^٩، وتعطلت الأرض من سكانها لحال^{١٠}
خطاياهم، احفظوا / عهودى وأحكامى، ولا ترتكبوا شيئا من هذه
الخطايا [لأن أهل البلاد التى ترثونها فعلوا هذه الأفاعيل كلها
(١) من مد، وفى الأصل وظ: من (٢) من مد، وفى الأصل: تحريمها،
وفى ظ: تحرمها (٣) فى ظ: طمت (٤) من مد، وفى الأصل: لا تنتجس،
وفى ظ: لا تحسن - كذا (٥) فى ظ: لا تنجس - كذا (٦) من ظ ومد، وفى
الأصل: ام (٧) فى ظ: لا يضاجعن (٨) فى مد: الذكور (٩) زيد ما بين
الحاجزين من ظ ومد (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل: تنجس (١١) من
مد، وفى الأصل وظ: باسمها (١٢) فى ظ: بحال .
و تنجست

و تنجست الأرض بهم، و لا تنجسوا الأرض لثلا تعطل منكم كما
تعطلت من^١ الشعوب التي كانوا فيها قبلكم، لأن كل من يفعل هذه
الخطايا -^٢ [يهلك^٣؛ احفظوا شرائعى و لا ترتكبوا^٤ شيئا من سير^٥
الخطايا التي فعلها من كان قبلكم، و لا تنجسوا بها، أنا الله ربكم !
ثم كلم الرب موسى و قال له : كلم جميع بنى إسرائيل و قل لهم : ه
تقدسوا، لأنى قدوس^٦، أنا الله ربكم ! يهاب كل امرئ منكم والديه
و يكرمهما، و احفظوا وصاياى، لأنى أنا الله ربكم ! لا تقبلوا إلى الشيطان
و لا تتخذوا آلهة مسبوكة، أنا الله ربكم . و قال فى السفر الثانى^٧ :
و لا تصدقن الخبر الكاذب، لا توال الخبيث لتكون له شاهد زور،
و^٨ لا تتبعن هوى الكبير فتفسى، و لا تشابعن الكبراء^٩ الذين يحيفون^{١٠}
فى القضاء فتحيف^{١١} معهم، و لا تعن المسكين على الظلم، لا تحيفن^{١٢} فى قضاء
المسكين و تباعد عن القول الكاذب . و قال فى السفر الخامس : و دعا
موسى بجميع بنى إسرائيل و قال لهم : اسمعوا يا بنى إسرائيل السنن
و الأحكام التي أتلو عليكم لتعلموها و تحفظوها و تعملوا بها، و تعلمون
(١) ليس فى ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) من مد، و فى الأصل
وظ : يملك (٤) فى مد : لا تركبوا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : مسير (٦) فى
الأصول : قدس، و التصحيح من كتاب أسفار موسى الخمسة - الإصحاح
التاسع عشر من السفر الثالث (٧) فى ظ : الرابع (٨) سقطت الواو من مد .
(٩) من مد، و فى الأصل : الكبير، و فى ظ : الكثير (١٠) من مد، و فى
الأصل : فيحيف، و فى ظ : فتحيف - كذا (١١) فى ظ : لا تحفين .

أن الله ربنا عاهدنا عهداً^١ بأرض حوريب، ولم يعاهد الله آبائنا^٢ بهذا
 العهد، بل إنما عاهدنا^٣، نحن الذين ههنا أحياناً سالمين، وجهاً قبل وجه
 كلنا الرب في النار عن الجبل، فأنا كنت قائماً بين يدي الرب وبينكم
 لأظهر لكم ذلك الزمان أقوال الله ربكم، حيث فرقتم من النار ولم تصعدوا
 ٥ إلى الجبل، وقال الرب: أنا الله ربكم الذي أخرجتكم^٤ من أرض
 مصر وخلصتكم من العبودية! لا يكون لكم إله غيري، ولا تتخذوا
 أصناماً ولا أشباحاً، ولا تقسم باسم ربك كذباً، لأن الرب لا يزي
 من^٥ يحلف باسمه^٥ كذباً، احفظوا يوم السبت وظهره^٦ - إلى أن
 قال: لا تعملوا فيه عملاً ليستريح عبيدكم وإماؤكم معكم، واذكروا أنكم
 ١٠ كنتم عبيداً بأرض مصر فأخرجكم الله ربكم من هناك يد^٧ منيعة وذراع
 عظيمة، لذلك أمركم ربكم أن تحفظوا يوم السبت، فيكرم كل امرئ
 منكم والديه كما أمركم^٨ الله ربكم لتطول^٩ أعماركم، وينعم عليكم في
 الأرض التي يعطيكم، لا تقتلوا، لا تزنوا، لا تسرقوا، لا يشتهين الرجل
 منكم امرأة صاحبه - إلى أن قال: ولا شيئاً^{١٠} مما لصاحبك - هذه الآيات
 (١) زيد بعده في الأصل: رض - كذا، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها.
 (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: امانا (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: يعاهدنا.
 (٤) في مد: أخرجكم (هـ-ه) من ظ ومد، وفي الأصل: حلف بأحد - كذا.
 (٥) في ظ: ظهوره - كذا (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: يد - كذا (٧) في
 ظ: امر (٨) من مد، وفي الأصل: و ظ: ليطول (٩) من ظ ومد، وفي
 الأصل: سبياً.

التي أسر بها الرب بني إسرائيل ، وكلمهم بها في الجبل من النار بالسحاب
والضباب بصوت عظيم لا يوصف ولا يحده^١، وهي التي كتبها على لوحى
الحجارة و دفعها إلى موسى النبي - فلما سمعتم صوتا من الظلمة و رأيتم نارا
تشتعل^٢ في الجبل تقدم إلى رؤساؤكم^٣، وقالوا: قد أرانا^٤ الله ربنا
بجده و كرامته و عظمته، اليوم رأينا أن كلم الله الناس و عاشوا، إن ه
عدنا نسمع صوت الله ربنا متنا، تقدم أنت و اسمع ما يقول الله ربنا
و قص علينا، [فسمع الرب صوت كلامكم حين كلمتموني - ^٥] و قال
لى^٦ الرب: قد سمعت صوت الشعب و ما قالوا لك^٧، نعم ما تكلموا
به^٨ يا ليت تكون لهم قلوب هكذا^٩، فتكون تسمع و تطيع
و تقوى، و يفزعون^{١٠} من قولى، و يحفظون جميع وصاياى، كلها ١٠
احفظوا، و اعملوا بما^{١١} أمركم الله ربكم و لا تحيدوا يمينه و لا يسره، بل
سيروا فى كل الطريق الذى^{١٢} أمركم ربكم لتعيشوا، و ينعم عليكم، و تطول

(١) من مد، و فى الأصل وظ: لا يحدد (٢) فى ظ: تشعل (٣) من مد، و فى
الأصل وظ: روساؤه (٤) فى ظ: رانا (٥) زيد ما بين الحاجزين من كتاب
أسفار موسى الخمسة لتستقيم العبارة - الإصحاح الخامس من السفر الخامس .
(٦) فى ظ: فى (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: ذلك (٨-٨) فى الأصول: انت
تكون لهم - كذا، و مبنى التصحيح ما ورد فى أسفار موسى: يا ليت قلوبهم
كان هكذا فيهم (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: يفزعن، و فى مد: فزعون -
كذا (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: بما (١١) من ظ و مد، و فى الأصل:
الذين .

مدتكم في الأرض التي ترثون - هذه السنن و الوصايا و الاحكام التي
 أمرني الله ربكم أن أعلمكم لتعلموا و تتقوا الله ربكم [أنتم و بنوكم كل
 أيام حياتكم^١ فطول أعماركم، اسمعوا يا بني إسرائيل! الله ربنا واحد،
 أحبوا الله ربكم -^٢] في كل قلوبكم، و لكن هذه الآيات التي أمركم
 ٤٧١ / ٥ في قلوبكم أبدا، و علموها / بنيتكم، و تكلموا^٣ بها إذا حضرتكم في منازلكم،
 و إذا سافرتكم، و إذا رقدتكم، و إذا قمتم، و شدوها علامة^٤ على أيديكم،
 و يكون ميسرا بين أعينكم، و اكتبوها على قوائم^٥ بيوتكم و على أبوابكم،
 لا تنسوا الله ربكم، و إياه فاعبدوا، [و -^٦] باسمه فاقسموا^٧، و لا تتبعوا
 الآلهة الأخرى التي تعبدوها^٨ الشعوب التي حولكم، لأن الله ربكم الحال
 ١٠ فيكم هو إله غيور فاتقوه، لا يشتد^٩ غضبه عليكم، و يهلككم عن
 حديد الأرض، و لا تجربوا الله ربكم كما جربتموه بالبلايا، و لكن
 احفظوا وصية الله ربكم و شهادته^{١٠} و سنته التي أمركم بها، فاعملوا الحسنات،
 و أنصفوا و اعدلوا لينعم عليكم، و تدخلوا و ترثوا^{١١} الأرض المخصصة
 (١) من مد، و في الأصل و ظ : امركم (٢-٢) في ظ : يوم جاتكم (٣) زيد
 ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) في ظ : تعلموا (٥-٥) من ظ و مد، و في
 الأصل : سدوها طلامة - كذا (٦) من أسفار موسى - الإصحاح السادس من
 السفر الخامس، و في الأصول : معاقم - كذا (٧) في ظ : افتسموا (٨) في ظ :
 يعبدوها (٩) في مد : لا تشتد (١٠) من ظ و مد، و في الأصل : شهادة .
 (١١) من ظ و مد، و في الأصل : تزلوا - كذا .

التي أقسم الله لآبائكم، و يكسر^١ جميع أعدائكم و يهزمهم قدامكم^٢ كما قال الرب، فاذا سألكم بنوكم غدا وقالوا: ما الشهادة و السنة و الحكومة التي أمركم الله بها؟ قولوا لبنينكم: إنا كنا عبيدا لفرعون بأرض مصر، و أخرجنا الرب من أرض مصر [يد منيعة، و أنزل بأهل مصر بلاء شديدا، و فعل ذلك بفرعون و جميع أهل بيته نجحنا - ٣]، و أخرجنا^٤ الرب من هناك ايدخلنا و يعطينا الأرض التي أقسم لآبائنا، و أمرنا الرب أن نعمل هذه السنن كلها، و أن نتق الله ربنا لينعم كل أيامنا،^٥ و يحمينا بالخير^٦ و النعم، و يكون ربنا^٦ بنا برا^٦ إذا حفظنا هذه الوصية كلها، و علمناها^٧ أمام الله ربنا كما أمرنا. و قال في السفر الخامس^٨:

و لا تكف^٩ يدك عن العطاء و الصدقة على^{١٠} أخيك المسكين، و لكن ١٠ يصدق بعضكم على بعض، و يعطى بعضهم بعضا، و لا يضيق قلبك، و لا تحزن^{١١} إذا صدقت على أخيك، لأنك إذا فعلت هذا القول و أوسعت على أخيك يبارك الله^{١٢} لك^{١٣} في جميع أعمالك، و في كل ما تمد يدك إليه، من أجل أن الأرض لا تعدم^{١٤} المساكين، فلذلك

(١) من ظ و مد، و في الأصل: تكسر (٢) من ظ و مد، و في الأصل: اقدامكم (٣) زيد ما بين الحاجزين من مد (٤) من مد، و في الأصل و ظ: ابائنا (٥) من ظ و مد، و في الأصل: بخير - كذا (٦-٦) في ظ: تنايرا - كذا (٧) من ظ و مد، و في الأصل: عملناها (٨) في ظ: السادس (٩) في ظ: لانظلت - كذا (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: عن (١١) في ظ: لا يحزن (١٢) في ظ: اللهم (١٣) من ظ و مد، و في الأصل: لكم (١٤) من مد، و في الأصل و ظ: لا تقدم.

آمرک - والعزم^١ إليك - أن تمد يدک^٢ إلى أخیک المسکین ، و تصدق
 علی الفقیر فی الارض . وقال فیہ : أنصفوا بین إخوانکم واحکموا بالحق
 ولا تحیفوا فی القضاء ، واسمعوا من الصغیر کما تسمعون من الکبیر ،
 ولا تهابوا الرجل ولو عظم شأنه وکثرت أمواله ، لأن القضاء لله .
 ٥ وقال فیہ : صیروا لکم قضاة^٣ و کتابا فی جمیع قراکم ، و تقضون للشعب
 قضاء العدل و البر^٤ ، ولا تحیفن^٥ فی القضاء ، ولا تجابوا ولا ترتشوا ،
 لأن الرشوة تعمی^٦ أعین الحکام فی القضاء ، ولكن أقضی بالحق
 لتعیشوا و تبقوا^٧ و ترثوا الارض الی بعطیکم الله ربکم - فقد علم من
 هذا أصول غالب ما ذکره تعالی فی هذه السورة مع ما تقدم من إشکاله
 ١٠ فی البقرة عند قوله تعالی ” واذ اخذنا میثاق بنی اسرائیل لا تعبدون
 الا الله^٨ “ و غیرها من الآیات ، و فی آل عمران ایضا ، و أما حد الزانی
 و أمر القتل و الجراح فسیذکر إن شاء الله تعالی فی المائدة .

ولما قرر سبحانه و تعالی إرادته اصلاحهم و رغب فی اتباع الهدی
 بعلمه و حکمته عطف علی ذاک قوله : ﴿ والله ﴾ بلطف^٩ منه و عظم^{١٠}
 ١٥ - لاطاقته ﴿ یرید ﴾ أى بانزاله هذا الکتاب العظیم و إرساله هذا الرسول
 (١) فی ظ : انقدم (٢) فی ظ : یدیک (٣) من مد ، و فی الأصل و ظ :
 قضاء (٤) فی ظ : الامیر - کذا (٥) من مد ، و فی الأصل : لا تحیفین ، و فی
 ظ : لا یحیفن - کذا (٦) فی ظ : یعمی (٧) من ظ و مد ، و فی الأصل : تبعوا .
 (٨) آیه ٨٣ (٩) من مد ، و فی الأصل و ظ : بلطف (١٠) من ظ و مد ، و فی
 الأصل : عظیم .

الكريم ﴿ ان يتوب عليكم ﴾ أى ' يرجع لكم بالبيان الشافى عما كنتم عليه من طرق الضلال لما كنتم فيه من العمى بالجهل ، وزادهم فى ذلك رغبة بقوله : ﴿ و يريد الذين يتبعون ﴾ أى على سبيل المبالغة و الاستمرار ﴿ الشهوت ﴾ أى من أهل الكتابين و غيرهم كشاش^٢ بن قيس و غيره من الأعداء^٣ ﴿ ان تملوا ﴾ أى عن سبيل الرشاد ﴿ ميلا عظيما ﴾ ٥
أى إلى أن تصيروا إلى ما كنتم فيه من الشرك و الضلال ، فقد أبلغ سبحانه فى الحل على الهدى بموافقة الولي المنعم^٤ الجليل الذى لا تلحقه^٥ شائبة نقص ، و مخالفة العدو^٦ الحسود الجاهل النازل من أوج العقل إلى حضيض طباع البهائم .

و لما كان الميل / متعبا لمرتكبه أخبرهم أن علة يئانه للهداية وإرادته ١٠ / ٤٧٢

التوبة الرفق بهم فقال^٧ : ﴿ يريد الله ﴾ أى [و -^٨] هو الذى له الجلال و الجمال و جميع العظمة و الكمال ﴿ ان يخفف عنكم ﴾ أى يفعل^٩ فى هذا البيان و هذه الأحكام فعل من يريد ذلك ، فيضع عنكم الآصار التى كانت على من كان قبلكم الحاملة^{١٠} "على الميل" ، و يرخص لكم فى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : كس (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : الأعداد (٤) سقط من ظ ، و زيد بعده فى الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) فى ظ : لا يلحقه . (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى مد فحذفناها (٧) سقط من ظ (٨) زيدت الواو من ظ و مد (٩) زيد بعده فى ظ : هنا (١٠) سقط ما بين الرقبتين من ظ .

بعض الأشياء ككنكاح الأمة - على ما تقدم ، ودل على علة^١ ذلك بالواو العاطفة ؛ لأنكم خلقتهم ضعفاء يشق عليكم الثقل ﴿ وخلق الإنسان ﴾ أى الذى أنتم بعضه ﴿ ضعيفا ﴾ مبناه الحاجة ، فهو لا يصبر عن^٢ النكاح ولا غيره من الشهوات ، ولا يقوى على فعل^٣ شئ . إلا بتأييد منه . سبحانه .

ولما كان غالب ما مضى مبنيا ، على الأموال تارة بالإرث ، وتارة بالجعل فى النكاح ، حلالا^٤ أو حراما ؛ قال تعالى - إيتاجا بما مضى بعد أن بين الحق من الباطل ، وبين ضعف هذا النوع كله ، فبطل تعليلهم لمنع النساء والصغار من الإرث بالضعف . وبعد أن بين كيفية التصرف ١٠ فى [أمر - ٦] النكاح بالأموال وغيرها حفظا للأنسب^٥ ، ذاكرة كيفية^٦ التصرف فى الأموال ، تطهيرا للإنسان^٧ ، مخاطبا لأدى الأسنان فى الإيمان ، ترفيعا^٨ لغيرهم عن مثل هذا الشأن^٩ : ﴿ يتأبها الذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان والتزام الأحكام .

ولما كان الأكل أعظم المقاصد بالمال ، وكان العرب يروون ١٥ التهافت على الأكل أعظم العار وإن كان حلالا ؛ كنى به التناول

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : على (٣) زيد بعده فى الأصل : ذلك ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فخذناها (٤) من مد ، وفى الأصل : مثبتا ، وفى ظ : مبينا . (٥) فى ظ : حالا (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : للإنسان . (٨) فى ظ : لفية (٩) فى مد : للأسباب ، وفى ظ : الأسباب (١٠) من مد ، وفى الأصل و ظ : ترفيعا (١١) من ظ ومد ، وفى الأصل : النيان - كذا .

فقال: ﴿ لا تاكلوا ﴾ أى تناولوا ﴿ اموالكم ﴾ أى الأموال التى جعلها الله قياما للناس ﴿ بينكم بالباطل ﴾ أى من التسبب فيها بأخذ نصيب النساء والصغار من الإرث، و بعضل [بعض - ٢] النساء وغير ذلك مما تقدم النهى عنه وغيره .

ولما نهى عن^٢ الاكل بالباطل، استدرك ما ليس كذلك؛ فقال: هـ ﴿ الا ان تكون ﴾ أى المعاملة المدارة المتداولة بينكم ﴿ تجارة ﴾ هذا فى قراءة الكوفيين بالنصب، وعلى قراءة غيرهم: إلا أن توجد تجارة كاتنة ﴿ عن تراض منكم ﴾ أى غير منهى عنه من الشارع، ولعل الإتيان بأداة الاستثناء المتصل - والمعنى على المنقطع - الإشارة إلى أن تصرفات الدنيا كلها جديرة بأن يجرى^٥ عليها اسم الباطل ولو لم يكن ١٠ إلا^٦ معنيا بها^٦ تهيدا فيها وصدا عن الاستكثار^٧ منها، وترغيا فيما يدوم نفعه ببقائه، [و - ٨] هكذا كل^٩ استثناء منقطع فى القرآن، من^{١٠} تأمله حق التأمل وجد للعدول عن الحرف الموضوع له - وهو 'لكن' - إلى صورة الاستثناء حكمة بالغة - والله الموفق .

ولما كان المال عدل الروح ونهى عن إنلافه بالباطل، نهى عن ١٥

(١) من مد، وفى الأصل وظ: جعل (٢) زيد من مد (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: عنه (٤) فى ظ: لذلك (٥) فى الأصل: مجرى، وفى ظ ومد: مجرى - كذا (٦-٦) فى الأصل ومد: نفذها، وفى ظ: معنابها - كذا (٧) فى مد: الاستكبار (٨) زيدت الواو من ظ ومد (٩) زيد بعده فى ظ: من (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل: منه .

إتلاف النفس ، لكون أكثر إتلافهم لها بالغارات لنهب الأموال و ما
 كان بسيها^١ و تسبيها^٢ على أن من أكل ماله ثارت نفسه فأدى ذلك
 إلى الفتن التي ربما كان آخرها القتل ، فكان النهي عن ذلك أنسب
 شيء لما بنيت^٣ عليه السورة من التعاطف و التواصل فقال تعالى :
 ٥ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي حقيقة بأن يياثر الإنسان قتل نفسه ،
 أو مجازا بأن يقتل بعضهم بعضا ، فإن الأنفس^٤ واحدة ، و ذلك أيضا
 يؤدي إلى قتل نفس القتال ، فلا تغفلوا^٥ عن حظ أنفسكم من الشكر ،
 فمن غفل عن حظها فكأنما^٦ قتلها ، [ثم الله - ٧] بما يلين أقمى الناس
 فقال : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ أي مع ما له من صفات العظمة التي لا تدانيها
 ١٠ عظمة ﴿ كَانَ بِكُمْ ﴾ أي خاصة حيث خفف عليكم ما شددته^٨ على من
 كان قبلكم ﴿ رَحِيمًا ٥ ﴾ أي بليغ الرحمة حيث يسر لكم الطاعة
 و وقفكم لها فأبلغ^٩ سبحانه التريغيب في الامتثال ؛ ثم قال ترهيبا من
 مواجهة الضلال : ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴾ أي المنهى عنه من القتل و غيره
 العظيم الإبعاد عن حضرات الإله ﴿ عَدُوَاتَا وَظَلَمًا ﴾ أي بغير حق ،
 ١٥ و عطفه للوصف بالواو يدل على تنامي كل منهما ، هذا مع ما أفهمه
 صفة الفعلان^{١٠} من المبالغة ، فكان المراد العدو الشديد المفرط المتجاوز

(١) في ظ : سبيها (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : تشبيها (٣) من مد ، وفي
 الأصل و ظ : بنيت (٤) في ظ : الانسان (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل :
 فلا تقتلوا (٦) من ظ ، وفي الأصل و مد : فطانها (٧) زيد من مد (٨) من مد ،
 وفي الأصل و ظ : شدد (٩) في ظ : فإذا بلغ (١٠) من ظ و مد ، وفي الأصل :
 الفعلات - كذا .

٤٧٣ /

للحدود الناشئ عن العهد و تنهى / الظلم الذى لا شائبة فيه للحق
 ﴿ فسوف نصليه ناراً ﴾ أى ندخله إياها بوعيد لا خلف فيه وإن
 طال إهماله ^١ ﴿ وكان ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الذى توعد ^٢ به
 ﴿ على الله ﴾ أى الذى له الجلال والجمال ﴿ يسيراً ﴾ أى لأنه لا ينقصه
 من ملكه شيئاً ، ولا يمنع منه مانع .

ولما بين تعالى ما لفاعل ^٣ ذلك تحذيراً ، وكان قد تقدم جملة ^٤
 من الكبار ؛ أتبعه ما للنتهى تبشيراً ^٥ جواباً لمن كأنه قال : هذا للفاعل
 فما للجنب ؟ فقال على وجه عام : ﴿ ان تجنبوا ﴾ أى تجهدوا أنفسكم
 بالقصد الصالح فى أن تتركوا تركاً عظيماً وتباعدوا ﴿ كباراً ما تنهون
 عنه ﴾ أى من أكل المال والقتل بالباطل والزنا وغير ذلك مما تقدم ، ^{١٠}
 روى البزار - قال الهيثمى : ورجاله رجال الصحيح - عن عبد الله
 - يعنى ابن مسعود - أنه مثل عن الكبار فقال : ما بين أول سورة النساء
 إلى رأس ثلاثين . قال الأصمهانى : وكل ذنب عظم الشرع ^٦ الوعيد
 عليه بالعذاب وشده ^٧ ، أو عظم ضرره فى الخمس الضرورية : حفظ
 الدين والنفس والنسب والعقل والمال ، فهو كبيرة ، وما عداه صغيرة ^{١٥}
 ﴿ نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ أى التى هى دون الكبار كلها ، فان ارتكبتكم

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : إهماله (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : يوعد .
 (٣) فى ظ : لفعل - كذا (٤) فى ظ : حمه ، وفى مد : حمه (هـ) من ظ ومد ،
 وفى الأصل : بشيراً (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : السرعة (٧) من ظ ومد ،
 وفى الأصل : شده .

شيئا من الكبائر و أتيتهم بالمكفرات من الصلوات الخمس و الجمعة و صوم رمضان و الحج، أو فرطتم في شيء منها فمن الله عليكم بأن أتاكم بالمرض، كفر ذلك المأتى به الصغار، ولم يقاوم تلك الكبيرة فلم يكفر جميع السيئات، لعدم إتيانه على تلك الكبيرة ﴿ وندخلكم مدخلا كريما ﴾

٥ أي يجمع الشرف و العمل و الجود و كل معنى حسن، و من فاته جميع ذلك لم يكفر عنه سيئاته، و لم يدخله هذا المدخل، و يكفي في انتفائه حصول القصاص في وقت ما؛ و قال الإمام أحمد: المسلمون كلهم في الجنة - لهذه الآية و قول النبي صلى الله عليه و سلم « ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فإله تعالى يغفر ما دون الكبائر، فالنبي صلى الله عليه و سلم يشفع في الكبائر، فأى ذنب على المسلمين ذكره عنه الأصهباني، و هذا الحديث أخرجه أبو داود و الترمذي و غيرهما عن أنس رضي الله عنه .

و لما نهى عن القتل [و-٣] عن الأكل بالباطل بالفعل و هما من أعمال الجوارح، ليصير الظاهر طاهرا^١ عن المعاصي الوخيمة؛ نهى

١٥ عن التمني^٢ الذي هو مقدمة الأكل، ليكون نهيا عن الأكل بطريق الأولى، فإن التمني قد يكون حسدا، و هو المنهى عنه هنا كما هو ظاهر الآية، [و هو-٦] حرام و الرضى بالحرام حرام، و التمني^٣ على^٤ هذا

(١) في ظ: ابتغاه (٢) في ظ: بهذه (٣) زيدت الواو من ظ و مد (٤) من مد، وفي الأصل و ظ: طاهرا - كذا بالظاهر المعجمة (٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) من مد، وفي الأصل و ظ: النهي - كذا .

(٨) في ظ: عن .

الوجه يجر إلى الأكل، والأكل يعود إلى القتل، فإن من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقع، والنهى هنا للتحريم عند أكثر العلماء فقال: ﴿ولا تمنوا﴾ أى تابعوا أنفسكم فى ذلك ﴿ما فضل الله﴾ أى الذى له العظمة كلها، فلا ينقصه شيء ﴿به﴾ أى 'من المال' وغيره ﴿بعضكم على بعض﴾ أى فى الإرث^٢ وغيره من جميع الفضائل النفسانية المتعلقة^٣ بالقوة النظرية كالذكاء التام والحدس الكامل وزيادة المعارف بالكمية والكيفية، أو بالقوة العملية كالعفة التى هى وسط بين الجود والفجور، والشجاعة التى هى^٤ وسط بين التهور والجبن، والسخاء الذى هو^٥ وسط بين الإسراف والبخل، وكاستعمال هذه^٦ القوى على

٤٧٤ /

الوجه الذى ينبغى وهو العدالة، أو^٧ الفضائل البدنية كالصحة والجمال^{١٠} والعمر الطويل مع اللذة والبهجة، أو^٨ الفضائل الخارجية مثل كثرة الأولاد الصالحين، وكثرة العشائر والأصدقاء والأعوان، والرئاسة التامة وتفاذ القول، وكونه محبوباً للناس حسن الذكر فيهم^٩ فهذه مجامع السعادات، وبعضها نظرية لا مدخل للكسب فيها، وبعضها كسبية، ومتى^٩ تأمل العاقل فى ذلك وجده^{١٠} محض عطاء من الله، فن^{١٥}

(١-١) من مد، وفى الأصل و ظ : بالمال (٢) من ظ و مد، وفى الأصل : الادب (٣) زيد بعده فى الأصل : به، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها . (٤) من ظ و مد، وفى الأصل : هو (٥) فى ظ : هى (٦) فى ظ : هذا . (٧) فى ظ و مد «و» (٨) فى ظ «و» (٩) فى ظ : من (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل : وحده .

شاهد غيره أرفع منه [في - ١] شيء من هذه الأحوال تألم قلبه وكانت
 [له - ١] حالتان : إحداهما أن يتمنى حصول مثل تلك السعادة [له - ٢] ،
 و الأخرى أن يتمنى زوالها عن صاحبها ، وهذا هو الحسد المذموم ،
 لأنه كالاغتراض على الله الذي قسم هذه القسمة ، فإن اعتقد أنه أحق
 ٥ منه فقد فتح على نفسه باب الكفر ، واستجلب ظلمات البدعة ، ومحانور
 الإيمان ، فإن الله فعال لما يريد ، لا يستل عما يفعل فلا اغتراض
 عليه ، [و - ٣] كما أن الحسد سبب الفساد في الدين فهو سبب
 الفساد في الدنيا ؛ فعلى كل أحد أن يرضى بما قسم له علماً بأن ذلك *
 مصلحة ، ولو كان غير ذلك فسد ، فإن ذلك كله قسمة من الله صادرة
 ١٠ عن حكمه^٦ وتديره وعله بأحوال العباد فيما يصلحهم ويفسدهم . وأما
 تمنى المثل فإن كان دينياً^٧ كان حسناً^٨ ، كما قال صلى الله عليه وسلم
 « لا حسد إلا في اثنتين » ، وإن كان دنيوياً فمن الناس من جوز ذلك ،
 ومنهم من قال - وهم المحققون : لا يجوز ذلك ، لأن تلك^٩ النعمة ربما
 كانت مفسدة في حقه في الدين ومضرة في الدنيا كقصة^{١٠} قارون - قال
 ١٥ معنى ذلك الإمام الرازي .

- (١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) زيدت الواو من ظ و مد .
 (٤) في الأصول : فعل (٥) في ظ : صالحه - كذا (٦) في مد : حكمة (٧) من ظ
 و مد ، وفي الأصل : مبيتا - كذا (٨) من مد ، وفي الأصل و ظ : حسدا .
 (٩) من مسند الإمام أحمد ٩/٢ ، وفي الأصول : اثنتين (١٠) سقط من ظ .
 (١١) من مد ، وفي الأصل و ظ : لقصة - كذا .

و لما نهى سبحانه عن ذلك علله بما ينه على السعى فى الاسترزاق
والإجمال فى الطلب ، كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد
و الترمذى وابن ماجه عن شداد بن أوس رضى الله عنه : الكيس من
دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى
على الله ، ، و كما قال صلى الله عليه وسلم [فيما رواه مسلم - ٢] والنسائي ٥
و ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه : المؤمن القوى خير وأحب
إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير احرص على ما ينفعك ،
واستعن بالله [ولا تعجز - ٤] ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أنى
فعلت [كان - ٥] كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله ، وما شاء فعل ،
فإن ٦ 'لو' تفتح عمل الشيطان ، فقال مشيراً إلى أنه لا ينال أحد جميع ١٠
ما يؤمل ٨ : ﴿ للرجال نصيب ﴾ أى قد فرغ من تقديره فهو بحيث
لا يزيد ولا ينقص ، وبين سبحانه أنه ينبغي الطلب والعمل ، كما أشار
إليه الحديث [فقال - ٢] : ﴿ مما اكتسبوا ٩ ﴾ أى كلفوا أنفسهم
و اتبعوها ٩ فى كسبه من أمور الدارين من الثواب وأسبابه من الطاعات
ومن الميراث و ١٠ السعى فى المكاسب والأرباح : جعل رزقى تحت ١٥

(١) من ظ ومد ومسند الإمام أحمد ٤/١٢٤ ، وفى الأصل : وان (٢) زيد ما بين
الحاجزين من ظ ومد (٣) من ظ ومد والصحيح لمسلم - كتاب القدر ،
وفى الأصل : يتعدى - كذا (٤) زيد من ظ ومد والصحيح لمسلم (٥) زيد
من الصحيح لمسلم (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : ان (٨) من ظ ومد ، وفى
الأصل : يرسل (٩) من ظ ، وفى الأصل ومد : اتبعوها (١٠) سقطت
الواو من ظ .

ظل رمحي^١، «لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا،
 ﴿وَاللِّسَاءُ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْتُمْ﴾^٢ أى و كذلك^٣، فالتمنى حيثن
 غير نافع^٤، فالاشتغال^٥ به مجرد عناء.

و لما أشار بالتبعيض إلى أن الحصول بتقديره، لا بالكسب الذى
 جعله سببا، فانه تارة ينجحه و تارة يخيبه^٦، فكان التقدير: فاكسبوا
 / ٤٧٥ ولا تعجزوا فتطلبوا^٧ بالتمنى؛ / أمر بالإقبال - فى الغنى وكل^٨ شئ - عليه
 إشارة إلى تحريك السبب مع الإجمال فى الطلب فقال: ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ﴾
 أى^٩ الذى له جميع صفات الكمال.

و لما كان سبحانه و تعالى عظمته لا ينقصه شئ وإن جل قال:
 ١٠ ﴿مَنْ فَضَلَهُ﴾ أى من خزائنه التى لا تنفد ولا يقضيها^{١١} شئ، وفى
 ذلك تنبيه على عدم التعيين^{١٢}، لأنه ربما كان سبب الفساد، بل يكون
 الطلب لما هو له^{١٣} صلاح، و أحسن الدعاء المأثور، و أحسنه "ربنا اتنا
 فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار"^{١٤} ثم علل ذلك

(١) فى ظ: رى (٢-٢) فى ظ و مد: لذلك (٣) فى مد: منافع (٤) من ظ
 و مد، وفى الأصل: فالانتقال - كذا (٥) من ظ و مد، وفى الأصل:
 يجبه - كذا (٦) فى ظ: و اطلبوا (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: فى.
 (٨) سقط من مد (٩) من مد، وفى الأصل و ظ: الذى - كذا (١٠) فى
 الأصل: لا يقضيها، وفى ظ: لا يقضيها، وفى مد: لا يقضيها - كذا.
 (١١) من مد، وفى الأصل: التعبير، وفى ظ: اليقين - كذا (١٢) سورة ٢
 آية ٢٠١.

بقوله: ﴿ان الله﴾ أى الملك الأعظم الذى بيده مقاليد كل شىء
 ﴿كان بكل شىء عليما﴾ أى فكان على كل شىء قديرا، فان كان
 العلم يستلزم شمول القدرة - كما سيبين إن شاء الله تعالى فى سورة طه،
 والمعنى أنه قد فعل بعله ما يصلحكم فاسألوه^١ بعله وقدرته ما ينفعكم،
 فانه يعلم ما يصلح كل عبد وما يفسده. و عطف على ذلك ما هو من جملة
 العلة فقال: ﴿ول لكل﴾ أى من القبيلتين صغارا كانوا أو كبارا
 ﴿جعلنا﴾ بعظمتنا التى لا تضاهى ﴿موالى﴾ أى حكمنا بأنهم هم الاولياء،
 أى الانصار و الاقرباء لأجل الإرث، هم الذين يلون المال و يرثونه،
 سواء كانوا عصبة خاصة و هم الوراث^٢، أو^٣ عصبة عامة و هم المسلمون.
 ولما كان الاهتمام بتوريث الصغار أكثر قال: ﴿عما﴾ أى من ١٠
 أجل ما ﴿ترك﴾ أى خلفه ﴿الوالدين﴾ أى لكم، ثم أتبع ذلك
 ما يشمل حتى الأصل [و الفرع فقال -^٤]: ﴿والاقربون^٥﴾ أى
 إليكم، ثم [عطف -^٦] على ذلك قوله: ﴿والذين﴾ أى و ما ترك^٦
 الذين ﴿عقدت^٧ إيمانكم﴾ أى عما تركه^٨ من تدلون إليه بنسب أو سبب
 بالحلف^٩ أو^{١٠} الولاء أو الصهر^{١١}، و ذكر اليمين لأن العهد يكون مع ١٥

(١) فى الأصول: فسالوه (٢) فى مد: الوارث (٣) فى ظ و « (٤) زيد من
 مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى مد: تركه (٧) قرأ الكوفيون "عقدت"
 بغير ألف، و الباقون "عاقدت" بالألف، و قرأ بالتشديد أيضا - راجع روح
 المعاني ٨٣/٢ (٨) فى ظ و مد: ترك (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: و الحلف.
 (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: الضمير.

المصافحة بها ، ثم سبب عن ذلك قوله : ﴿ فاتوهم ﴾ أى الموالى وإن كانوا صغارا أو^١ إناثا على ما بينت^٢ لكم فى آية الموارث السابقة ، و اتركوا كل ما خالف^٣ ذلك فقد نسخ بها ﴿ نصيهم^٤ ﴾ أى الذى فرضناه لهم من الإرث موفرا غير منقوص ، ولا تظنوا^٥ أن غيرهم أولى منهم أو مساو لهم ، ثم رهب من المخالفة ، و أكد الأمر وعدا ووعيدا بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ كان على كل شىء شهيدا ﴾ أى فهو يعلم الولى من غيره و الخائن من غيره و إن اجتهد فى الإخفاء ، لأنه لا يخفى عليه شىء ، لأنه لا يغيب عن شىء و لا يغيب عنه شىء ، فالمعنى^٦ : إنا^٧ لم نفعل سوى ما قصدتم من إعطاء المال لمن يحمى الذمار و يذب عن الحوزة ، و أنتم كنتم غير منزليه حق منازل لغيتكم^٨ عن حقائق الامور و غيبتها^٩ عنكم ، فانا لم نخرج شيئا منه لغير الموالى - أى الانصار - إما بالقرابة أو بالمعاقدة بالولاء أو المصاهرة ، فالحاصل أنه لمن^{١٠} يحمى بالفعل ، أو بالقوة القرية منه ، أو البعيدة الآتلة إلى القرب ، و أما التفضيل^{١١} فى الانصاء فأمر استأثرنا^{١٢} بعلم مستحقه ، و فى البخارى فى التفسير عن ابن عباس : موالى : ورثة و الذين عاقدت [ايمانكم -^{١٣}] ،

(١) فى ظ « و » (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : يثبت (٣) من ظ ، و فى الأصل : حالف ، و فى مد : جالف (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا تظنوا . (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : ليغتك - كذا (٨) فى ظ : عينها (٩) فى ظ : لم (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : التفصيل (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : استأثرنا - كذا (١٢) زيد من صحيح البخارى .

كان^١ المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري^٢ دون ذوى
 رحمه^٣ للأخوة التي آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم، فلما نزلت "ولكل
 جعلنا [موالي -^٤] " نسخت، ثم قال "والذين عاهدت [إيمانكم -^٥] "
 من النصر و الرفاة^٦ و النصيحة^٧، و قد ذهب الميراث، و يوصى له .
 ثم بين سبحانه وجه استحقاق بعض المفضلين، فقال - جوابا ه
 لسؤال من كأنه قال: ما للرجال فضلا؟ -: ﴿الرجال قومون﴾ أى
 قيام الولاية ﴿على النساء﴾ فى التأديب و التعليم و كل أمر و نهى، و بين
 سبب ذلك بقوله: ﴿بما فضل الله﴾ أى [الذى -^٨] له الحكمة البالغة
 و الكمال الذى لا يدانى، هبة منه و فضلا من غير تكسب ﴿بعضهم﴾
 و هم الرجال، فى العقل و القوة و الشجاعة، و لهذا كان فيهم الانبياء ١٠
 و الولاة و الإمامة^٩ الكبرى و الولاية فى النكاح و نحو ذلك من كل
 أمر يحتاج إلى فضل قوة فى البدن / و العقل و الدين ﴿على بعض﴾
 ٤٧٦ / يعنى النساء، فقال للرجال "اتقوا خفافا و ثقالا" و قال للنساء "و^{١٠} قرن
 فى بيوتكن^{١١} " .

(١) من ظ و مد و صحيح البخارى، و فى الأصل: فان (٢) من ظ و مد
 و صحيح البخارى، و فى الأصل: الانصار (٣) من ظ و مد و صحيح البخارى،
 و فى الأصل: رحمة (٤) زيد من صحيح البخارى (٥) فى ظ و مد: الزيادة -
 كذا (٦) فى ظ: النصحة (٧) زيد من ظ و مد (٨) من مد، و فى الأصل
 وظ: الاقامة (٩) سورة ٩ آية ٤ (١٠) سقطت الواو من ظ (١١) سورة ٣٣
 آية ٣٣ .

و لما ذكر السبب الموهي أتبعه الكسبي فقال : ﴿ و بما اتفقوا ﴾
 أى من المهور و الكسب^١ و غيرها ﴿ من اموالهم^٢ ﴾ أى عليهن ، فصارت
 الزيادة فى أحد^٣ الجانبين مقابلة بالزيادة من الجانب الآخر .

و لما بان بذلك^٤ فضلهم ، فأذعنت النفس^٥ لما فضلوا به فى الإرث
 و غيره ، و كان قد تقدم ذكر نكاحهم للنساء و الحث على العدل فيهن ؛
 حسن بيان ما يلزم الزوجات من حقوقهم و تأديب من جمحت الحق ،
 فقال مسيئاً لما يلزمهن من حقوقهم عما ذكر من فضلهم : ﴿ فالصلحت
 قنشت ﴾ أى مخلصات فى طاعة الأزواج ، و لذلك ترتب عليه ﴿ حفظت
 للغيب ﴾ أى لحقوق الأزواج من الانفس و البيوت و الاموال فى غيبتهم
 ١٠ عنهن ﴿ بما ﴾ أى بالامر الذى ﴿ حفظ الله^٦ ﴾ أى المحيط علماً و قدرة
 به غيبتهم بفعله فيه فعل من يحفظ من الترغيب فى طاعتهم فيما^٧ يرضى الله ،
 و الترهيب^٨ من عصيانهم بما يسخطه ، و رعى الحدود التى أشار إليها
 سبحانه فى البقرة ، و شرحها سنة^٩ رسول الله^{١٠} صلى الله عليه و سلم .

و لما عرف^{١١} بالصالحات لاستحقاق الإنفاق فى اللوازم أتبعه حكم
 ١٥ غيرهن فقال : ﴿ و التى تخافون نشوزهن ﴾ أى ترفعن^{١٢} عليكم عن

(١) جمع كسوة و كسوة ، و فى الأصول : الكساوى - كذا (٢) من مد ، و فى
 الأصل و ظ : احدى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (٤ - ٤) فى ظ
 و مد : فادعت الانفس (٥) فى ظ : من (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 فما (٧) فى ظ : الترغيب (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : منه (٩ - ٩) فى مد :
 نبيه (١٠) فى ظ : عرق (١١) فى ظ : ترفعن .

الرتبة التي أقامهن الله بها، وعصيانهن لكم فيما جعل الله لكم من الحق،
و أصل النشوز: الانزعاج في ارتفاع، قال الشافعي: دلالات النشوز
قد تكون^١ قولا، وقد تكون^٢ فعلا، فالقول مثل أن كانت تليه إذا
دعاها، وتخضع له بالقول إذا خاطبها، ثم تغيرت؛ والفعل مثل^٣ أن كانت
تقوم له إذا دخل إليها، أو^٤ كانت تسارع إلى أمره، وتبادر إلى فراشه
بإستبشار إذا التمسها، ثم إذا^٥ تغيرت فحينئذ ظن نشوزها؛ ومقدمات
هذه الأحوال توجب خوف النشوز (فعظوهن) أي ذكروهن من
أمر الله بما يصدع قلوبهن و يرققها ويخففهن^٦ من جلال الله .

ولما كان الوعظ موجبا لتحقيق الطاعة أو^٧ المعصية قال:

(و اهجروهن) أي إن لم يرجعن بالوعظ (في المضاجع) أي التي ١٠
كنتم تبيتون معهن فيها من البيت، وفي ضمن الهجر امتناعه من كلامها؛
قال الشافعي: ولا يزيد في هجرة الكلام على ثلاث (و اضربوهن) أي
أي إن أصررن^٨ ضرب تأديب غير مبرح، وهو ما لا يكسر عظما
ولا يشين عضوا، ويكون مفرقا على بدنها^٩ وبلا يوالى به في موضع واحد،
ويتقى الوجه لأنه يجمع^{١٠} المحاسن، ويكون دون الأربعين؛ قال الشافعي: ١٥
الضرب مباح وتركه أفضل (فان اطنعنكم) أي بشيء من الوعظ،

- (١) في ظ: يكون (٢) سقط من ظ (٣) في ظ «و» (٤) في ظ: لسهما .
(٥) في مد: انها (٦-٧) من مد، وفي الأصل: يرققها ويخففهن، وفي ظ:
يرققها ويخففن - كذا (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: أصررت (٨) في ظ:
تدبها (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: يجمع - كذا .

و المحجر في موضع المبيت من البيت، أو الضرب ﴿ فلا تبغوا ﴾ أى
 تطلبوا ﴿ عليهن سيلاً ﴾ أى طريقاً إلى الأذى على ما سلف من العصيان
 من توبيخ على ما سلف ونحوه، بما لكم عليهن من العلو، بل اغفروا^١
 لهن ما سلف، ولا يحملنكم ما منحكم الله من العلو على المناقشة، ثم علل
 ذلك بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى وقد علمت ما له من الكمال ﴿ كان ﴾
 ولم يزل ﴿ عليا كبيرا ﴾ أى له العلو والكبر على الإطلاق بكمال القدرة
 ونفوذ المشيئة، فهو^٢ لا يحب الباغى ولا يقره على بغيه، وقدرته
 عليكم أعظم من قدرتكم عليهن، وهو مع ذلك يعفو عن^٣ عساه
 - وإن ملأ الأرض خطايا - إذا أطاعه، ولا يؤاخذ به شيئاً مما فرط في
 ١٠ حقه، بل يبدل سيئاته حسنات، فلو أخذكم بذنوبكم أهلككم؛ فتخلقوا
 بما قدرتم عليه من صفاته لتنالوا جليل هباته، وخافوا سطواته،
 واحذروا عقوبته، بما له من العلو والكبر.

/ ٤٧٧

/ ولما بين حال الوفاق وما خالطه من شيء من الأخلاق التي يقوم
 باصلاحها الزوج، أتبعه حال المباينة والشقاق المحوج إلى من ينصف
 ١٥ أحدهما من الآخر فقال: ﴿ وان خفتم ﴾ أى أيها المتقون القادرون
 على الإصلاح من الولاية وغيرهم ﴿ شقاق بينهما ﴾ أى الزوجين المفهومين
 من السياق، يكون كل واحد منهما في شق غير الشق الذي فيه الآخر،
 (١) في ظ: انفروا (٢) في ظ: فانه (٣) من مد، وفي الأصل: عن، وفي ظ:
 من (٤) في ظ: لتعالوا (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: احدهم (٦-٦) سقط
 ما بين الرقعين من ظ.

ولا يكون ذلك إلا وأحدهما على باطل، وأضاف الشقاق إلى البين ليفيد أن هذا العمل إنما يكون عند الخوف من شقاق خاص، وهو أن يكون البين^١ المضاف إليهما - وهو الذي يميز كل واحد منهما من الآخر - لا تمكن في العادة^٢ إزالته ليكونا^٣ شيئاً واحداً كما كانا^٤ لا بين لهما، وذلك بظن^٥ أنه لا صلاح في اجتماعهما (فابعثوا) أى إليهما للاصلاح بينهما بانصاف المظلوم من الظالم (حكماً من أهله) أى الزوج (و حكماً من أهلهما ج) أى الزوجة، هذا أكمل لأن أهلهما^٦ أقرب إلى إزالة أسباب الشقاق من بينهما، لأنهم أجدر^٧ بالاطلاع على بواطن أمورهما وعلى حقائق أحوالهما، والزوجان^٨ أقرب إلى اطلاعهما إن كانا قريين على ضمائرهما، وأقرب إلى إخفاء ذلك عن الأجانب؛ وفائدة الحكمين أن ١٠ يخلو كل منهما بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف^٩ وجه الصلاح. ثم أجاب من كانه قال: وما ذا عسى أن يضيقا؟ بقوله: (إن^{١٠} يريد آ) أى الحكمان (اصلاحاً) أى بينهما، و كانه نكره لأن الإخلاص و^{١١} وجود الكمال قليل (يوفق الله) الذى له الإحاطة بعلم الغيب و الشهادة (بينهما^{١٢}) أى الزوجين لأن^{١٣} صلاح التية أكبر معين ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: ليكون.
(٣) من مد، وفي الأصل وظ: كان (٤) من مد، وفي الأصل وظ: يظن.
(٥) في ظ: أهلهما (٦) في ظ: احذر (٧) في ظ: الزوجات (٨) في ظ ومد:
لتعرف (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ ومد، وفي الأصل: من (١١) في ظ: لا.

على بلوغ المقاصد، وهذا دال على أنه لا يكون شيء إلا بالله، وأن الأسباب إنما هي محنة من الله، يسعد بها^١ من يباشرها ويعتمد على الله دونها، ويشقى^٢ بها من يجعلها محط قصده^٣، فيعتمد عليها.

ولما كان المصلح قد يظن مفسدا [لصدعه -^٤] بمر الحق من غير مداراة^٥، والمفسد قد يعد مصلحا لما يرى منه من المداينة والمراعاة^٦ والمكر، فيظن من يخلف الوعد بالتوفيق غير ما في نفس الأمر؛ قال تعالى مزبلا لهذا الوهم مرغبا ومرهبا: ﴿ان الله﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال ﴿كان عليما﴾ أى مطلقا على ما يمكن الاطلاع عليه وإن غاب عن غيره ﴿خبيرا﴾ أى لا يخفى عليه من ذلك خفى، ١٠ ولا يغيب عنه خفيه، فصارت هذه الآيات كفيلة بغالب أحوال النكاح، ولم يذكر سبحانه وتعالى الطلاق عند ما^٧ ذكر الشقاق لتقدمه في البقرة، ولأن مبنى هذه السورة على التواصل^٨ والتواد دون التفاضل والتراد- كما قال ابن الزبير، ولهذا - أى لبناء السورة على التواصل^٩ والاتلاف دون^{١٠} التفاضل والاختلاف - خصت من حكم تشاجر الزوجين بالإعلام بصورة الإصلاح والعدالة^{١١} إبقاء لذلك التواصل، فلم يكن الطلاق

(١) زيد بعده فى الأصل: منه، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفنا (٢) فى ظ: يسقى (٣) فى ظ: فاصده - كذا (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: مداراة (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: ما (٧) فى الأصول: الراية - كذا. (٨) من مد، وفى الأصل و ظ: نا - كذا (٩-٩) سقط ما بين الرقين من مد. (١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ و مد: المعدلة.

ليناسب هذا، فلم يقع له هنا^١ ذكر ولا إيماء إلا قوله ”و ان يتفرقا
يفن الله كلا من سعة“ - انتهى .

ولما كثرت في هذه السورة الوصايا من أولها إلى هنا بنتيجة التقوى:
العدل و الفضل^٢، و الترغيب في نواله، و التهيب من^٣ نكاله - إلى أن
ختم ذلك بارشاد الزوجين إلى المعاملة بالحسنى، و ختم الآية بما هو في ه
الذروة من حسن الختام من صفى العلم و الخبر، و كان ذلك في معنى
ما ختم به الآية الآمرة بالتقوى من الوصف بالرقيب، اقتضى ذلك تكرير
التذكير بالتقوى التي افتتحت السورة بالامر بها، فكان التقدير حتما:
فاتقوه؛ عطف عليه، أو على نحو ”و سئلوا الله من فضله“، أو على
”اتقوا ربكم“ الخلق المقصود^٤ من الخلق المبشرين على تلك الصفة، ١٠
و هو العبادة الخالصة التي هي الإحسان في معاملة الخالق، و أتبعها الإحسان
في معاملة الخلائق فقال: ﴿ و اعبدوا الله ﴾ أى أطيعوا - الذي له الكمال
كله فلا يشبهه / شيء - طاعة محضة من غير شائبة خلاف مع الذل
و الانكسار، لأن ملاك ذلك كله التعبد بامثال^٥ الأوامر واجتناب
الزواجر .

١٥

و لما كان سبحانه غنيا لم يقبل إلا الخالص، فقال مؤكدا لما أفهمه

(١) من مد، وفي الأصل و ظ : هناك (٢) من مد، وفي الأصل و ظ :
الفصل (٣) من ظ و مد، وفي الأصل : في (٤) من مد، وفي الأصل و ظ :
تتجم (٥) في ظ « و » (٦) زبدت الواو بعده في الأصل و ظ، و لم تكن في مد
لحذفناها (٧) في ظ : بالامثال .

ما قبله : ﴿ ولا تشركوا به شيئا ﴾ .

ولما أمر للواحد الحقيقي بما ينبغي له ، وكان لذلك درجتان :
أولاهما ' الإيمان ، وأعلاهما الإحسان ، فصار المأمور بذلك مخلصا
من عبادته ، أمره بالإحسان في خلافته ، وبدأ بأولى الناس بذلك ، وهو
من جعله سببا لإيجاده ، فقال - مشيرا إلى أنه لا يرضى له من ' ذلك إلا هـ
درجة الإحسان ، وإلى أن من أخلص له أغناه عن كل ما سواه ، فلا يزال
منعما على من عداه - : ﴿ وبالوالدين ﴾ أى وأحسنوا بهما ﴿ احسانا ﴾
وكفى دلالة على تعظيم أمرهما جعل برهما قرين الأمر بتوحيده سبحانه .
ولما كان مبنى السورة على الصلة لا سيما ^٢ لذى الرحم ، قال مفصلا

لما ذكر أول السورة تأكيدا له ^٤ : ﴿ وبذى القربى ﴾ لتأكد حقهم بمزيد ^{١٠}
قربهم ^٥ ، ولاقتضاء هذه السورة مزيد الحث على التعاطف أعاد الجار ،
ثم أتبع ذلك من تجب مراعاته لله ، أو لمعنى تفسد ^٦ بالإخلال به ذات
البن ، وبدأ بما [لله - ^٧] لأنه إذا صح تبعه غيره فقال : ﴿ واليتيمى
والمسكين ﴾ أى وإن لم تكن ^٨ رحمهم معروفة ، وخصهم لضعفهم ،
وقدم اليتيم لأنه أضعف ، لأنه ^٩ لصغره ي ضعف عن دفع حاجته ورفعها ^{١٥}
إلى غيره ﴿ والجار ذى القربى ﴾ أى لأن له حقين ^{١١} ﴿ والجار الجنب ﴾

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : أولا وهما - كذا (٢) من ظ و مد ، وفي
الأصل : منه (٣) من مد ، وفي الأصل و ظ : لا - كذا (٤) سقط من ظ .
(٥) في ظ : قرنهم (٦) في ظ : يفسد (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد ،
وفي الأصل : لم يكن (٩) سقط من مد (١٠) في ظ : معنى - كذا .

أى

(٦٩)

٢٧٦

أى الذى لا قرابة له ، للبلوى بعشرته^١ خوفا من بالغ مضرته ، اللهم إني أعوذ بك من جار^٢ السوء فى دار المقامة ، فان جار البادية يتحول ، (والصاحب بالجنب) أى الملاصق المخالط فى أمر من الأمور الموجبة لامتداد العشرة (وابن السيل^٣) أى المسافر لغربته وقلة ناصره ووحشته (وما ملكك إيمانكم^٤) أى من العييد والإماء كذلك ، ه فان الإحسان إليهم طاعة عظيمة ، آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة و ما ملكك إيمانكم .

ولما ذكر الإحسان الذى عماده التواضع والكرم ، ختم الآية ترغيبا فيه وتحذيرا من^٥ منه معللا للأمر [به -^٦] بقوله : (ان الله) أى بما له من الاسماء الحسنى والصفات العلى^٧ (لا يحب) أى لا يفعل ١٠ فعل المحب مع^٨ (من كان محتالا) أى متكبرا معجبا بنفسه متزينا بحليته مرائيا بما آناه الله تعالى من فضله على وجه العظمة وإحتقار الغير ، يأنف من أن ينسب إليه أقاربه الفقراء ، ويقدر^٩ جيرانه إذا كانوا ضعفاء ، فلا يحسن إليهم لئلا يلتموا به فيعير بهم .

ولما كان المختال ربما أحسن رياه ، قال معلما أنه لا يقبل إلا الخالص : ١٥ (غفورا) مبالغا^{١٠} فى التمدح بالخصال ، يأنف من عشرة الفقراء ،

- (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : بعثرته (٢) فى ظ : الجار (٣) فى ظ : بمن .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : العليا (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : مرشا -
كذا (٨) من مد ، وفى الأصل : يقدم ، وفى ظ : يعذر - كذا (٩) فى ظ :
بالا - كذا .

وفي ذلك أتم^١ ترهيب من الخلق المانع من الإحسان، وهو الاختيال
على عباد الله والافتخار عليهم ازدراء بهم، فانه لا مقتضى لذلك^٢ لأن
الكل من نفس واحدة، والفضل نعمة منه سبحانه، يجب شكرها بالتواضع
لتدوم، ويحذر^٣ كفرها بالفخار خوفا من أن تزول.

٥ ولما كان الاختيال والفخر^٤ على الفرح بالأعراض الغانية والركون
إليها والاعتماد عليها، فكانا حاملين^٥ على البخل خوفا من زوالها؛ قال
واصفاهم بجملة من الأخلاق الرديئة الجليلة^٦، ذلك منشأها: ﴿الذين
يخلون﴾ أي^٧ يقعون البخل بما حملهم من المتاع الفاني على الفخار،
وقصره ليعم^٨ كتم العلم ونحوه؛ ثم تلا ذلك بأسوء منه فقال:
١٠ ﴿و يامرون الناس بالبخل﴾ مقنا للسخاء، وفي التعبير بما هو من
النوس إشارة إلى أنهم لا يعلقون^٩ أطماعهم بذلك إلا بدوى الهمم السافلة
والرتب القاصرة، ويحتمل أن يكون الأمر كناية عن حملهم غيرهم على
البخل بما يرى من اختيالهم وافتخارهم عليهم؛ ثم أتبع ذلك أخبث^{١٠}
منه، وهو الشح بالكلام الذي لا يخشى نقصه وجحد النعمة وإظهار
١٥ / ٤٧٩ الافتقار فقال: ﴿و يكتمون ما انتهم الله﴾ أي^{١١} الذي له الجلال

(١) في ظ: ثم (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: كذلك (٣) من مد، وفي
الأصل و ظ: يحذر (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: الفخرة التي - كذا،
و العبارة من بعده إلى «عليها فكانا» ساقطة من ظ (٥) في ظ: حالين (٦) من
ظ و مد، وفي الأصل: الحلية (٧) سقط من ظ (٨) في ظ: لتعم (٩) في ظ:
لا يعلقون (١٠) في ظ: احتب - كذا (١١) سقط من ظ و مد.

و الإكرام ﴿ من فضله ^١ ﴾ أى من العلم جاحدين أن يكون لهم شيء
يحدون به . قال الأصهباني : ثم إن هذا الكتابان قد يقع على وجه يوجب
الكفر ، مثل أن يظهر الشكاية لله 'سبحانه و تعالى' و لا يرضى بالقضاء .
ثم عطف على " ان الله لا يحب " ملتفتا إلى مقام التكلم ، دلالة على تناهي
الغضب و تعينا للتوعد ، مصرحا بمظهر العظمة الذى دل عليه هناك ه
بالاسم الأعظم قوله : ﴿ واعتدنا ﴾ أى أحضرنا و هيأنا ، و كان الأصل :
لهم ، و لكنه قال - تعميما ^٢ و تعليقا للحكم بالوصف ، و إعلاما بأن ذلك
حامل على الكفر - : ﴿ للكافرين ﴾ أى بفعل هذه الحُصَال ^٣ كفرا
حقيقيا بما أوصلهم إليه لزوم الاخلاق الدنية ، أو مجازيا ، بكتمان النعمة
﴿ عذابا مهينا ﴾ أى بما اغتروا بالمال الحامل على الفخر و الكبر ١٠
و الاختيال و لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر .
و لما ذم المقترين ، أتبعه ذم المسرفين المبذرين فقال - عطفًا على
" الكافرين " أو " الذين ييخلون " معرفا ^٤ أن الذين لا يحسنون على
الوجه المأمور به فيمن تقدم الأمر بالإحسان إليهم ^٥ فرقتان : فرقة يمنعون
النفقة أصلا ، و فرقة يمنعون وصفها و يفعلونها ^٦ رياء ، فيعدمون ^٧ بذلك ١٥
روحها - : ﴿ و الذين ينفقون ﴾ و أشار إلى عظيم رغبته في نفقتهم
(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الحِصَال -
كذا (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : مجازا (٥) فى ظ : معرُفا (٦) من ظ
و مد ، وفى الأصل : اليه (٧) فى ظ : يفعلون كما - كذا (٨) فى ظ :
فيقدمون .

بقوله: ﴿ اموالهم ﴾ و دل على خسة^١ مقاصدهم و سفول^٢ همهم بقوله:
﴿ رءآء الناس ﴾ أى لقصور نظرهم و تقبده بالمحسوسات كالبهائم التى
لا تدرك إلا الجزئيات المشاهدات .

ولما ذكر إخراج المال على وجه لا يرضاه ذو عقل ، ذكر الحامل
٥ عليه^٣ مشيرا إلى أنهم حقروا أنفسهم بما عظموها به ، و ذلك أنهم تعبدوا
للعبيد ، و تكبروا على خالفهم العزيز المجيد فقال : ﴿ ولا يؤمنون بالله ﴾
و هو الملك الأعظم . و لما كان المأمور بالإحسان إليهم هنا من الوالدين
و من ذكر معهم أخص من^٤ أشير إليهم فى البقرة ، أكد بزيادة النافي
فقال : ﴿ ولا باليوم الآخر ﴾ الحامل على كل خير^٥ ، و النازع عن
١٠ كل شر^٦ .

و لما كان التقدير : فكان^٧ الشيطان قرينهم ، لكفره باعجابه و كبره ؛
عطف [عليه -] قوله : ﴿ و من يكن الشيطان ﴾ أى^٨ و هو عدوه
البعيد من كل خير ، المحترق بكل ضير^٩ ﴿ له قرينا ﴾ فانه يحمله^{١٠} على
كل شر ، و يبعده عن كل خير ؛ و إلى ذلك أشار بقوله^{١١} :
١٥ ﴿ فسآء قريناه ﴾ .

و لما كان التقدير : فما ذا لهم فى الكفر و الإنفاق رياء لمن لا ضر^{١٢}
(١) فى ظ : حسية (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : صقول - كذا (٣) تأخر فى
الأصل عن « مشيرا » و الترتيب من ظ و مد (٤) فى ظ : من (٥) فى ظ :
حبر (٦) فى ظ : شي (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : و كان (٨) زيد من
ظ و مد (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : ضر (١١) فى مد : تحمله (١٢) فى ظ
و مد : قوله (١٣) فى ظ : ضرر .

ولا تقع يده؟ عطف عليه قوله تعنفا لهم 'وإنكارا عليهم':
 ﴿وما ذا عليهم﴾ أى من حقير الأشياء وجليها ﴿لو آمنوا بالله﴾
 أى الذى له كل كمال، ويده كل شيء ﴿واليوم الآخر﴾ الحامل
 على كل صلاح ﴿وانفقوا﴾.

ولما وصفهم باتفاق جميع أمواهم للعدو الحقير أشار إلى شحهم^٥
 فيما هو الله^٢ العلى الكبير بشيء يسير يحصل لهم به خير كثير، فقال:
 ﴿مما رزقهم الله﴾ الذى له الغنى المطلق والجود الباهر. ولما كان
 التقدير: فقد كان الله عليهم لما بذروا أمواهم قدرا^٥، عطف عليه قوله:
 ﴿وكان الله﴾ أى المحيط^٦ بصفات الكمال^٧ ﴿بهم﴾ أى فى كلنا
 الحالتين ﴿علياء﴾ أى بليغ العلم، وللإعلام^٨ بعظمة العلم بهم^٩ قدم^{١٠}
 الجار المقيد للاختصاص فى غير هذا الموضع.

ولما فرغ من توبيخهم قال معللا: ﴿ان الله﴾ أى الذى له كل
 كمال، فهو^١ الغنى المطلق ﴿لا يظلم﴾ أى لا يتصور أن يقع منه
 ظلم ما^٢ ﴿مقال ذرة ج﴾ أى فادونها، وإنما ذكرها لأنها كناية
 عن العدم، لأنها مثل فى الصغر، أى فلا ينقص أحدا شيئا مما عمله،^{١٥}
 ولا يثيب^{١١} عليه شيئا لم يعمله، فإذا على من آمن به وهو

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) فى ظ: شحيم - كذا (٣) سقط من ظ.
 (٤) فى مد: تحصل (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: قدرا (٦) سقط من مد.
 (٧-٧) فى ظ ومد: بالكمال (٨) فى ظ: الاعلام (٩) زيدت الواو بعده فى
 ظ (١٠) من مد، وفى الأصل: فهمى، وفى ظ: وهو (١١) فى ظ: لا يثبت.

بهذه الصفة العظمى .

ولما ذكر التخلي من الظلم ، أتبعه التحلى بالفضل فقال عاطفا على ما تقديره : فان تلك الذرة سيئة لم يزد عليها ، ولا يحزى بها ' إلا مثلها : (وإن) ولما كان تشوف السامع / إلى ذلك عظيما ، حذف منه النون ه بعد حذف المعطوف عليه تقريبا لمرامه ٢ فقال : (تك) أى مثقال الذرة ، وأنه لإضافته إلى مؤنث ، وتحقيرا له ، ليفهم تضعيف ما فوقه من باب الأولى ٣ ، وهذا يطرد في قراءة الحرمين برفع ٤ (حسنة) [أى - ٥] وإن صغرت (يضعفها) أى من جنسها بعشرة أمثالها إلى سبعين إلى سبعمائة [ضعف - ٦] إلى أزيد من ذلك بحسب ما يعلم من حسن العمل بحسن النية (ويؤت من لدنه) أى من غريب ما عنده فضلا من غير عمل لمن يريد . قال الإمام : وبالجمل فذلك التضعيف إشارة إلى السعادات الجسمانية ، وهذا الأجر إلى السعادات الروحانية (أجرا عظيما) وسماه أجرا - وهو من غير جنس تلك الحسنة - لابتئانه ٧ على الإيمان ، أى فمن كان هذا شأنه لا يسوغ لعاقل توجيه ٨ المهمة ١٥ إلا إليه ٩ ، ولا الاعتماد أصلا بانفاق وغيره إلا عليه .

ولما تم تحذيره من اليوم الآخر وما ذكره من إظهار العدل

- (١) في ظ : لها (٢) من مد ، وفي الأصل و ظ : لمرامها (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : اولى (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد من ظ (٧) في ظ : لاسانه - كذا (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : توجب . (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل : لهية - كذا .

واستقصائه

واستقصائه فيه كان سببا للسؤال عن حال المبكتين في هذه الآيات
 'إذ ذاك'، فقال^٢: ﴿ فكيف ﴾ أى يكون حالهم وقد حملوا أمثال
 الجبال من مساوى الأعمال ! ﴿ اذا جئنا ﴾ على عظمتنا ﴿ من كل امة
 شهيد ﴾ أى يشهد^٣ عليهم ﴿ و جئنا بك ﴾ و أنت أشرف خلقنا
 ﴿ على هؤلاء ﴾ أى الذين أرسلناك إليهم وجعلناك شهيدا عليهم ٥
 ﴿ شهيدا ﴾ وفى التفسير من البخارى عن عبد الله ' رضى الله تعالى
 عنه قال: قال [لى - ٥] رسول الله صلى الله عليه وسلم ' اقرأ على '،
 قلت: اقرأ عليك و عليك أنزل؟ قال ' إني أحب أن أسمعه من غيرى '،
 فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت " فكيف اذا جئنا من كل امة
 شهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيدا " قال ' أمسك '، فاذا عيناه ١٠
 تذرفان . ثم استأنف الجواب عن ذلك بقوله: ﴿ يومئذ ﴾ أى تقوم^٤
 الاشهاد ﴿ يود الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما تهدى إليه العقول من
 آياته، و بين أنهم مخاطبون بالفروع فى قوله: ﴿ وعصوا الرسول ﴾
 بعد ستر ما أظهر من بيناته ﴿ لو تسوى بهم الارض ﴾ أى تكون
 مستوية معتدلة بهم، و لا تكون كذلك إلا و قد غيبتهم^٥ واستوت بهم، ١٥

(١-١) فى ظ: ارذال - كذا (٢) سقط من ظ (٣) من مد، وفى الأصل
 و ظ: شهيد (٤) زيد بعده فى الأصل: بن عمر، ولم تكن الزيادة فى ظ
 و مد و صحيح البخارى فخذناهما، لأنه: ابن مسعود، كما صرح به المحشى بين
 سطرى الصحيح معزيا إلى « نس » أى شرح البخارى للخطيب القسطلانى
 رحمه الله (٥) زيد من الصحيح (٦) فى ظ: يقوم (٧) فى ظ: عيتهم .

ولم يبق^١ فيها شيء من عوج ولا تور^٢ بسبب^٣ أحد منهم ولا شيء من
أجسامهم؛ وإنما ودوا ذلك خوفا مما يستقبلهم من الفضيحة بعقابهم
ثم الإهانة بعقابهم^٤.

ولما كان التقدير: فلا تسوى^٥ بهم، عطف عليه قوله:
هـ (ولا يكتمون الله) أى الملك الأعظم (حديثاً) أى شيئاً أحدثوه
بل يفتضحون بسببه أخبارهم، ويحملون جميع أوزارهم، جزاء لما كانوا
يكتمون من آياته وما نصب للناس من بيناته^٦.

ولما وصف الوقوف بين يديه فى يوم العرض والاهوال الذى
أدت فيه سطوة الكبرياء والجلال إلى تنمى^٧ الدم، ومنعت قوة يد
القهر والجبر^٨ أن يكتم حديثاً، وتضمن وصفه أنه لا ينجو فيه إلا
من كان طاهر القلب والجوارح بالإيمان به والطاعة لرسوله صلى الله
عليه وسلم؛ وصف الوقوف بين يديه فى الدنيا فى مقام الأنس وحضرة
القدس المنجى من هول الوقوف فى ذلك اليوم، والذى خطرت
معانى اللطف والجمال فيه الالتفات إلى غيره، وأمر بالطهارة
١٥ فى حال التزين به عن الخبائث فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أى
أقروا بالتصديق بالرسول وما أتوا به عن الله، وأوله^٩ وأولاه^{١٠}

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: لا يبق (٢) من ظ و مد، وفى الأصل:
سو - كذا (٣) فى الأصل: تسبب، وفى ظ و مد: سبب - كذا (٤-٥) سقط
ما بين الرقيمين من ظ (٥) فى ظ: فلا يسوى (٦) فى ظ: بما (٧) فى ظ:
تغيانه (٨) فى ظ: ميم - كذا (٩) من ظ، وفى الأصل: الخير، وفى مد: لخيره.

أن لا تشركوا به شيئا من الإشراف (لا تقربوا الصلوة) أى بأن لا تكونوا
 فى موضعها فضلا عن أن تفعلوها (وانتم) أى والحال أنكم
 (سكرى) أى غابو العقل^١ من الخمر أو نحوها، فانه يوشك أن
 يسبق اللسان - بتمكن الشيطان بزوال العقل^٢ - إلى شيء من الإشراف،
 فيكون شركا لسانيا وإن كان القلب / مطمئنا بالإيمان، فيوشك أن ٥ / ٤٨١
 يعرض ذلك^٣ عليه يوم الوقوف الأكبر، فان من أنتم^٤ بين يديه
 لا يكتفم حديثا، فيود^٥ من نطق لسانه بذلك - لما يحصل له من الألم -
 لو كان من أهل العدم^٦ وأصل السكر فى اللغة: سد الطريق؛ وسبب
 نزولها ما رواه مسدد باسناد - قال شيخنا البوصيرى: رجاله ثقات - عن
 على رضى الله تعالى عنه أن رجلا من الانصار دعاه وعبد الرحمن بن ١٠
 عوف رضى الله تعالى عنه فسقاها قبل أن تحرم^٧ الخمر، فأهمهم على
 رضى الله تعالى عنه فى المغرب وقرأ "قل بآيها الكفرون^٨" فنزلت،
 هكذا رواه، وقد رواه أصحاب السنن الثلاثة وأحمد وعبد بن حميد
 والبزار والحاكم والطبرى، فبينوا المراد، وهو أن الذى صلى بهم
 قرأ: أعبد ما تعبدون، [و فى رواية الترمذى: ونحن نعبد ١٥
 ما تعبدون - ٧] .

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من مد، وفى
 الأصل: ايتم، وفى ظ: اسم - كذا (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: فيودى.
 (٥) فى ظ: تخمر (٦) سورة ١٠٩ آية ١ (٧) زيد ما بين الحاذرين من ظ
 و مد.

ولما أفهم النهى عن قربانها في هذا الحال زواله بانقضائه ، صرح به
 في قوله : ﴿ حتى ﴾ أى ولا يزال هذا النهى قائماً حتى ﴿ تعلوا ﴾
 بزوال السكر ﴿ ما تقولون ﴾ فلا يقع منكم حيثنذ تبديل ؛ وعند الشافعى
 رضى الله تعالى عنه أن المراد بالصلاة نفسها وموضعها وهو المسجد ،
 وذلك من أدلته على استعمال الشيء في حقيقته ومجازه ؛ نهى السكران
 أن يصل إلى أن ' يفهم ، أى ' يصحو ، ونهى ' كل واحد ' أن يكون في
 المسجد وهو جنب بقوله عطفاً على محل " واتم سكرى " : ﴿ ولا ﴾
 أى ولا تقربوا الصلاة بالكون في محالها ، فضلاً عنها ﴿ جنباً ﴾ أى
 بمنين بالفعل أو القوة القريبة منه بالتقاء الختانين ، لأن الجنابة المني
 ١٠ سواء كان عن جماع أو لا في حال من أحوال الجنابة ﴿ الا عبرى سبيل ﴾
 أى مارين مروراً من غير مكث ولا صلاة ؛ ولما غيّا منع الجنابة بقوله :
 ﴿ حتى تغسلوا ^١ ﴾ أى تغسلوا البدن عمداً ، و [لا - ^٢] كان للإنسان
 حالات يتعسر أو يتعذر فيها ^٣ عليه استعمال الماء ؛ ذكرها فقال مرتباً
 لها على الأحوج إلى الرخصة فالأحوج : ﴿ وان كنتم مرضى ﴾ أى
 ١٥ بجراحة أو غيرها مرضاً يمنع من طلب الماء أو استعماله ﴿ او على سفر ﴾
 كذلك ^٤ سواء كان السفر طويلاً أو قصيراً ﴿ او جاء احد منكم ﴾ أى
 (١ - ١) سقط ما بين الرقين من ^٥ ظ (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : احد .
 (٤) في ظ : مكانها (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : الى (٦) زيد من ظ .
 (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : فيها (٨) في ظ ومد : غلبة (٩) في ظ ومد :
 لذلك .

أيها المؤمنون! ولو كان حاضرا صحيحا (من الغائط) أى المكان
المطمئن من الأرض الواسع الذى يقصد للتخلي^١، [أى: أو جاء من
التخلي -^٢] ففضى حاجته التى لا بد له منها، فهو بها أخرج إلى التخفيف
عما بعده.

ولما تقدم أمر الجنبابة التى هى المتى أعم من أن تكون^٣ بجماع هـ
أو غيره، ذكر هنا ما يعمها وغيرها من وجه فقال: (أو لمستم النساء)
أى: بمجرد التقاء البشريتين أو بالجماع سواء حصل إزال أو لا، وآخر
هذا لأنه^٤ مما منه بد، ولا يتكرر [تكرر -^٥] قضاء^٦ الحاجة
(فلم تجدوا ماء) أى إما بفقده أو بالعجز عن استعماله (فقيموا)
أى اقصدوا قصدا صادقا بأن تلبسوا نايين^٧ (صعيدا) أى ترابا ١٠
(طيبا) أى طهورا خالصا فهو بحيث ينبت "والبسلة الطيب يخرج
نباته باذن ربه"^٨ (فامسحوا) وهذه عبادة خاصة بنا.

ولما كان التراب لا يتمكن من جميع العضو وإن اجتهد الإنسان
فى ذلك أدخل الباء قاصرا للفعل فى قوله: (بوجوهكم) أى أوقعوا
المسح بها سواء عم^٩ التراب منبت الشعر أم لا (وايديكم^{١٠}) أى منه، ١٥

(١) فى ظ: التخلي (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) فى ظ: يكون.

(٤) زيد بعده فى ظ: اعم (هـ - هـ) من ظ و مد، وفى الأصل: هذه الأمة -

كذا (٦) سقطت الواو من ظ (٧) فى ظ: القضا (٨) من مد، وفى

الأصل و ظ: ماوين (٩) سورة ٧ آية هـ (١٠) من ظ، وفى الأصل

و مد: هم.

كما صرح به في المائدة، لا فيه ولا عليه مثلا، ليفهم التمعك، أو أن الحجر^١ مثلا يكفى، والملامسة جوز الشافعى رضى الله تعالى عنه أيضا أن يراد بها المس - أى ملاقة البشريتين - الذى هو حقيقة اللس و الجماع الذى هو مسبب^٢ عن المس، أو^٣ هو عمامة خاصة، فهو من تسمية الكل باسم البعض حيثنذ .

ولما نهى عما يدنى من^٤ وقوع صورة الذنب الذى هو جرى اللسان بما لا يليق به سبحانه وتعالى، و خفف ما كان شديدا بالتييم؛ ختم الآية بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى^٥ الذى اختص بالكمال ﴿ كان عفوا ﴾ أى بترك العقاب / على الذنب، وكان هذا راجع إلى ما وقع حالة السكر / ٤٨٢
١٠ ﴿ غفورا ﴾ أى بترك العقاب^٦ و بمحو الذنب حتى لا يذكر بعد ذلك أصلا، وكان هذا راجع إلى التيمم، فإن الصلاة معه حسنة، ولولاه كانت سيئة مذكورة ومعاقبا عليها، إما على تركها لمشقة^٧ استعمال الماء عند التساهل، أو على فعلها بغير طهارة في بعض وجوه^٨ التنطع، و ذلك معنى قوله سبحانه وتعالى في المائدة ” ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج“
١٥ و من كانت عادته العفو والمغفرة كان ميسرا غير معسر .

ولما أنهم ختام هذه الآية أن التشديد في الأحكام تكون سببا للأجرام، فيكون سببا في الانتقام؛ قرر ذلك بحال اليهود الذين أوجبت
(١) في ظ : الحر (٢) من ظ و مد، و في الأصل : سبب (٣) في ظ و .
(٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) في ظ : المشقة .
(٧) من ظ و مد، و في الأصل : وجوده (٨) آية ٦ .

لهم الآصار عذاب النار^١ فقال - ليكون ذلك مرغبا في تقبل ما مر من
التكاليف ليسره^٢ و لرجاء الثواب، و مرها من تركها خوفا من العقاب،
و ليصير الكلام حلوا رائقا بهجا بتفصيل نظمه تارة بأحكام، و تارة
بأقاصيص عظام، فينشط الخاطر و تقوى القريحة - : (الم تر) أو يقال :
إنه لما حذر^٣ سبحانه و تعالى فيما مضى من أهل الكتاب بقوله سبحانه و تعالى ٥
”و يريد الذين يقعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما“ و مر إلى أن
أنزل^٤ هذه فيمن^٥ حرف في الصلاة لسانه فقط لا عن عمد^٦ الكلم^٧
عن مواضعه؛ أتبعها التصريح بالتعجب^٨ من حال المحرفين بالقلب و اللسان
عمدا و عدوانا اجتراء على الله سبحانه و تعالى، الملوح إليهم بالآية السابقة
أنهم^٩ يريدون لنا^{١٠} الضلال عما هدينا إليه من سننهم، فقال: ”الم تر“ . ١٠
و لما كانوا بمحل البعد^{١١} - بما لهم من اللعن - عن حضرته الشريفة،
عبر بأداة الانتهاء، بصرية كانت الرؤية^{١٢} أو^{١٣} قلبية، فقال: (إلى الذين
أوتوا) و حقر أمرهم بالبناء للفعول و^{١٤} بقوله: (نصيا من الكتب)
أي^{١٥} كشاس^{١٦} بن قيس الذي أراد الخلف بين الأنصار، و في ذلك أن
أقل شيء من الكتاب يكفى في ذم الضلال، لأنه كافٍ في الهداية ١٥

- (١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، و في الأصل: ليسره - كذا (٣) في ظ :
قدر (٤) في ظ : نزل (٥) في ظ : من (٦) في ظ : عهد (٧) من مد، و في
الأصل و ظ : الكلام (٨) في ظ : بالتعجب (٩-١٠) من ظ و مد، و في
الأصل: يريه و المقاد - كذا (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: التعمد (١١) من
ظ و مد، و في الأصل: الرويا (١٢) في ظ : كساس .

﴿ يشتركون ﴾ أى يتكفون ويلحون^١ - بما هم فيه من رئاسة الدنيا من المال و الجاه - أن يأخذوا ﴿ الضللة ﴾ معرضين عن الهدى غير ذاكرين^٢ بوجه ، و سبب كثير من ذلك ما فى دينهم من الآصار و الأثقال ، كما أشار إليه [قوله - ٢ -] سبحانه و تعالى ” تخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة “ أى^٣ بسبب ما شدد عليهم فيها بأنها لا تفعل إلا فى الموضع المبني لها ، و بغير ذلك من أنواع الشدة ، و كذا غيرها^٤ المشار إليه بقوله سبحانه و تعالى ” فيما نقصهم ميثاقهم “^٥ و غير ذلك ، و من أعظمه ما يخفون من صفة النبي صلى الله عليه و سلم ، ليتقربوا بذلك إلى أهل دينهم ، و يأخذوا منهم الرشى على ذلك ، و يجعلهم عليهم رؤساء .

١٠ و لما ذكر ضلالهم المتضمن لإضلالهم ، أتبعه ما يدل على إعرافهم فيه ، فقال مخاطباً لمن يمكن توجيه همهم باضلال إليه : ﴿ ويريدون^٦ أن تضلوا^٧ ﴾ أى يا أيها الذين آمنوا ﴿ السيل ط ﴾ حتى تساوهم ، فلذلك يذكرونكم بالأحقاد و الأضغان و الانكاد - كما فعل شاس - لا محبة فيكم ، و يلقون^٨ إليكم الشبهة^٩ ، فالله سبحانه و تعالى [أعلم - ٢ -] بهم حيث

(١) فى ظ : يلحقون (٢-٢) فى ظ : عن ذاكرته - كذا (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) سورة ١٩ آية ٥٩ (٥) سقط من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و زيد « هذا » فى ظ ، و لم تكن الزيادة فى مد لحذفناها (٧) سورة ٤ آية ١٥٥ .
(٨-٨) تأخر فى ظ عن « الذين آمنوا » (٩) فى ظ : يلقوا (١٠) من ظ ، و فى الأصل و مد : السنة - كذا .

حذرکم^١ منه بقوله "لا بالونکم خبالا"^٢ و ما بعده^٣ إلى هنا (و الله) (أى المحيط عليه و قدرته) (اعلم) (أى من كل أحد) (بعد أنکم) (أى کلهم هؤلاء و غیرهم، بما یعلم من البواطن، فمن حذرکم منه کاتنا من کان فاحذروه .

و لما کان^٤ کل من^٥ قبلی الانصار قد^٦ "والواناسا" من اليهود^٧ ليعزوا بهم و لیستنصروهم، قال تعالى فاطما^٨ لهم عن موالاتهم: (و کفی) (أى و الحال أنه کفی به - هكذا کان الأصل، ولكنه أظهر الاسم [الاعظم -^٩] لتستحضر^{١٠} عظمته، فيستهان أمر الأعداء فقال: (بالله وليا^{١١}) (أى قريبا بعمل جميع^{١٢} ما یفعله القريب الشفیق .

و لما کان الولی قد / تكون^{١٣} فيه قوة النصرة^{١٤}، و النصیر قد ١٠ / ٤٨٣ لا یكون له شفقة الولی، و كانت النصرة أعظم ما یحتاج إلى^{١٥} الولی فيه؛ أفردما بالذکر إعلاما باجتماع الوصفین مکررا الفعل و الاسم الأعظم اهتماما بأمرها فقال: (و کفی بالله) (أى^{١٦} الذى له العظمة کلها (نصیراه) (أى لمن والاه فلا یضره عداوة أحد، فتقوا بولایته و نصرته دونهم، و لا تبالوا^{١٧} بأحد منهم و لا من غیرهم، فهو یکفیکم الجميع . ١٥

(١) من ظ و مد، و فی الأصل: حذرهم (٢) سورة ٣ آية ١١٨ (٣) فی ظ: بعد (٤-٤) من ظ و مد، و فی الأصل: من کل (٥-٥) فی ظ: اولو مناسبا - کذا (٦) فی ظ: ناظما (٧) زید من ظ و مد (٨) فی ظ: لیستحضر (٩) فی ظ: بجميع (١٠) فی ظ: یكون (١١) من ظ و مد، و فی الأصل: النصرة . (١٢) سقط من ظ (١٣) من ظ و مد، و فی الأصل: لا ینالوا .

ولما وفرت هذه الآيات الدواعى على تعيين^١ هؤلاء الذين يريدون الإضلال ، قال بعد الاعتراض بما بين المبين والمبين من الجمل لمزيد الاهتمام به : ﴿ من الذين هادوا ﴾ ثم بين ما يضلون به و يضلون بقوله - ويجوز أن يكون استثناء بمعنى : بعضهم ، أو منهم من^٢ - : ﴿ يحرفون الكلم ﴾ أى الذى^٣ أتى به شرعهم من صفة النبي الأسمى^٤ صلى الله عليه وسلم و صفة دينه و أمته و غير ذلك مما يريدون^٥ تحريفه لغرض ، فيتألفون فى^٦ إمالته و تغييره عن حده و طرفه إلى حد^٧ آخر مجاوزين به ﴿ عن ﴾ ولما كانت الكلمة^٨ إذا غيرت^٩ تبعها الكلام و هو المقصود بالذات ، نه على ذلك بتذكير الضمير فقال : ﴿ مواضعه ﴾ أى التى هى ١٠ ٤ أليق ، فتم ضلالهم و إضلالهم ، و هو يشمل ما إذا كان المعنى المغير إليه بعيدا عن المغير أو^{١١} قريبا ، فالذى فى المائدة أخص .

ولما كان سبحانه و تعالى عالما بجميع تحريفهم ، أشار إليه بالعطف على ما تقديره : فيقولون كذا^{١٢} و يقولون كذا^{١٣} : ﴿ و يقولون سمعنا ﴾ أى ما تقول^{١٤} ﴿ و عصينا ﴾ موهمين أنهم يريدون أن ذلك حكاية ١٥ ما وقع لأسلافهم قديما ، وإنما يريدون أنهم هم سمعوا " ما تقول " و خالفوه عمدا ليظن من سمع ذلك أنهم على بصيرة فى المخالفة بسبب ما عندهم

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : تغيير (٢) سقط من ظ (٣-٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : فالذى (٤) فى مد : يرون (٥) فى ظ : من (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : احد (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) فى ظ : بها (٩) فى ظ : ام (١٠) من مد ، وفى الأصل : يقولون ، وفى ظ : يقول (١١-١١) فى ظ : لا يقول .

من العلم الرباني ليورثه ذلك شكاً في أمره و حيرة في شأنه (واسمع)
 حال كونك (غير مسمع) موهين عدم إسماعه ما يكره^١ من قولهم:
 فلان أسمع فلاناً^٢ الكلام، وإنما يريدون الدعاء، كما يقال: اسمع
 لا سمعت^٣ (وراعنا) موهين إرادة المراجعة لهم والإقبال عليهم،
 وإنما يريدون الشتم بالرعونة^٤ وقال الأصفهاني: ويحتمل شبه كلمة هـ
 عبرانية كانوا يتسابون^٥ بها وهي: راعينا، فكانوا - سخرة بالدين
 وهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم - يكلمونه بكلام محتمل، ينوون
 به الشتم^٦ والإهانة ويظهرون التوقير والإكرام، ولذلك قال:
 (لما بالستمهم) أي صرفاً لها عن مخارج الحروف التي تحق^٧ لها في
 العربية إلى ما يفعله^٨ العبرانيون من تغليظ بعض الحروف وشوب^٩ ١٠
 بعضها بغيره، لإرادة معانٍ عندهم قبيحة^{١١} مع احتمالها لإرادة معانٍ غير
 تلك يقصدها العرب مليحة (وطعنا في الدين^{١٢}) أي بما يفسرونها
 به لمن يطعمون^{١٣} فيه من تلك المعاني الخبيثة.

ولما ذكر هذه الكلمات الموجهة^{١٤}، بين ما كان عليهم لو وقفوا^{١٥}

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: يكون (٢) من ظ، وفي الأصل ومد: فلان.
 (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: يتسامون (٤) في ظ: الشتم (٥) في الأصل:
 نحو، وفي ظ: يحق، وفي مد: يحق (٦) من مد، وفي الأصل: يفعلها، وفي
 ظ: يفعل (٧) في ظ: صوب (٨) سقط من ظ (٩) في ظ: يطعمون - كذا
 بتقديم العين على الميم (١٠) من مد، وفي الأصل و ظ: الرجعة (١١) من ظ،
 وفي الأصل: وقفوا، وفي مد: وقفوا - كذا.

فقال قاطعا جداهم^١: ﴿ولو انهم قالوا﴾ أى^٢ فى الجواب له صلى الله عليه وسلم ﴿سمعنا و اطعنا﴾ أى بـ بدل الكلمة الأولى ﴿واسمع وانظرونا﴾ بدل ما بعدها ﴿لكان﴾ أى هذا القول ﴿خيـرا لهم﴾ أى من ذلك، لعدم^٣ استيجابهم الإثم ﴿واقوم لا﴾ أى لعدم الاحتمال^٤ الذم^٥ ﴿ولكن لعنهم الله﴾ أى طردهم الذى له جميع صفات العظمة والكـمال، وأبعدهم عن الخير ﴿بكفرهم﴾ أى بدناءتهم بما يغطون من أنوار الحق ودلائل الخير، فلم يقولوا ذلك.

ولما سبب عن طردهم استمرار كفرهم قال: ﴿فلا يؤمنون﴾ أى يتجدد لهم إيمان ﴿الا قليلا﴾ أى منهم، استثناء من الواو، فانهم ١٠ يؤمنون، أو^٦ هو استثناء مفرغ من مصدر 'يؤمن' أى^٧ من إيمانهم بعض الآيات^٨ الذى / لا ينفعها^٩ لكفرهم بنيره. / ٤٨٤

ولما بكتهم على^{١٠} فعلهم وقولهم^{١١} وصرح بلعنهم، خوئهم إظهار ذلك فى الصور المحسوسة فقال مقبلا عليهم إقبال الغضب: ﴿يـأايها الذين﴾ مناديا لهم من محل البعد ﴿اوتوا الكتب﴾ ولم يسند ١٥ الإيتاء إليه تحقيرا لهم، ولم يكتف بنصيب^{١٢} منه لأنه لا يكفى^{١٣} فى العلم.

(١) فى ظ: لجداهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: العدم.
(٤) فى ظ: احتمال (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: انلدم (٦) فى ظ و مد،
(٧) من ظ و مد، وفى الأصل: ان (٨-٨) فى ظ: اتى لا تفهم (٩-٩) من ظ و مد، وفى الأصل: قولهم وفعلهم (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: نصيب (١١) فى ظ: لا ياتى.

بالمصادقة إلا الجميع ﴿أمنوا بما نزلنا﴾ أى تدريجاً كما نزلنا التوراة كذلك ، على ما لنا من العظمة التى ظهرت فى إعجازه وإخباره بالمغيبات ودقائق العلوم بما عندكم وغيره على رشاقته وإيجازه ؛ وأعلم بعنادهم وحسدهم بقوله : ﴿مصدقاً لما معكم﴾ من حيث أنهم له مستحضرون ، وبه [فى - ٢] حد ذاته مَقْرُون .

ولما أمرهم وقطع حجتهم ، حذرهم فقال - مخففا عنهم بالإشارة بحرف الجر إلى أنه متى وقع منهم إيمان فى زمن مما قبل الطمس آخره عنهم - : ﴿من قبل أن نطمس﴾ أى نَمْحُو ﴿وجوها﴾ فإن الطمس فى اللغة : المحو ؛ وهو يصدق بتغيير بعض الكيفيات ، ثم سبب عن ذلك قوله : ﴿فَنَرَدَهَا﴾ فالتقدير : من قبل أن نَمْحُو أثر وجوه^٣ بأن نَرُدَهَا^{١٠} ﴿علَى أَدْبَارِهَا﴾ أى بأن نجعل ما إلى جهة القبلى من الرأس إلى جهة الدبر ، وما إلى الدبر إلى جهة القبلى مع إبقاء صورة الوجه على ما هى عليه ، أو^٥ يكون المراد بالرد على الدبر النقل^٦ من حال إلى ما دونها من حدها بجعلها على حال القفا ، ليس فيها معلم من فم ولا غيره ، ليكون المعنى بالطمس مسح ما فى الوجه من المعانى ؛ قال ابن هشام : نطمس : ١٥ نَمْسَحُهَا^٧ فنسويها ، فلا يرى فيها عين ولا أنف ولا فم ولا شيء مما يرى فى الوجه ، وكذلك "فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ"^٨ ، المَطْمُوسُ العين : الذى

- (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : لا (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : وجوده (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) فى ظ و «و» . (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : القبلى (٧) سقط من ظ (٨) سورة ٤٤ آية ٣٧ .

ليس بين جفنيه شق^١، ويقال: طمست الكتاب و الاثر^٢ فلا يرى منه شيء. ويكون الوجه في هذا التقدير على حقيقته؛ ثم خوفهم نوعا آخر من الطمس فقال عاطفا على 'زدها': ﴿او نلغنهم﴾ أى نبعدهم جدا عن صورة البشر بأن نقلب وجوههم أو جميع ذاتهم على صورة القردة^٣ ﴿كألفنا أصحاب السبت^٤﴾ إذ قلنا لهم "كونوا قردة خسئين^٥" ويكون الوجه في هذا التقدير الأخير عبارة عن الجملة، فهو إذن مما استعمل في حقيقته و مجازه، ويجوز أن يكون واحد الوجهاء^٦، فيكون عود الضمير إليه استخداما، ويكون المراد بالرد على الأدبار^٧ جعلهم أدنياء صغيرة^٨ من الأسافل - والله سبحانه وتعالى أعلم.

- ١٠ ولما كان ذلك أمرا غريبا و مقدورا عجيبا، و كان التقدير: فقد كان أمر الله فيهم بذلك - كما علمتم - نافذا؛ أتبعه الإعلام بأن قدرته شاملة، و أن وجوه مقدوراته لا تنحصر، فقال عاطفا على ما قدرته: ﴿و كان امر الله﴾ أى حكمه^٩ و قضاؤه و مراده في كل شيء شاء منهم و من غيره بذلك و بغيره، لأن له العظمة التي لا حد لها و الكبرياء التي تعي الأوصاف^{١٠} دونها ﴿مفعولا^{١١}﴾ أى كائنا حتما، لا يتخلف^{١٢}

- (١) من ظ و سيرة ابن هشام ٢٠٣/١، و في الأصل و مد: شيء - كذا.
(٢) في ظ: الاثرى (٣) من ظ و مد، و في الأصل: القرد (٤) سورة ٢ آية ٦٥.
(٥) من ظ و مد، و في الأصل: اوجها - كذا (٦) زيدت الواو بعده في ظ.
(٧) من ظ و مد، و في الأصل: صغيرة (٨) من مد، و في الأصل و ظ:
حكمة (٩) زيد بعده في ظ: في (١٠) في ظ: لا يتخلف.

له أصلاً، فلا بد من وقوع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا، وقد آمن بعضهم فلم يصح أنهم لم يؤمنوا، لأنه قد وقع منهم إيمان .
ولما كانوا^١ مع ارتكابهم العظام^٢ يقولون: سيغفر لنا، وكان امثالهم لتحريف أحبارهم ورهبانهم شركا بالله - كما قال سبحانه وتعالى
”اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله“^٣؛ قال - معللاً لتحقيقه وعيدهم، معللاً أن ما أشير إليه من تحريفهم أدام إلى الشرك -:
(إن الله) أي الجامع لصفات العظمة (لا يغفر أن يشرك به) أي على سبيل التجديد المستمر إلى الموت سواء كان المشرك من أهل الكتاب أم لا، وزاد ذلك حسناً أنه في سياق ”واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً“^٤.
١٠.

ولما أخبر بعدله أخبر بفضلته فقال: (ويغفر ما دون ذلك) الأمر الكبير العظيم من كل معصيته سواء كانت / صغيرة أو كبيرة، سواء تاب^٥ فاعلمها أو لا، ورهب بقوله - إعلاما بأنه مختار، لا يجب عليه شيء -: (لمن يشاء ع) .
٤٨٥ /

ولما كان التقدير: فإن من أشرك بالله فقد ضل ضللاً بعيداً، ١٥
عطف عليه قوله: (ومن يشرك) أي يوجد منه شرك في الحال^٦
أو^٧ المال، وأما الماضي فنجته التوبة (بالله) أي الذي كل شيء
(١) من ظ، وفي الأصل ومد: كان (٢) في ظ: العظيم (٣) سورة ٩ آية ٣١ .
(٤) سورة ٤ آية ٣٦ (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: كان (٦) في ظ:
يات - كذا (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: الحالة (٨) في ظ «و» .

دونه ﴿ فقد اقترى ﴾ أى تعدد كذباً ﴿ اثماً عظيماً ﴾ أى ظاهراً فى نفسه من جهة عظمه^١ أنه قد ملأ أقطار نفسه و قلبه و روحه و بدنه مظهراً للغير أنه إثم، فهو فى نفسه منادٍ بأنه باطل مصر، فلم يدع للصالح موضعاً، فلم تقتض^٢ الحكمة العفو عنه، لأنه قادح فى الملك، وإنما طوى مقدمة^٣ الضلال و ذكر مقدمة^٤ الافتراء - لكون السياق لأهل الكتاب الذين ضلّاهم على علم منهم و تعدد و عناد، بخلاف ما يأتى عن العرب، و فى التعبير بالمضارع استكشاف مع استعطاف و استجلاب فى استرها ب .

و لما كان فى ذلك إشارة إلى أن المرادين^٥ بهذه الآيات من أهل الكتاب أضل الناس، و كانوا يقولون : إنهم أهدى الناس؛ عجب منهم منكراً عليهم بعد اقترانهم تركية أنفسهم فقال : ﴿ الم تر ﴾ و أبعدهم بقوله : ﴿ الى الذين يزكون أنفسهم ﴾ أى بما ليس لهم من قولهم " لن تمسنا النار الا اياماً معدودة"^٦ و قولهم " لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصرى"^٧ و قوله^٨ " [و -] يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا"،^٩ ١٥ "و يريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلاً عظيماً"^{١٠} فان إبعاد غيرهم

- (١) من مد، و فى الأصل : عظمة، و فى ظ : عظيمة (٢) فى ظ : فلم يقتض - (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) فى ظ : المراد (٥) فى ظ : لما . (٦) سورة ٢ آية ٨٠ (٧) سورة ٢ آية ١١١ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : قولهم (٩) زيدت الواو من ظ و مد و القرآن المجيد - سورة ٣ آية ١٨٨ - (١٠) سورة ٤ آية ٢٧ (١١) من ظ و مد، و فى الأصل : العباد .

في الميل مصحح لتزكيتهم أنفسهم بالباطل ونحو ذلك مما تقدم وغيره.
ولما كان معنى الإنكار: ليس لهم ذلك لأنهم كذبوا فيه
وظلموا، أشار إليه بقوله: ﴿بل الله﴾ أي الذي له صفات الكمال
﴿يزكي من يشاء﴾ أي بما له من العلم التام والقدرة الشاملة والحكمة
البالغة والعدل السوي بالثناء عليه وبخلق معاني الخير الظاهرة فيه^٥ لتنشأ
عنها^٦ الأعمال الصالحة، فاذا زكى أحدا^٢ من أصفياه بشيء^٣ كالنبوة،
كان له أن يزكى نفسه بذلك حملا على ما ينفع الناس به عن الله
﴿ولا﴾ أي والحال أن الذين يزكيهم أو يديسهم^٧ [لا-^٨] ﴿يظلمون﴾
فتيلا^٩ أي مقدار ما في شق النواة من ذلك الشيء المقتول، أي قليلا
ولا كثيرا، لأنه عالم بما يستحقون وهو الحكم العدل الغني عن الظلم،
لأن له صفات الكمال.

ولما أخبر تعالى أن التزكية إنما هي إليه^٤ بما له من [العظمة-^١]
والعلم الشامل، وكان ذلك أمرا لا نزاع فيه، وشهد عليهم بالضلال،
وثبت أن ذلك كلامه بما له من الإعجاز في حالي الإطناب والإيجاز،
ثبت^{١٠} كذبهم فزاد في توبيخهم فقال - معجبا لرسوله صلى الله عليه وسلم ١٥

(١) من مد، وفي الأصل وظ: إشارة (٢-٢) في ظ: لاتساعها (٣) في ظ:
احد (٤) سقط من ظ (٥) زيدت الواو هنا في الأصل ومد، ولم تكن في
ظ لغذفتها (٦) في الأصول: الذي (٧) دسايدسو ودسي يدسي: تقيض نما
وزكا، ودسي الرجل: أفسده وأغواه (٨) زدناه و بد منه (٩) زيد من ظ.
(١٠) من ظ، وفي الأصل ومد: نثبت.

من وقاحتهم واجترائهم على من يعلم كذبهم ، و يقدر على معاجلتهم بالعذاب ، مينا أنه صلى الله عليه وسلم في الحضرة بعد بيان بُعدهم :-
 ﴿ انظر كيف يفترون ﴾ أى يتعمدون ﴿ على الله ﴾ أى الذى لا يخفى عليه شيء ولا يعجزه شيء ﴿ الكذب ﴾ أى من غير خوف منهم
 لذلك عاقبة ^٢ ﴿ وكفى ﴾ أى والحال أنه كفى ﴿ به ﴾ أى بهذا الكذب
 ﴿ انما مينا ﴾ أى واضحاً في نفسه و منادياً عليها بالبطلان .

ولما عجب من كذبهم دل عليه بقوله : ﴿ الم تر ﴾ و كان الأصل :
 إليهم ، ولكنه قال - لزيادة التقريع و التوبيخ و الإعلام بأن كفرهم عناد لكونه عن علم - : ﴿ الى الذين ﴾ و عبر بالى دلالة على بعدهم
 ١٠ عن الحضرات الشريفة ﴿ اوتوا نصيبا من الكتب ﴾ أى الذى هو الكتاب في الحقيقة لكونه من الله ﴿ يؤمنون بالجب ﴾ و هو الضم
 و الكاهن و الساحر ^٣ و الذى لا خير [فيه - ^٤] و كل ما عبد من دون الله ﴿ و الطاغوت ﴾ و هو اللات و العزى و الكاهن و الشيطان
 و كل رأس ضلال و الأصنام و كل ما عبد من دون الله ؛ و كل هذه المعاني تصح إرادتها هنا ، و هى مما نهى عنه في كتابهم - و أصله و مداره
 ١٥ مجاوزة الحد عدوانا ، و هو واحد / و قد يكون جمعا ، قال سبحانه و تعالى
 "اوليئهم الطاغوت يخرجونهم" - و الحال أن أقل نصيب من الكتاب كافٍ في النهى عن ذلك و تكفير فاعله .

/ ٤٨٦

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : عاقبة (٣) في ظ : السامر -
 كذا (٤) زيد من ظ (٥) سورة ٢ آية ٢٥٧ .

ولما

(٧٥)

٣٠٠

و لما دل على ضلالهم دل على إضلالهم بقوله - معبرا بصيغة المضارع
دلالة على عدم توبتهم - : ﴿ و يقولون للذين كفروا ﴾ ودل بالتعبير
بالإشارة دون الخطاب على أنهم يقولون ذلك فيهم حتى في غيبتهم، حيث
لا حامل لهم على القول إلا محض الكفر فقال : ﴿ هَؤُلَاءِ ﴾ أى
الكفرة العابدون للأصنام ﴿ اهدى ﴾ أى أقوم^١ فى الهداية ﴿ من الذين ه
امنوا ﴾ أى أوقعوا هذه الحقيقة، فيفهم ذمهم بالتفضيل^٢ على الذين
يؤمنون و من فوقهم من باب الأولى^٣ ﴿ سيلا ﴾ مع أن فى كتابهم
من إبطال الشرك و هدمه و عيب مدانيه و ذمه فى غير موضع تأكيد^٤
[أكيدا - ١] و^٥ أمرا عظيما شديدا .

و لما أتج ذلك خزيهم قال : ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء عن الحضرات^٦ ١٠
الربانية ﴿ الذين لعنهم الله^٧ ﴾ أى طردهم بجميع ما له من صفات الكمال
طردا هم جديرون بأن يختصوا به . و لما كان قصدهم بهذا القول مناصرة
المشركين لهم ، و كان التقدير : فقالوا^٨ بذلك اللعن الذل و الصغار، عطف
عليه قوله : ﴿ و من يلعن الله ﴾ أى الملك الذى له الامر كله منهم
و من غيرهم ﴿ فلن تجد له نصيرا^٩ ﴾ أى فى وقت من الأوقات أصلا ، ١٥
و كرر التعبير بالاسم الأعظم لأن المقام يقتضيه إشعارا لتناهى الكفر

- (١) سقط من ظ (٢) فى ظ : اقوام (٣) من ظ ، وفى الأصل و مد : بالتفصيل .
(٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : اولى (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : تأكيد .
(٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : او (٨) فى ظ : حضرات (٩) من ظ و مد ،
وفى الأصل : فسألوا .

الذى هو أعظم المعاصى بتأهى الغضب .

ولما كان التقدير : كذلك ' كان ' من إلزامهم الذل والصغار ،
 [عطف عليه قوله - ٢] : (ام) ' أى ليس ' (لهم نصيب)
 [أى - ٢] واحد من الأنصاء (من الملك فإذا) أى فيقتسب عن ذلك
 ٥ أنهم إذا كان لهم أدنى نصيب منه (لا يؤتون الناس) [أى الذين
 آمنوا - ٢] (نقيرا لا) أى شيئا من ' الدنيا ولا الآخرة ' من هدى
 ولا من غيره ، و النقيير : النقرة في ظهر ' النواة ، ' قيل : غاية في القلة ؛
 [فهو كناية عن العدم ، فهو يبان لأنهم لإفراط بخلهم لا يصلحون إلا
 لما هم فيه من الذل - ٢] ' فكيف بدرجة الملك لأن الملك و البخل
 ١٠ لا يجتمعان ' (ام) [أى - ٨] ليس لهم نصيب ما من الملك ، ' بل
 ذلهم لازم وصغارهم أبدا كأن دائم ، فهم ' (' يحسدون الناس)
 أى " محمدا صلى الله عليه وسلم الذى جمع فضائل الناس كلهم [من - ١٢]
 الأولين و الآخرين وزاد عليهم ما شاء الله ، أو العرب ' الذين لا ناس

(١) فى ظ : الذى (٢) سقط من مد (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .
 (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٥-٥) فى ظ و مد : دنيا ولا آخرة .
 (٦) فى ظ و مد : ظاهر (٧-٧) تقدم ما بين الرقين فى الأصل على « (ام) »
 أى ليس « (٨) زيد من مد (٩-٩) تقدم ما بين الرقين فى الأصل على « (ام) »
 واحد « (١٠) زيد فى الأصل : ام ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها .
 (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : ان (١٢) زيد من ظ (١٣) من ظ و مد ،
 وفى الأصل : القرب .

الآن غيرهم ، لانا فضلناهم على العالمين - بأن يتنوا دوام ذلهم كما دام لهم هم^١ ، و دل على نهاية حسدم بأداة الاستعلاء في قوله : ﴿ على ما انتههم الله ﴾ أى بما له من صفات الكمال ﴿ من فضله ج ﴾ حسدوهم لما رأوا من إقبال جدم وظهور سعدهم وأنهم سادة الناس وقادة أهل الندى^٢ والبأس :

إن العرائين^٣ تلقاها محسدة ولن ترى^٤ للثام الناس حسادا وقد آتاهم الله سبحانه وتعالى جميع أنواع الملك ، فانه^٥ على ثلاثة أقسام : ملك على الظواهر والبواطن معا ، وهو للأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما لهم من غاية الجود والكرم والرحمة والشفقة والشفاعة^٦ والبر والالطف التى كل منها سبب للانقياد ، وذلك مع ما لهم بالله سبحانه ١٠ وتعالى من تمام الوصلة ؛ وملك على الظواهر فقط ، وهو ملك الملوك ؛ وملك على البواطن فقط ، وهو ملك العلماء .

ولما ذمهم سبحانه وتعالى أولا بالجهل ومدح النفس تشبعا بما لم يعطوا ، وذلك سبب لجميع^٧ النقائص ، وثانيا بأعظم منه : منع الحق^٨ من أهله^٩ بخلا ، وثالثا بأعظم منهما : تمنى ألا يصل إلى أحد نعمة ١٥ وإن كانت لا تنقصهم ، فحازوا^{١٠} بذلك أعلى^{١١} خلال الذم ، وكانت

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : هر - كذا (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : الندم (٣) من عيون الأخبار للدينورى ٩/٢ ، وفي الأصول : العرائين - كذا . (٤) في عيون الأخبار : لا ترى (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : الشجاعة (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : لجمع (٨-٩) في ظ : منه . (٩) من مد ، وفي الأصل و ظ : فحازوا (١٠) في ظ : على .

المساوى تضع و المحاسن ترفع ، تسبب عن هذا توقع السامع^١ الإعلاء
العرب^٢ و إدامة ذل اليهود و موتهم بحسدهم فقال^٣ : ﴿ فقد ﴾ أى
قتسب عن هذا و تعقبه أنا قد آتيناهم - هكذا كان الأصل ، ولكنه
أظهر للتنبيه على التوصيف الذى شاركهم به فى استحقاق الفضائل فقال :
﴿ آتيناً ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ آل ابراهيم ﴾ أى / الذى^٤ أعلمناكم
فى كتابكم أنا أقسمنا له أنا نغز^٥ ذريته و نهديهم و نجعل ابنه إسماعيل حالاً^٦
على جميع حدود إخوته ، و يده^٧ فى جميع الناس و يده على كل^٨ أحد
و يد كل^٩ به ﴿ الكتب ﴾ أى الذى لا كتاب إلا هو لما له من الحفظ
و الفضل بالإعجاز و الفصل ﴿ و الحكمة ﴾ أى النبوة التى ثمرتها العمل
١٠. المتقن بالعلم^{١٠} المحرر المحكم ﴿ و آتينهم ﴾ مع ذلك ﴿ ملكا عظيما ﴾
أى^{١١} ضخمها واسعا باقيا إلى أن تقوم الساعة ﴿ فنهيم ﴾ أى من آل ابراهيم
﴿ من آمن به ﴾ و هم أغلب العرب ﴿ و منهم من صد عنه^{١٢} ﴾ أى أعرض
بنفسه ، و صد غيره كبنى إسرائيل و بعض العرب .
و لما كان قد علم من السياق أن الطاعن فيه ميت بحسده من غير
١٥ أن يضره بأمر دنيوى ، و كان التقدير ليسان أمرهم فى الآخرة : فحكما
أن تسعر بهم النار^{١٣} بعد الذل فى هذه الدار و الهوان و الصغار ، عطف
(١-١) فى ظ : لاعلى القرب - كذا (٢) فى الأصول : قال (٣) من ظ و مد ،
و فى الأصل : الذين (٤) فى ظ : بغز - كذا (٥) فى ظ : كمالا (٦) من نص
التوراة الوارد فى نظم الدرر ١٧٤/٢ ، و فى الأصول : يد (٧-٧) سقط ما بين
الرقمين من ظ (٨) فى ظ : بالعمل (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد ، و فى
الأصل : الناس .

عليه قوله: ﴿و كفى بجهنم سعيراً﴾ أى توقدا و التهابا فى غاية الإحراق و العسر و الإسراع إلى الأذى، و فى آية الطاغوت أنهم سمحوا ببدل الدين - و هو لا أعز منه عند الإنسان - فى شهادتهم للكفرة بالهداية، و فى آية الملك الإيماء إلى أنهم فى الحضيض من الشح بالحسيس الفانى، و فى آية الحسد أنه^١ لم يكفهم التوطن فى حضيض الشح بما أوتوا مع ه الغنى حتى سفلوا^٢ عنه إلى أدنى من ذلك بالحسد لمن آتاه الله ما لا ينقصهم. و لما أثبت لمن صد عنه النار علله بقوله: ﴿ان الذين كفروا بائتنا﴾ أى ستروا ما^٣ أظهرته عقولهم بسببها ﴿سوف نصليهم﴾ أى بوعيد ثابت و إن طال معه الإمهال^٤ ﴿نارا﴾ و لما كانت النار -

على ما نعهده^٥ - مفضية^٦ ماحقة، استأنف قوله ردا لذلك^٧: ﴿كلما نضجت جلودهم﴾ أى صارت^٨ بحرّها^٩ إلى حالة اللحم النضيج الذى^{١٠} أدرك أن يؤكل، فصارت كاللحم الميت الذى^{١١} يكون فى الجرح، فلا يحس^{١٢} بالآلم ﴿بدلهم﴾ أى "جعلنا لهم" ﴿جلودا غيرها﴾ أى غير النضيجة بدلا منها بأن أعدناها إلى ما كانت عليه قبل تسليط النار عليها،

- (١) سقط من ظ (٢) فى ظ: سلقوا (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: لما .
(٤-٤) موضع ما بين الرقين فى ظ «معنيه مامقه استأنف قوله ردا لذلك» كذا، و سياتى بعد «ما نعهده» (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: يعهده (٦) فى ظ: خفيه - كذا (٧) زيد بعده فى الأصل: نارا، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فخذناها .
(٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: نحوها - كذا .
(١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: فلا يجبر - كذا (١١-١١) من ظ و مد، وفى الأصل: جعلناهم .

[كما إذا صُفّت من خاتم خاتماً على غير هيئته، فانه^١ هو الأول لأن الفضة واحدة، وهو غيره لأن الهيئته متغيرة، وهكذا الجلد الثاني مغاير للنضيج في الهيئته -^٢] (ليذوقوا) [أى أصحاب الجلود المقصودون بالعذاب -^٣] (العذاب^٤) أى ليدوم لهم تجديد ذوقه، فتجدد^٥ لهم مشاهدته الإعادة بعد البلى^٦ كل وقت، كما كانوا يجددون التكذيب بذلك كل وقت، ليكون الجزاء من جنس العمل، [فانه لو لم يُعِدْ منهم ما وَهَى لآداه وهيه إلى البلى^٧، ولو بلى منهم شيء لبلوا كلهم فانقطع عذابهم -^٨] .

و لما كان هذا أمراً^٩ لم يعهد مثله، دل على قدرته عليه^{١٠} بقوله :
 ١٠ (ان الله) أى الملك الأعظم (كان) ولم يزل (عزيزاً) أى يغلب كل [شيء -^١] ولا يغلبه شيء (حكيماً) أى يتقن صنعه، فجعل عذابهم على قدر ذنوبهم، لأن عزائمهم^٢ كانت على دوامهم على ما استحقوا به ذلك ما بقوا .

و لما ذكر الترهيب بعقاب الكافرين أتبعه الترغيب بثواب المؤمنين
 ١٥ فقال: (و الذين آمنوا) أى أقروا بالإيمان (وعملوا) يائنا لصدقهم فيه (الصلححت سندخلهم) أى بوعده لا خلف فيه، وربما أنهم التنفيس^١ لهم بالسجين دون سوف - كما في الكافرين - أنهم أقصر الأمم

(١) فى ظ و مد: فان (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) فى ظ و مد: فيتجدد (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ و مد لحذفها .
 (٥) سقط من ظ (٦) زيد بعده فى ظ : بقدرته (٧) فى ظ : عذابهم (٨) من ظ و مد - أى الإمهال، وفى الأصل: التنعيس .

مدة، أو^١ أنهم أقصرهم أعماراً إراحة^٢ لهم من دار الكدر إلى محل الصفاء، [وأنهم يدخلون الجنة قبل جميع الفرق الناجية من أهل الموقف -^٣] (جنت) أي بساتين، ووصفها بما يسدِّم بهجتها ويعظم نضرتها وزهرتها فقال: (تجرى من تحتها الأنهر) أي إن أرضها في غاية الرى، كل موضع منها صالح لأن تجري منه نهر.

ولما ذكر قيامها وما به دوامها، أتبعه ما تهواه النفوس من استمرار الإقامة بها فقال: (تخلدين فيها أبداً).

ولما وصف حسن الدار ذكر حسن الجار فقال: (لهم فيها أزواج) [والمطرود في وصف جمع^٤ القلة لمن يفضل الآلف والتاء^٥، فعدل هنا^٦ عن ذلك إلى الوحدة لإفهام أنهم لشدة الموافقة في الطهر كذات واحد^٧ قليل -^٨] (مطهرة د) أي متكرر طهرها، لا توجد وقتاً ما على غير ذلك. ولما كانت الجنان في الدنيا لا تحسن^٩ إلا بتمكن الشمس^{١٠} منها، وكانت الشمس تنسخ الظل فتخرج^{١١} إلى التحول إلى مكان آخر، وربما آذى حرها، آمن من ذلك فيها بقوله: (وندخلهم) أي فيها/ (ظلاً) [أي عظيماً، وأكدته^{١٢} بقوله -^{١٣}] (ظليلاً) ١٥ / ٤٨٨

- (١) في ظ هـ و (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: رادة - كذا (٣) زيد ما بين الحائزين من ظ ومد (٤) في ظ: قال (٥) في ظ: جميع (٦) في ظ: الباء. (٧) سقط من ظ (٨) في ظ: واحدة (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: لا يحسن. (١٠) في ظ: الشيء (١١) في ظ: فيخرج (١٢) من مد، وفي ظ: أكدها.

أى [متصلاً لا فرج^١ فيه، منبسطة لا ضيق معه دائماً -^٢] لا نصيه^٣
الشمس يوماً [ما -^٤] ، و [لا حر فيه ولا برد، بل هو فى غاية
الاعتدال^٥ .

و لما -^٦] تقدم فى هذه السورة الأمر بالإحسان والعدل فى
النساء و^٦ اليتامى فى الإرث وغيره، وفى غير ذلك من الدماء والأموال
والأقوال والأفعال، وذكر خيانة^٧ أهل الكتاب وما أحل بهم لذلك
من العقاب، وذكر أنه آتى هذه الأمة الملك المقتضى للحكم، و آتاهم
الحكمة بعد جهلهم وضعفهم؛ أقبل عليهم بلذبة^٨ خطابه بعد ما وعدهم
على امتثال أمره من كريم ثوابه^٩ بما ختمه بالظل الموعود على العدل
١٠. [فى حديث «سبعة يظلهم الله فى ظله» -^{١٠}] فقال: ﴿ان الله﴾ [أى
الذى له صفات الكمال -^{١١}] ﴿يا مكرم﴾ أى أيتها^{١٢} الأمة ﴿ان تودوا
الائمت الى آهله﴾ أى من غير خيانة^{١٣} ما، كما فعل أهل الكتاب
[فى كتاب ما عندهم والإخبار بغيره، والأمانة: كل ما وجب
لغيرك عليك .

١٥ ولما أمر بما يحق للانسان فى نفسه، أمر بما يحق له فى معاملة غيره -^{١٤}] ،

(١) فى ظ: فرخ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) من ظ و مد،
وفى الأصل: لا تقلبه (٤) زيد من مد (٥) فى ظ: الاعتداد (٦-٧) سقط ما بين
الرقين من ظ (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: جنابة (٨) فى ظ: بلين (٩) من
ظ و مد، وفى الأصل: بقراءة - كذا (١٠) فى ظ: ايها (١١) فى مد: جنابة -

و حقق لهم^١ ما لم يكونوا يرومونه^٢ من أمر الملك بقوله بأداة القطع
[عاطفا شينين على شينين - ٢] : ﴿ واذا حكمتكم ﴾ وبين عموم ملكهم
لسائر^٣ الأسم بقوله : ﴿ بين الناس ﴾ [وبين المأمور به بقوله - ٣] :
﴿ ان تحكموا بالعدل^٤ ﴾ أى [السواء بأن تأمروا من وجب عليه حق
بأدائه إلى من هو له - ٤] ، فان ذلك من أعظم الصالحات الموجبة ٥
لحسن المقيّل في الظل^٥ الظليل ، أخرج الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة
رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « سبعة يظلهم الله في ظله يوم
لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، الحديث .

ولما أخبرهم بأمره^٦ زادم رغبة^٦ بقوله : ﴿ ان الله ﴾^٦ معبرا
أيضا بالاسم الأعظم ﴿ نعم ﴾ [أى نعم شيئا عظيما - ١٠] ﴿ يعظكم به^٦ ﴾ ١٠ .
وحثهم على المبادرة إلى حسن الامتثال بقوله : ﴿ ان الله ﴾ مكررا لهذا
الاسم الشريف [ليجتهدوا في الترقى في طهارة الأخلاق إلى حد لم يبلغه
غيرهم . ولما كان الرقيب في الأمانات لا بد له من " أن يكون له من
يد سمع وعلم قال - ٥] : ﴿ كان ﴾ [أى ولم يزل " ولا يزال - ٥]
(١) في ظ : له (٢) من مد ، وفي الأصل و ظ : يرومونه (٣) زيد ما بين
الحاجزين من مد ، وموضعه في ظ : سين على سين - كذا (٤) من ظ و مد ،
وفي الأصل : سائر (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) زيدت الواو
بعده في ظ (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : بأمرهم (٨) سقط من ظ .
(٩) العبارة من هنا إلى " ان الله " سقطت من ظ (١٠) زيد ما بين الحاجزين
من مد (١١) سقط من مد (١٢) في ظ : لم قول .

(سميعاً) أى بالغ السمع لكل ما يقولونه جواباً لأمره و غير ذلك
(بصيراً) أى بالغ البصر و العلم بكل ما يفعلونه فى ذلك و غيره
من امتثال و غيره .

و لما أمر سبحانه بالعدل و رغب فيه^١، و رهب من تركه^٢؛ أمر
٥ بطاعة المنتصين لذلك^٣ الحاملة لهم على الرق بهم و الشفقة عليهم فقال:
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أى أقروا بالإيمان، و بدأ بما هو العمدة فى الحمل
على ذلك فقال: (اطيعوا) أى [بموافقة الأمر -^٤] تصديقاً لدعواكم
الإيمان^٥ (الله) أى [فيما أمركم به فى كتابه -^٦] مستحضرين ما له
من الاسماء الحسنى، و عظم رتبة نبيه صلى الله عليه و سلم باعادة العامل
١٠ فقال: (واطيعوا الرسول) [فيما حده لكم فى سنته عن الله و^٧ بينه
من^٨ كتابه -^٩] لأن منصب^{١٠} الرسالة مقتضى^{١١} لذلك، و لهذا^{١٢} عبر به
دون النبى (و اولى الامر منكم ج) أى الحكام، فان طاعتهم [فيما لم يكن
معصية - كما أشير إلى ذلك بعدم إعادة العامل -^{١٣}] من طاعة رسول الله
صلى الله عليه و سلم، و طاعته من طاعة الله عز و جل؛ [و العلماء من
١٥ أولى الامر أيضاً، و هم العاملون فانهم يأمرؤن بأمر الله و رسوله

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: فيهم (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: تركه.
(٣) فى ظ: كذلك (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) زيد بعده فى
الأصل: ايكم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لخذفها (٦-٧) فى ظ: نبيه و -
كذا (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: تنصيب (٨) من مد، و فى الأصل:
مقضى، و فى ظ: مقتضى (٩) فى ظ: كذا، و فى مد: لذا.

صلى الله عليه وسلم .

ولما أبان هذا الحكم^١ الأصول الثلاثة أتبعها القياس ، فسبب عما
تقديره : هذا - [٢] في الأمور البينة [من الكتاب و السنة و التي وقع
الإجماع^٢ عليها ، قوله - [٢] : ﴿ فان تنازعتم في شئ ﴾ أى لإلباسه
[فاختلفت فيه آراؤكم - [٢] ﴿ فردوه الى الله ﴾ [أى المحيط علما و قدرة ه
بالتضرع بين يديه بما شرعه لكم من الدعاء و العبادة ، ليفتح لكم ما أغلق
منه و يهديكم إلى الحق منه - [٢] ﴿ و الرسول ﴾ أى [الكامل الرسالة - [٢]
بالبحث عن آثار رسالته من نص [في ذلك بعينه - [٢] أو : أولى قياس ،
[و دلت الآية على ترتيب الأصول الأربعة على ما هو فيها و على إبطال
ما سواها ، و علم من إفراده تعالى و جمع النبي صلى الله عليه وسلم مع ١٠
أعلام أمنه أن الأدب توحيد الله حتى في مجرد ذكره - [٢] ، و أكد
البيان لدعوى الطاعة بقوله : ﴿ ان كنتم تؤمنون ﴾ أى دائمين على
الإيمان بتجديده* في كل أوان ﴿ بالله ﴾ [أى الملك الأعظم الذى
لا كفؤ له - [٢] ﴿ و اليوم الآخر ﴾ الحامل على الطاعة الحاجز عن
المعصية ، ثم دل على عظمة هذا الأمر^٣ و عميم نفعه بقوله [مخصصا رسوله ١٥
صلى الله عليه وسلم - [٢] : ﴿ ذلك ﴾ [أى الأمر العالى الرتبة - [٢]
﴿ خير ﴾ أى و غيره^٤ شر ﴿ و احسن تاويلا ﴾ أى [عاقبة أو - [٢]
(١) ليس في ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) في ظ : الا -
كذا (٤) في ظ و و (٥) في ظ : بتجديده (٦) زيد بعده في ظ : العظيم .
(٧) في ظ : غير .

ترجيعا [و ردا - ١] من ردكم إلى ما يقتضيه قويم العقل من غير ملاحظة
لآثار^٢ الرسالة من الكتاب و السنة^٣، فان في^٢ الأحكام ما لا يستقل
العقل بادراكه^٤ إلا بمعونة الشرع، [روى البخارى فى التفسير عن
ابن عباس رضى الله عنهما قال : نزلت هذه الآية " اطيعوا الله " فى عبد الله
٥ ابن حذافة^٥ بن قيس بن عدى^٦ إذ بعثه^٦ النبي صلى الله عليه وسلم
فى سرية - يعنى فأمرهم أن يدخلوا فى النار - ١] .

ولما كان التقدير - كما أفهمه آخر الآية [و - ١] : أشعر به أولها
[بعد أن جمع الخلق على طاعته بالطريق الذى ذكره - ١] : فن أبى ذلك
فليس بمؤمن ، دل عليه بقوله^٢ معجبا^٧ مخاطبا لا كمل الخلق الذى
١٠ عرفه الله المنافقين فى لحن القول : (الم تر) و أشار إلى بعدهم
عن على حضرته^٨ بقوله : (الى الذين) و إلى كذبهم و دوام
نفاقهم بقوله : (يزعمون أنهم آمنوا) [أى أوجدوا هذه الحقيقة
و أوقعوها فى أنفسهم - ١] (بما أنزل اليك) [و دل على أن هذا
الزاعم المنافق كان من أهل الكتاب قبل ادعاء الإسلام بقوله - ١] :
١٥ (وما) أى و يزعمون أنهم آمنوا بما (أنزل من قبلك) أى من
التوراة والإنجيل ، [قال الأصمهاى : ولا يستعمل - أى^٢ الزعم - فى الأكثر

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ :
الآثار (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : بادراك (٥) فى ظ :
حوايه - كذا (٦ - ٦) فى ظ : اذا بعثهم (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل :
تعجبا (٨) زيد فى ظ و مد : السله .

إلا في القول الذي لا يتحقق ، يقال : زعم فلان - إذا شك فيه فلم يعرف كذبه أو صدقه ، والمراد أن هؤلاء قالوا قولاً هو عند من لا يعلم البواطن أهل لأن يشك فيه بدليل أنهم -^١ [يريدون أن يتحاكموا] أي هم وغرماؤكم [إلى الطاغوت] أي إلى^٢ الباطل المعرق في البطلان [وقد] أي والحال أنهم قد [امرؤا] ممن له الأمر^٣ [ان] يكفروا به^٤ [في كل ما أزل من كتابك وما قبله] ومتى تحاكموا إليه كانوا مؤمنين به كافرين بالله ، وهو معنى قوله -^١ : [ويريد / الشيطان] بارادتهم ذلك التحاكم [ان يضلهم] [أي بالتحاكم إليه -^١] ٤٨٩ / [ضللاً بعيداً] بحيث لا يمكنهم معه الرجوع إلى الهدى^٥ . [وهذه الآية سبب تسمية عمر رضي الله عنه بالفاروق لضربه عنق منافق لم يرض ١٠ بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة ذكرها الثعلبي من رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما -^١] .

ولما ذكر ضلالهم^٥ بالإرادة و رغبتهم في التحاكم إلى الطاغوت ، ذكر فعلهم فيه في فقرتهم عن^٦ التحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : [وإذا قيل لهم] أي من أي قاتل كان [تعالوا] أي أقبلوا ١٥ رافعين أنفسهم من وهاد الجهل إلى شرف العلم [إلى ما أنزل الله]

- (١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) - فقط من ظ و مد (٣) في ظ :
الأوامر (٤) زيد بعده في الأصل : الهدى ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها .
(٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : اضلالهم (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : من .

أى الذى عنده كل شئ. (والى الرسول) أى الذى تجب طاعته
 لأجل مرسله مع أنه أكمل الرسل الذين هم أكمل الخلق رسالة،
 رأيتهم - هكذا كان الأصل، ولكنه أظهر الوصف الذى دل على
 كذبهم فيما زعموه من الإيمان فقال: (رايت المتفقين يصدون) أى
 يعرضون (عنك) وأكد ذلك بقوله: (صدودا) أى هو فى
 أعلى طبقات الصدود.

ولما تسبب عن هذا تهديدهم، قال - مهولا لوعيدهم بالإيهام
 والتعجب منه بالاستفهام، معلما بأنهم سيندمون حين لا ينفعهم الندم،
 ولا يغنى عنهم الاعتذار -: (فكيف) أى يكون حالهم (إذا
 ١٠. أصابتهم مصيبة) أى عقوبة هائلة (بما قدمت أيديهم) مما ذكرنا
 ومن غيره^٢. ولما كان الذى ينبغي أن يكون تناقضهم بعيدا^٣، لأن
 الكذب عند العرب كان شديدا^٤؛ قال: (ثم جاءوك) أى خاضعين
 بما لبنت^٥ منهم تلك المصيبة حال كونهم (يحلفون بالله) أى الحارثى
 لصفات الكمال من الجلال والجمال غير مستحضرين لصفة من صفاته
 ١٥ (ان) أى [ما - ١] (اردنا) أى فى جميع أحوالنا وبسائر
 أفعالنا (إلا إحسانا وتوفيقا) أى أن تكون^٦ الأمور على الوجه
 الأحسن والأوفق لما رأينا فى ذلك مما خفى على غيرنا - وقد كذبوا فى
 جميع ذلك.

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: غيرهم (٣) من ظ و مد،
 وفى الأصل: بعيد (٤) فى ظ: شديد (٥) من مد، وفى الأصل و ظ: لبنت.
 (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ: سائرنا - كذا (٨) فى ظ: يكون.

ولما

ولما ذكر سبحانه وتعالى بعض ما يصدر منهم من التناقضات
وهم غير محتشمين ولا هائبين، قال معلما بشأنهم معلما لما 'يصنع بهم':
(اولئك) أى البعداء عن الخير (الذين يعلم الله) أى الحاوى
لنعوت العظمة (ما فى قلوبهم) أى من شدة البغض للإسلام وأهله
وإن اجتهدوا فى إخفائه عنه^٢، [ثم سبب - ٣] تعليما لما يصنع بهم ٥
وإعلاما بأنهم لا يضرون إلا أنفسهم قوله: (فاعرض عنهم) أى
عن عقابهم وعن الخشية منهم وعن عتابهم، لأنهم أقل من أن يحسب
لهم حساب (وعظهم) أى وإن ظننت أن ذلك لا يؤثر، لأن القلوب
يد الله سبحانه وتعالى يصطنعها لما أراد متى أراد (وقل لهم فى-
انفسهم) أى بسببها وما يشرح أحوالها وبين* نقائصها من نقائصها، ١٠
أو خالبا معهم، فإن ذلك أقرب إلى ترقيقهم (قولا بليغا) أى
يكون فى غاية البلاغة فى حد ذاته.

ولما أمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وذم من حاكم إلى
غيره وهدده، وختم تهديده بأمر النبى صلى الله عليه وسلم بالإعراض
عنه والوعظ له، فكان التقدير: فما أرسلناك وغيرك من الرسل إلا ١٥
للفرق بالآمة والصفح عنهم والدعاء لهم على غاية الجهد والنصيحة،
عطف عليه قوله: (وما أرسلنا) أى بما لنا من العظمة، ودل على
الإعراق فى الاستغراق بقوله: (من رسول) ٠ ولما كان ما يؤتاهم
(١-١) فى ظ: يضع لهم - كذا (٢) سقط من ظ (٣) زيد من مد (٤) من ظ
و مد، و وقع فى الأصل: يجب - كذا مصحفا (٥) فى ظ: يتبين.

ج - ٥

(سورة النساء ٤: ٦٤ - ٦٦)

نظم الدرر

سبحانه و تعالى من الآيات و يمنحهم به من المعجزات حاملا في ذاته
على الطاعة، شبهه بالحامل على إرساله فقال: ﴿الاطاعة﴾ أى لأن
منصبه^١ الشريف مقتضى لذلك أمر به داعٍ إليه ﴿بإذن الله﴾ أى
بعلم الملك الأعظم الذى له الإحاطة بكل شئ في تمكنه من أن يطاع،
٥ لما جعلنا له من المزية بالصفات العظيمة^٢ و المناصب الجليلة و الأخلاق
الشريفة كما قال صلى الله عليه وسلم «ما من الأنبياء نبى إلا و قد
أوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر» أخرجه الشيخان عن
أبي هريرة رضى الله عنه .

و لما كان التقدير: فلو أطاعوك / لكان خيرا لهم ، عطف عليه

/ ٤٩٠

١٠ قوله: ﴿ولو انهم اذ﴾ أى [حين ﴿ظلموا انفسهم﴾ أى بالتحاكم
إلى الطاغوت أو غيره ﴿جاءوك﴾ أى مبادرين ﴿فاستغفروا الله﴾
أى - [عقبوا] بجنتهم بطلب المغفرة من الملك الأكرم^٣ لما استحضروه
له من الجلال ﴿واستغفر لهم الرسول﴾ أى ما فرطوا بمصيانه فيما
استحقه عليهم من الطاعة ﴿لوجدوا الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿توابا
١٥ رحيمًا﴾ أى بليغ التوبة على عيده^٤ و الرحمة، لإحاطته بجميع صفات
الكمال، فقبل توبتهم و محاذرتهم و أكرمهم .

(١) زيد بعده في ظ: من (٢) من ظ، وفي الأصل و مد: منصب (٣) في
ظ: العلية (٤) سقطت الواو من ظ و مد (٥) زيد ما بين الحازرين من ظ
و مد (٦) العبارة من هنا إلى «من الجلال» سقطت من ظ (٧) من مد، وفي
الأصل: الأكرام (٨) في ظ: غيره .

و لما

(٧٩)

٣١٦

و لما أفهم ذلك أن إياهم لقبول حكمه و الاعتراف بالذنب لديه
سبب مانع لهم من الإيمان ، قال - مؤكدا للكلام غاية التأكيد بالقسم
المؤكد لإثبات مضمونه و 'لا' المنافية لتقيضه - : ﴿ فلا وربك ﴾
أى المحسن إليك ﴿ لا يؤمنون ﴾ أى يوجدون هذا الوصف و يحددونه
﴿ حتى يحكموك ﴾ أى يجعلوك حكما ﴿ فيما شجر ﴾ أى اختلط و اختلف ه
﴿ بينهم ﴾ من كلام بعضهم لبعض للتنازع حتى كانوا كأغصان الشجر
فى التداخل و التضايق .

و لما كان الإذعان للحكم بما ' يخالف الهوى فى غاية الشدة على
النفس ، أشار^٢ إليه بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم لا يجذبوا فى أنفسهم
حرجا ﴾ أى نوعا من الضيق ﴿ بما قضيت ﴾ أى عليهم به ، و أكد ١٠
إسلامهم^٣ لأنفسهم بصيغة التفعيل فقال : ﴿ و يسلبوا ﴾ أى يوقعوا
التسليم البليغ لكل ما^٤ هو لهم من أنفسهم و غيرها لله و رسوله صلى الله
عليه و سلم خالصا عن شوب كره ؛ ثم زاده تأكيد بقوله : ﴿ تسليما ﴾
و فى الصحيح أن الآية نزلت فى الزبير و خصم له من الانصار ، فلا التفات
إلى من قال : إنه حاطب رضى الله تعالى عنه . ١٥

و لما كان التقدير : فقد كتبنا عليهم طاعتك و التسليم لك فى هذه
الخنفية السمحة التى دعوتهم إليها و حملتهم عليها ، عطف عليه قوله :
﴿ و لو انا كتبنا عليهم ﴾ أى هذا الخاصم للزبير رضى الله تعالى عنه

(١) فى ظ : كما (٢) فى ظ : اشارة (٣) فى ظ : سلامهم (٤) من ظ و مد ،
و فى الأصل : بما .

نظم الدرر (سورة النساء ٤ : ٦٦ - ٦٩) ج - ٥

وأشبه هذا المخاصم من ضعف إيمانه كتابة^١ مفروضة ﴿ان اقلوا انفسكم﴾
 أى كما كان فى التوراة فى كفارة بعض الذنوب مباشرة حقيقة^٢، وكما
 فعل المهاجرون بتعريض أنفسهم لذلك ثلاث عشرة سنة، [هم -^٣]
 فيها عند أعداء الله مضغة لحم بين يدي نصور يتخاطفونها ﴿او اخرجوا﴾
 كما فعل المهاجرون -^٤ رضى الله تعالى عنهم^٤ - الذين الزير من رؤوسهم
 ﴿من دياركم﴾ أى التى هى لأشباحكم كأشباحكم لأرواحكم - توبة لربكم
 ﴿ما فعلوه﴾ أى لقصور إيمانهم وضعف إيقانهم، ولو كتبناه عليهم
 ولم يرضوا به كفروا، فاستحقوا [القتل -^٥].

ولما كان كل كدر لا يخلو عن خلاصه، قال: ﴿الا قليل منهم^٦﴾
 ١٠. أى وهم^٧ العالمون بأن الله سبحانه وتعالى خير^٨ لهم من أنفسهم، وأن
 حياتهم إنما هى فى طاعته^٩؛ روى أن من هؤلاء ثابت بن قيس بن شماس^{١٠}
 رضى الله تعالى عنه، قال: أما والله! إن الله ليعلم منى الصدق. لو أمرنى
 محمد أن أقتل نفسى لقتلتها! وكذا قال ابن مسعود وعمار بن ياسر
 رضى الله تعالى عنهما، وروى عن^{١١} عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال:
 ١٥. والله لو أمرنا ربنا لفعلنا! والحمد لله الذى لم يفعل بنا ذلك. ولا ريب
 فى أن التقدير: ولكننا لم نكتب عليهم فليشكروا لنا ويستمسكوا^{١٢}

(١) فى ظ: بآية - كذا (٢) فى ظ: حقيقة (٣) زيد من ظ ومد (٤-٤) سقط
 ما بين الرقبن من ظ ومد (٥-٥) فى ظ: العالمون بالله تعالى خيرا - كذا.
 (٦) زيدت الواو بعده فى ظ (٧) من ظ ومد وتهذيب التهذيب، ووقع
 فى الأصل: شهاب - مصحفا (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ: نستمسكوا.

بهذا

بهذه الخيفة السمحة .

ولما كان مبنى السورة على الائتلاف و كان السياق للاستعطاف^١ ،
قال مرغبا : ﴿ ولو انهم ﴾ أى مؤلاء المنافقين ﴿ فعلوا ما يوعظون ﴾
أى يجدد لهم الوعظ فى كل حين ﴿ به لكان ﴾ أى فعلهم ذلك
﴿ خيرا لهم ﴾ أى بما اختاروه لأنفسهم ﴿ واشد تثبيتا ﴾ أى بما ثبتوا^٢ .
به أنفسهم بالإيمان الحاتة^٣ ، ﴿ واذا لا تبينهم ﴾ أى وإذا فعلوا ما يوعظون
به^٤ آتيناهم بما لنا من العظمة إيتاء مؤكدا لا مرية فيه . وأشار بقوله :
﴿ من لدنا ﴾ إلى أنه من غرائب ما^٥ عنده من خوارق خوارق^٦
العادات و نواقض نواقض^٧ المطردات^٨ ، ﴿ اجرا عظيما ﴾ و لهدينهم^٩
أى بما لنا من العظمة ﴿ صراطا مستقيما ﴾ أى يوصلهم / إلى مرادهم ، ١٠ / ٤٩١
و قد عظم سبحانه و تعالى هذا الأجر ترغيبا فى الطاعة أنواعا من
العظمة^{١٠} ، منها التنبية بـ 'اذا' و الإتيان بصيغة العظمة و 'لدى' مع العظمة
و الوصف بالعظيم .

ولما رغب فى العمل بمواعظه ، و كان الوعد^{١١} قد يكون لفظا
فى الموعوظ^{١٢} ، و كان ما^{١٣} قدمه فى وعظه أمرا مجملا ، رغب بعد تريقه^{١٤}
بالوعظ^{١٥} فى مطلق الطاعة التى المقام كله لها ، مفصلا " إجمال ما وعد "

- (١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : يجدد (٣) فى ظ : اثبتوا (٤) من ظ
و مد ، و فى الأصل : الجائية (٥) فى ظ : كما (٦) فى ظ : المطرودات (٧) من
ظ و مد ، و فى الأصل : العظيمة (٨) فى ظ : الوعظ (٩) فى ظ : الراءظ .
(١٠) زيد بعده فى الأصول : رغب (١١-١٢) فى ظ : إجمالا ما وعى .

عليها فقال : ﴿ ومن يطع الله ﴾ أى فى امثال أوامره والوقوف
عند زواجه مستحضرا عظمته - طاعة هى على سبيل التجدد والاستمرار
﴿ والرسول ﴾ أى فى كل ما أرادته ، فان منصب الرسالة يقتضى
ذلك ، لا سيما من بلغ نهايتها ﴿ فاولئك ﴾ [أى - ٢] العالو^٢ الرتبة
٥ العظيمو الشرف ﴿ مع الذين انعم الله^٢ ﴾ أى بما له من صفات الجلال
والجمال ﴿ عليهم ﴾ أى معدود من حزبهم ، فهو بحيث إذا أراد زيارتهم
أو رؤيتهم وصل إليها بسهولة ، لا أنه يلزم أن يكون فى درجاتهم
وإن كانت أعماله قاصرة . ثم بينهم بقوله : ﴿ من النبيين ﴾ أى الذين
أنبأهم الله بدقائق الحكم ، وأنبأوا^٣ الناس بملائل الكلم ، بما لهم من
١٠ طهارة الشيم والعلو والعظم ﴿ والصدّيقين ﴾ أى الذين صدقوا أول
الناس ما^٤ أنابهم عن الله وصدقواهم فى أقوالهم وأفعالهم ، فكانوا قدوة
لمن بعدهم ﴿ والشهداء ﴾ أى الذين لم يغيروا أصلا^٥ عن حضرات
القدس ومواطن الانس طرفة عين ، بل هم مع الناس بجسومهم ومع الله
سبحانه وتعالى بعلومهم [وعلومهم - ٦] سواء شهدوا لدين الله بالحق ،
١٥ ولواء بالبطان بالحجة أو^٧ بالسيف ، ثم قتلوا فى سبيل^٨ الله ﴿ والصلّحين ﴾
أى الذين لا يعتريهم فى ظاهر ولا باطن بحول الله فساد أصلا ، وإلى

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : ارادة (٢) زيد من مد (٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : حرثهم - كذا (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : انبساط - كذا .
(٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : بما (٧) فى ظ : ابدا (٨) زيد من ظ و مد .
(٩) من ظ ، وفى الأصل و مد : لو (١٠) سقط من ظ و مد .
هنا (٨٠) ٣٢٠

هذا يشير كلام العارف الشيخ رسلان^١ [حيث -^٢] قال : ما صلت
ما دامت فيك بقية لسواه . وقد تجتمع^٣ الصفات الأربع في شخص وقد
لا تجتمع ، و أبو بكر رضى الله تعالى عنه أحق الأمة بالصدقية وإن
قلنا : إن عليا و زيدا رضى الله تعالى عنهما أسما قبله ، لأنه -^٤ لكبره
و كونه^٥ لم يكن قبل الإسلام تابعا للنبي صلى الله عليه وسلم - كان قدوة
لغيره ، و لذلك كان سينا [لإسلام -^٦] ناس^٧ كثير و أولئك كانوا
سينا لإسلام غيرهم ، فكان له مثل أجر الكل ، و كان فيه حين إسلامه
قوة الجهاد في الله سبحانه و تعالى بالمدافة عن النبي صلى الله عليه وسلم -
و غير ذلك من الأفعال الدالة على صدقه ، و للملاحظة هذه الأمور
كانت رتبتهما تلى رتبة النبوة ، و لرفع^٨ الوسطة بينهما وفق^٩ الله سبحانه .
و تعالى هذه الأمة التي اختارها بتولية الصديق رضى الله تعالى عنه بعد
نيههم صلى الله عليه وسلم و دفعه إلى جانبه ، و من عظيم رتبته توبه^{١٠}
النبي صلى الله عليه وسلم في آخر عمره بهم فقال : مع الرفيق الأعلى ،
روى البخارى في التفسير عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا^{١١}

(١) من مد و الأعلام لدركلي ، و في الأصل : مرسلان ، و في ظ : زسلان -

كذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : يجتمع (٤) من

ظ و مد ، و في الأصل : لكونه و كبره (٥) من ظ و مد ، و في الأصل :

لناس (٦) في ظ : رفع (٧) في ظ : قوة (٨) من ظ و مد ، و في الأصل :

نبوته .

و الآخرة ، ، و كان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحمة^١ شديدة ، فسمعتة
يقول ” مع الذين انعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء
و الصالحين “ فعلت أنه خير .

و لما أخبر أن المطيع مع هؤلاء ، لم يكتف^٢ بما أفهم ذكرهم من
جلالهم و جلال من معهم ، بل زاد في بيان علو مقامهم و مقام كل من
معهم بقوله : ﴿ و حسن ﴾ أى و ما أحسن ﴿ اولئك ﴾ أى العالو الاخلاق
السابقون يوم السابق ﴿ رفيقا ﴾ من الرفق ، و هو لفة : لين الجانب
و اضافة الفعل ، و هو بما يستوى واحده^٣ و جمعه . ثم أشار إلى تعظيم
ما منحهم به مرغبا في العمل بما^٤ يؤدي إليه بأداة البعد فقال : ﴿ ذلك
الفضل ﴾ و زاد في الترغيب فيه بالإخبار عن هذا الابتداء [بالاسم - °]
الاعظم فقال : ﴿ من الله^٥ ﴾ .

و لما كان مدار التفضيل على العلم ، قال - بانبا^٦ / على ما تقديره :
لما يعلم من صحة بواطنهم اللازم منها شرف ظواهرهم - : ﴿ و كفى بالله ﴾
أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ عليا ﴾ يعلم من^٧ الظواهر و الضاهر^٨
١٥ ما يستحق به التفضيل^٩ من فضله على غيره .

و لما دل على درجة الشهادة بعد ما ذكر من ثواب من قبل مواعظته
(١) أى خشونة و غلظ في الصوت ، و في ظ : بعد (٢) من ظ و مد ، و في
الأصل : لم يكن (٣) من مد ، و في الأصل و ظ : واحدة (٤) من ظ و مد ،
و في الأصل : ما (٥) زيد من ظ و مد (٦) في ظ : ثانيا (٧-٧) في ظ و مد :
الضاهر و الظواهر (٨) في ظ : التفضل .

و لو في قتل نفسه ، و ذم من أبى ذلك بعد ما حذر من الأعداء من أهل
الكتاب و المشركين و المنافقين المخادعين ، فتوفرت دواعي الراغبين في
المكارم على ارتكابها^١؛ التفت إلى المؤمنين ملذذا لهم بحسن^٢ خطابه^٣
نادبا إلى الجهاد مع الإرشاد إلى الاستعداد له^٤ بما يروع^٥ الأضداد ، فقال
سبحانه و تعالى - منها بأداة البعد و صيغة المضى إلى أن الراسخ لا ينبغي^٥
له أن يحتاج إلى تنبيه على مثل هذا - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى
أقروا بالإيمان .

و لما كان سبحانه و تعالى قد خلق للإنسان عقلا يحمله على التيقظ
و التحرز^٥ من الخوف ، فكان^٦ كالآلة له^٦ ، و كان - لما عنده من السهو
و النسيان في غالب الأوقات - مهملًا له ، فكان كأنه قد ترك آلة^٧ ١٠
كانت منه ؛ قال سبحانه و تعالى : ﴿ خذُوا حِذْرَكُمْ ﴾ أى من الأعداء
الذين^٨ ذكرتهم لكم و حذرتكم منهم : المشاقين^٩ منهم و المنافقين^{١٠}
﴿ فاقفروا ﴾ أى اخرجوا تصديقا لما ادعيتهم إلى جهادهم مسرعين ﴿ ثبات ﴾
أى جماعات متفرقين سرية في إثر سرية ، لا تملوا ذلك أصلا^{١١} ﴿ او اقفروا
جميعا ﴾ أى مسكرا واحدا ، و لا تتخاذلوا^{١٢} تهلكوا ، فكأنه قال : خفت^٥ ؛

(١) في ظ : ارتكابها (٢) في ظ : حسن (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : خطابه .

(٤-٤) في ظ : من يردع (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : التحرر (٦-٦) من

ظ و مد ، و في الأصل : كالآلة - كذا (٧) في ظ : اله (٨) في ظ : الذى .

(٩) من ظ و مد ، و في الأصل : المساقين (١٠) سقط من ظ (١١) في ظ :

لا تتجادلوا .

عنكم قتل الانفس على الصفة التي كتبها على من قبلكم ، ولم آمركم
[إلا - ١] بما تألفونه [و تهادون به - ٢] فيما بينكم و تدمون تاركه ،
من موارد القتال ، الذي ٢ هو مناهج الابطال ، و مشاريع لحول الرجال ،
و جعلت للباقي منكم المحبوبين من الظفر و حل ٣ المغنم ، وللأضي أحب
٥ المحبوب ، و هو الدرجة التي ما بعدها إلا درجة النبوة ، مع أنه لم ينقص
من أجله شيء ، و لو لم يقتل في ذلك السيل المرضى لقتل ٤ في غيره
في ذلك الوقت .

و لما كان التقدير : فان منكم الخارج إلى الجهاد عن غير حرم
و لا حذر ، عطف عليه قوله - مبينا لما هو من أجل مقاصد هذه الآيات
١٠ من تبكيث ١ المنافقين للتحذير منهم ، و وصفهم ببعض ما يخفون ، مؤكدا
لأن كل من ادعى الإيمان ينكر أن يكون كذلك - : (و ان منكم)
أى يا أيها الذين آمنوا و عزتنا ٧ (لمن ليطن ج) ٨ أى يتناقل ٩ في نفسه
عن الجهاد لضعفه في الإيمان أو نفاقه ، و يأمر غيره بذلك أمرا مؤكدا
إظهارا للشفقة عليكم و هو عين الغش ٩ فانه يشر الضعف المؤدى إلى
١٥ جرأة العدو المفضى إلى التلاشى .

و لما كان لمن يتناقل عنهم حالنا نصر و كسر ١٠ ، سبب عن تناقله "

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : التي (٤) في ظ : على .
(٥) في ظ : للقتل (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : تنكيث (٧) في ظ : غربت -
كذا (٨-٨) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩) من ظ و مد ، و في الأصل :
النفس (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : كب - كذا (١١) في ظ : تشاقله .

مقسماً بقوله^١ فيها: ﴿فإن اصابكم مصيبة﴾ أى فى وجهكم الذى قعدوا عنه ﴿قال﴾ ذلك القاعد جهلاً منه وغلظة ﴿قد انعم الله﴾ أى الملك الأعظم، ذا كرا لهذا الاسم غير عارف بمعناه ﴿على إذ﴾ أى حين، أو لآنى^٢ ﴿لم اكن معهم شهيداً﴾ أى حاضراً، ويجوز أن يريد الشهيد الشرعى، ويكون إطلاقه من باب التزل، فكأنه يقول: هذا الذى هـ هو أعلى ما عندهم أعدّ فواته منى نعمة عظيمة ﴿ولئن اصابكم فضل﴾ أى فتح^٣ وظفر وغنيمة ﴿من الله﴾ أى الملك الأعلى الذى كل شىء بيده.

ولما كان تحسره إنما هو على فوات الأغراض الدنيوية أكد قوله: ﴿ليقولن﴾ أى فى غيبتكم، واعترض بين القول ومقوله^٤ ١٠ تأكيداً لزمهم بقوله: ﴿كان﴾ أى كأنه ﴿لم﴾ أى مشبها حاله حال من [لم-^٥] ﴿يكن بينكم وبينه مودة﴾ أى بسبب قوله: ﴿يليتنى كنت معهم فافوز﴾ أى بشاركتهم فى ذلك ﴿فوزاً عظيماً﴾ وذلك لأنه لو كان ذا مودة لقال حال المصيبة: يا ليتها لم تصبهم^٦ ١١ لو كنت معهم لدافعت عنهم^٧ ١٢ وحال الظفر: لقد سرتنى عزهم، ولكنه لم يجعل^٨ ١٥

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: لقول (٢) سقط من ظ (٣) من مد، وفى الأصل: مقولة، وفى ظ: مقولهم (٤) زيد من ظ و مد (٥) قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب بالناء الفوقانية لتأنيث لفظ المودة - كما هى فى مصاحفنا المتداولة؛ وقرأ الباقون بإياء للفصل ولأنها بمعنى الود - (٦) من مد، وفى الأصل: لم يصيبهم، وفى ظ: لم نصيبهم - كذا.

محط همه في كلتا الحالتين غير المطلوب الديوى، ولعله خص الحالة الثانية بالتشبيه لأن ما نسب إليه فيها / لا يقتصر عليه محب، وأما الحالة الأولى فربما اقتصر المحب فيها على ذلك قصدا للبقاء لأخذ الثأر^١ ونكال الكفار، وذكر المودة لأن المنافقين كانوا يبالغون في إظهار الود
٥ والشفقة والنصيحة للمؤمنين .

/ ٤٩٣

ولما بين أن محط حال القاعد عن الجهاد الدنيا، علم أن قصد المجاهد الآخرة، فسبب عن ذلك قوله: ﴿ فليقاتل في سبيل الله ﴾ أى بسبب تسهيل طريق الملك الذى له الأمر كله وحفظ الناس عليه ﴿ الذين يشرون ﴾ أى يبيعون^٢ برغبة ولجاجة وهم المؤمنون، أو يأخذون^٣ وهم المنافقون - استملا لاشترك^٤ في مدلوله^٥ ﴿ الحياة الدنيا ﴾ ١٠ فتركونها ﴿ بالآخرة^٦ ﴾ .

ولما كان التقدير: فانه من قعد عن الجهاد فقد رضى في الآخرة بالدنيا، عطف عليه قوله: ﴿ ومن يقاتل في سبيل الله ﴾ أى فيريد إعلاء كلمة الملك المحيط بصفات الجمال والجلال^٧ ﴿ فيقتل ﴾ أى ١٥ فى ذلك الوجه وهو على تلك النية بعد أن يغلب القضاء والقدر على نفسه ﴿ او يغلب ﴾ أى الكفار فيسلم ﴿ فسوف تؤتبه^٨ ﴾ أى بوعده لا خلف فيه بما لنا من العظمة المحيطة بالخير والشر، والآية من الاحتباك:

(١) فى الأصول: النار (٢) فى ظ: يبيعون (٣) من مد، وفى الأصل وظ: للشترى (٤) من ظ، وفى الأصل ومد: مدلوله (٥-هـ) فى ظ ومد: الجلال والجمال (٦) فى ظ: يؤتبه .

ذكر

ذكرُ القتل أولاً دليل على السلامة ثانياً، وذكر الغالية ثانياً دليل على المغلوبة أولاً؛ وربما دل التعبير بسوف على طول عمر المجاهد غالباً - خلافاً لما يتوهمه كثير من الناس - إعلاما بأن المدار على فعل الفاعل المختار، لا على الأسباب ﴿ اجرا عظيماً ﴾ أى فى الدارين على اجتجاده^١ فى إعزاز^٢ دين الله سبحانه وتعالى، واقتصاره على هذين القسمين حث^٣ على الثبات ولو كان العدو أكثر من الضعف "فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة"^٤ "والله يؤيد بنصره من يشاء"^٥ "والله مع الصبرين"^٦.

ولما كان التقدير: فالكم لا تقاتلون فى سبيل الله لهذا الأجر الكثير ممن لا يخلف الميعاد، وكانوا يقولون^٧: إنا لا نعطى الميراث إلا لمن يحمى الذمار، ويذب عن الجار، ويمنع الحوزة؛ قال عاطفاً^٨ على هذا المقدّر^٩ ملها لهم^{١٠} ومهيجا، ومبكتاً^{١١} للقاعدين وموبخاً:

﴿ وما ﴾ أى وأى شئ ﴿ لكم ﴾ من دنيا أو آخرة حال كونكم ﴿ لا تقاتلون ﴾ أى تجددون القتال فى كل وقت، لا تملونه ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى بسبب تسهيل طريق الملك الذى له العظمة الكاملة والغنى المطلق وبسبب خلاص ﴿ والمستضعفين ﴾ أى^{١٢} المطلوب من الكفار^{١٣} ضعفهم حتى صار موجوداً، ويجوز - وهو أقعد - أن يكون منصوباً

(١) فى ظ: اجتهاده (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: اعدار (٣) اقتباس من سورة ٢ آية ٢٤٩ (٤) سورة ٣ آية ١٣ (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: لا يقولون (٦) من مد، وفى الأصل: المقدار، وفى ظ: مقدّر (٧-٧) من ظ ومد، وفى الأصل: يهيجا وسكياً - كذا (٨) سقط من مد (٩) سقط من ظ.

على الاختصاص تنبيها على أنه من أجل ما في ' سبيل الله .
 ولما [كان - ٢] الإنكاء من هذا ما لمن كان رجاء نفعه أعظم ،
 ثم ما لمن يكون العار به أقوى وأحكم ؛ رتبهم هذا الترتيب فقال : ﴿ من
 الرجال والنساء والولدان ﴾ أى المسلمين الذين حبسهم الكفار عن
 الهجرة ، وكانوا يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، وكل منهما كافٍ
 في بعث ذوى الهمم العالية والمكارم على القتال . ثم وصفهم بما يهيج
 إلى نصرهم ويحث على غياثهم فقال : ﴿ الذين يقولون ﴾ أى لا يفترون
 ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا باخراجنا من الظلمات إلى النور ﴿ اخرجنا
 من هذه القرية ﴾ ثم وصفوها بالحامل على هذا الدعاء فقالوا : ﴿ الظالم
 ١٠ اهلها ﴾ أى بما تيسره لنا من الأسباب ﴿ واجعل لنا من لدنك ﴾
 أى من أمورك العجيبة فى الأمور الخارقة للعادات ﴿ وليا ﴾ يتولى
 مصالحنا .

ولما كان الولي قد لا يكون فيه قوة النصر قالوا : ﴿ واجعل لنا ﴾
 ولما كانوا يريدون أن يأتهم خوارج [كرروا قولهم : ﴿ من لدنك
 ١٥ نصيرا ﴾ أى ببلغ النصر إلى حد تعجب منه المعتادون - ٩] للخوارج ،
 فكان بهذا الكلام ١٠ كأنه سبحانه وتعالى [قال - ٩] : قد جعلت لكم

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل ومد : عظم -
 كذا (٤) فى ظ ومد : فكانوا (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : دينه (٦) فى
 ظ : يجب - كذا (٧) فى ظ : يريد (٨) فى ظ : قوله (٩) زيد ما بين الحاجزين
 من ظ . مد (١٠-١٠) سقط ما بين الرقيين من ظ .

الحظ الأوفر من الميراث، فما لكم لا تقاتلون في سبيل^١ شكرا لنعمي!
و أين ما تدعون من الحية والحماية! ما لكم لا تقاتلون^٢ / في نصر هؤلاء
الضعفاء لتحقيق^٣ حمايتكم للذمار^٤ و منعكم للحوزة و ذبكم عن الجار!
ولما أخبر عن افتقارهم إلى الأنصار و تظلمهم^٥ من الكفار،

استأنف^٦ الإخبار عن الفريقين فقال مؤكدا للترغيب في الجهاد: ﴿الذين ه
'امنوا﴾ أى صدقوا في دعواهم الإيمان ﴿يقاتلون﴾ أى تصديقا لدعواهم
من غير فترة أصلا ﴿في سبيل الله ج﴾ أى الذى له الإحاطة بجميع صفات
الكمال قاصدين وجهه^٧ بحماية الذمار^٨ وغيره، و أما من لم يصدق دعواه
بهذا فما^٩ آمن ﴿والذين كفروا يقاتلون﴾ أى كذاك ﴿في سبيل
الطاغوت﴾ فلا ولى لهم ولا ناصر .

١٠

ولما كان الطاغوت الشيطان أو من زينه^{١٠} الشيطان، و كان كل
من عصى الله منه و^{١١} من أغواه حقيرا؛ سبب عن ذلك قوله: ﴿فقاتلوا
أولياء الشيطان ج﴾ ثم علل الجرأة عليهم بقوله: ﴿ان كيد الشيطان﴾
أى الذى هو رأس العصاة ﴿كان﴾ جملة و طبعا ﴿ضعيفا﴾ .

ولما عرفهم هذه المفاز الآخروية والمفاخر الدنيوية، و ختم بما ١٥

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : سبيل الله (٢) زيد بعده فى ظ : فى سبيل الله.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل : ليتحقق (٤) فى ظ : للذمار - كذا (ه) فى ظ :
يظلمهم (٦) زيدت الواو قبله فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فخذناها .
(٧-٧) فى ظ : لحماية الذمار - كذا (٨) فى ظ : نهل (٩) من ظ و مد، و فى
الأصل : رينة (١٠) فى ظ : او .

ينهض الجبان^١، و يقوى الجنان، و رغبتهم بما شوق إليه من نعيم الجنان؛
عجب من حال من تواني بعد ذلك و استكان، فقال تعالى مقبلاً بالخطاب
على^٢ أعبد خلقه^٢ له^٢ و أطوعهم لأمره: ﴿الم تر﴾ و أشار إلى أنهم
بمحل بعد عن^٢ حضرته تنهضاً لهم بقوله: ﴿الى الذين قيل لهم﴾ أى
جواباً لقولهم: إنا نريد أن نبسط^٥ أيدينا إلى الكفار بالقتال لأن امتحاننا^٥
بهم قد طال ﴿كفوا أيديكم﴾ أى و لا تبسطوها إليهم^٢ فإنا لم نأمر
بهذا ﴿واقموا الصلوة﴾ أى صلة بالخالق^٤ و^٢ استنصاراً^١ على المشاقق^١
﴿واتوا الزكوة ج﴾ مناة للال و طهرة للأخلاق و صلة للخلائق ﴿فلما
كتب عليهم القتال﴾ أى الذى طلبوه و هم يؤمرون بالصفح، كتابة^٢
١٠ لا تفك^{١١} إلى آخر الدهر ﴿إذا فريق منهم﴾ أى ناس تلزم^٢ عن
فعلهم الفرقة، فأحبوا^{١٢} هذا الكتب بأنهم ﴿يخشون الناس﴾ أى الذين
هم مثلهم، أن يضروهم^{١٣}، و الحال أنه يقبح عليهم أن يكونوا أجراً منهم
و هم ناس مثلهم ﴿كشية الله﴾ أى مثل ما يخشون الله الذى هو
القادر لا غيره .

(١) من مد، و فى الأصل: الجنان، و فى ظ: الجنان (٢-٢) من ظ و مد،
و فى الأصل: عبد خليفة (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل:
سبعاً - كذا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: يبسط (٦) فى الأصول:
امتحاناً - كذا (٧) زيد بعده الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد
لخذفناها (٨) فى ظ: للخالق (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: استبصاراً (١٠) فى
ظ: التشاقق (١١) فى ظ: لا تفعل (١٢) فى ظ و مد: يلزم (١٣) فى مد:
فأحبوا (١٤) فى مد: لا يضروهم، و فى ظ: لا يضروهم .

ولما كان كفهم عن القتال شديدا يوجب لمن يراه منهم^١ أن يظن بهم من الجبن ما يتردد به في الموازنة بين^٢ خوفهم من الناس و خوفهم من الله ، عبر بأداة الشك فقال : ﴿ ارأشد خشية ج ﴾ أى أو كانت خشيتهم لهم عند الناظر لهم أشد من خشيتهم من الله ، فقد أفاد هذا أن خوفهم من الناس ليس بأقل من خوفهم من الله جزما بل إما مثله أو أشد^٥ منه ؛ وقد يكون الإيهام للتفاوت^٣ بالنسبة إلى وقتين ، فيكون خوفهم منه^٤ في وقت متساويا ، و في آخر أزيد^٥ ، فهو متردد بين هذين الحالين ؛ ويجوز أن يكون ذلك كناية عن كراحتهم القتال في ذلك الوقت وتمنيهم لتأخيره إلى وقت ما . و أيد ما تقدم من الظن بقوله ما هو كالتعليل للكرهية : ﴿ وقالوا ﴾ جزعا من الموت أو المتاعب^٦ - إن كانوا مؤمنين ، ١٠ أو اعتراضا - إن كانوا منافقين ، على تقدير صحة ما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا القريب منا ﴿ لِمَ^٧ كتبت علينا القتال ج ﴾ أى ونحن الضعفاء^٨ ﴿ لولا ﴾ أى [هلا -^٩] ﴿ اخرتنا ﴾ أى عن الأمر بالقتال ﴿ إلى أجل قريب^{١٠} ﴾ أى لنأخذ راحة مما كنا فيه^{١١} من الجهد من الكفار بمكة ، و سبب نزولها أن عبد الرحمن بن ١٥ عوف و المقداد بن الأسود الكندى و قدامة بن مظعون و سعد بن

(١) من ظ ، و في الأصل و مد : منه (٢) في ظ : تبين (٣) من مد ، و في الأصل : بالتفاوت ، و في ظ : للتفاوت - كذا (٤) في ظ : منهم (٥) في ظ : أيد (٦) في ظ : الباعث (٧) تقدم في الأصل على « أى أيها » (٨) من ظ ، و في الأصل : الإضعفاء ، و في مد : ضعفاء (٩) زيد من ظ و مد (١٠) في ظ : منه .

أبى وقاص و جماعة رضى الله عنهم كانوا يلقون من المشركين بمكة أذى كثيراً قبل أن يهاجروا ، و يقولون : يا رسول الله ! ائذن لنا في قتالهم فانهم قد آذونا ، / فيقول [لهم - ٢] رسول الله صلى الله عليه وسلم : كفوا أيديكم ، فاني لم أؤمر بقتالهم ، و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة .
 ٥ فلما هاجروا إلى المدينة و أمرهم الله سبحانه و تعالى بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم - حكاه البغوى عن الكلبي ، و حكاه الواحدى عنه بنحوه ، و روى بسنده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن عبد الرحمن بن عوف و أصحابه رضى الله تعالى عنهم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فقالوا : يا رسول الله ! كنا في عز و نحن مشركون ، فلما آمنا صرنا أذلة ، ١٠ فقال : إني أمرت بالعفو ، فلا تقاتلوا القوم . فلما حوله الله تعالى إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا ، فأنزل الله عز و جل " ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم " - الآية . و هذا يفهم أن نسبة القول إليهم إنما هي لأن حالهم في التأخر عن المبادرة إلى القتال حال من يقول ذلك ، فالمراد من الآية إلهابهم إلى القتال و تهيجهم ، ليس غير .

١٥ ولما عجب عليه الصلاة و السلام منهم إنكارا عليهم كان كأنه قال : فما أقول لهم ؟ أمره * بوعظهم و تضليل عقولهم و تفصيل آرائهم^٦

(١) في الأصول : كثير (٢) زيد من ظ و مد (٣) في ظ و مد : تهيجهم .
 (٤) في الأصل و مد : عجب ، و في ظ : تمنجنه - كذا (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : فامر (٦) قيل رايه : خطأ و قبحه ، و في الأصل : تفصيل ، و في ظ : تفصيل ، و في مد : تفصيل - كذا (٧) في ظ : اكرامهم .

بقوله: ﴿ قل متاع الدنيا قليل ﴾ أي ولو فرض أنه مدّ في آجالكم إلى أن تموتوا الحياة، فإن كل منقطع قليل، مع أن نعيمها غير محقق الحصول، وإن حصل كان منفصا بالكدورات ﴿ والآخره خير لمن اتقى ﴾ أي لأنها لا يفنى نعيمها مع أنه محقق ولا كدر فيه، وهي شر من الدنيا لمن لم يتق^١، لأن عذابها طويل^٢ لا يزول ﴿ ولا تظلمون ٥ قتيلا ﴾ أي لا في دنياكم بأن تنقص آجالكم بقتالكم، ولا أرزاقكم باشتغالكم^٣، ولا في آخرتكم بأن يضيع^٤ شيء من ثوابكم على ما تنالونه^٥ من المشقة، لأنه سبحانه وتعالى حكيم لا يضع شيئا في غير موضعه^٦، ولا يفعل شيئا إلا على قانون الحكمة، فمالك تقولون قول المتهم: لم فعلت؟ أتخشون [الظلم في إيجاب ما لم يجب عليكم وفي نقص الرزق ١٠ والعمر؟ تعالى الله عن ذلك بل هو - مع أن سنته -^٧ العدل وله أن يفعل ما شاء، "لا يسئل عما يفعل" - يحسن^٨ ويعطى من تقبل^٩ إحسانه آم الفضل .

ولما زهدهم في دار المتاعب والآكدار^{١٠} على تقدير طول البقاء،

- (١) زيد بعده في ظ: عذابها (٢) زيدت الواو بعده في ظ (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: باشتغالكم (٤) في ظ: يطيع (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: تنالوه (٦) في ظ: محله (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٨) زيد في ظ: لا (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: يحسن (١٠) في ظ: يقبل (١١) في ظ: الاقدار .

و كانوا كأنهم يرجون بترك القتال الخلود ، أو تأخير موت يسيبه^١ القتال ؛ نبههم على ما يتحققون من أن المنية منهل لا بد من وروده في الوقت الذي قدر له [و - ٢] إن امتنع^٢ الإنسان منه في الحصون^٣ ، أو رمى نفسه في المتالف ، فقال تعالى - مبكتا من قال ذلك ، مؤكدا بما النافية لنقيض ما تضمنه الكلام لأن حالهم حال من ينكر الموت بغير القتال ، مجيبا^٤ بحاق^٥ الجواب بعد ما أورد الجواب [الأول - ٣] على سبيل النزول - : (اين ما تكونوا) أيها الناس كلكم مطيعكم و عاصيكم (يدرككم الموت) أي فانه طالب ، لا يفوته هارب (و لو كنتم في بروج) أي حصون برج داخل برج ، أو كل واحد^٦ منكم في برج .

١٠ و لما كان ذلك جمعا ناسب التشديد المراد به الكثرة في (مشيدة^٧) أي مطولة ، كل واحد^٨ منها شاق في الهواء منيع ، و هو مع ذلك مطلى بالشيد^٩ أي بالحصص ، فلا خلل فيه أصلا ، و يجوز أن يراد بالتشيد مجرد الإتيان^{١٠} ، يعني أنها مبالغ في تحصينها - لأن السياق أيضا يقتضيه ، فاذا كان لا بد من الموت فلأن يكون في الجهاد الذي يستعقب السعادة الأبدية أولى من أن يكون في غيره .

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : بسبب (٢) زبدت الواو من مد (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : لا تمتنع (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : الحاصل . (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : مجيبا - كذا (٦) في ظ : بخلق . و الحاق : الكامل في الشيء (٧) زيد من ظ و مد (٨-٨) سقط ما بين الرقین من ظ . (٩-٩) في ظ : بطل بالسيد - كذا (١٠) في ظ : بالاتفاق - كذا .

ثم عطف ما بقى من أقوالهم على ما سلف منها في قوله "ربنا لم
 كتبت" - إلى آخره وإن كان هذا الناس منهم غير الأولين، ويجوز
 أن يقال: إنه لما أخبر أن الحذر لا يغنى من القدر أتبع ذلك حالا لهم
 'مبكتا به لمن' توفى في أمره، مؤذنا بالالتفات إلى الغيبة إعراضا عن
 خطابهم ببعض غضب، لأنهم جمعوا إلى الإخلال بتعظيمهم لله تعالى ٥
 الإخلال بالآداب مع الرسول صلى الله عليه وسلم الذى أرسله ليطاع
 بأذن الله فقال: (وان) أى قالوا ذلك والحال أنه إن (تصبهم)
 [أى - ٢] بعض المدعوين من الأمة، وهم من كان في قلبه مرض
 (حسنة) أى شيء يعجبهم، ويحسن وقعه عندهم من أى شيء كان
 (يقولوا هذه من عند الله ج) أى الذى له الأمر كله، لا دخل لك فيها ١٠
 (وان تصبهم سيئة) أى حالة تسوءهم من أى جهة كانت (يقولوا
 هذه من عندك ١) أى من جهة حلولك في هذا البلد تطيرا بك .

ولما كان هذا أمرا فادحا، وللنفوذ محرقا وقادحا، سهل عليه
 بقوله: (قل كل) أى من السيئة والحسنة في الحقيقة دنيوية كانت
 أو أخروية (من عند الله ٢) أى الذى له كل شيء، ولا شيء لغيره، ١٥
 وذلك كما قالوا لما مات أبو أمامة أسعد بن زرارة نقيب بني النجار
 رضى الله تعالى عنه ٢ عند ما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم،

(١-١) في ظ: مسكتا به من (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: الاجلال (٣) زيد
 من ظ ومد (٤-٤) في ظ: تعجبهم وتحسن (٥-٥) في ظ: اى من (٦) سقط
 من ظ (٧) من مد، وفي الأصل وظ: عنهم .

١ فقال النبي صلى الله عليه وسلم^١ - كما في السيرة - : بنس الميت أبو أمامة لليهود^٢
و منافق العرب^٣ يقولون : لو كان نبيا لم يمت صاحبه ، ولا أملك [لنفسي
ولا لصاحبي من الله شيئا - ٣] .

[و لما تسبب عن هذا معرفة أنهم أخطأوا في ذلك - ٤] ، فاستحقوا
٥ الإنكار قال منكرا عليهم : ﴿ فما ﴾ و حقرهم بقوله : ﴿ لَهْؤَلَاءِ ﴾
و كأنه قال ° : ﴿ القوم ﴾ الذي هو دال على القيام و الكفاية ، إما تهكما
بهم ، و إما نسبة لهم إلى قوة الأبدان^٦ و ضعف المكان ﴿ لا يكادون
يفقهون ﴾ لا يقربون من أن يفهموا ﴿ حديثاه ﴾ أى يلقى إليهم أصلا
فهما جيدا .

١٠ و لما أجابهم بما هو الحق إجمادا عليهم ما هو الأدب لملاحظة
السبب فقال مستأنفا : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ ﴾ أى نعمة دينوية
أو أخروية ﴿ فمن الله ذ ﴾ أى إجمادا و فضلا ، و الإيمان أحسن الحسنات ،
قال الإمام : إنهم يقولون ° : [إنهم - ٧] اتفقوا على أن قوله ” و من
أحسن قولاً بمن دعا الى الله^٨ ” المراد به كلمة الشهادة ﴿ و مَا أَصَابَكَ ﴾
١٥ و أنت خير الخلق ﴿ من سيئة ﴾ أى بلاء ﴿ فمن نفسك^٩ ﴾ أى بسببها^{١٠}
فغيرك بطريق الأولى .

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) في ظ : اليهود (٣) زيد ما بين الحاجزين
من ظ و مد وسيرة ابن هشام ١ / ١٨٠ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ
ومد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : الايدان - كذا (٧) زيد
من ظ (٨) سورة ٤ آية ٣٢ (٩) في ظ : ليمها - كذا .

ولما اقتضى قولهم إنكار رسالته ' صلى الله عليه وسلم إلا إن فعل
كل خارقة ، وأخبر سبحانه وتعالى بأنه مستو مع الخلق في القدرة قال
سبحانه وتعالى مخبرا بما اختصه به عنهم : ﴿ وارسلك ﴾ أى محتصين
لك بعظمتنا ﴿ للناس ﴾ أى كافة ﴿ رسولا ﴾ أى تفعل ' ما على
الرسل من البلاغ ونحوه ، وقد اجتهدت في البلاغ والنصيحة ، ولم نجعلك
إلها تائقا [بما - ١] يطلب منك من خير وشر ، فإن أنكروا رسالتك
فإن الله يشهد بنصب المعجزات والآيات البينات ^٢ ﴿ وكفى بالله ﴾ المحيط
علما وقدره ﴿ شهيدا ﴾ لك بالرسالة [والبلاغ ، ولما نفى عنهم في
التخاف عن طاعته إلى أن ختم بالشهادة برسالته ؛ قال مرغبا - ٥] مرها
على وجه عام يسكن قلبه ، ويخفف من دوام عصيانهم له ، ' دالا على ^{١٠}
عصيته في جميع حركاته وسكناته : ﴿ من يطع الرسول ﴾ أى كما هو
مقتضى حاله ﴿ فقد أطاع الله ج ﴾ الملك الأعظم الذى لا كفوء له ، لأنه
داع إليه ، وهو لا ينطق عن الهوى ، إنما يخبر بما يوحى إليه ﴿ ومن
تولى ﴾ أى عن طاعته .

ولما كان التقدير : فانما عصى الله ، والله سبحانه وتعالى عالم به ١٥
وقادر عليه ، فلو أراد ^٤ لرده ولو شاء لأهلكه بطغيانه ، فانزكه وذلك ^٢

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : رسالته (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ :
نفعل (٣) سقط من ظ (٤) زيد من مد (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .
(٦-٦) تكرر ما بين الرقعين فى الأصل (٧) فى ظ : على (٨) من مد ، وفى الأصل
و ظ : اراده .

عبر عن ذلك كله بقوله: ﴿فَأَرْسَلْنَاكَ﴾ أى بعظمتنا ﴿عليهم حفظاً﴾^١
إنما أرسلناك داعياً .

و لما كان من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحفظ من
أطاعه و من عصاه يبلغ ذلك من أرسله ، و كان سبحانه و تعالى قد
٥ أشار له إلى الإعراض عن ذلك ، لكونه لا يحيط بذلك علماً و إن اجتهد ؛

شرع يخبره ببعض ما يخفونه فقال حاكياً لبعض أقوالهم مبيناً لنفاقهم
فيه و خداعهم: ﴿و يقولون﴾ أى إذا أمرتهم بشيء من أمرنا و هم
بحضرتك ﴿طاعة﴾ أى كل طاعة منا لك دائماً ، نحن ثابتون على ذلك ،

و التكبير للتعظيم بالتعميم^٢ ﴿فاذا / برزوا﴾ أى خرجوا ﴿من عندك

١٠ بيت طائفة﴾ هم فى غاية التمرد ﴿منهم﴾ أى قدرت و زورت على
غاية من التقدير و التحرير^٣ مع الاستدارة و التقابل كفعل من يدبر الأمور

و يحكمها و يتقنها ليلاً ﴿غير الذى تقول﴾ أى تجدد قوله لك فى كل
حين من الطاعة التى أظهروها [أو غير قولك الذى بلغته لهم ، و أدغم

أبو عمرو^٤ و حمزة^٥ التاء بعد تسكينها استقلاً لتوالى الحركات -^٦ فى

١٥ الطاء لقرب المخرجين ، و الطاء تزيد بالإطباق ، فحسن إدغام الانقاص فى

الازيد ؛ و أظهر الباقون ، و الإدغام أوفق لحالهم ، و الإظهار أوفق^٧ لما^٨

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : بالعميم (٣) فى ظ : التحذير .

(٤) من نثر المرجان ١/٢٢٩ ، وفى ظ : المور ، وفى مد : الموروا - كذا .

(٥) من مد و نثر المرجان ، وفى ظ : همزة - كذا بالهاء (٦) زيد ما بين الحاجزين

من ظ و مد (٧) فى ظ : أظهر (٨) زيد بعده فى الأصل : صالح ، ولم تكن الزيادة

فى ظ و مد لحذفناها .

فضح من محالهم.

ولما كان الإنسان من عاداته إثبات الأمور التي يريد تخليدها بالكتابة أجرى الأمر على ذلك فقال: ﴿ والله ﴾ أى والحال أن الملك المستجمع لصفات الكمال ﴿ يكتب ما يبيتون ج ﴾ أى يحددون تبيته كلما فعلوه، وهو غنى عنه ولكن ذلك ليقر بهم^٢ إياه يوم يقوم الأشهاد، ه وقيم به الحجة عليهم على ما جرت به عاداتهم، أو يوحى به^٣ إليك فيفضحهم^٤ بكتابته وتلاوته^٥ مدى الدهر، فلا يظنوا أن تبيتهم^٦ يغنيهم^٧ شيئا.

ولما تسبب عن ذلك كفايته صلى الله عليه وسلم هذا المهم قال: ﴿ فاعرض عنهم ﴾ أى فانهم بذلك لا يضرون إلا أنفسهم ﴿ وتوكل ﴾ ١٠ أى فى شأنهم وغيره ﴿ على الله^٨ ﴾ أى الذى لا يخرج شئ عن مراده ﴿ وكفى بالله ﴾ أى المحيط علما وقدره ﴿ وكيلاه ﴾ فستنظر كيف تكون^٩ العاقبة فى أمرك وأمرهم.

ولما كان سبب إبطانهم خلاف ما يظهرونه^{١١} اعتقاد أنه صلى الله عليه وسلم رئيس، لا يعلم إلا ما أظهره،^{١٢} لا رسول^{١٣} من الله الذى ١٥ يعلم السر وأخفى؛ [سبب - ١٠] عن ذلك على وجه الإنكار إرشادهم

(١) فى ظ: تبعيته، وفى مد: بتبعيته - كذا (٢) فى ظ: نقولهم (٣) - سقط من ظ (٤) فى ظ: ليفضحهم (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: تلاوة (٦) فى ظ: تبعيتهم (٧) من مد، وفى الأصل: بيتهم. وفى ظ: بغيتهم - كذا (٨) فى مد: يظهرون (٩-١٠) فى ظ: لرسول (١٠) زيد من ظ ومد.

إلى الاستدلال على رسالته بما يزيل الشك و يوضح الأمر، و هو تدبر^١
 هذا القرآن المتناسب المعاني، المعجز المباني، الفائت لقوى المخلوق،
 المظهر لحفايهم^٢ على اجتهدهم في إخفائها، فقال سبحانه و تعالى دالا على
 وجوب النظر في القرآن و الاستخراج للمعاني منه: ﴿ افلا يتدبرون ﴾
 ٥ أي يتأملون، يقال: تدبرت الشيء - إذا تفكرت في^٣ عاقبه و آخر
 أمره ﴿ القرآن^٤ ﴾ أي الجامع لكل ما يراد علمه من تمييز الحق من
 الباطل على نظام لا يحتل و نهج لا يمل؛ قال المهدوي^٥: و هذا دليل
 على وجوب تعلم معاني القرآن و فساد قول من قال: لا يجوز أن
 يؤخذ منه إلا ما ثبت عن النبي صلى الله عليه و سلم، و منع أن يتأول
 ١٠ على ما يسوغه لسان العرب، و فيه دليل على النظر و الاستدلال.

و لما كان التدبير: فلو كان من عند غير الله لم يخبر بأسرارهم،
 عطف عليه قوله: ﴿ ولو كان من عند غير الله ﴾ أي الذي له الإحاطة
 الكاملة - كما زعم الكفار ﴿ لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ أي في
 المعنى بالتناقض و التخلف عن الصدق في الإخبار بالمعاني أو بعضها،
 ١٥ و في النظم بالتفاوت في الإعجاز؛ فاذا علموا أنه من عند الله بهذا الدليل
 القطعي حفظوا أسرارهم كما يحفظون علانياتهم، لأن الأمر بالطاعة
 مستوي عند السر و العلن؛ و التقييد بالكثير يفيد أن المخلوق عاجز عن

(١) في ظ: يدبر (٢) من ظ و مد، و في الأصل: لحفايهم (٣) في ظ: على .
 (٤) و هو أحمد بن عمار بن أبي العباس الغربي أبو العباس، نحوي لقوى مقرئ
 مفسر - كما في معجم المؤلفين ٢/ ٢٧٠ .

التحرز من النقص العظيم بنفسه^١، وإفهامه - عند استثناء^٢ تقيض التالى -
وجود الاختلاف اليسير فيه تدفعه الصرايح .

ولما أمر سبحانه وتعالى بالنفر إلى الجهاد على الحزم و الحذر ،
وأولاه الإخبار بأن من الناس المغرر [و المخذل - ^٣] تصريحاً بالثاني
وتلويحاً إلى الأول ، وحذر منها و من غيرها إلى أن ختم بأمره

الماكرين ، و بأن القرآن قيم لا عوج فيه^٤ ؛ ذكر أيضاً المخذلين و المغررين
على وجه أصرح من الأول مبينا ما كان عليهم فقال : ﴿ و اذا جاءهم ﴾
أى هؤلاء الزلازلين ﴿ امر من الامن ﴾ من غير / ثبت ﴿ از الخوف ﴾
كذلك ﴿ اذا عوا ﴾ أى أوقعوا الإذاعة لما يقدررون عليه من المفاصد

٤٩٨ /

﴿ به ^٥ ﴾ أى بسببه من غير علم منهم بصدقه من كذبه ، و حقه من
باطله ، و متفقه من مختلفه ، فيحصل الضرر البالغ لاهل الإسلام ، أفله
قلب الحقائق ؛ قال فى القاموس : أذاعه و به : أفشاه و نادى به فى الناس .
و ذلك كما قالوا فى أمر الأمن حين انهزم أهل الشرك بأحد ، فتركوا
المركز الذى وضعهم^٦ به رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و خالفوا

أمره و أمر أميرهم ، فكان سبب كرهة المشركين و هزيمة المؤمنين ، ١٥
و فى أمر الخوف حين صاح الشيطان : إن محمدا قد قتل ، فصدقوه و أذاعه
بعضهم لبعض ، و انهزموا و أرادوا الاستجارة بالكفار من أبى سفيان

(١) من مد و فى الأصل : نفسه ، و فى ظ : بنقصه (٢) سقط من ظ (٣) زيد
من ظ و مد (٤) فى ظ : ليحصل (٥) فى ظ : و صفهم (٦-٧) سقط ما بين
الرقمين من ظ .

وَأَبَى عَامِرٌ، وَكَذَا مَا أَشَاعُوهُ^١ عِنْدَ الْخُرُوجِ إِلَى^٢ بَدْرِ الْمَوْعِدِ مِنْ أَنْ
 أَبَا^٣ سَفِيَّانٍ قَدْ جَمَعَ لَهُمْ مَا لَا يَحْصِي كَثْرَةً، وَأَنَّهُمْ إِنْ لَقَوْهُ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ
 أَحَدٌ - إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْإِرْجَافِ إِلَى أَنْ صَارَتِ الْمَدِينَةُ تَقُورٌ بِالْشَرِّ
 فُورَانِ الْمَرْجُلِ، حَتَّى أَهْجَمُوا^٤ كُلَّهُمْ - أَوْ إِلَّا أَقْلَهُمْ - حَتَّى^٥ قَالَ النَّبِيُّ
 ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَاللَّهِ لَا أُخْرِجُنَّ وَلَوْ لَمْ يُخْرِجْ مَعِيَ أَحَدٌ ! فَاسْتَجَابُوا
 حِينَئِذٍ ، وَأَكْسَبَهُمْ هَذَا الْقَوْلُ شَجَاعَةً وَأَنَالَهُمْ طِمَآنِيْنَةً ، فَرَجَعُوا بِنِعْمَةٍ
 مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ كَمَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَرَسُولُهُ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ صَبَرُوا وَاتَّقَوْا ، فَكَذَبَ^٦ ظَنَّهُمْ وَصَدَّقَ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ ، وَفِي هَذَا إِرْشَادٌ إِلَى الْإِسْتِدْلَالِ عَلَى كَوْنِ الْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِهِ
 ١٠ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِمَا يَكْذِبُ مِنْ أَخْبَارِهِمْ هَذِهِ^٧ الَّتِي يُشِيعُونَهَا^٨ وَيَخْتَلِفُ ،
 وَأَنْ [مَا - ^٩] كَانَ مِنْ غَيْرِهِ تَعَالَى فَخْتَلَفَ - وَإِنْ تَحَرَّى فِيهِ مِثْلَهُ^{١٠} -
 وَإِنْ جَلَّ عَقْلُهُ وَتَنَاهَى نَبْلَهُ إِلَّا إِنْ اسْتَدَّ^{١١} عَقْلُهُ إِلَى مَا وَرَدَ عَنِ الْعَالَمِ
 بِالْعَوَاقِبِ ، الْمَحِيطُ بِالْكَوَاثِنِ عَلَى لِسَانِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
 وَالتَّحِيَّةُ وَالْإِكْرَامُ ، وَإِلَى أَنْ الْقِيَاسُ حُجَّةٌ ، وَأَنْ تَقْلِيدُ الْقَاصِرِ لِلْعَالَمِ
 ١٥ وَاجِبٌ ، وَأَنْ الْإِسْتِنْبَاطُ وَاجِبٌ عَلَى الْعُلَمَاءِ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) مِنْ مَدٍّ ، وَفِي الْأَصْلِ وَظ : شِيعَاوُهُ (٢-٣) تَكَرَّرَ مَا بَيْنَ الرَّقِيقَيْنِ فِي الْأَصْلِ
 بَعْدَ « أَحَدٍ إِلَى » (٣) مِنْ ظٍ وَمَدٍّ ، وَفِي الْأَصْلِ : أَحْبَبُوا - كَذَا (٤) فِي ظ :
 مِنْ (٥) مِنْ ظٍ وَمَدٍّ ، وَفِي الْأَصْلِ : فَكَذَّبُوا (٦) مِنْ مَدٍّ ، وَفِي الْأَصْلِ :
 هَذَا ، وَقَدْ سَقَطَ مِنْ ظ (٧) فِي ظ : تُشِيعُونَهَا (٨) زَيْدٌ مِنْ ظٍ وَمَدٍّ (٩) مِنْ
 ظٍ وَمَدٍّ ، وَفِي الْأَصْلِ : مَنِيَّهِ - كَذَا (١٠) فِي ظ : اسْتَدَّ .

رأس العلماء، و إلى ذلك يؤمى قوله تعالى: ﴿و لو ردوه﴾ أي ذلك الأمر الذى لا نص فيه من قبل أن يتكلموا به ﴿الى الرسول﴾ أى نفسه إن كان موجودا، وأخبره^١ إن كان مفقودا ﴿والى أولى الامر منهم﴾ أى المتأهلين لأن يأمرؤا وينهؤا من الأمرء بالفعل^٢ أو بالقوة من العلماء وغيرهم ﴿لعله﴾ أى ذلك الأمر على حقيقته وهل هو بماه بذاع أولا ﴿الذين يستنبطونه﴾ أى يستخرجونه بفظتهم وتجربتهم كما يستخرج الإنباط المياه ومنافع الأرض ﴿منهم﴾ أى من الرسول وأولى الأمر.

ولما كان التقدير: فلو لا فضل الله عليكم ورحمته بالرسول ووراث^٣ عليه^٤ لاستيجت بأشاعتهم^٥ هذه بيضة الدين واضمحلت أمور المسلمين؛ ١٠ عطف عليه قوله: ﴿ولو لا فضل الله عليكم﴾ أى أيها المتسمون بالإسلام بانزال الكتاب و تقويم العقول ﴿ورحمته﴾ بإرسال الرسول ﴿لا تبعتم الشيطان﴾ أى الطرود^٦ المحترق ﴿الاقليلاه﴾ أى منكم فانهم لا يتبعونه^٧ حفظا من الله سبحانه وتعالى بما وهبهم من صحيح العقل من غير واسطة رسول؛ وهذه الآية من المواضع المستعصبة^٨ على الأفهام ١٥ بدون توقيف على المراد بالفضل إلا عند من آناه الله سبحانه وتعالى علما بالمناسبات، وفيها ثاقبا بالمراد بالسياقات، وفطنة بالأحوال والمقامات

(١) فى ظ: اختاره (٢) فى ظ: با - كذا (٣) فى ظ: وارث (٤-٥) فى ظ: لاستيجت بأشاعتهم (٥) فى ظ: المظر - كذا (٦) زيد بعده فى الأصل: بهم، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) فى ظ و مد: المستعصبة.

تقرب من الكشف، وذلك ان من المقرر أنه لا بد من مخالفة^١ حكم
المستثنى^٢ لحكم المستثنى^٣ منه، وهو هنا من وجد عليهم الفضل والرحمة
فامتدوا، ومخالفة المستثنى لهم تكون بأحد أمور ثلاثة كل/منها^٤
فاسد، إما بأن يعدموا الفضل فيتبعوه^٥، ويلزم عليه أن يكون الضال
أقل من المهتدي، وهو خلاف المشاهد؛ أو^٦ بأن يعدموه^٧ فلا يتبعوه،
فيكونوا مهتدين من غير فضل؛ أو بأن يوجد عليهم الفضل فيتبعوه،
فيكونوا ضالين مع الفضل والرحمة اللذين كانا سببا في امتناع الضلال
عن المخاطبين. فيكونان تارة مانعين، وتارة غير مانعين، فلم يفيدا إذن
مع أنه أيضا يلزم عليه أن يكون الضال أقل من المهتدي؛ فإذا حل
١٠ الكلام على أن المراد بالفضل الإرسال وضح المعنى ويكون التقدير:
ولو لا إرسال الرسول لا تبعتم الشيطان إلا قليلا منكم،^٨ فانهم لا يتبعونه^٩
من غير إرشاد الرسول، بل بهداية من الله سبحانه وتعالى وفضل
بلا واسطة كقصة^{١٠} بن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل؛
والدليل^{١١} على هذا المقدر^{١٢} أن السياق لرد الأشياء كلها إلى الرسول
١٥ صلى الله عليه وسلم، والمنع من الاستقلال بشيء دونه.

ولما بين سبحانه وتعالى نفاقهم المقتضى لتقاعدكم عن الجهاد بأنفسهم

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: مخالفة - كذا (٢ - ٣) سقط ما بين الرقین
من ظ (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: منها (٤) في ظ: فيتبعونه (٥-٦) من
مد، وفي الأصل: بأن يعدموا، وفي ظ: فلا يعدموه (٦-٧) في ظ: فانكم
لا تتبعونه (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: كقصة (٨) سقط من ظ.

و تنشيطهم (٨٦) ٣٤٤

و تنشطهم لغيرهم ، كان ذلك سببا لأن يمضى صلى الله عليه وسلم لأمره سبحانه وتعالى ' من غير التفات إليهم وافقوا أو نافقوا ، فقال سبحانه وتعالى بعد الأمر بالنفر ثبات وجميعا ، و بيان أن منهم المبطىء ، مشيرا إلى أن الأمر باق وإن بطأ الكل : ﴿ فقاتل في سبيل الله ج ﴾ أى الذى له الأمر كله ولو كنت وحدك .

وما كان كأنه قيل : فما أفلع فيمن أرسلت إليهم إن لم يخرجوا ؟ قال - معلما بأنه ^٢ قد جعله ^٢ أشجع الناس و أعلمهم بالحروب و تديرها ، وهو مع تأييده بذلك قد تكفل بنصرته ولم يكله إلى أحد - : ﴿ لا تكلف الا نفسك ﴾ [أى ليس عليك - ^٢] إثم أتباعك لو تخلفوا عنك ، و قد أعاذهم الله سبحانه وتعالى من ذلك ، و لا ضرر عليك فى الدنيا أيضا ١٠ من تخليهم ، فان الله سبحانه وتعالى ناصرك وحده ^٤ ، و ليس النصر إلا بيده سبحانه وتعالى ، و ما ^٥ كان سبحانه وتعالى ليأمره بشئ إلا وهو كفوء له ، فهو ملئ بمقاتلة الكفار كلهم ^٦ وحده و إن كانوا أهل الأرض كلهم ، و لقد عزم فى غزوة بدر الموعد - التى قيل : إنها سبب نزول هذه الآية - على الخروج إلى الكفار و لو لم يخرج معه أحد ، و قد ١٥ اقتدى به صاحبه الصديق ^٦ رضى الله تعالى عنه فى قتال أهل الردة فقال للصحابة رضى الله تعالى عنهم : والله لو لم أجد إلا هاتين - يعنى ابنتيه :

(١) زيد بعده فى ظ : فقال (٢-٢) سقط ما بين الرقعين من ظ (٣) زيد من ظ و مد ، غير أن « أى » غير موجود فى ظ (٤) فى ظ : وحدك (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : لا (٦) سقط من ظ .

عائشة و أسماء رضى الله تعالى عنهما - لقاتلهم^١ بهما .

و لما كان ذلك قد يفتر عن الدعاء قال^٢: ﴿ و حرض المؤمنين ج ﴾
 أى مُرهم بالجهاد و انهم عن تركه و عن مواصلة كل من يبطهم عنه
 [و عظمهم -^٣] و اجتهد فى أمرهم حتى يكونوا مستعدين للنفر متى ندبوا
 ٥ حتى كأنهم لشدة استعدادهم حاضرون؛ فى الصف دائما . ثم استأنف
 الذكر لثمرة ذلك فقال: ﴿ عسى الله ﴾ أى الذى استجمع صفات الكمال
 ﴿ ان يكف ﴾ بما له من العظمة ﴿ باس الذين كفروا^٤ ﴾ أى عن أن
 يمنعوك من إظهار الدين بقتالك و قتال من تحرضه^٥ ، و لقد فعل سبحانه
 و تعالى ذلك ، فصدق وعده ، و نصر عبده ، و هزم الأحزاب وحده ،
 ١٠ حتى ظهر الدين ، و لا يزال ظاهرا حتى يكون آخر ذلك على يد عيسى
 عليه الصلاة و السلام .

و لما كان السامع ربما فهم أنه لا يتأتى [كنفهم -^٦] إلا بذلك ،
 قال ترغيا و ترهيبا و احتراسا : ﴿ و الله ﴾ أى الذى لا مثل له ﴿ اشد
 باسا ﴾ أى عذابا و شدة من المقاتلين و المقاتلين^٧ ﴿ و اشد تنكيلا ٨ ﴾
 ١٥ أى تعذيبا بأعظم العذاب ، ليكون ذلك مهلكا للعذب و مانعا لغيره عن
 مثل فعله ؛ قال الإمام أبو عبد الله القزاز : [يقال -^٩] : نكلته تنكيلا -
 إذا عملت به عملا يكون نكالا لغيره ، أى عبرة فيرجع عن المراد من
 (١) فى ظ : لقاتلهم (٢) - قط من ظ (٣) زيد من ظ (٤-٤) فى ظ : استعداده
 حاضرين (٥) - قط من مد (٦) فى ظ : محرضه - كذا غير منقوط (٧) زيد
 من ظ و مد (٨) فى ظ : المقابلين .

أجله ، وهو أن الناظر إليه و الذى يبلغه ذلك يخاف^١ أن يحل به مثله ،
أى فيكون له ذلك قيدا عن الإقدام ؛ والنكل - بالكسر : القيد .

و لما كان / ذلك موجبا للرجة فى طاعة النبى صلى الله عليه وسلم
لا سيما فى الجهاد ، و للرجة فىمن كان بصفة المؤمنين من الإقبال على الطاعة ،
و الإعراض عن كل من كان بصفة المنافقين ، و الإدامة لطردهم و إبعادهم^٥
و الغلظة^٢ عليهم ، و الحذر من مجالستهم حتى يتبين إخلاصهم ، و كان
بين كثير^٣ من خلص الصحابة رضى الله تعالى عنهم و بينهم قربات
توجب العطف المقتضى للشفقة عليهم ، الحاملة للشفاعة فيهم ، إما بالإذن
فى التخلف عن الجهاد لما يزخرفون القول^٤ من الأعذار الكاذبة ،
[أو - °] فى العفو عنهم عند العثر على نقائصهم ، أو فى إعانتهم أو إعانة^{١٠}
غيرهم بالمال و النفس فى أمر الجهاد عند ادعاء أن المانع له عنه العجز -
و فى غير ذلك ، و كانت التوبة معروضة^٥ لهم و لغيرهم ، و كان البر
ما سكن إليه^٦ القلب ، و الإثم ما حاك فى الصدر ، و الإنسان على نفسه
بصيرة ، و كانت^٧ البواطن لا يعلنها إلا الله سبحانه و تعالى ، و كان
الإنسان ربما أظهر^٨ سرا^٩ فى صورة^{١١} خير ؛ رغب سبحانه و تعالى فى البر ،^{١٥}
و حذر^{١٢} من الإثم بقوله - معمما مستأنفا فى جواب من كأنه قال :

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يخالف (٢) فى ظ : الغاظ (٣) فى ظ : بكثير .
(٤) سقط من ظ و مد (هـ) زيد من ظ و مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ :
عند (٧) فى ظ : مفروضة (٨ - ٩) سقط ما بين الرقيين من ظ (٩) سقط من
ظ (١٠) فى ظ : سرا (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : سورة (١٢) من ظ
و مد ، و فى الأصل : حذرا .

أما تقبل فيهم شفاعه - : (من يشفع) أى يوجد ويمجد^١، كاتنا من كان، فى أى وقت كان (شفاعة حسنة) أى يقيم بها عذر المسلم فى كل ما يجوز^٢ فى الدين ليوصل إليه خيرا، أو^٣ يدفع عنه ضيرا^٤ (يكن له نصيب منها) بأجر تسيه فى الخير (ومن يشفع) كاتنا من كان، فى أى زمان كان (شفاعة سيئة) أى بالذنب عن مجرم فى أمر لا يجوز، والتسبب فى إعلائه وجبر^٥ دانه؛ وعظم الشفاعه السيئه لأن دره^٦ المفسد أولى من جلب المصالح، فقال - معبرا بما يفهم النصيب ويفهم أكثر منه تغليظا فى الزجر^٧ - : (يكن له كفل منها^٨) وهذا بيان لأن الشفاعه فيهم سيئه إن تحقق إجرامهم، حسنة إن علت توبتهم ١٠ وإسلامهم.

ولما كان كل من تحريض المؤمنين على الجهاد و الشفاعه الحسنه من وادى «من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة» حسن^٩ اقترانها جدا، والنصيب قدر متميز^{١٠} من الشيء^{١١} يخص من هو له، وكذا الكفل إلا أن الاستعمال يدل على أنه أعظم من النصيب، ١٥ ويؤيده ما قالوا من أنه قد يراد به الضعف، فكأنه نصيب متكفل بما هو له

- (١) من ظ، وفي الأصل: يجد، وفي مد: تحدد - كذا (٢) في ظ: تجوز .
 (٣) في ظ «و» (٤) في ظ: ضير (٥) في ظ: حنو، وفي مسد: حر - كذا .
 (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: وزر - كذا (٧) في ظ: الرر - كذا .
 (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: حسنة (٩) في ظ: يميز (١٠) زيد بعده في ظ: من هو له .

من إسعاد وإبعاد؛ قال أهل اللغة: النصيب: الحظ، والكفل - بالكسر^١:
الضعف والنصيب والحظ، ومادة 'نصب'^٢ يدور على العلم المنسوب،
ويلزمه الرفع والوضع والتمييز^٣ والأصل والمرجع والتعب، فيلزمه
الوجع، ومن لوازمه أيضا الحد والغاية والجد^٤ والوقوف؛ ومادة
'كفل' تدور على الكفل - بالتحريك وهو العجز أو ردفه، ويلزمه ٥
الصحابة واللين والرفق والتأخر؛ وقال الإمام: الكفل هو النصيب
الذي عليه يعتمد الإنسان في تحصيل المصالح لنفسه ودفع المفاسد عن
نفسه، والمقصود هنا حصول ضد ذلك كقوله "فبشرهم بعذاب اليم"
والغرض منه التنبيه على أن الشفاعة المؤدية* إلى سقوط الحق وقوة
الباطل تكون عظمة العقاب^٦ عند الله سبحانه وتعالى - انتهى . وما غلط ١٠
هذا^٧ الزجر إلا للعلم بأن أكثر النفوس ميالة بأصحابها للشفاعة بالباطل .
ولما كان الاليق بالرغبة أن لا يقطع في موجبها [وإن عظم -^٨]
بالحقيقة^٩، ليكون^{١٠} ذلك زاجرا عن مقارنة^{١١} شيء منها وإن صغر؛ عبر
^{١٢} في الحسنة^{١٣} بالنصيب، و^{١٤} في السيئة بالكفل^{١٥}؛ ويؤيد إرادة هذا أنه

(١) في ظ: والكسر (٢) في ظ: نصيب (٣) من ظ ومد، وفي الأصل:
التمييز (٤) في الأصول: الحد، ومبنى التصحيح ما ورد في القاموس: نصبه
الهم: أتعبه، والرجل: جد (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: المودى (٦) من
ظ ومد، وفي الأصل: لعقاب (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: بهذا (٨) زيد
من ظ (٩) في ظ: بالفوز - كذا (١٠) في ظ: لئلا يكون (١١) من ظ ومد،
وفي الأصل: مقارنة (١٢-١٣) في ظ: بالحسنة (١٣) سقطت الواو من ظ .
(١٤) في الأصول: بالكفيل .

نظم الدرر (سورة النساء ٤: ٨٥ و ٨٦) ج - ٥

تعالى لما ذكر ما يوجب الجنة من الإيمان والتقوى ، وكان في سياق
الوعظ لأهل الكتاب الذين هم على شرع أصله حق بتشريع^١ رسول
من عند الله ، فتركهم لذلك بعيد يحتاج إلى زيادة ترغيب ، عبر بالكفل
فقال تعالى ” يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا / اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ
/ ٥٠١ ٥ من رحمته^٢ “ - إلى آخرها .

ولما كان النصيب مبهما^٣ بالنسبة [إلى علمنا لتفاوته بالنسبة -^٤]
إلى قصور الشافعين ، وإقدامهم على الشفاعة على علم أو جهل وغير ذلك
بما لا يمكن الإحاطة به إلا الله سبحانه وتعالى علما وقدره ، قال تعالى
مرغبا و^٥ مرهبا : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ ﴾ أى ذو الجلال والإكرام^٦ ﴿ عَلَى
١٠ كل شيء ﴾ من الشافعين وغيرهم وجزاء الشفاعة ﴿ مَقِيَّتًا ﴾ أى حفيظا
وشهيدا وقديرا على إعطاء ما يقوت من أخلاق النفوس وأحوال
القلوب وأرزاق الأبدان وجميع ما به القوام جزاء وابتداء من جميع
الجهات ، وعلى تقدير ما يستحق كل أحد^٧ من الجزاء على الشفاعة
وكل خير وشر .

١٥ ولما كان ذلك موجبا للاعراض عنهم^٨ رأسا ومناذتهم قولاً
وفعلاً ، بين سبحانه وتعالى أن التحية ليست من وادى الشفاعة ، وأن
الشفاعة تابعة للعلم ، والتحية تابعة للظاهر ، فقال سبحانه وتعالى عاطفاً

(١) في ظ : تشريع (٢) سورة ٥٧ آية ٢٨ (٣) في ظ : منها (٤) زيد ما بين
الحاجزين من ظ ومد ، غير أن « إلى » ليس في ظ (٥) سقطت الواو من ظ
ومد (٦) في مد : الجمال (٧) في ظ : واحد (٨) زيدت الواو بعده في ظ .

على

على ما تقديره : فلا تشفعوا فيهم وأنتم تعلمون سوء مقاصدهم ، فقال
معبرا بأداة التحقق بشارة لهم بأنهم يصيرون - بعد ما هم فيه الآن
من النكد - ملوكا ، وفي حكم الملوك ، يحبون و يشفع عندهم ،
و حثا على التواضع : (وإذا حييتم بتحية) أى [أى تحية كانت - ^١]
إذا كانت مشروعة ، وأصل التحية الملك ، واشتقاقها من الحياة ، فكأن ه
حياة الملك. هى الحياة ، و ما عداها عدم ^٢ ، ثم أطلقت على كل دعاء
يبدأ به عند اللقاء ؛ وقال الأصمهانى : لفظ التحية صار كناية عن الإكرام ،
فجميع أنواع الإكرام تدخل ^٣ تحت لفظ التحية (فحيوا باحسن منها)
كأن تزيدوا ^٤ عليها (أو ردوها ^٥) أى من غير زيادة ولا نقص ،
وذلك دال ^٦ على وجوب رد السلام - من الأمر ، و على الفور - من الفاء ^٧ ، ١٠
و الإجماع موافق لذلك ، و ترك الجواب إهانة ، و الإهانة ضرر ، و الضرر
حرام ؛ قال الأصمهانى : و المتبدئ يقول : السلام عليكم ، و المجيب
يقول ^٨ : و عليكم السلام ، ليكون الافتتاح و الاختتام بذكر الله سبحانه
و تعالى . و ما أحسن جعلها تالية لآية الجهاد إشارة إلى أن من بذل
السلام وجب الكف عنه و لو كان فى الحرب ، على أن من مقتضيات ١٥
هاتين الآيتين [أن مبنى هذه السورة على الندب إلى الإحسان و التعاطف

(١) زيد من ظ و مد ، غير أن « اى » ليس فى ظ (٢) من ظ و مد ، وفى
الأصل : عدمهم (٣) فى ظ : يدخل (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ : يزيدوا .
(٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : الالف - كذا (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل :
بقوله .

و التواصل، و سبب ذلك إما المال وقد تقدم الأمر به في قوله تعالى
 "وإذا حضر القسمة" - الآية، وإما غيره و من أعظمه القول، لأنه
 ترجمان القلب الذي به العطف، و من أعظم ذلك الشفاعة و التحيّة، قال
 عليه الصلاة و السلام فيما أخرجه مسلم و الأربعة عن أبي هريرة رضى الله
 عنه ٥ و الذى نفسى يده ١٢ لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، و لا تؤمنوا
 حتى تحابوا، أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم.
 فاسب ذكر هاتين الآيتين - ٢ [بعد ذكر آية الجهاد المختمة بالبأس
 و التنكيل .

و لما كانت الشفاعة أعظمها فى الإحسان قدمت و لا سيما
 ١٠ و موجهها الإعراض، و مقصد السورة التواصل، فشأنها أم و النظر
 إليها أكد، ثم رغب فى الإحسان فى الرد، و رهب من تركه بقوله
 معللاً: ﴿ان الله﴾ أى الذى [له - ٢] الإحاطة علماً و قدرة ﴿كان﴾
 أى أزلاً و أبداً ﴿على كل شىء حسياء﴾ أى محصياً لجميع المتعددات
 دقيقها و جليلها، كافياً لها فى أقواتها و موباتها، محاسباً بها، مجازياً عليها،
 ١٥ و ذلك كله شأن المقيت؛ ثم علل ذلك بقوله دالاً على تلازم التوحيد
 و العدل: ﴿الله﴾ أى الذى لا مثل له ﴿لا اله الا هو﴾ أى و قد
 أمركم بالعدل فى الشفاعة و السلام، فان لم تفعلوه ٦ - لما لكم من النقائص

(١) فى ظ: لان (٢) من مد و مسند الإمام أحمد ١/١٦٧، و فى ظ: به (٣) زيد
 ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) فى مد: كايثا (٦) من ظ
 و مد، و فى الأصل: لم يفعلوه .

التي منها عدم الوجدانية - فهو فاعله ولا بد ، فاحذروه لأنه واحد ،
فلا معارض له في شيء من الحساب ولا غيره ، ولا يخفى عليه شيء ،
فالحكم على البواطن إنما هو له تعالى ، و أما أنتم فلم تكلفوا إلا بالظاهر .
ولما تبين أنه لا معارض له أنتج قوله مبيناً ' لوقت الحساب الأعظم :
(ليجمعنكم) و أكدته باللام و النون دلالة على تقدير القسم لإنكار
المنكرين له ، و لما كان التدرج بالإماتة شيئاً فشيئاً ، عبر بحرف الغاية
فقال : (الى يوم القيمة) و الهاء للبالغة ، ثم أكدته بقوله : (لا ريب
فيه) أى يفصل بينكم و بين من أخبركم بهم من المنافقين و نقد أحوالهم
و بين محالهم ، فيجازى كلا بما يستحق .

و لما كان التقدير : فمن أعظم من الله قدرة ! عطف عليه قوله : ١٠
(ومن اصدق من الله) أى الذى له الكمال كله فلا شوب^٢ نقص^٢
بالحقه (حديثاً) و هو قد وعد بذلك لأنه عين الحكمة ، و أقسم
/ عليه ، فلا بد من وقوعه ، و إذ قد تحرر بما مضى أن المنافقين كفره ،
لا لبس فى أمرهم ، و كشف سبحانه و تعالى الحكم فى باطن أمرهم
بالشفاعة و ظاهره بالتحية ، و حذر من خالف ذلك بما أوجبه على نفسه ١٥
حكمته من الجمع ليوم الفصل للحكم بالعدل ، و ختم بأن الخبر عنهم و عن
جميع ذلك صدق ؛ كان ذلك سبباً^٣ لجزم القول بشقاوتهم و الإعراض

(١) زيد بعده فى الأصول : و الهاء للبالغة ، و ستأتى الزيادة بعد قوله تعالى " الى
يوم القيامة " و هو محلها فحذفناها من ههنا (٢) فى ظ : سوب - كذا (٣) سقط
من ظ (٤) زيد بعده فى ظ : لا يدانيه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : سبب .

عنهم و البعد عن الشفاعة فيهم ، و الإجماع على ذلك من كل مؤمن
و إن كان مبنى السورة على التواصل ، لأن ذلك إنما هو حيث لا يؤدي
إلى مقاطعة أمر الله ، فقال تعالى مبكتا لمن توقف عن الجزم بإبعادهم :
(فألكم) [أيها المؤمنون - ١] (في المشفقين) أي [أي - ٢] شيء
لکم من أمور الدنيا أو^٣ الآخرة في افتراقكم فيهم (فتين) بعضهم
يشتم عليهم و بعضهم يرفق بهم .

و لما كان هذا ظاهرا في بروز الأمر المطاع بيت^٤ القول بكفرهم
وضحه بقوله : (و الله) أي و الحال أن الملك الذي لا أمر لاحد
معه (اركسهم) أي ردهم منكوسين مقلوبين (بما كسبوا^٥) أي بعد
١٠ إقرارهم بالإيمان من مثل هذه العظام ، فاحذروا ذلك و لا تختلفوا في
أمرهم بعد هذا البيان ؛ و في غزوة أحد و التفسير من البخاري عن زيد
ابن ثابت رضي الله تعالى عنه قال : لما خرج النبي صلى الله عليه و سلم
إلى أحد رجع ناس من خرج^٦ معه ، و كان أصحاب النبي صلى الله عليه
و سلم [فرقتين - ٧] : فرقة تقول : نقاتلهم^٨ ، و فرقة تقول : لا نقاتلهم ،
١٥ فزلت : "فألكم في المشفقين" - الآية ، و قال : إنها طيبة تنفي^٩ الذنوب
- و في رواية : الحديث - كما تنفي النار خبث الفضة - انتهى . فالمعنى حيثئذ :
اتفقوا على أن تسيروا^{١٠} فيهم بما ينزل عليكم في هذه الآيات .

(١) زيد من ظ (٢) زيد من مد (٣) في ظ « و » (٤) في ظ : ثبت (٥) في ظ :
اوضحه (٦) سقط من ظ (٧) زيد من صحيح البخاري - باب غزوة أحد (٨) من
ظ و مد و الصحيح ، و في الأصل : يقاتلهم (٩) في ظ : تنفي (١٠) من مد ، و في
الأصل : تصبروا ، و في ظ : يسبروا .

ولما كان^١ حال من يرفق بهم حال من يريد هدايتهم، أنكر سبحانه وتعالى ذلك عليهم صريحا لبت الأمر في كفرهم فقال:
 ﴿اتريدون﴾ أى أيها المؤمنون ﴿ان تهودوا^٢﴾ أى توجدوا الهداية
 فى قلب ﴿من اضل الله^٣﴾ أى وهو الملك الأعظم الذى لا يرد له
 أمر، وهو معنى قوله: ﴿ومن﴾ أى والحال أنه من^٤ ﴿يضلل الله﴾ ٥
 أى بجماع أسمائه وصفاته ﴿فلن تجد﴾ أى أصلا أيها المخاطب كائنا
 من كان ﴿له سيلا^٥﴾ أى إلى ما أضله عنه أصلا، والمعنى: إن
 كان رفقكم^٦ بهم رجاء هدايتهم فذلك أمر ليس إلا الله^٧، وإنما عليكم
 أنتم الدعاء، فمن أجاب صار أهلا للواصله، ومن أبى صارت مقاطعته
 دينا، وقتله^٨ قربه، والإغلاظ عليه واجبا.

١٠

ولما أخبر بضلالهم ونباتهم عليه، أعلم باعراقهم فيه فقال:
 ﴿ودوا﴾ أى أحبوا وتمنوا تمنا واسعا ﴿لو تكفرون﴾ أى توجدون
 الكفر وتجددونه وتستمررون عليه دائما ﴿كافروا﴾ ولما لم يكن
 بين ودم لكفرهم وكونهم مساوين لهم تلازم، عطف [على -^٩]
 الفعل المودود^{١٠} - ولم يسبب - قوله: ﴿فكونون﴾ أى [و -^{١١}] ودوا ١٥

(١) سقط من ظ (٢) من القرآن المجيد، وفي الأصول: تهتدوا (٣) من
 ظ ومد، وفي الأصل: رفقكم - كذا (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: الله .
 (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: تلتته (٦) زيد من ظ ومد (٧) من
 ظ ومد، وفي الأصل: المودود - كذا .

أن^١ يتسبب عن ذلك ويتعقبه أن تكونوا أنتم وهم (سواء) أي في الضلال، أي توجدون الكفر وتجددونه وتستمررون عليه دائماً، فأنتم ترجون في زمان الرفق بهم^٢ هدايتهم^٣ وهم يودون فيه كفركم^٤ وضلالكم، فقد تباعدتم في المذاهب وتبايتم في المقاصد.

٥ ولما أخبر بهذه^٥ الودادة، سبب عنه أمرهم بالبراءة منهم حتى يصلحوا، بيانا لأن قولهم في الإيمان لا يقبل ما لم يصدقوه بفعل فقال: (فلا تتخذوا) أي^٦ أيها المؤمنون^٧ (منهم أولياء) أي أقرباء منكم (حتى يهاجروا^٨) أي يوقعوا^٩ المهاجرة (في سبيل الله^{١٠}) أي يهجروا^{١١} من خالفهم في ذات من لا شبه^{١٢} له، ويتسيبوا في هجرانه لهم إن كانوا في دار الحرب فبتركها، وإن كانوا عندهم فترك مادة الكفرة والموافقة^{١٣} لهم في أقوالهم وأفعالهم وإن كانوا أقرب أقربائهم، وهجرتهم في جميع ذلك بمواصلتكم^{١٤} في جميع أقوالكم وأفعالكم؛ والهجرة العامة هي^{١٥} "ترك ما نهى الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عنه".

/ ٥٠٣

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: انه (٢) في ظ: فهم (٣) من مد، وفي الأصل وظ: كفرهم (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: عن هذه (٥-٥) من ظ ومد، ووقع في الأصل: يهجروا من - كذا مصحفاً (٦) في ظ: تهاجروا (٧) في ظ: توقعوا (٨) في ظ: تهجروا (٩) من مد، وفي الأصل وظ: يشبه (١٠) من ظ ومد، وفي الأصل: المادة (١١) من ظ ومد، وفي الأصل: بواصلتهم - (١٢) من مد، وفي الأصل وظ: في.

و لما نهى عن موالاتهم و [غي - ١] النهى بالهجرة ، سبب عنه قوله : ﴿ فان تولوا ﴾ أى عن الهجرة المذكورة ﴿ نخذوهم ﴾ أى اقهرهم بالأسر وغيره ﴿ واقتلوهم حيث وجدتموهم ﴾ أى فى حل أو حرم . و لما كانوا فى هذه الحالة لا يوالون المؤمنين إلا تكلفا قال : ﴿ ولا تنخذوا ﴾ أى تتكلفوا أن تأخذوا ﴿ منهم وليا ﴾ أى من تفعلون^٥ معه فعل المقارب المصافى ﴿ ولا نصيرا ﴾ أى [على - ١] أحد من أعدائكم^٦ ، بل جانبهم بجانبه كلية .

و لما كان سبحانه و تعالى قد أمر فيهم على تقدير توليهم بما أمر ، استثنى منه فقال : ﴿ الا الذين يصلون ﴾ فرارا منكم ، و هم من الكفار عند الجمهور ﴿ الى قوم بينكم و بينهم ميثاق ﴾ أى عهد و ثيق بأن ١٠ لا تقاتلوهم و لا تقاتلوا من لجأ^١ إليهم أو دخل فيما دخلوا فيه ، فكفوا حيثذ عن أخذهم و قتلهم ﴿ او ﴾ الذين ﴿ جاءوكم ﴾ حال كونهم^٢ ﴿ حصرت ﴾ أى ضاقت و هابت و اجمعت^٣ ﴿ صدورهم ان^٤ ﴾ أى عن أن ﴿ يقاتلوكم ﴾ أى لأجل دينهم و قومهم ﴿ او يقاتلوا قومهم^٥ ﴾ أى لأجلهم فرارا أن^٦ يكفوا عن قتالكم و قتال قومهم فلا تأخذوهم ١٥ و لا تقاتلوهم ، لأنهم كالمسلمين^٧ بترك القتال ، و لعله عبر بالماضى فى 'جاء'

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : يفعلون (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : اعدائهم (٤) فى ظ : الجأ (٥) فى الأصل : كونها ، و فى ظ و مد : كونكم - كذا . (٦) فى الأصل : اجمعت ، و فى ظ و مد : اجمعت - كذا (٧) سقط من ظ . (٨) من ظ ، و فى الأصل : او ، و فى مد : اى (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ :

إشارة إلى أن شرط مساواتهم للواصلين إلى المعاهدين عدم التكرار،
فإن 'تكرر ذلك منهم فهم الآخرون الآتى حكمهم'.

٢ ولما كان 'التقدير: فلو شاء الله لجعلهم مع قومهم إلبا' واحدا
[عليكم - ٤] ، عطف عليه قوله: ﴿ولو﴾ أى 'يكون المعنى: والحال
٥ أنه لو ﴿شاء الله﴾ أى وهو المتصف بكل كمال ﴿لساطهم﴾ أى
هؤلاء الواصلين و الجائين^٦ على تلك^٧ الحال من الكفار ﴿عليكم﴾
بنوع من أنواع التسليط، تسليطا جاريا على الأسباب و مقتضى العوائد،
لأن بهم^٨ قوة على قتالكم ﴿فلنقتلوكم﴾ أى قسب عن هذا التسليط
أنهم قاتلوكم منفردين أو مع^٩ غيرهم من أعدائكم، واللام فيه جواب
١٠ 'لو' على التكرير، أو البديل من 'سلط'.

ولما كان المعنى على النهى عن قتالهم "حيثذ، صرح به فى قوله:
﴿فإن اعتزلوكم﴾ أى هؤلاء الذين أمرتكم بالكف عنهم من المنافقين،
فكفوا عنكم ﴿فلم يقتلوكم﴾ منفردين ولا مجتمعين مع غيرهم
﴿والقوا اليكم السلم لا﴾ أى الانقياد ﴿فما جعل الله﴾ أى الذى

(١) فى ظ: فانه (٢-٢) من ظ و مد، وفى الأصل: ولو كانوا ان - كذا.
(٣) الإلب: القوم تجمعهم عداوة واحد، يقال: هم على إلب واحد (٤) زبيد
من مد (٥) فى ظ: او، وزيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى
ظ و مد فذفناها (٦) فى ظ: الخامس - كذا (٧) من ظ و مد، وفى الأصل:
ذلك (٨) فى ظ: لهم (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: مع - كذا (١٠) فى
ظ: سلطوا (١١) من ظ و مد، وفى الأصل: قتالكم.

[لا - ١] أمر لأحد معه بجهة من الجهات ﴿ لكم عليهم سيلا ٥ ﴾ أى إلى شىء من أخذهم ولا قتلهم .

ولما كان كأنه قيل : هل بقى من أقسام المنافقين شىء ؟ قيل : نعم ! ﴿ ستجدون ﴾ أى عن قرب بوعده لا شك فيه ﴿ الآخرين ﴾ أى من المنافقين ﴿ يريدون ان يامنوكم ﴾ أى فلا يحصل لكم منهم ضرر ٥ ﴿ و يامنوا قومهم ١ ﴾ كذلك ٢ ، لضعفهم عن كل منكم ، فهم يظهرون لكم الإيمان إذا لقوكم ، ولهم الكفر إذا لقوكم ، وهو معنى ﴿ كلما ردوا الى الفتنة ﴾ أى الابتلاء ٣ بالخوف عند المخالطة ﴿ اركسوا ﴾ أى قلبوا منكوسين ﴿ فيها ج ٥ ﴾

ولما كان هؤلاء أعرق ٤ فى النفاق و أردى و أدنى من الذين قبلهم ١٠ و أعدى ، صرح بمفهوم ما صرح به فى أولئك ، لأنه أغلظ و هم أجدر ٥ من الأولين بالإغلاظ ، و طوى ما صرح به ، ثم قال ٦ : ﴿ فان لم يعتزلوكم ﴾ و لما كان الاعتزال خضوعا لا كبرا ، صرح به فى قوله : ﴿ و يلقوا اليكم السلم ﴾ [أى - ١] الاتقياء ٥ و لما كان الإلقاء ٧ لا بد له من قرآن يعرف بها قال : ﴿ و يكفوا أيديهم ﴾ أى عن قتالكم ١٥ و إذاكم ﴿ نخذوكم ﴾ أى اقهرهم بكل نوع من أنواع القهر تقدرهم عليه ﴿ و اقلوهم ﴾ .

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : لذلك (٣) فى ظ : بالابتلاء (٤) فى ظ : اعرف (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : احذر (٦-٦) فى ظ : يقال (٧) سقط من ظ .

ولما كان تفاههم - كما تقدم - في غاية الرداءة، و أخلاقهم في نهاية
الدناءة، أشار^١ إلى الوعد بتيسير التمكين^٢ منهم فقال: ﴿ حيث ثقفتهم ﴾
فان معناه: صادفتهم و أدركتهم و أنتم ظافرون بهم، / حاذقون في
قتالهم، فطنون^٣ به، خفيفون فيه، فان الثقف: الحاذق الخفيف الفطن،
و لذلك؛ أشار إليهم بأداة البعد فقال: ﴿ و أولئك ﴾ أى البعداء عن
منال^٤ الرحمة من النصر و النجاة و كل خير ﴿ جعلنا ﴾ أى بعظمتنا
﴿ لكم عليهم سلطانا ﴾ أى تسلطا ﴿ ميناها ﴾ أى ظاهرا قوته و تسلطه .
و هذه الآيات منسوخة بآية براءة، فانها متأخرة النزول فانها
بعد تبوك .

١٠ و لما بين أقسامهم بيانا ظهر منه أن أحوالهم ملبسة، و أمر بقتالهم
مع الاجتهاد في تعرف^٥ أحوالهم، و ختم بالتسلط عليهم، و كان ربما
قتل^٦ من لا يستحق القتل بسبب الإلباس؛ أتبع ذلك بقوله المراد
به التحريم^٧، مخرجا له في صورة النفي المؤكد بالكون لتغليظ الزجر
عنه لما للنفوس عند الحظوظ من الدواعي إلى القتل: ﴿ و ما كان لمؤمن ﴾
١٥ أى يحرم عليه ﴿ ان يقتل مؤمنا ﴾ أى في حال من الحالات ﴿ الا خطأ ﴾
أى في حالة الخطأ بأن لا يقصد^٨ القتل، أو لا يقصد الشخص، أو يقصده

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: اشارة (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: التمكن.
(٣) من مد، وفي الأصل و ظ: فطنون - كذا (٤) في ظ: كذلك (٥) من
مد، وفي الأصل: و ظ: مثال (٦) في ظ: تفرق (٧) في ظ: قيل (٨-٨) من
مد، وفي الأصل و ظ: بالتحريم (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: لا تقصد .

بما لا يقصد به زهوق الروح، أو^١ لا يقصد ما هو ممنوع منه كمن يرى إلى صف الكفار و فيهم مسلم، أو بأن يكون غير مكلف، فإن القتل على هذا الوجه ليس بحرام، وهذا الذى ذكره فى أقسام المناقنين إشارة إلى أنه ينبغى التثبت^٢ والتحرى فى جميع أمر القتل متى احتمل أن يكون القاتل مؤمناً احتمالاً لا تقضى العادة بقربه، فلزم من ذلك بيان حكم^٥ الخطأ، ولام الاختصاص قد تطلق على ما لا مانع منه^٣ فانما^٤ هى لك أو لأخيك أو للذئب، وكأنه عبر به ليفيد بإيجاب الكفارة والدية غاية الزجر عن قتل المؤمن، لأنه إذا كان هذا جزءاً ما هو له فما الظن بما ليس له^١ فقال تعالى: ﴿ومن قتل مؤمناً﴾ صغيراً كان أو كبيراً، ذكرنا كان أو أنثى، ولعله عبر سبحانه وتعالى بالوصف تنبيهاً على ١٠ [أنه -^٤] إن لم يكن كذلك^٥ فى نفس الأمر^٦ لم يكن عليه شيء فى نفس الأمر^٦ وإن ألزم به فى الظاهر ﴿خطأ﴾ .

ولما كان الخطأ مرفوعاً عن هذه الأمة، فكان لذلك^٧ يظن أنه لا شيء على المخطئ؛ بين أن الأمر^٦ فى القتل ليس كذلك حفظاً^١ للنفس، لأن الأمر فيها خطر جداً، فقال - مغلظاً عليه حثاً على زيادة ١٥ النظر والتحرى عند فعل ما قد يَقْتُلُ - : ﴿تحرير﴾ أى فالواجب عليه تحرير ﴿رقبة﴾ أى نفس، عبر بها عنها لأنها لا تعيش بدونها

(١) من مد، وفى الأصل و ظ «و» (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: التثبت - كذا (٣) فى ظ: فانسا - كذا (٤) زيد من ظ و مد (ه) فى ظ: لذلك . (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) فى ظ: كذلك .

كاملة الرق ﴿ مؤمنة ﴾ و لو بيع^١ الدار أو البساتين^٢، سليمة عما يخل بالعمل، و قدم التحرير هنا حثا على رتق ما خرق من حجاب العبد، و إيجاب ذلك في الخطأ إيجاب له في العمد بطريق الأولى^٣، و كأنه لم يذكره في العمد لأنه تخفيف في الجملة و السياق للتغليظ ﴿ ودية مسلمة ﴾
 ٥ أي مؤداة ييسر و سهولة ﴿ إلى أهله ﴾ أي ورثته، يقتسمونها كما يقسم الميراث ﴿ إلا ان يصدقوا^٤ ﴾ أي يجب ذلك عليه في كل حال إلا في حال تصدقهم بالغفو عن القاتل بآرائه من الدية، فلا شيء عليه حيثئذ، و عبر بالصدقة ترغيا ﴿ فان كان ﴾ أي المقتول ﴿ من قوم ﴾ أي فيهم منعة^٥ ﴿ عدو لكم ﴾ أي محاربين ﴿ وهو ﴾ أي و الحال أنه ﴿ مؤمن ١٠ فتحرير ﴾ أي فالواجب على القاتل تحرير ﴿ رقة مؤمنة^٦ ﴾ و كأنه عبر بذلك إشارة إلى التحرى في جودة إسلامها، و قد أسقط هذا حرمة نفسه بغير الكفارة بسكنائه في دار الحرب التي هي دار الإباحة أو وقوعه في صفهم، و لعدو^٦ في عدادهم، قال: "من" و معناه^٧ - كما قال^٨ الشافعي و غيره تبعا لابن عباس رضى الله تعالى عنهما -: "في" و ان ١٥ كان ﴿ أي^٩ المقتول ﴾ من قوم ﴿ أي كفرة أيضا عدو لكم ﴾ بينكم و بينهم ميثاق ﴿ و هو كافر مثلهم ﴾ فدية ﴿ أي فالواجب فيه كالواجب
 (١) من مد، و في الأصل و ظ: تبيع (٢) من ظ، و في الأصل: السابي - كذا، و لا يتضح في مد (٣) في ظ: الاول (٤) زيدت الواو بعده في ظ. (٥) من مد، و في الأصل و ظ: منعه (٦) من مد، و في الأصل و ظ: لعدة. (٧) في ظ و مد: معناها (٨) في ظ: قاله (٩) سقط من ظ.

٥٠٥ / | في المؤمن المذكور قبله دية (مسلمة آ١ اهل) على حسب دينه، إن كان كتابيا فلك دية المسلم، وإن كان مجوسيا فثلثا عشرها^١ (وتحرير رقبة مؤمنة ج) و كأنه قدم الدية هنا إشارة إلى^٢ المبادرة بها حفظا للعهد، ولتأكيد أمر التحرير بكونه ختاماً كما كان افتتاحاً حثاً^٣ على الوفاء به، لأنه أمانة^٤ لا طالب له^٥ إلا الله؛ وقال الأصمهاني: إن سر ذلك ه أن يجابه^٦ في المؤمن أولى من الدية، وبالعكس وهنا - انتهى . وكان سره^٧ النظر إلى خير الدين^٨ في المؤمن،^٩ وإلى^{١٠} حفظ العهد في الكافر (فن لم يجد) أي الرقبة ولا^{١١} ما يتوصل به إليها (فصيام) أي فالواجب عليه صيام (شهرين متتابعين ز) حتى لو أفطر يوماً [واحداً-^{١٢}] بغير حيض أو^{١٣} نفاس وجب الاستئناف، و علل ذلك بقوله عادة ١٠ للخطأ - بعد التعبير عنه باللام^{١٤} المقتضية أنه مباح - ذنباً^{١٥} تغليظاً للحث على مزيد الاحتياط: (توبة) أي أوجب ذلك عليكم لأجل قبول التوبة (من الله^{١٦}) أي الملك الأعظم الذي كل شيء في قبضته .

و لما كان الكفارات من المشقة على النفس بمكان، رغب فيها^{١٧}

سبحانه و تعالى بختم الآية بقوله: (وكان الله) أي المحيط بصفات الكمال ١٥

- (١) في مد: عشرة (٢) زيد في ظ: ان (٣) سقط من ظ (٤-٤) في ظ: لا يطالب به (٥) في ظ: اعماه - كذا (٦) في ظ: سيرة - كذا (٧) من مد، وفي الأصل و ظ: الدنيا (٨-٨) في ظ: أولى (٩) زيد من ظ و مد (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل «و» (١١) أي في قوله «وما كان لمؤمن» (١٢) في ظ و مد: ديناً (١٣) من ظ و مد، وفي الأصل: فيه .

(عليما) أى بما يصلحكم فى الدنيا والآخرة، وبما يقع خطأ فى نفس الأمر أو عمدا، فلا يغتر أحد بنصب الأحكام بحسب الظاهر (حكيماء) فى^١ نصبه^٢ الزواجر بالكفارات وغيرها، فالزموا أوامرهم وابتعدوا زواجرهم لتفوزوا بالعلم والحكمة .

٥ ولما ساق تعالى^٣ الخطأ^٤ مساق ما هو للفاعل منفرا عنه هذا التفسير، ناسب كل المناسبة أن يذكر ما ليس له من ذلك، إذ^٥ كان ضبط النفس بعد إرسالها شديدا، فربما سهلت قتل من تحقق إسلامه إحنة، وجرت إليه^٦ ضغينة وقوت^٧ الشبه فيه شدة شكينة^٨، ولعمري إن الحمل على الكف بعد الإرسال أصعب من الحمل على الإقدام^٩ وإنما يعرف ذلك من جرب النفوس حال الإشراف على^{١٠} الظفر والالذادة بالانتقام مع القوى والقدرة فقال: ((ومن يقتل مؤمنا)) ولعله أشار بصيغة المضارع إلى دوام العزم على ذلك لأجل الإيمان، وهو لا يكون إلا كفرا، وترك الكلام محتملا زيادة تنفير من قتل المسلم (متعمدا) أى وأما الخطأ فقد تقدم حكمه فى المؤمن وغيره (فجزأوه) أى على ذلك ((جهنم)) أى^{١١} تتلقاه بحالة كراهة جدا كما تجهم^{١٢} المقتول

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: الى (٢) من مد، وفى الأصل: بصعبة، ولا يتضح فى ظ (٣) زيد فى ظ: الى (٤) زيد فى ظ: ما هو (٥) فى ظ: اذا. (٦-٧) فى ظ: ضيعته وقويت - كذا (٧) فى ظ: سليمة (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: من (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: لكن (١٠) جهمه وجهمه وتجهمه وتجهّم له: استقبله بوجه عبوس كرهه .

('خلد' فيها) أى ما كثر إلى ما لا آخر له (و غضب الله) أى الملك
 الأعلى الذى لا كفوء له مع ذلك (عليه و لعنه) أى و أبعد من رحمته
 (و اعد له عذابا عظيما) أى لا تبلغ معرفته عقولكم، و إن عمم القول
 فى هذه الآية كان الذى خصها ما قبلها^٢ و ما بعدها من قوله تعالى
 " و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء"^٣، لا؛ آية الفرقان^٤ فانها مكية^٥
 و هذه مدنية .

^٦ و لما تبين^٦ بهذا المنع الشديد من قتل العمد، و ما فى قتل الخطأ
 من المواقعة الموجبة للتثبت، و كان الأمر قد برز^٧ بالقتال و القتل فى
 الجهاد مؤكدا بأنواع التأكيد، و كان ربما التبس الحال؛ أتبع ذلك
 التصريح بالأمر بالتثبت جوابا لمن كأنه قال: ماذا تفعل بين أمرى^{١٠}
 الإقدام و الإحجام؟ فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) مشيرا بأداة البعد
 و التعبير بالماضى الذى هو لادنى الأسنان إلى أن الراغبين غير محتاجين
 إلى مزيد التأكيد فى التأديب، و ما أحسن التفاته إلى قوله تعالى " و حرض
 المؤمنين " / إشارة منه تعالى إلى أنهم يتأثرون^٨ من تحريضه صلى الله

٥٠٦ /

(١) من ظ و مد و اقترآن المجيد، و فى الأصل: خالدين (٢) من ظ و مد،
 و فى الأصل: خصهما (٣) سورة ٤ آية ٤٨ و ١١٦ (٤) فى الأصول: الا-
 كذا (٥) أى قوله تعالى " و لا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق و لا يزنون
 و من يفعل ذلك يلق أثاما * ينضعف له العذاب يوم القيامة و يخلف فيه مهانا *
 الا من تاب " - الآيات ٦٨ - ٧٠ (٦-٧) من مد، و فى الأصل: وكانت من، و قد
 سقط من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: يراد، و فى مد: يذب - كذا .
 (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: يتألون - كذا .

عليه وسلم وبنقادون لأمره، بما دلت عليه كلمة "إذا" في قوله تعالى:
 ﴿ إذا ضربتم ﴾ أى سافرتهم و سرتهم في الأرض ﴿ في سبيل الله ﴾ أى
 الذى له الكمال كله ، لأجل وجهه خالصا ﴿ قتيبوا ﴾ أى اطلبوا^٢ بالتأني
 و التثبت^٣ بيان الأمور و الثبات في تلبسها^٤ و التوقف الشديد عند
 ٥. منالها^٥، وذلك بتميز بعضها من بعض و انكشاف لبسها غاية الانكشاف؛
 و لا تقدموا إلا على ما بان لكم ﴿ ولا تقولوا ﴾ قولاً فضلاً عما هو
 أعلى^٦ منه ﴿ لمن الغنى ﴾ أى كائناً من كان ﴿ اليكم السلم ﴾ أى بادر
 بأن حياتكم بتحية الإسلام ملقياً قياده^٧ ﴿ لست مؤمناء ﴾ أى بل
 متعوذ^٨ - لتقتلوه .

١٠. ولما كان اتباع الشهوات عند العرب في غاية الذم قال موجهاً
 منفراً عن مثل هذا في موضع الحال من فاعل "تقولوا": ﴿ تبتغون ﴾
 أى حال كونكم تطلبون طلباً حثيثاً^٩ بقتله ﴿ عرض الحيوة الدنيا ﴾
 أى بأخذ ما معه من الحطام الفاني و العرض الزائل ، أو بادراك ثار
 كان لكم قبله^{١٠}؛ روى البخارى^{١١} في التفسير^{١٢} و مسلم في آخر كتابه عن
 ١٥ ابن عباس رضى الله تعالى عنهما "ولا تقولوا لمن اتى اليكم السلم" قال:

(١) زيدت الواو بعده في الأصل و ظ ، ولم تكن في مد و القرآن المجيد فخذناها .
 (٢-٢) من مد ، وفي الأصل : بالنافي و انقلبت ، وفي ظ : ثانياً لثاني و التثنية
 - كذا (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : نفسها (٤) من مد ، وفي الأصل :
 مسالماً ، وفي ظ : مزالها - كذا (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : اذ على (٦) من
 مد ، وفي الأصل : قاده ، وفي ظ : قاده - كذا (٧) في ظ : متوعد (٨) من
 ظ و مد ، وفي الأصل : خبيثاً (٩) في ظ : قبلهم (١٠-١٠) سقط ما بين الرقين
 من ظ .

كان رجل ' في غيمة له '، فلاحقه المسلمون فقال: الإسلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمة، فأنزل الله سبحانه وتعالى [في - ٢] ذلك - إلى قوله "عرض الحياة الدنيا" . ورواه الحارث بن أبي أسامة عن سعيد بن جبير وزاد: "كذلك كنتم من قبل" تخفون إيمانكم وأنتم مع المشركين، "فمن الله عليكم" وأظهر الإسلام "قتينوا" ثم علل ٥ النهي عن هذه الحالة بقوله: (فعد الله) أى الذى له الجلال والإكرام (مغام كثيرة) أى يغنيكم بها عما تطلبون من العرض مع طيها؛ ثم علل النهي من أصله بقوله: (كذلك) أى مثل هذا الذى قتلتموه بجعلكم إياه بعيدا عن الإسلام (كنتم) [و بعض زمان القتل - كما هو الواقع - بقوله - ٤]: (من قبل) أى [قبل ما نظمتم ١٠ بكلمة الإسلام - ٨] (فمن الله) أى الذى له جميع صفات الكمال (عليكم) أى بأن ألقى في قلوب المؤمنين قبول ما أظهرتم أمثالا لأمره سبحانه وتعالى بذلك، ففوى أمر الإيمان: ' في قلوبكم قليلا قليلا

(١-١) من صحيح البخارى، وفي الأصل: خل، وفي ظ ومد: في عتبة - كذا.
 (٢) زيد من صحيح البخارى (٣) سقط من ظ (٤) تقدم في الأصل على «كذلك»
 والترتيب من ظ ومد (٥) من مد، وفي الأصل و ظ: يجعلكم (٦) في ظ
 ومد: من (٧) تقدم في الأصل على «كذلك اى»، والترتيب من ظ ومد.
 (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٩ - ٩) تقدم ما بين الرقين في الأصل
 على «كذلك» أى مثل «، والترتيب من ظ ومد (١٠) من ظ ومد،
 وفي الأصل: المؤمنين .

حتى صرتم إلى ما أنتم عليه في الرسوخ في الدين و الشهرة به والعز،
و لو شاء لقسى قلوبكم و سلطهم عليكم فقتلوكم، فاذا كان الأمر كذلك
فعلیکم^١ أن تفعلوا بالداخلين في الدين من القبول ما فعل [بكم -^٢]،
و هو معنى ما سبب عن الوعظ من قوله تأكيداً لما مضى إعلالاً بفضاعة^٣
٥ أمر القتل: ﴿فتبينوا﴾ أي الأمور و تثبتوا فيها حتى تنجلي؛ ثم علل
هذا الأمر بقوله مرغبا مرهبا: ﴿ان الله﴾ أي المختص بأنه عالم الغيب
و الشهادة ﴿كان بما تعملون خبيراً﴾ أي يعلم ما أقدمتم عليه عن
تبيين [و -^٤] غيره فاحذروه بحفظ بواطنكم و ظواهركم.

و لما ناسبت هذه الآية ما قبلها من آية القتل العمد، و التفتت إلى
١٠ "و حرض المؤمنين" و إلى آية التحية، فاشتد اعتناقها لهما، و علم
بها أن في الضرب في سبيل الله هذا الخطر، فكان ربما قتر عنه؛ بين
فضله لمن كآته قال: فحيث قد نعد عن الجهاد لنسلم، بقوله: ﴿لا يستوى
الغعدون﴾ أي عن الجهاد حال كونهم^٥ ﴿من المؤمنين﴾ أي الفريقين
في الإيمان، ليفيد التصريح بتفضيل المؤمن^٦ المجاهد على المؤمن^٧
١٥ القاعد لئلا يخصه أحد بالكافر الجاحد.

و لما كان من الناس من عذره سبحانه و تعالى برحمته استثناهم^٨،

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: عليكم (٢) زيد من ظ و مد (٣) في ظ:
مقاصدة - كذا (٤) في ظ: من (٥) في ظ: فاستد (٦) من مد، وفي الأصل
و ظ: كونكم (٧) من مد، وفي الأصل و ظ: المؤمنين من - كذا (٨) من
ظ، وفي الأصل و مد: المؤمنين (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: استثناهم.

٥٠٧/

فقال واصفا للقاعدين^١ أو مستنينا منهم: (غير اولى الضرر) أى^٢
 المانع أو العائق عن الجهاد فى سبيل الله من عوج أو مرض أو عى
 ونحوه، وبهذا بان [أن - ٣] الكلام فى المهاجرين؛ / وفى البخارى
 فى التفسير عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أملى عليه "لا يستوى القعدون من المؤمنين والمجاهدون فى
 سبيل الله" فجاء ابن أم مكتوم وهو يملها [على - ٤] فقال: يا رسول الله!
 والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى؛ فأنزل الله عز وجل على
 رسوله ونخذه على نخذى فقلت على حتى خفت أن ترض نخذى،
 ثم سرى عنه فأنزل الله "غير اولى الضرر" وأخرجه فى فضائل القرآن عن
 البراء رضى الله تعالى عنه قال: لما نزلت "لا يستوى القعدون" - الآية، قال ١٠
 النبى صلى الله عليه وسلم: ادع [لى - ٥] زيدا وليجئ باللوح^٦ والدواة
 [والكتف - ٤]؛ ثم قال: اكتب - فذكره، وحديث زيد أخرجه
 أيضا أبو داود والترمذى والنسائى، وفى رواية أبى داود: قال: كنت
 إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيت السكينة ف وقعت [نخذ - ٧]
 رسول الله صلى الله عليه وسلم على نخذى^٨، فما وجدت شيئا^٩ أنقل من ١٥
 نخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم سرى عنه فقال لى^{١٠}: اكتب،

(١) فى مد: للقاعدون (٢) فى ظ: او (٣) زيد من مد (٤) زيد من صحيح
 البخارى (٥) زيد من ظ و صحيح البخارى (٦) زيد فى ظ: والقلم (٧) زيد
 من ظ و مد وسنن أبى داود - كتاب الجهاد (٨) فى ظ: نخذه (٩) فى السنن:
 نقل شىء (١٠) ليس فى السنن.

فكتبت في كتف "لا يستوى القعدون" - إلى آخرها؛ فقام ابن أم مكتوم - وكان رجلاً أعمى - لما سمع فضيلة المجاهدين فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم! فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين؟ فلما قضى كلامه غشيت رسول الله صلى الله عليه وسلم السكينة، ف وقعت نخذه على نخذي، و وجدت من ثقلها في المرة الثانية كما وجدت في المرة الأولى، فسرى^١ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: اقرأ يا زيد! فقرأت "لا يستوى القعدون من المؤمنين" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "غير أولى الضرر" - الآية كلها، قال زيد: أنزلها^٢ الله وحدها فألحقها^٣ والذي نفسى بيده لكأنى أنظر إلى ملحقتها عند صدع [في -^٤] كتف . و رواه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو يعلى الموصلي وفيه: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه دام بصره مفتوحة عيناه، وفرغ^٥ سمعه وقلبه لما يأتيه من الله عز وجل .

ولما ذكر القاعد أتبعه قسيمه المجاهد بقوله^٦: ﴿والمجاهدون في سبيل الله﴾ أى دين الملك الأعظم الذى [من -^٧] سلكه ١٥ وصل إلى رحمة ﴿بأموالهم وأنفسهم^٨﴾ ولما كان نفي المساواة^٩ سبباً لترقب كل من الحزبين الأفضلية^{١٠}، لأن القاعد وإن فاته الجهاد فقد تخلف الغازى فى أهله، إذ يحى الدين بالاشتغال^{١١} بالعلم ونحوه؛ قال (١) فى السنن: ثم سرى (٢) فى السنن: فأنزلها (٣) من مدو السنن، وفى الأصل: فألحقها، وفى ظ: فألحقها (٤) زيد من السنن (٥) فى ظ: فرع (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ ومد (٨) فى ظ: المناواة (٩) فى ظ: الأفضل له - كذا . (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل: بالاشتغال .

مستأنفا: ﴿ فضل الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ المجهدين ﴾ ولما كان المال فى أول الامر ضيقا قال مقدما للمال: ﴿ باموالهم وانفسهم ﴾ أى جهادا كائنا بالفعل ﴿ على القعدين ﴾ أى عن ذلك وهم متمكنون منه بكونهم فى دار الهجرة ﴿ درجة ١ ﴾ أى واحدة كاملة لانهم لم يفوقهم^١ بغيرها، و^٢ فى البخارى^٢ فى المغازى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما: ٥
لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون إلى بدر .

ولما شرك^٣ بين المجاهدين والقاعدين بقوله: ﴿ وكلا ﴾ أى من الصنفين ﴿ وعد الله ﴾ أى المحبط بالجلال والإكرام أجرا على إيمانهم ﴿ الحسنى ١ ﴾ بين أن القاعد المشارك إنما هو الذى فيه قوة الجهاد القرية من الفعل، وهو التمكن^٤ من تنفيذ الأمر بسبب هجرته لأرض^٥ الحرب ١٠
وكونه بين أهل الإيمان، وأما القاعد عن^٦ الهجرة مع التمكن^٧ فليس

بمشارك فى ذلك، بل هو ظالم لنفسه فانه ليس متمكنا من تنفيذ / الأوامر ٥٠٨/
فلا هو مجاهد بالفعل ولا بالقوة القرية منه، فقال: ﴿ فضل الله ﴾ أى الملك الذى لا كفوء له فلا يجبر عليه ﴿ المجهدين ﴾ أى بالفعل مطلقا بالنفس أو المال ﴿ على القعدين ﴾ أى عن الأسباب الممكنة من ١٥

الجهاد و من^٨ الهجرة ﴿ اجرا عظيما ٢ ﴾ ثم بينه بقوله: ﴿ درجت ﴾

- (١) من مد، وفى الأصل: لم تعوقهم، وفى ظ: لم يفوقوا - كذا .
(٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) كذا فى الأصول، ولعله: أشرك .
(٤) فى ظ ١: التمكن (٥) بين سطرى ظ: دار (٦) فى ظ: من (٧) فى ظ: فى .

نظم الدرر (سورة النساء ٤: ٩٦ و ٩٧) ج - ٥

وعظمها بقوله: ﴿ منه ﴾ وهي درجة الهجرة، ودرجة التمكن^١ من الجهاد بعد الهجرة [و-^٢] درجة مباشرة الجهاد بالفعل.

ولما كان الإنسان لا يخلو عن زلل وإن اجتهد في العمل قال:

﴿ ومغفرة ﴾ أي محو الذنوبهم بحيث أنها لا تذكر ولا يجازى عليها

٥ ﴿ ورحمة ﴾ أي كرامة ورفعة ﴿ و كان الله ﴾ أي المحيط بالاسماء الحسنى والصفات العلى ﴿ غفورا رحيماء ﴾ أزلا وأبدا، لم يتجدد له ما لم يكن؛ ثم علل ذلك بأبلغ حث على الهجرة^٣ فقال: ﴿ ان الذين توفاهم الملائكة ﴾ أي تقبض أرواحهم كاملة على ما عندهم من نقص بعض المعاني بما تركوا من ركن الهجرة بما أشار إليه حذف التاء، وفي

١٠ الحذف إرشاد إلى أنه إذا ترك^٤ من يسعى في جبره بصدقة أوحج ونحوه من أفعال البر مجبر، لأن الأساس الذي تبنى عليه الأعمال الصالحة موجود وهو الإيمان^٥ ﴿ ظالمى أنفسهم ﴾ أي بالعود عن الجهاد بترك الهجرة والإقامة في بلاد الحرب حيث لا يتمكنون من إقامة شعائر^٦ الدين كلها ﴿ قالوا ﴾ أي الملائكة موبخين لهم ﴿ فيم كنتم ﴾ أي في

١٥ أى شيء من الأعمال والأحوال كانت إقامتكم في بلاد الحرب.

ولما كان المراد من هذا السؤال التوبيخ لأجل ترك الهجرة

- (١) زيد بعده في الأصل: ولما كان، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناهما.
- (٢) زيدت الواو من ظ (٣) العبارة من هنا إلى «ركن الهجرة» سقطت من ظ.
- (٤) سقط من مد (٥) في ظ: الباء (٦) في الأصول: تركه (٧) زيد بعده في ظ: الذين تتوفاهم الملائكة، وزيد في مد: الملائكة (٨) في ظ: شرايع.

(قالوا) معتردين ^١ (كنا مستضعفين في الارض ^٢) أى أرض ^٣ الكفار ، [لا تمكن من إقامة الدين ، و كأنهم أطلقوها إشارة إلى أنها عدم لاتساعها لكثرة الكفار - ^٢] هى ^٤ الأرض كلها ، فكأنه قيل : هل ^٥ قنع منهم بذلك ؟ فقيل : لا ، لأنهم لم يكونوا ضعفاء عن الهجرة ، [فكأنه قال : فاقيل لهم ؟ فقيل - ^٦] : (قالوا ^٧) [أى الملائكة ^٨] يانا لأنهم لم يكونوا ضعفاء عن الهجرة - ^٩] إلى موضع بأمنون فيه على دينهم (ألم تكن ارض الله) أى المحيط بكل شىء ، الذى له كل شىء (واسعة فتهاجروا) أى بسبب اتساعها كل من يعادىكم فى الدين ضارين ^{١٠} (فيها ^{١١}) أى ^{١٢} إلى حيث يزول عنكم المانع ، فالآية من الاحتباك : ذكر الجهاد أولا فى ^{١٣} " و فضل الله المجتهدين " دليل على حذفه ثانيا ^{١٤} بعد " ظالمى انفسهم " ، و ذكر الهجرة ثانيا دليل على حذفها أولا بالعودة عنها ، و لذلك خص الطائفة الأولى بوعده الحسنى .

ولما وبخوا ^{١٥} على تركهم الهجرة ، سبب عنه جزاؤهم فقيل : (فاولئك) أى البعداء من اجتهدهم ^{١٦} لأنفسهم (ماؤلهم جهنم ^{١٧}) [أى - ^{١٨}] لتركهم الواجب و تكثيرهم سواد الكفار و انبساطهم فى ^{١٩} ١٥

(١) فى ظ : متعذرین (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : الارض (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) زيد بعده فى ظ : من (٥) سقط من ظ (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٧) آخر فى الأصل عن «على دينهم» و سقط من مد . (٨) فى ظ و مد : صارمين (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : وبخو - كذا . (١٠) فى ظ : اجتهادهم .

وجوه أهل النار ﴿وساءت مصيراً﴾ روى البخارى فى التفسير
و الفتن عن ابن عباس رضى الله تعالى عنها أن نابيا من المسلمين كانوا
مع المشركين يكثرُونَ سواد المشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، يأتي السهم^١ يرمى به فيصيب أحدهم فيقتله ، أو يضرب فيقتل ،
ه فأنزل الله تعالى ” ان الذين توفهم^٢ ” - الآية .

ولما تواعد على ترك الهجرة ، أتبع ذلك بما زاد القاعد عنها تخويفاً
بذكر من لم يدخل فى المحكوم عليه بالقدرة على صورة الاستثناء تنبيهها
على أنهم^٣ جديرون بالتسوية^٢ فى الحكم لو لا فضل الله عليهم^٤ ، فقال بيانا
لأن المستثنى منهم^٥ كاذبون فى ادعائهم الاستضعاف : ﴿الا المستضعفين﴾
١٠ أى الذين وجد ضعفهم فى نفس الامر و عُدُوا ضعفاء و تقوى عليهم
غيرهم ﴿من الرجال والنساء والولدان﴾ ثم بين ضعفهم بقوله :
﴿لا يستطيعون حيلة﴾ أى فى إيقاع الهجرة ﴿ولا يهتدون سبيلاً﴾
أى إلى ذلك .

ولما كانت الهجرة شديدة ، و كان ربما تركها بعض الأقوياء
١٥ و اعتل بالضعف ، و ربما ظن القادر مع^٦ المشقة أنه ليس بقادر ، نفر
من ذلك بالإشارة إليهم بأداة البعد [فقال - ٧] : ﴿فالولئك﴾ و لما
كان لله^٨ سبحانه و تعالى [أن - ٧] يفعل ما يشاء ، لا يجب عليه شيء

(١) فى ظ : اليهم (٢) فى ظ : توفاهم (٣-٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :
جدير بالتوبة (٤) فى ظ : عليكم (٥) فى ظ : فيهم (٦) فى ظ : على (٧) زيد من
مد (٨) من مد ، وفى الأصل و ظ : الله .

ولا يقبح منه شيء، بل / له أن يعذب الطائع و ينعم العاصي، و يفعل
و يقول^١ ما يشاء، "لا يستل عما يفعل"؛ أجل هؤلاء المذورين محل
الرجاء إيداناً بأن ترك الهجرة في غاية الخطر فقال: ﴿عسى الله﴾
أى المرجو و الخلق و الجدير من الملك المحيط بأوصاف الكمال ﴿ان
يعفو عنهم^٢﴾ أى ولو آخذهم^٣ لكان له ذلك، و كل ما جاء فى القرآن ٥
من نحو هذا فهو للإشارة إلى هذا المعنى، و قول ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما: إن 'عسى' من الله واجبة، معناه أنه مع أن له أن يفعل ما يشاء
لا يفعل إلا ما يقتضيه الحكمة على ما يستصوبه منهاج العقل السليم
﴿و كان الله﴾ أى الملك الذى له كل شيء فلا اعتراض عليه أزلاً
و أبداً ﴿عفوا﴾ أى يمحو الذنب إذا أراد فلا يعاقب عليه و قد يعاتب ١٠
عليه ﴿غفورا﴾ أى يزيل أثره أصلاً و رأساً بحيث لا يعاقب عليه
ولا يعاتب ولا يكون بحيث يذكر أصلاً، و لعل العفو راجع إلى
الرجال، و الغفران إلى النساء و الولدان .

و لما رهب من ترك الهجرة، رغب فيها بما يسلى^٢ عما قد يؤسوس
به الشيطان من أنه لو فارق رفاهية الوطن وقع فى شدة الغربة، وأنه^٣ ١٥
ربما تجشم المشقة فاخترم^٤ قبل بلوغ القصد، فقال تعالى: ﴿و من
يهاجر﴾ أى يوقع الهجرة لكل ما أمر الله سبحانه و تعالى و رسوله
صلى الله عليه و سلم بهجرته ﴿فى سبيل الله﴾ أى الذى لا أعظم من

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بقوله (٢) فى النسخ: واخذهم - كذا .
(٣) من مد، و فى الأصل و ظ: يسمى - كذا (٤) فى ظ: انما (٥) فى ظ: واحترم .

نظم الدرر (سورة النساء: ٤: ١٠٠ و ١٠١) ج - ٥

ملكه ولا أوضح من سيله ولا أوسع (يحد في الارض) أى فى ملكه
ذات الطول والعرض (مرغما) أى مهربا ومذهبا ومضطربا^٢ يكون
موضعا للمراغمة، يفضب الأعداء به ويرغم أنوفهم بسبب ما يحصل له
من الرفق وحسن الحال، فيخجل^٣ مما جروه^٤ من سوء معاملتهم له؛
من الرغم وهو الذل والهوان، وأصله: لصوق الأنف بالرغام وهو
التراب، تقول: راغمت^٥ فلانا، أى هجرته وهو يكره مفارقتك لذلة
تلحقه بذلك. ولما كان ذلك الموضع وإن كان واحدا فإنه لكبره
ذو أجزاء عديدة، وصف بما يقتضى العدد فقال: (كثيرا).

ولما كانت المراغمة لذة الروح، فكانت أعز من لذة البدن فقدمها؛
١٠ أتبعها قوله: (وسعة^٦) أى فى الرزق، كما قال صلى الله عليه وسلم
«صوموا تصحوا»، وسافروا تغنموا^٧، أخرجه الطبرانى عن أبى هريرة
رضى الله تعالى عنه ولفظه «واغزوا تغنموا، وهاجروا تفلحوا».

ولما كان ربما مات المهاجر قبل وصوله إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فظن أنه لم يدرك الهجرة مع تجشمه لفراق^٨ بلده قال: (ومن
١٥ يخرج من بيته) أى فضلا عن بلده (مهاجرا إلى الله) أى رضى الملك

(١) ليس فى مد (٢) فى ظ: مطربا - كذا (٣-٣) من مد، وفى الأصل:
مهاجرون، وفى ظ: مهاجروه - كذا (٤) من مد، وفى الأصل وظ: راغب.
(٥) سقط من ظ (٦) رواه الإمام أحمد فى مسند أبى هريرة رضى الله عنه
٣٨٠/٢ بما نصه «سافروا تصحوا واغزوا تستغنوا» (٧) فى ظ: نفضوا - كذا،
والعبارة من هنا إلى «واغزوا تغنموا» ساطعة منه (٨) فى ظ: بفراق.

الذى

(٩٤)

٣٧٦

الذى له الكمال كله (و رسوله) أى ليكون عنده (ثم يدركه الموت)
 أى بعد خروجه من بيته ولو قبل الفصول^١ من بلده (فقد وقع أجره)
 أى فى هجرته بحسب الوعد فضلا ، لا بحسب الاستحقاق عدلا (على الله)
 أى الذى له تمام الإحاطة فلا ينقصه شيء ، وكذا كل من نوى خيرا
 ولم يدركه دلا حسد إلا فى اثنتين ، فهو موفيه إياه توفية ما يلتزمه
 الكريم منكم .

ولما كان بعضهم^٢ ربما قصر به عن البلوغ توانيه فى سيره أو عن
 خروجه من بلده فظن أن هجرته هذه لم تجبر تقصيره قال : (وكان الله)
 أى الذى له جميع صفات الكمال (غفورا) أى لتقصير إن كان
 (رحيماء) بكرم^٣ بعد المغفرة بأنواع الكرامات .

ولما أوجب السفر للجهاد والهجرة ، و^٤ كان مطلق السفر مظنة
 المشقة فكيف يسفرهما مع ما ينضم إلى المشقة فيهما من خوف الأعداء ؛
 ذكر تخفيف الصلاة بالقصر بقوله سبحانه وتعالى : (وإذا ضربتم)
 أى بالسفر (فى الأرض) أى سفر كان لغير معصية . ولما كان القصر
 رخصة غير عزيمة ، بينه بقوله : (فليس عليكم جناح) أى إثم وميل^٥

فى (أن تقصروا) ولما كان القصر خاصا ببعض الصلوات ، أتى
 بالجار لذلك^٦ وإفادة^٧ أنه فى^٨ الكم لا فى^٩ الكيف فقال : (من

(١) فى ظ : الوصول (٢) فى ظ : بعضكم (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل :
 تكرم (٤) سقطت الواو من ظ (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : مثل (٦) فى
 ظ : كذلك (٧) من مد ، وفى الأصل : الافادة ، وفى ظ : لا فائدة - كذا .
 (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ .

ج - ٥

(سورة النساء : ١٠١)

نظم الدرر

الصلوة ^(١) أى فاقصروا إن أردتم وآتموا إن أردتم، وبينت السنة أعيان الصلوات المقصورات، وكم يقصر منها من ركعة، وأن^١ القصر من الكمية^٢ لا من الكيفية^٣ بالإيماء^٤ مثلاً في صلاة الخوف بقول عمر رضى الله تعالى عنه ليعلى بن أمية - حين قال له : كيف تقصر وقد أمنا :-

٥ عجبنا بما عجبنا منه [فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك -^٥] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدقة تصدق الله بها عليكم ، فاقبلوا صدقته ، وهذا هو حقيقة القصر والذى دلت عليه " من " ، وأما الإيماء^٥ ونحوه من كفيات صلاة الخوف فاببدال لا قصر ، والسياق كما ترى مشير إلى شدة الاهتمام بشأنها ، وأنه لا يسقطها عن^٦ المكلف شيء ،

١٠ وقاض بأن المخاطرة بالنفس والمال لا تسقط الجهاد ولا الهجرة إذ الخوف والخطر مبنى أمرهما ومحط قصدهما ، فهذا سر قوله : (ان خفتم ان يفتنكم) أى يخالطكم مغالطة مزعجة (الذين كفروا^٧) لا^٧ أنه شرط فى القصر ، كما بينت^٨ نفي شرطية السنة ، والحاصل أن هذا الشرط ذكر لهذا المقصد^٩ ، لا لمخالفة المفهوم للنطوق^{١٠} بشهادة السنة ؛

١٥ وقد كانت الصلاة قبل الهجرة ركعتين [ركعتين -^{١١}] ، فأتمت بعد الهجرة إشارة^{١٢} إلى أن المدينة دار الإقامة وما قبلها كان محل سفر ونقلة ؛

(١) زيد بعده فى ظ : كان (٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : للإيماء (٤) زيد من الصحيح لمسلم - المسافرين (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : الإيمان (٦) فى ظ : على (٧) فى ظ : لا (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : بين . (٩) فى ظ : القصد (١٠) فى ظ : المنطوق (١١) زيد من ظ ومد (١٢) فى ظ :

روى

٣٧٨

بإشارة .

روى الشيخان و أحمد - وهذا لفظه - عن عائشة رضى الله تعالى عنها
 قالت: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين، فلما قدم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم المدينة أقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر^٢.

ولما ذكر الخوف منهم، علله مشيراً بالإظهار موضع الإضمار، وباسم
 الفاعل إلى أن من تلبس بالكفر ساعة ما، أعرق فيه، أو إلى^٣ أن المجبول^٤ ه
 على العداوة المشار إليه بلفظ الكون إنما هو الراسخ في الكفر المحكوم
 بموته عليه فقال: ﴿ان الكافرين﴾ أى الراسخين منهم في الكفر
 ﴿كانوا﴾ أى جبلة وطبعا . ولعله أشار إلى أنهم مغلوبون بقوله:
 ﴿لكم﴾ دون 'عليكم' ﴿عدوا﴾ ولما كان العدو عما يستوى فيه
 الواحد والجمع قال: ﴿ميناه﴾ أى ظاهر العداوة، يعدون عليكم ١٠
 لقصد الأذى مهما وجدوا لذلك سبيلا، فربما وجدوا الفرصة في ذلك
 عند طول الصلاة فلذلك قصرتها، ولو لا أنها لا رخصة فيها بوجه
 لوضعها عنكم في مثل هذه الحالة، أو جعلت التخفيف في الوقت فأمرت
 بالتأخير، ولكنه لا زكاه للنفوس بدون فعلها على ما حددت^٦ من
 الوقت وغيره .

١٥

(١) زيد بعده في ظ: قبل الهجرة (٢-٢) ما بين الرقيين لفظ الشيخين في
 صحيحهما، ولفظ أحمد في مسنده ٦ / ٢٤١: زاد مع كل ركعتين ركعتين إلا
 المغرب فانها وتر النهار وصلاة الفجر لطول قراءتها، قال: وكان إذا سافر
 صلى الصلاة الأولى (٣-٣) في ظ: المجبول (٤) في ظ: قال (٥) في ظ: خطة .
 (٦) في ظ: حددت .

ولما أتم سبحانه وتعالى بيان القصر في الكمية مقرونا بالخوف
لما ذكر، وكان حضور النبي صلى الله عليه وسلم مظنة الأمان بالتأييد
بالملائكة و وعد العصمة من الناس، وما شهر به من الشجاعة ونصر به
من^١ الرعب وغير ذلك من الأمور القاضية بأن له العاقبة؛ بين سبحانه
٥ وتعالى حال الصلاة في الكيفية عند الخوف، وأن صلاة الخوف تفعل
عند الأنس بحضرته كما تفعل عند الاستيجاش^٢ بغيبته صلى الله عليه وسلم،
لجوازها لقوم ليس هو صلى الله عليه وسلم فيهم مفهوم موافقة، فقال
سبحانه وتعالى: ﴿واذا كنت﴾ حال الخوف الذي تقدم فرضه
﴿فيهم﴾ أى فى أصحابك سواء كان ذلك فى السفر أو فى الحضر
١٠ ﴿فاقت﴾ أى ابتدأت وأوجدت ﴿لهم الصلوة﴾ أى الكاملة وهى
المفروضة ﴿فلتقم طائفة منهم معك﴾ أى فى الصلاة ولتقم الطائفة
الآخرى وجاه العدو، ويطوفون فى كل موضع يمكن أن يأتى منه
العدو ﴿ولياخذوا﴾ أى المصلون لأنهم المحتاجون إلى هذا الأمر
لدخولهم فى حالة هى بترك السلاح أجدر^٣ ﴿اسلحتهم﴾ كما يأخذها
١٥ من هو خارج الصلاة، وسبب الأمر بصلاة الخوف - كما فى صحيح مسلم
وغيره عن جابر رضى الله تعالى عنه - أنهم غزوا مع النبي صلى الله عليه
وسلم فقاتلوا قوما من جهينة فقاتلوا/ قتلوا شديدا، قال جابر رضى الله
تعالى عنه^٤: فلما صلينا الظهر قال المشركون: لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم،
(١) زيد بعده فى ظ: الحرب (٢) فى ظ و مد: الاستيجاش (٣) من ظ و مد،
وفى الأصل: اجل (٤) زيد بعده فى ظ: أنهم غزوا مع النبي صلى الله عليه
وسلم (٥) من ظ و مد والصحيح لمسلم - صلاة الخوف، وفى الأصل:
لا اقتطعناهم - كذا.

فأخبر جبرئيل عليه الصلاة والسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ،
 فذكر ذلك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : وقالوا^١ : إنه^٢
 ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد^٣ ، فلما حضرت العصر صفنا صفين
 والمشركون بيننا وبين القبلة - الحديث . ﴿ فاذا سجدوا ﴾ يمكن أن
 يكون المراد بالسجود ظاهره ، فيكون الضمير في ﴿ فليكونوا ﴾ للجمع^٥
 - الذين^٤ منهم هذه الطائفة - المذكورين بطريق الإضمار في قوله ” واذا
 كنت فيهم “ وفي ” فلتقم منهم “^٥ أى فاذا سجد^٦ الذين قاموا معك في
 الصلاة فليكن المحدث عنهم وهم الباقيون الذين أنت فيهم وهذه الطائفة
 منهم ﴿ من ورائكم ﴾ فاذا أتمت هذه الطائفة صلاتها فلتذهب إلى
 الحراسة ﴿ ولتأت طائفة أخرى ﴾ أى من الجماعة ﴿ لم يصلوا فليصلوا^{١٠}
 معك ﴾ كما صلت الطائفة الأولى ، فان كانت الصلاة ثنائية ولم تصل
 بكل طائفة جميع الصلاة فلتسلم بالطائفة الثانية ، وإن كانت رباعية
 ولم تصل بكل فرقة جميع الصلاة فلتتم^٧ صلاتها ، ولتذهب إلى وجاه العدو
 ولتأت طائفة أخرى - وهكذا حتى تتم الصلاة ؛ ويمكن أن يكون المراد
 بالسجود^٨ الصلاة - من إطلاق اسم الجزء على الكل ، فكانه قال : فاذا^{١٥}
 صلوا ، أى أتموا صلاتهم - على ما مضت الإشارة إليه ، والضمير حيثند
 (١) في ظ : قال (٢) من الصحيح ، وفي الأصول : انها (٣) من الصحيح ، وفي
 الأصل ومد : الاول ، وفي ظ : الاولى (٤) في ظ : الذى (٥) زيد بعده في ظ
 ” طائفة “ (٦) في ظ : سجدوا (٧) من مد ، وفي الأصل : فليتم ، وفي ظ : فلتقم .
 (٨) زيدت الواو بعده في ظ .

في "فليكونوا" للطائفة الساجدة، وقوله ﴿ولياخذوا﴾ يمكن أن يكون ضميره للكل، لثلاث يتوهم أن الأمر بذلك يختص بالمصلي، لأن غيره لا عائق له عن الأخذ متى شاء، أي ولتأخذ جميع الطوائف الحارسون والمصلون ﴿حذرهم واسلحتهم﴾ في حال صلاتهم وحراستهم و إتيانهم إلى الصلاة وانصرافهم منها، فجعل الحذر الذي هو التيقظ^١ والتحرز باقبال الفكر على ما يمنع كيد العدو كالألة المحسوسة، وخص في استعماله في الصلاة^٢ في شأن العدو وخص آخر الصلاة^٣ بزيادة الحذر إشارة إلى أن العدو في أول الصلاة قلبا يفتنون لكونهم في الصلاة بخلاف الآخر، فلهذا خص بمزيد الحذر، وهذا الكلام على^٤ وجازته ١٠. محتمل^٥ - كما ترى - لجميع الكيفيات [المذكورة - *] في الفقه لصلاة الخوف إذا لم يكن العدو في وجه^٦ القبلة على أنها تحتل التنزيل على ما إذا كان في وجه القبلة بأن يحمل الورا على ما واره^٧ السجود عنكم وإتيان الطائفة الأخرى على الإقبال على المتابعة للإمام في الأفعال "ولم يصلوا" أي بقيد المتابعة له فيها - والله سبحانه وتعالى الهادي . وما أحسن اتصال ذلك بأول آيات الجهاد في هذه السورة "يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم" فهو^٨ من رد المقطع على المطلع، ثم علل أمره بهذه الكيفية على هذا الاحتياط والحزم بقوله مقويا لترغيبهم في ذلك باقبال الخطاب

(١) في ظ : تكون (٢) في ظ : القبط - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤-٤) في ظ : وجاهز به يحتمل (٥) زيد من ظ ومد (٦) سقط من ظ . (٧) في ظ : وراه (٨) في ظ : فهي .

عليهم: ﴿ود﴾ أى تمنى تمنيا عظيما ﴿الذين كفروا﴾ أى باشروا الكفر وقتا ما، فكيف بمن هو غريق فيه ﴿لو تغفلون﴾ أى 'تقع لكم' غفلة فى وقت ما ﴿عن اسلحتكم﴾ .

ولما كانت القوة بالآلات^٢ مرهبة للعدو ومنكبة قال: ﴿وامتنعتم﴾ ولما كانت الغفلة ضعفا ظاهرا، تسبب^٣ عنها قوله: ﴿فيميلون﴾ وأشار^٥ إلى العلو والغلبة بقوله: ﴿عليكم﴾ وأشار إلى سرعة الأخذ بقوله: ﴿ميلة﴾ [وأكدته بقوله -^٤]: ﴿واحدة^٦﴾ .

ولما كان الله - وله المن - قد رفع عن هذه الأمة الحرج، وكان^{*} المطر والمرض شاقين قال: ﴿ولا جناح﴾ أى حرج ﴿عليكم ان كان بكم اذى﴾ أى وإن كان يسيرا ﴿من مطر﴾ أى لأن حمل^{١٠} السلاح حيثئذ يكون سيرا لبله ﴿او كنتم مرضى﴾ أى متصفين بالمرض، وكان التعبير بالوصف إشارة إلى أن أدنى شيء منه لا يبرخص ﴿ان / تضعوا اسلحتكم﴾ أى لأن حملها يزيد المريض وهنا .

٥١٢/

ولما خفف ما أوجبه أولا من أخذ السلاح برفع الجناح فى حال العذر، فكان التقدير: فضوه إن شئتم؛ عطف عليه بصيغة الامر^{١٥} إشارة إلى وجوب الحذر منهم فى كل حال قوله: ﴿وخذوا حذركم﴾ أى فى كل حالة، فان ذلك تقع لا يتوقع منه ضرر؛ ثم علل ذلك بما بشر فيه بالنصر تشجيعا للمؤمنين، وإعلاما بأن الامر بالحزم^٦ إنما هو

(١-١) فى ظ: يقع له (٢) فى ظ: باللات (٣) فى ظ: تسبب (٤) زيد من ظ ومد (٥) سقط من ظ (٦) من مد، وفى الأصل و ظ: بالحزم .

نظم الدرر (سورة النساء ٤: ١٠٢ - ١٠٤) ج - ٥

للجری^١ على ما رسمه من الحكمة في قوله - ربطت المسيات بالاسباب،
فهو من باب^٢ "اعقلها و توكل"^٣، فقال: ﴿ان الله﴾ المحيط علما
وقدرة ﴿اعد﴾ أى فى الازل^٤ ﴿للكافرين﴾ أى الدائمين^٥ على الكفر،
لا من اتصف به وقتا ما و تاب منه ﴿عذابا مهينا﴾ أى يهينهم^٦ به،
٥ من أعظمه حذرکم الذى لا يدع لهم عليكم مقدما، و لا تمسكنهم^٧ معه
منكم فرصة .

و لما علمهم بما^٨ يفعلون فى الصلاة حال الخوف، أتبع ذلك
ما يفعلون بعدها لئلا يظن أنها تغنى عن مجرد الذكر، فقال مشيرا إلى
تعقيبه [به -^٩]: ﴿فاذا قضيت الصلوة﴾ أى فرغتم من فعلها و أدبتموها
١٠ على حالة الخوف أو غيرها ﴿فاذكروا الله﴾ أى بغير الصلاة لأنه لإحاطته
بكل شيء يستحق أن يراقب فلا ينسى ﴿فيما و قعودا و على جنوبكم ج﴾
أى فى كل حالة، فان ذكره حصنكم فى كل حالة من كل عدو
ظاهر أو باطن .

و لما كان الذكر أعظم حفيظ للعبد^{١٠}، و حارس من^{١١} شياطين الإنس
١٥ و الجن، و مسكن للقلوب "الا بذكر الله تطمئن القلوب"^{١٢}، أشار^{١٣}

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: للجرى (٢) سقط من ظ (٣) راجع جامع
الترمذى - ابواب الزهد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الاول (٥) فى ظ:
القائمين (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: تهيئهم (٧) فى ظ: لا يمكنهم (٨) من
ظ و مد، و فى الأصل: بما (٩) زيد من ظ و مد (١٠) فى ظ: للعبيد .
(١١) سورة ١٣ آية ٢٨ (١٢) فى ظ: إشارة .

إلى ذلك بالأمر بالصلاة ' حال الطمأنينة ، تنبيها على عظم قدرها^٢ ،
 ويناها لأنها أوثق عرى الدين و أقوى دعائه و أفضل مجليات القلوب
 و مهذبات النفوس ، لأنها مشتملة على مجامع الذكر " أن الصلوة
 تنهى عن الفحشاء و المنكر و لذكر الله اكبر^٣ " فقال : (فاذا
 اطمأنتم) أى عما كنتم فيه من الخوف (فاقيموا الصلوة ع) أى هـ
 فافعلوها قائمة المعالم كلها على الحالة التى كنتم تفعلونها قبل الخوف ؛
 ثم علل الأمر بها فى الأمن و الخوف^٤ و السعة و الضيق سفرا أو حضرا
 بقوله : (أن الصلوة) مظهرا لما كان الأصل فيه الإضمار^٥ تنبيها على
 عظيم قدرها بما للعبد فيها من الوصلة بمعبوده (كانت على المؤمنين كتباً)
 ' أى هى - مع كونها فرضاً - جامعة على الله جمعا لا يقارنها فيه غيره^٦ ١٠
 (موقوتاه) أى وهى - مع كونها محدودة - مضبوطة بأوقات مشهورة ،
 فلا يجوز إخراجها عنها فى أمن و لا خوف فوت - بما أشارت إليه مادة
 ' وقت ' للأبذان^٧ بما تسبب من الأرزاق و للقلوب بما تجلب^٨
 من المعارف و الأنوار^٩ .

ولما عرف من ذلك أن آيات الجهاد فى هذه السورة معللة^{١٠} ١٥
 للحذر خوف الضرر ، مرشدة إلى إتقان المكائد للتخلص من الخطر ،
 (١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالصلاح (٢) فى ظ : قدرتها (٣) سورة ٢٩
 آية ٤٨ (٤) فى ظ : العلم (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : الاضمار (٧-٧) سقط
 ما بين الرقيين من ظ (٨) فى ظ : للأبذان (٩) فى ظ : تجلب (١٠) فى ظ :
 الاقدار (١١) فى ظ : معللة .

و كان ذلك مظنة لمطابقة النفس و المبالغة فيه ، و هو مظنة للتواني في أمر
 الجهاد؛ أتبع ذلك قوله تعالى منبها على الجد في أمره ، وأنه لم يدع في الصلاة
 و لا غيرها ما يشغل عنه ، عاطفا على نحو : فافعلوا ما أمرتكم به ، أو على
 " فاقموا الصلوة " : (و لا تهنوا) أى ' تضعفوا و تتوانوا ' بالاستشغال
 ٥ بذكر و لا صلاة ، فقد يسهل ذلك لكم تيسيرا لا يعوق عن شئ
 من " أمر الجهاد (في ابتغاء القوم) ' أى طلبهم بالاجتهاد و إن كانوا
 في غاية القوة و القيام بالأمور ؛ ثم علل ذلك بقوله : (ان تكونوا
 تالمون) أى يحصل لكم ألم و مشقة بالجهاد من القتل ، و ما دونه (فانهم
 يالمون كما تالمون) أى * [لأنهم - ٦] يحصل [لهم من ذلك
 ١٠ ما يحصل - ٦] لكم ، فلا يكون على باطلهم أصير منكم على حقكم .

و لما بين ما يكون مانعا^٧ لهم من الوهن دونهم ، لأنه مشترك
 بينهم^٨؛ بين ما يحملهم على الإقدام لاختصاصه به فقال : (و ترجون)
 أى أتم (من الله) أى الذى له جميع الاسماء الحسنى و الصفات العلى
 (ما لا يرجون)^٩ أى من النصر و العزم و الكرم / و اللطف ، لأنكم
 ١٥ تقاتلون فيه و هم يقاتلون [فى الشيطان - ٦] ، و هذا لكل من يأمر
 بالمعروف و ينهى عن المنكر سواء كان ذلك^{١٠} فى جهاد الكفار أو لا .

(١ - ١) فى ظ : يضعفوا و يتوانوا (٢) زيد بعده فى ظ : لكم (٣ - ٣) سقط
 ما بين الرقين من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : القتل (٥) سقط من
 ظ و مد (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٧) فى ظ : من نعا - كذا .
 (٨) زيدت الواو بعده فى الأصول ، فحذفناها لئلا يتسقى الكلام (٩) من ظ
 و مد ، و فى الأصل : كان .

ولما كان العلم مبنى كل خير، وكانت الحكمة التي هي نهاية العلم
و غاية القدرة مجمع^١ الصفات العلى قال تعالى: ﴿وكان الله﴾ أى الأمر
لكم بهذه الأوامر وهو المحيط بكل شئ ﴿عليما﴾ أى بالغ العلم فهو
لا يأمر إلا بما يكون بالغ الحسن مصلحا للدين والدنيا ﴿حكيماء﴾
فهو يتقن لمن يأمره الأحوال، ويسدده^٢ فى المقال و الفعال، فمن علم منه ٥
خيرا أرادته و رقاها فى درج^٣ السعادة، و من علم منه شرا كاده فنكس
مبدأه^٤ و معاده^٥.

ولما كان أول هذه القصص^٦ التعجيب من حال الذين أوتوا نصيبا
من الكتاب فى ضلالهم و إضلالهم، ثم التعجيب من إيمانهم بالجب
و الطاغوت، ثم التعجيب من حال من ادعى الإيمان بهذا الكتاب مع ١٠
الكتب السالفة، ثم رضى بحكم غيره، و ساق سبحانه و تعالى أصول
ذلك و فروعه، و نصب الأدلة حتى علت على الفرقين، و انتشر ضياؤها
على جميع الخافقين، و ختم ذلك بمجاهدة المبطلين بالحجة و السيف،
و سور ذلك بصفى العلم و الحكمة؛ ناسب أنم مناسبة الإخبار بأنه أنزل
هذا^٧ الكتاب بالحق، و بين فائدته التى عدل عنها المنافقون فى استحكام ١٥
غيره فقال: ﴿انآ انزلنا﴾ أى بما لنا من العظمة التى تتقاصر دونها كل
عظمة ﴿إليك﴾ أى خاصة و أنت أكمل الخلق ﴿الكتب﴾ أى
الكامل الجامع لكل خير ﴿بالحق﴾ أى ملتبسا بما يطابقه الواقع

(١) فى ظ: لجميع (٢) فى ظ: يسده (٣) فى ظ: درجة (٤-٥) سقط ما بين
الرقمين من ظ (٥) فى ظ: القصة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: هذه.

(لتحكم بين الناس) أى عامة، لأن دعوتك عامة فلا أضل من عدل عن 'حكمك و ابتغى' خيرا من غير كتابك، و أشار إلى أنه لا ينطق عن الهوى بقوله: (بما أرنك الله^١) أى عرفك الذى له القدرة الشاملة و العلم الكامل، فإن كان قد بين لك شيئا غاية البيان فافعله، و إلا فانتظر منه البيان؛ ثم شرع سبحانه و تعالى فى إتمام ما بقى من أخبارهم، و كشف ما بطن من أسرارهم، و يان علاماتهم ليعرفوا، و يجتنبها المؤمنون لئلا يوسموا بميسمهم.

و لما كان سبحانه و تعالى قد خفف عليه صلى الله عليه و سلم [٢- بأن شرع له القناعة فى الحكم بالظاهر و عدم التكليف بالنقب ١٠ عن ٢ سرائرهم - ٤] بالدفع عن طعمة بن أبيرق، لأن أمره كان مشكلا، فانه سرق درعا و أودعها^٥ عند يهودى، فوجدت عنده فادعى أن طعمة أودعها عنده، و لم يثبت ذلك على طعمة حتى أنزل الله سبحانه و تعالى الآية، فأراد تعالى إزاله فى هذه النازلة و غيرها مما يريد سبحانه و تعالى فى المقام الخضرى من الحكم بما فى نفس الأمر مما لا يعلمه إلا الله ١٥ سبحانه و تعالى إذ كان الصحيح الذى عليه الجمهور - كما نقله شيخنا قاضى الشافعية بمصر أبو الفضل^٦ أحمد بن على بن حجر رحمه الله تعالى

(١- ١) من ظ و مد، و فى الأصل: حكمك و ينفى (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ: على (٤) زيد بعده فى ظ أيضا: صلى الله عليه و سلم (٥) فى ظ: أودعها، و الدرع مؤنث و قد يذكر (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: بما. (٧) فى ظ: أبو بكر - كذا، و هو إمام الحفاظ قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على الكنانى العسقلانى المعروف بابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ.

في الإصابة في أسماء^١ الصحابة - أن الحضر عليه الصلاة والسلام نبي ،
وكان نبينا^٢ صلى الله عليه وسلم قد أعطى مثل جميع معجزات الأنبياء
صلوات الله عليهم مع ما اختص به دونهم - على جميعهم أفضل الصلاة
وآتم التسليم والبركات، فقال تعالى عاطفا على ما علم^٣ تقديره من نحو :
فاحكم بما نريك^٤ من بحار العلوم التي أودعناها هذا الكتاب : ﴿ ولا
تكن للخائنين ﴾ أي [لأجلهم - ^٦] ، من طعمة وغيره ﴿ خصيما^٥ ﴾
أي مخاصما لمن يخاصمهم ، وأتبع ذلك قوله : ﴿ واستغفر الله^٦ ﴾ أي
اطلب مغفرة من له الكمال كله من الهم بالذنب عنه . ثم علل بقوله :
﴿ ان الله ﴾ أي الذي له الإحاطة التامة والغنى المطلق ﴿ كان ﴾ أي
أزلا وأبدا ﴿ غفورا رحيمًا ﴾ وهذا الاستغفار لا عن ذنب إذ هو ١٠
منزه^٧ عن ذلك ، معصوم^٨ منه ، ولكن عن مقام عال تام للارتقاء
إلى أعلى منه وآتم ؛ وقد روى الترمذی سبب نزول هذه الآيات إلى قوله
تعالى " فقد ضل ضلالا بعيدا " من / وجه مستقص^٩ مبين بيانا شافيا ،
وسمي "ابن أبيرق" بشرا^{١٠} وبشيرا^{١١} ومبشرا ، ولم يذكر طعمة - والله

(١) كذا ، واسم الكتاب كما هو الصواب « الإصابة في تمييز الصحابة » - راجع
كشف الظنون ١١٠/١ (٢) في ظ : نيبا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ،
وفي الأصل : فالحكم (٥) في ظ : يرك - كذا (٦) زيد من ظ و مد (٧) من
ظ و مد ، وفي الأصل : منزله (٨) في ظ : مفهوم (٩) في ظ : مستغنى - كذا .
(١٠ - ١١) في ظ : بين العرب - كذا (١١) من ظ و مد و جامع الترمذی -
أبواب التفسير ، وفي الأصل : مبشرا - كذا (١٢) في ظ : مبشرا - كذا .

سبحانه و تعالى أعلم ، قال : عن قتادة^١ بن النعمان قال : كان أهل بيت
 منا يقال لهم بنو أيرق : بشر و بشير و مبشر ، فكان^٢ بشير رجلا منافقا
 يقول الشعر^٣ يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ، [٤-] ثم ينحله
 بعض العرب ،^٥ ثم يقول : قال فلان كذا و كذا ، فاذا سمع أصحاب
 ٥ رسول الله صلى الله عليه و سلم [ذلك الشعر قالوا : و الله ما يقول هذا
 الشعر إلا هذا الخيث !] قال : -^٦ [و كانوا أهل بيت حاجة و فاقة في
 الجاهلية و الإسلام^٧ ، فقدمت ضافطة^٨ من الشام ، فابتاع عمى رفاعه بن زيد
 حملا من الدرملك^٩ فجعله في مشربة^{١٠} له ، و في المشربة سلاح درع و سيف ،
 فعدى عليه [من تحت البيت -^٦] فنقبت المشربة ، و أخذ الطعام
 ١٠ و السلاح ، فلما أصبح أتاني^{١١} [عمى رفاعه -^٦] فقال : يا ابن أخي ! إنه
 قد عدى^{١٢} علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا ، و ذهب بطعامنا و سلاحنا ،
 [قال : -^٦] فتحسسنا في الدار ، فقليل لنا : قد رأينا [بنى -^٤] أيرق

(١) في ظ : هناذلة - كذا (٢) من الجامع ، و في الأصول : و كان (٣) في ظ :
 السفر (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد و الجامع (٥-٥) ليس ما بين
 الرقين في ظ و مد (٦) زيد ما بين الحاجزين من الجامع (٧) زيد في الجامع :
 و كان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر و الشعير ، و كان الرجل إذا كان له يسار
 فقدمت ضافطة من الشام من الدرملك ابتاع الرجل منها نخص بها نفسه ، و أما
 العيال فانما طعامهم التمر و الشعير (٨) في ظ : طائفة ، و الضافطة : الإبل المحولة .
 (٩) الدرملك و الدرملق : الدقيق الأبيض (١٠) في ظ : مشربك (١١) في ظ :
 أتى - كذا (١٢) من ظ و مد و الجامع ، و في الأصل : اعدا .

استوقدوا في هذه الليلة ، ولا نرى [فيما نرى - ١] إلا على بعض
طعامكم ، [قال : - ١] وكان^٢ بنو أبيرق قالوا - ونحن نسأل^٣ في الدار - :
والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل - رجل^٤ منا^٥ له صلاح وإسلام ،
فلما سمع لبيد اختلط سيفه وقال^٦ : أنا أسرق ! فوالله لينخالطكم هذا
السيف أو لتبين هذه السرقة ! قالوا : ^٧إليك عنا أيها^٨ الرجل ! فأنت^٩ ه
بصاحبها ، فسألنا في الدار حتى لم نشك^{١٠} أنهم أصحابها ، فقال لي عمي :
يا ابن أخي ! لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت^{١١} ذلك له !
[قال قتادة : - ١] فأتيت^{١٢} ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : سآمر
[في - ١١] ذلك ، فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلا منهم يقال^{١٣} له أسير
ابن عروة ، فكلموه في ذلك ، فاجتمع في ذلك أناس من أهل الدار فقالوا : ١٠
يا رسول الله ! إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا^{١٤} أهل
إسلام^{١٥} وصلاح^{١٦} ، يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت ! قال

(١) زيد ما بين الحاجزين من الجامع (٢) في ظ : كانوا (٣) زيد بعده في ظ :
الله (٤) من الجامع ، وفي الأصول : رجلا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ومد
والجامع ، وفي الأصل : قالوا (٧-٧) في ظ : اولئك عنى بها - كذا (٨) من ظ
و مد والجامع ، وفي الأصل : لم يشك (٩) في ظ : فذكر (١٠) زيد في الجامع :
فقلت : إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعة بن زيد ، فنقبوا مشربة
له ، وأخذوا سلاحه وطعامه ، فليردوا علينا سلاحنا ، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه .
(١١) زيد من ظ ومد والجامع (١٢) من ظ ومد والجامع ، وفي الأصل :
فقال (١٣) في ظ : منها (١٤) من ظ ومد والجامع ، وفي الأصل : الاسلام .
(١٥) في ظ : اصلاح .

قناة: فَأَتَيْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [فكلمته - ١] ، فقال :
 عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح^٢ ! ترميهم بالسرقة على
 غير ثبوت و بينة ! قال^٣ : فقال [لى - ٢] عمى : [يا ابن أخى ! ما
 صنعت ؟ - ١] فأخبرته بما^٤ قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
 ٥ . الله المستعان ! فلم يلبث^٦ أن نزل القرآن " انا انزلنا اليك الكتاب بالحق -
 إلى - خصيما " بنى^٧ أيرق ، " واستغفر الله " بما قلت لقناة ، " ان الله
 كان غفورا رحيمًا - إلى قوله : فسوف تؤتيه احرا عظيما " ؛ فلما نزل
 القرآن أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاح فردّه إلى رفاعة^٨ ،
 فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشرّكين ، فنزل على سلافة بنت سعد بن
 ١٠ . سمية ، فأنزل الله سبحانه و تعالى " ومن يشاقق الرسول - إلى قوله :
 ضلّالا بعيدا " . و روى الحديث ابن إسحاق فى السيرة و زاد : إن حسانا
 قال فى نزوله عندها أياتا فطرده ، فلحق بالطائف فدخل بيتا ليسرق
 منه ، فوقع عليه فوات ، فقالت قريش : والله ما يفارق محمدا من أصحابه
 أحد فيه خير .

(١) زيد ما بين الحاجزين من الجامع (٢) فى ظ : اصلاح (٣) زيد فى الجامع :
 فرجعت و لوددت أنى خرجت من بعض مالى و لم أكلم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم (٤) زيد من ظ و مد (٥) من الجامع ، و فى الأصول : ما (٦) فى
 ظ : فلم ثبت (٧) من ظ و مد و الجامع ، و فى الأصل : بين (٨) زيد فى الجامع :
 فقال قناة : لما أتيت بالسلاح و كان شيخا قد عشى فى الجاهلية و كنت أرى
 إسلامه مدخولا ، فلما أتيت بالسلاح قال : يا ابن أخى ! هى فى سبيل الله ، فعرفت
 أن إسلامه كان صحيحا .

و لما نهاه عن الخصام^١ لمطلق الخائن^٢، وهو من وقعت منه خيانة ما؛ أتبعه النهى عن المجادلة عمن تعمد الخيانة فقال سبحانه وتعالى:

(ولا تجادل) أى فى وقت ما (عن الذين يختانون) أى يتجدد منهم تعمد أن يخونوا (انفسهم^٣) بأن يوقعوها فى^٤ الهلكة^٥ بالعصيان فيما أوتمنوا^٦ عليه من الأمور الخفية، والتعير بالجمع - مع أن الذى نزلت فيه الآية واحد - للتعميم و تهديد من أعانه من قومه، و يجوز أن يكون أشار بصيغة الافتعال إلى^٦ أن الخيانة لا تقع^٧ إلا مكررة^٨، فانه يعزم عليها أولاً ثم يفعلها، / فأدنى ذلك أن يكون قد خان من^٩ نفسه مرتين، قال الإمام ما^{١٠} معناه أن التهديد فى هذه الآية عظيم جداً، وذلك أنه سبحانه وتعالى عاتب خير الخلق عنده و أكرمهم لديه هذه المعاتبه ١٠

وما فعل^{١١} إلا الحق^{١٢} فى الظاهر، فكيف بمن يعلم الباطن و يساعد^{١٣} أهل الباطل؟ فكيف إن كان غيرهم^{١٤}؟ ثم أشار سبحانه وتعالى إلى أن^{١٥} من خان غيره كان مبالغاً فى الخيانة بالعزم و خيانة الغير المستلزمة لخيانة النفس^{١٦} فلذا^{١٧} ختمت بالتعليل بقوله: (ان الله) أى الجليل العظيم ذا^{١٨} الجلال و الإكرام (لا يحب) أى لا يكرم (من كان ١٥

- (١) فى ظ : الخطام - كذا بالطاء (٢) فى ظ : الخائنة - كذا (٣) سقط من ظ .
 (٤) فى ظ : للملكه - كذا (٥) فى ظ : اثبتوا (٦) من مد، وفى الأصل و ظ :
 الا (٧) فى ظ : لا يقع (٨) فى ظ : مكوره، وفى مد : متكررة (٩-٩) فى ظ :
 بالحق (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل : يساعده (١١) فى ظ : بقرهم (١٢) فى
 ظ : انه (١٣) فى ظ : النقص (١٤) من مد، وفى الأصل و ظ : فكذا .
 (١٥) من مد، وفى الأصل و ظ : ذو .

خوانا اثينا^١ ﴿ بصيقتي^٢ المبالغة - على أن مراتب المبالغين في الخيانة متفاوتة، وفيه مع هذا استعطف لمن رقت منه الخيانة مرة واحدة، وقدم سبحانه وتعالى ذلك، لأن فيه دفعا للضرر^٣ عن البرىء و جلبا للنفع إليه؛ ثم أتبعه بعبء هذا الخائن وقلة تأمله والإعلام بأن المجادلة عنه قليلة الجدوى، فقال سبحانه وتعالى معجبا منهم بما هو كالتعليل لما قبله: ﴿ يستخفون ﴾ أى هؤلاء الخونة^٤: طعمة ومن ماله وهو يعلم باطن أمره^٥ ﴿ من الناس ﴾ جاء منهم وخوفا من أن يضرهم^٦ لمشاهدتهم لهم^٦ رقوبا مع الوم كالبهائم ﴿ ولا يستخفون ﴾ أى يطلبون ويوجدون الخفية بعدم الخيانة ﴿ من الله ﴾ أى الذى لا شيء أظهر منه لما له من صفات الكمال ﴿ وهو ﴾ أى والحال أنه ﴿ معهم ﴾ لا يغيب عنه شيء من أحوالهم، ولا يعجزه شيء من نكالهم، فالاستخفاء منه لا يكون إلا بترك الخيانة ومحض الإخلاص، فوا سواتاه من أغلب الأفعال والأقوال والأحوال^١ ﴿ اذ ﴾ أى^٦ حين ﴿ يبيتون ﴾ أى يرتبون ليلا على طريق الإمعان فى الفكر والإتقان للرأى ﴿ ما لا يرضى من القول^٧ ﴾ أى من البهت والحلف عليه، فلا يستحيون^٧ منه ولا يخافون، لاستيلاء الجهل والغفلة على قلوبهم وعدم إيمانهم بالغيب.

(١) فى ظ : بصيقتي (٢) فى ظ : للضرر (٣) فى ظ : الخونة (٤) من ظ ومد، وفى الأصل : سره (٥) فى ظ : يضرهم (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : فلا يستخفون .

ولما أثبت^١ عليه سبحانه و تعالى بهذا من حالهم عمم فقال :
 ﴿ و كان الله ﴾ أى الذى كل شىء فى قبضته لأنه الواحد الذى لا كفوء
 له^٢ ﴿ بما يعملون^٣ ﴾ أى من هذا وغيره ﴿ محيطاء ﴾ أى
 علما و قدرة .

ولما و بنجهم سبحانه و تعالى على جهلهم ، حذر من مناصرتهم فقال - c
 مينا أنها لا تجديهم^٤ شيئا ، مخوفا لهم جدا بالمواجهة بمثل هذا التنبيه
 و الخطاب ثم الإشارة بعده - : ﴿ هَانِمْ هَوْلَاء ﴾ و زاد فى الترهيب
 للتعين^٥ بما هو من الجدل الذى هو أشد الخصومة - من جدل الجبل^٦
 الذى هو شدة قتله^٧ - و إظهاره فى صيغة المفاعلة ، فقال مينا لأن المراد
 من الجملة السابقة [التهديد - ^٨] : ﴿ جدلتم عنهم ﴾ فى هذه الواقعة ١٠
 أو غيرها ﴿ فى الحياة الدنيا ﴾ أى بما جعل لكم من الأسباب .

ولما حذرهم و بنجهم على قلة فطنتهم و زيادة فى التحذير بأن
 مجادلته هذه سبب لوقوع الحكومة بين يديه سبحانه و تعالى فقال :
 ﴿ فن يجادل الله ﴾ أى الذى له الجلال كله ﴿ عنهم ﴾ أى حين تنقطع^٩
 الأسباب ﴿ يوم القيمة ﴾ و لا يفترق الحال فى هذا بين أن تكون ١٥
 'ها' من "هانتم" للتنبيه أو بدلا عن همزة استفهام - على ما تقدم ،
 فان معنى الإنكار هنا واضح على كلا الأمرين .

(١) فى ظ : ثبت (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : يعملون (٤) من مد ،
 وفى الأصل : لا تجزيهم ، وفى ظ : لا تجديهم (٥) فى ظ : للتنبيه (٦) فى ظ :
 الحل (٧) فى ظ : قبله (٨) زيد من ظ و مد (٩) من مد ، وفى الأصل : تنقطع ،
 وفى ظ : ينقطع .

و لما كان من أعظم المحاسن كف الإنسان عما لا علم له به ، عطف
على الجملة من أولها من غير تقييد بيوم القيامة منبها على قبح المجادلة عنهم
بقصور علم الخلائق قوله : ﴿ ام من يكون ﴾ أى فيما يأتى من الزمان
﴿ عليهم وكيلا ﴾ أى يعلم منهم ما يعلم الله سبحانه و تعالى بأن
٥ يحصى^١ أعمالهم فلا يغيب عنه منها شيء ليجادل الله عنهم ، فيثبت^٢ لهم
ما قارفوه^٣ ، و بنى عنهم^٤ ما لم يلابسوه / ويرعاهم^٥ و يحفظهم مما يأتهم به
/ ٥١٦
القدر من الضرر و السكدر .

و لما نهى عن نصرة الخائن و حذر منها ، ندب^٦ إلى التوبة من كل
سوء فقال - عاطفا على ما تقديره : فن يصر على مثل هذه المجادلة يحد الله
١٠ عليها حكما^٧ - : ﴿ و من يعمل سوءا ﴾ أى قبيحا متعديا يسوء^٨
غيره^٩ شرعا ، عمدا^{١٠} - كما فعل طعمة - أو غير^{١١} عمد ﴿ او يظلم نفسه ﴾
بما لا يتعداه إلى غيره شركا كان أو غيره ، أو بالرضى لها بما غيره أعلى
منه ، و لم يسمه بالسوء لأنه لا يقصد نفسه بما يضرها في^{١٢} الحاضر
﴿ ثم يستغفر الله ﴾ أى يطلب من الملك الأعظم غفرانه بالتوبة بشروطها
١٥ ﴿ يحد الله ﴾ أى الجامع^{١٣} لكل كال ﴿ غفورا ﴾ [أى ممحيا للزلات -^{١٤}]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يخص (٢) فى ظ : ثبت (٣) من مد ، و فى
الأصل و ظ : قارفوه - كذا (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين
من ظ (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : غفورا رحيا (٧) من مد ، و فى
الأصل و ظ : بسوء (٨ - ٨) فى ظ : سرعا مدا - كذا (٩) فى ظ : غيره .
(١٠) فى ظ : من (١١) زيد بعده فى الأصل : فى الحاضر ، و لم تكن الزيادة فى
ظ و مد لحذفها (١٢) زيد من ظ .

(رحيماء) أى مبالغا فى إكرام من يقبل إليه من تقرب منى شبرا
تقربت منه ذراعا، ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتانى
بمشى أتيته هرولة. روى إسحاق بن راهويه عن عمر رضى الله تعالى عنه
و أبو يعلى الموصلى عن أبي الدرداء رضى الله تعالى عنه أن هذه الآية
نسخت "من يعمل سوءا يجز به" ^١ وأنها نزلت بعدها. ٥

ولما ندب إلى التوبة و رغب فيها، بين أن ضرر إثمه ^٢ لا يتعدى
نفسه، حثا على التوبة و تهيجا إليها لما جبل عليه ^٣ كل أحد من محبة
نفع نفسه و دفع الضر عنها فقال: (و من يكسب أثما) أى إثم كان
(فإنما يكسبه على نفسه) ^٤ لأن وباله راجع عليه إذ الله له بالمرصاد،
فهو مجازيه على ذلك لا محالة غير حامل لشيء ^٥ من إثم على غيره كما ١٠
أنه غير حامل لشيء ^٦ من إثم غيره عليه، و الكسب: فعل * ما يجر نفعا
أو يدفع ضرا ^٧.

ولما كان هذا لا يكون إلا مع العلم و الحكمة قال تعالى:
(و كان الله) أى الذى له كمال الإحاطة أزلا و أبدا (علما) أى
بالغ العلم بدقيق ذلك و جليله، فلا يترك شيئا منه (حكيماء) فلا يجازيه ١٥
إلا بمقدار ^٨ ذنبه، و إذا أراد شيئا وضعه فى أحكم مواضعه فلا يمكن
غيره شيء من نقضه.

(١) سورة ٤ آية ١٢٣ (٢) فى ظ: إبه - كذا (٣) من ظ و مد، وفى الأصل:
إليه (٤ - ٥) سقط ما بين الرقین من ظ (٥) فى ظ: نعال (٦) من ظ و مد،
وفى الأصل: ضر (٧) فى ظ و مد: مقدار.

نظم الدرر (سورة النساء ٤: ١١٢ و ١١٣) ج - ٥

و لما ذكر ما يخص الإنسان من إثم أتبعه ما يعديه إلى غيره فقال:
 ﴿ ومن يكسب خطيئة ﴾ أى ذنبا غير متعمد له ﴿ او اثما ﴾ أى ذنبا
 تعمده . و لما كان البهتان شديدا جدا قل من يجترئ عليه ، أشار^١ إليه
 بأداة التراخي فقال : ﴿ ثم يرم به بريئا^٢ ﴾ أى ينسبه إلى من لم يعمله -
 ٥ كما فعل طعمة باليهودى ، و ابن أبى الصديقة^٣ رضى الله تعالى عنها^٤ .
 و عظم جرم فاعل ذلك [بصيغة -^٥] الافعال^٦ فى قوله^٧ : ﴿ فقد احتمل ﴾
 [و -^٨] بقوله : ﴿ بهتانا ﴾ أى خطر كذب^٩ يهت المرمى به لعظمه ،
 وكأنه إشارة إلى ما يلحق الرامى فى الدنيا من الذم ﴿ و اثما ﴾ أى ذنبا
 كبيرا ﴿ مبنيا ﴾ يعاقب به فى الآخرة ، وإنما كان مبينا لمعرفته بخيانة^{١٠}
 ١٠ نفسه و براءة المرمى به ، و لأن الله سبحانه و تعالى أجرى عادته الجميلة
 أن يظهر براءة المقدوف [به -^{١١}] يوما ما بطريق من الطرق
 و لو لبعض الناس .

و لما وعظ سبحانه و تعالى فى هذه النازلة و حذر و نهى و أمر ،
 بين نعمته على نبيه صلى الله عليه وسلم فى عصمته عما^{١٢} أرادوه من مجادلته
 ١٥ عن الحائى بقوله تعالى : ﴿ و لو لا فضل الله ﴾ أى الملك الأعلى

- (١) فى ظ : إشارة (٢) من ظ و مد و القرآن المجيد ، و فى الأصل : برى .
 (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل ، بالصدى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنهما .
 (٥) زيد من ظ (٦-٦) من ظ ، و فى الأصل و مد : بقوله (٧) زيدت الواو
 من ظ و مد (٨) فى ظ : لذنب (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بخيانة (١٠) زيد
 من ظ و مد (١١) فى ظ : ما .

(عليك) أى بازال الكتاب (ورحمته) أى باعلاء أمرك وعصمتك من كل ذى كيد وحفظك فى أصحابك الذين أتوا يجادلون عن ابن عمهم سارق الدرع فى التمسك بالظاهر وعدم قصد العناد (لهمت طائفة منهم) أى فرقة فيها أهلية الاستدارة والتخلق، لا تزال تتخلق ففيل الآراء وتقلب الأمور^٢ وتدير^٣ الأفكار فى ترتيب ما تريد (ان ه يضلوك^٤) أى يوقعوك^٥ فى ذلك بالحكم ببراءة طعمة، ولكن الله حفظك فى أصحابك فاهموا بذلك، وإنما قصدوا المدافعة عن صاحبهم بما لم / يتحققوه، ولو هموا لما أضلوك (وما يضلون) أى على حالة من حالات هذا الهم (الآ انفسهم) إذ وبال ذلك عليهم (وما يضرونك) أى يحددون^٦ فى شرك^٦ حالا ولا^١ مآلا باضلال ولا^{١٠} غيره (من شيء^٧) وهو وعد بدوام العصمة فى الظاهر والباطن كآية^٨ المائدة^٩ أيضا وإن كانت هذه بسياقتها ظاهرة فى الباطن وتلك ظاهرة فى الظاهر (وانزل الله) أى^١ الذى له جميع العظمة (عليك) وأنت أعظم الخلق عصمة لأمتك (الكتب) أى^١ الذى تقدم أول^٩ القصة الإشارة إلى كماله وجمعه لخيري^{١٠} الدارين (والحكمة) ١٥

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: القلوب (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: تكرير.

(٤) من مد، وفى الأصل و ظ: يوقعون (ه) من ظ ومد، وفى الأصل:

يحددون (٦) فى ظ: خيوك (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: فاية - كذا.

(٨) أى توله تعالى "وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا" رقم الآية ٤٢.

(٩) فى ظ: او - كذا (١٠) فى ظ: لخير.

أى الفهم لجميع مقاصد الكتاب فتكون أفعالك و أفعال من تابعك فيه على أتم الأحوال ، فتظفروا بتحقيق العلم وإتقان العمل^١ ، و عمم بقوله : ﴿ و عليك ما لم تكن تعلم^٢ ﴾ أى من المشكلات و غيرها غيا و شهادة من أحوال الدين و الدنيا ﴿ و كان فضل الله ﴾ أى المتوحد بكل كمال ﴿ عليك عظيما^٣ ﴾ أى بغير ذلك من أمور لا تدخل تحت الحصر ، وهذا من أعظم الأدلة على أن العلم أشرف الفضائل .

و لما كان قوم طعمة قد ناجوا النبي صلى الله عليه و سلم في الدفع عنه^٤ ، نبههم سبحانه و غيرهم على ما ينبغى^٥ أن يقع به التاجي ، و يحسن فيه التفاضل و التجاذب على وجه ناه عن غيره أشد نهى بقوله سبحانه ١٠ و تعالى : ﴿ لا خير في كثير من نجوهم ﴾ أى نجوى جميع المناجين ﴿ الا من^٦ ﴾ أى نجوى من^٧ ﴿ امر بصدقة ﴾ و لما خص الصدقة لعزة المال في ذلك الحال ، عمم^٨ بقوله : ﴿ او معروف ﴾ أى معروف كان مما يبيحه الشرع من صدقة و غيرها .

و لما كان إصلاح ذات البين أمرا جليلا ، نبه على عظمه بتخصيصه^٩ ١٥ بقوله : ﴿ او اصلاح بين الناس^{١٠} ﴾ أى عامة ، فقد بين سبحانه و تعالى أن غير المستثنى من التاجي لا خير فيه ، و كل ما اتقى عنه الخير كان مجتبا - كما روى أحمد و الطبراني في الكبير بسند لا بأس به و هذا لفظه

(١) في ظ : العلم (٢) من مد ، و في الأصل و ظ : عنهم (٣) في ظ : لا ينبغي .
(٤) زيد من ظ و مد و القرآن المجيد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : تم (٧) في ظ : تخصيصه .

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أن عيسى عليه الصلاة والسلام قال: إنما الأمور ثلاثة: أمر تبن لك رشده فاتبعه، وأمر تبن لك غيه فاجتنبه، وأمر اختلف فيه فرده إلى عالمه .

و لما كان التقدير: فن أمر بشيء من ذلك فنجواه خير، وله ه عليها أجر؛ عطف عليه قوله: ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الذى أمر به من هذه الأشياء ﴿ ابتغاء مرضات الله ﴾ الذى له صفات الكمال، لأن العمل لا يكون له روح إلا بالنية ﴿ فسوف تؤتيه ﴾ أى فى الآخرة بوعده لا خلف فيه ﴿ اجرا عظيما ﴾ وهذه الآية من أعظم الدلائل على أن المطلوب من أعمال الظاهر رعاية أحوال القلب فى ١٠ إخلاص النية، و تصفية الداعية عن 'الالتفات إلى' غرض دنيوى، فان كان رياء انقلبت فصارت من أعظم المفاسد .

و لما رتب سبحانه وتعالى الثواب العظيم على الموافقة، رتب العقاب الشديد على المخالفة و المشاققة، [و - '] وكل المخالف إلى نفسه بقوله تعالى: ﴿ ومن يشاقق الرسول ﴾ أى الكامل فى الرسلية، فيكون بقلبه ١٥ أو شيء من فعله فى جهة غير جهته على وجه المقاهرة، و عبر بالمضارع رحمة منه سبحانه بتقييد الوعيد بالاستمرار، و أظهر القاف إشارة إلى تعليقه بالمجاهرة، و لأن السياق لأهل الأوثان و هم مجاهرون، و قد جاهر سارق الدرعين الذى كان سببا لنزول الآية فى آخر قصته^٢ - كما مضى .

(١-١) - سقط ما بين الرقین من ظ (٢) زيدت الواو من مد (٢) فو ظ: قصة .

ولما كان في سياق تعليم الشريعة التي لم تكن معلومة قبل الإجماع بها،
لا في سياق الملة المعلومة بالعقل، 'أتى بـ' من 'تقييدا للتهديد' / بما
بعد الإعلام بذلك فقال: (من بعد ما) ولو حذف لفهم اختصاص
الوعيد بمن استغرق زمان البعد بالمشاققة. ولما كان ما جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم في غابة الظهور قال: (تبين له الهدى) أى
الدليل الذى هو سببه.

ولما كان المخالف للإجماع لا يكفر^٢ إلا بمنازمة المعلوم بالضرورة،
عبر بعد التبين، بالاتباع فقال: (ويتبع غير سبيل) أى طريق
(المؤمنين) أى الذين صار الإيمان لهم صفة راسخة، والمراد الطريق
١٠. المعنوى، وجه الشبه الحركة البدنية الموصلة إلى المطلوب في الحسى،
والنفسانية في مقدمات الدليل الموصل إلى المطلوب في المعنوى (نوله)
أى بعظمتنا في الدنيا والآخرة (ما تولى) أى نكله^٣ إلى ما اختار
لنفسه وعالج فيه فطرته الأولى خذلانا منا له (ونصله) أى فى الآخرة
(جهنم^٤) أى تلقاه بالكراهة والغلظة والعبوسة كما تجهم أوليائنا
١٥ و شاققهم.

ولما كان التقدير: فهو صائر إليها لا محالة، بين حالها في ذلك فقال:
(وسأت مصيرا^٥) وهذه الآية دالة على أن الإجماع حجة لأنه
لا يتوعد إلا على مخالفة الحق، وكذا حديث 'لا تزال طائفة من أمتي
(١-١) فى ظ: أتى من (٢) فى ظ: لتهديد (٣) فى ظ: لا يكفوا - كذا (٤) من
مد، وفى الأصل و ظ: التبيين (٥) فى ظ: الذى (٦) فى ظ: بكلمة - كذا.
قائمة

قائمة بأمر الله - وفي رواية : ظاهرين على الحق - حتى يأتي أمر الله ،
رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم
ثوبان والمغيرة وجابر بن سمرة وجابر بن عبد الله ومعاوية وأنس
وأبو هريرة ، بعض أحاديثهم في الصحيحين ، وبعضها في السنن ، وبعضها
في المسانيد ، وبعضها في المعاجم وغير ذلك ؛ ووجه الدلالة أن الطائفة ^٥
التي شهد لها النبي صلى الله عليه وسلم بالحق في جملة أهل ^٢ الإجماع -
والله سبحانه وتعالى الموفق .

ولما كان فاعل ذلك بعد بيان الهدى هم أهل الكتاب ومن أضلوه
من المنافقين بما ألقوه إليهم من الشبه ، فردوهم إلى ظلام الشرك والشك
بعد أن بهرت ^٢ أبصارهم أشعة التوحيد ؛ حسن إيلاؤه قوله سبحانه ^{١٠}
و تعالى - معللا تعظيما لأهل الإسلام ، وحثا على لزوم هديهم ، وذما
لمن نابذهم وتوعدا له ، إشارة إلى أن من خرق إجماع ^٢ المسلمين صار
حكمه حكم المشركين ، فكيف بمن نابذ المرسلين ^٥ - : (ان الله) أى
الاحد المطلق فلا كفوء له (لا يغفر ان يشرك به) أى وقوع الشرك
به ، من أى شخص كان ، وبأى شيء كان ، لأن من قدح في الملك ^{١٥}
استحق البوار والهلك ، وسارق الدرع أحق الناس بذلك (ويغفر
ما ^١) أى كل شيء هو (دون ذلك) أى الأمر الذى لم يدع للشناعة
(١) في ظ : المطابقة (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : اعل (٣) في ظ : بهزت -
كذا (٤) في ظ : الإجماع (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : المشركين (٦) تأخر
في الأصل عن « شيء هو » والترتيب من ظ و مد .

موضعا - كما هو شأن من ألقى السلم و دخل في ربة العبودية ، ثم غلبته الشهوة فقصر^١ في بعض أنواع الخدمة . ثم دل^٢ على نفوذ أمره بقوله :
(لمن يشاء^٣) .

و لما كان التقدير : فان من أشرك به فقد افترى إثما مينا^٤ ، عطف عليه قوله : (ومن يشرك) أى يوقع هذا الفعل القدر جدا في أى وقت كان من ماض أو حال أو استقبال مداوما على تجديده (بالله) أى الملك الذى لا نزاع فى تفرد به بالعظمة لأنه لا خفاء فى ذلك عند أحد (فقد ضل) أى ذهب عن السنن الموصل (ضللا بعيدا) لا يمكن سلامة مرتكبه ، و طوى مقدمة الافتراء الذى هو تعتمد الكذب ، و ذكر مقدمة الضلال ، لأن معظم السياق للعرب أهل الأوثان و الجهل فيهم فاش ، بخلاف ما مضى لأهل الكتاب فان كفرهم عن علم ، فهو تعتمد للكذب .

و لما كان المنافقون هم المقصودين بالذات بهذه الآيات ، و كان أكثرهم أهل أوثان ؛ ناسب كل المناسبة قوله^٥ معللا لأن الشرك ضلال :
١٥ / ٥١٩ (ان) أى ما (يدعون) و ما / أنسب^٦ التعبير لعباد^٧ الأوثان عن العبادة بالدعاء إشارة إلى أن كل معبود لا يدعى فى الضرورات^٨ فيسمع ، فعابده^٩ أجهل الجهلة . و لما كان كل شيء [دونه -^٩] سبحانه

(١) من مد ، وفى الأصل و ظ : فـ قصير (٢) فى ظ : ا دل (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : عظيما (٤) فى ظ : بقواه (٥) فى ظ : السبب (٦) من مد ، وفى الأصل : لعبادة ، وفى ظ : بعبادة (٧) فى ظ : الضروريات (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : فعابده (٩) زيد من ظ و مد .

و تعالى ، لأنه تحت قهره ؛ قال محتقرا لما عبده : ﴿ من دونه ﴾ أى وهو الرحمن .

و لما كانت معبوداتهم أوثانا متكررة ، و كل كثرة تلزمها الفرقة و الحاجة و الضعف مع أنهم كانوا يسمون بعضها بأسماء الإناث من اللات و العزى ، و يقولون فى الكل : إنها بنات الله ، و يقولون عن كل صنم : أتى بنى فلان ؛ قال : ﴿ الآ اثناج ﴾ أى فجعلوا أنفسهم للإناث عبادا و هم يأتقون من أن يكون لهم أولادا ، و فى التفسير من البخارى : " اثنا " يعنى الموات حجرا أو مدرا - أو ما أشبه ذلك ؛ هذا مع أن مادة ' أنث ' و ' وثن ' يلزمها فى نفسها الكثرة و الرخاوة و الفرقة ،

و كل ذلك فى غاية البعد عن رتبة الإلهية ، و سيأتى إن شاء الله تعالى ١٠ بسط ذلك فى سورة العنكبوت و أن هذا القصر^٢ قلب قصر^٢ لاعتقادهم أنها آلهة ، و معنى الحصر : ما هى إلا غير آلهة لما لها من النقص ﴿ و ان يدعون ﴾ أى يعبدون فى الحقيقة ﴿ الا شيطنا ﴾ أى لأنه هو الأمر لهم بذلك ، المزين لهم^٢ ﴿ مريدا لا ﴾ أى عاتيا صلبا عاصيا ملازما

للعبان ، مجردا^١ من كل خير ، محترقا بأفعال الشر ، بعيدا من كل أمن ، ١٥ من^١ : شاط و شطن ؛ و مرد - بفتح عينه و ضمها ، و عبر بصيغة فعل التى هى للبالغنة فى سياق ذمهم تنبيها على أنهم تعبدوا لما لا إلباس فى شرارته ، لأنه شر كله ، بخلاف ما فى سورة الصافات ، فان سياقه يقتضى

(١) سقط من ظ (٢-٢) فى ظ : قصير قلب (٣) فى ظ : له (٤) فى ظ : محودا - كذا .

عدم المبالغة - كما سيأتى إن شاء الله تعالى؛ ثم بين ذلك بقوله: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أى أبعدته^١ الملك الأعلى من كل خير فبعد فاحترق.

ولما كان التقدير: فقال إصرارا على العداوة بالحسد: وعزتك

لا تجتهدن في إبعاد غيرى كما أبعدتنى عطف عليه قوله: ﴿وقال

ه لا تأخذن﴾ أى والله لا تجتهدن في أن آخذ ﴿من عبادك﴾ الذين هم^٢

تحت قهرك، ولا يخرجون عن^٣ مرادك ﴿نصيبا مفروضا﴾ أى جزءا

أنت قدرته لى ﴿ولا ضلنهم﴾ أى عن طريقك السوى بما سلطنتى^٤

به من الوسوس و تزوين الأباطيل ﴿ولا مئنيهم﴾ أى كل ما أقدر

عليه من الباطل من عدم البعث وغيره من طول الأعمار و بلوغ الآمال

١٠ من الدنيا والآخرة بالرحمة والعفو والإحسان ونحوه مما هو سبب

للتسوية بالتوبة ﴿ولا أمرنهم﴾.

ولما كان قد علم بما طبعوا^٥ عليه من الشهوات والحظوظ السنى

مياتهم لطاعته، وكانت طاعته فى الفساد عند كل عاقل فى غاية الاستبعاد؛

أكد قوله: ﴿فليتكن﴾ أى يقطعن تقطيعا كثيرا ﴿أذان الانعام﴾

١٥^٦ ويشققونها علامة على ما حرموه على أنفسهم ﴿ولا أمرنهم فليغيرن

خلق الله^٧﴾ أى الذى له الحكمة الكاملة فلا كفوء له، بأنواع التغيير^٨

من تغيير الفطرة الأولى السليمة إلى ما دون ذلك من فقه^٩ عين الحامى^{١٠}،

(١) فى ظ: أبعد (٢) فى ظ: من (٣) فى ظ: غير - كذا (٤) من مد، وفى

الأصل و ظ: سلطنى (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: طبعوه (٦-٧) سقط ما

بين الرقين من ظ (٧) من مد، وفى الأصل و ظ: العبير (٨) فى الأصل و ظ:

نمى، وفى مد: فنى - كذا (٩) هو لغل الإبل إذا طال مكثه حتى بلغ نتاج نتاجه.

ونحو

ونحو ذلك، وهو إشارة إلى ما حرم أهل الجاهلية على أنفسهم بالتقريب
للأصنام من السائبة وما معها، المشار إلى إبطاله في أول المائدة بقوله
"أحللت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم" المصرح به في آخرها بقوله
"ما جعل الله من بحيرة" - الآية، ويكون التغيير بالوشم والوشر^١، ويدخل
فيه كل ما خالف الدين، فإن الفطرة الأولى داعية إلى خلاف ذلك ٥
حتى أدخلوا فيه تشبيه الرجال بالنساء في التخث و ما يتفرع عنه في تشبيه
النساء بالرجال في السحق و ما نحا فيه^٢ نحوه .

/ ولما كان التقدير: فقد خسر^٣ من تابعه في ذلك^٤، لأنه صار
للسيطان ولياً^٥؛ عطف عليه معماً قوله: ﴿ومن يتخذ﴾ أى يتكلف
منهم و من غيرهم تغيير الفطرة الأولى فيأخذ ﴿الشيطان ولياً﴾ ولما كان ١٠
ذلك ملزوما لمحادة الله سبحانه وتعالى، و كان ما هو أدنى من رتبته في
غاية الكثرة؛ [بعض - *] ليفهم الاستغراق من باب الأولى^٦ فقال:
﴿من دون الله﴾ أى المستجمع لكل وصف جميل ﴿فقد خسر﴾
باتخاذ ذلك ولو على أدنى وجوه الشرك ﴿خسرانا مبيناً﴾ أى في غاية
الظهور والرداءة بما تعطيه^٧ صيغة الفعلان^٨، لأنه تولى من لا خير ١٥
عنده؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿يعدم﴾ أى بأن يخل إليهم بما يصل إلى
قلوبهم بالوسوسة في شيء من الأباطيل أنه قريب الحصول، و^٩ أنه

(١) في ظ: الشر (٢) سقط من مد (٣) سقط من ظ (٤) العبارة من هنا إلى
"ومن يتخذ" متكررة في الأصل بعدد الى خلاف ذلك (٥) زيد من ظ .
(٦) من ظ و مد، وفي الأصل: أولى (٧) في ظ: يعطيه (٨) في ظ: بالفعلان .
(٩) من ظ و مد، وفي الأصل: او .

لا درك في تحصيله^١ ، وأنه إن لم يحصل كان في فواته ضرر ، فيسعون
 في تحصيله ، فيضيع عليهم في ذلك الزمان ، ويرتكبون فيه ما لا يحل
 من الأهوال والهوان (و يمنيهم^٢) أي يزين لهم تعليق الآمال بما
 لا يتأتى^٣ حصوله ؛ ثم بين ذلك بقوله : (وما^٤) أي والحالة^٥ أنه
 ما (يعدم^٦) وأظهر في موضع الإضمار تنبيها على مزيد النفرة فقال :
 (الشيطان^٧) أي المحترق البعيد عن الخير ؛ (الاعوراء^٨) أي تزيينا
 بالباطل خداعا ومكرا وتليسا ، إظهارا - لما لا حقيقة له أوله حقيقة
 سيئة^٩ - في أبهى الحقائق وأشرفها وألذها إلى النفس وأشهاها إلى الطبع ،
 فان مادة 'غر' و'رغ' تدور على الشرف والحسن ورفاهة^{١٠} العيش ،
 ١٠ فالغرور إزالة ذلك .

ولما أثبت لهم ذلك أنتج بلا شك قوله : (اولئك^{١١}) أي
 البعداء من كل خير (ماوئهم جهنم^{١٢}) أي^{١٣} تتجههم وتنفذ^{١٤} عليهم
 بما اتخذوا من خلق منها وليا (ولا يحدون عنها محصاه^{١٥}) أي موضعا
 ما يملون إليه شيئا من الميل .

١٥ ولما ذكر ما للكافرين ترهيبا أتبعه ما لغيرهم ترغيبا فقال :

(والذين آمنوا^{١٦}) أي أقروا بالإيمان (وعملوا^{١٧}) أي تصديقا لإقرارهم
 (الصلحت سندخلهم^{١٨}) أي بوعد لا خلف فيه (جنت تجري^{١٩})

(١) من ظ ومد ، وفي الأصل : تحصيل (٢) في ظ : لا يأتي (٣) في ظ : الحال .
 (٤ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ ، وفي الأصل : نسية ،
 ولا يتضح في مد (٦) في ظ : رفاهية (٧-٧) في ظ : بهم وسعد - كذا .

و قرب و بعض بقوله: ﴿من تحتها الانهر﴾ أى لرى أرضها، فحيث ما أجرى منها نهر جرى .

ولما كان الإزعاج عن مطلق الوطن - ولو لحاجة تعرض^١ - شديداً، فكيف بهذا! قال: ﴿خلدين فيها﴾ ولما كان الخلود يطلق على مجرد المكث الطويل، دل على أنه لا إلى آخر بقوله: ﴿ابداً^٢﴾ ثم أكد ذلك هـ بأن الواقع يطابقه، وهو يطابق الواقع فقال: ﴿وعد الله حقاً^٣﴾ أى يطابقه الواقع، لأنه^٤ الملك الأعظم وقد برز وعده بذلك، ومن أحق من الله وعداً، وأخبر به^٥ خبراً صادقاً يطابق الواقع ﴿ومن اصدق من الله﴾ [أى -^٦] المختص بصفات الكمال ﴿قيلاً هـ﴾ وأكثر

من التأكيد هنا لأنه في مقابلة وعد الشيطان، وعد الشيطان موافق ١٠ للهوى الذى طبع عليه النفوس فلا تنصرف^٧ عنه إلا بعسر شديد .

ولما أخبر تعالى عما أعد لهم ولما أضلهم من العقاب وعما أعد للمؤمنين من الثواب، وكانوا يمتنون أنفسهم الأمانى الفارغة من أنه لا تبعه عليهم فى التلاعب بالدين، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، ويشجعهم على ذلك أهل الكتاب ويدعون أنهم أبناء الله وأحباؤه، لا يؤاخذهم ١٥ بشيء، ولا يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى أو من شفّعوا فيه؛ ونحو هذه التكاذيب مما يطعمون به من والاهم^٨ بأنهم ينجونه، وكان

(١) فـ ظ: بعرض (٢) من مد، وفى الأصل و ظ: لانت (٣-٢) فى ظ: أخبرته (٤) زيد من ظ (٥) من مد، وفى الأصل و ظ: فلا يتصرف (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: ولاهم .

نظم الدرر (سورة النساء ٤: ١٢٣ و ١٢٤) ج - ٥

المشركون يقولون: "نحن أكثر أموالا و أولادا و ما نحن بمعذيين"،
ونحو ذلك - كما قال^٢ العاصي بن^٢ وائل الحباب بن الأرت وقد تقاضاه
ديننا كان له عليه: دعنى إلى تلك الدار فأقضيك بما لى فيها، فوالله
/ لا تكون أنت و صاحبك فيها آثر^٣ عند الله منى و لا أعظم حظا،
ه فأزل الله فى ذلك "افرهبت الذى كفر بآيتنا" - الآيات من آخر مریم،
و يقول لهم أهل الكتاب: أنتم أهدى سبيلا، لما كان ذلك قال تعالى
رادا على الفريقين: ﴿ليس﴾ [أى - °] ما وعده^٤ الله و أوعده
﴿بأمانيك﴾ أى أيها العرب ﴿و لا أمانى أهل الكتب^٥﴾ أى التى
يمنيكم [جميعا بها - °] الشيطان .

١٠ و لما كانت أمانيتهم أنهم لا يجازون^٦ بأعمالهم الخبيثة، أتج ذلك
لا محالة قوله^٧: ﴿من يعمل سوءا يجز به لا﴾ أى بالمصائب^٨ من الأمراض
و غيرها، عاجلا إن أريد به الخير، و آجلا إن أريد به الشر، و ما أحسن
إيلاؤها لتمنية الشيطان المذكورة فى قوله "يعدم و يمينهم"^٩ ! فيكون
الكلام وافيًا بكشف عوار شياطين الجن ثم الإنس فى غرورهم لمن
١٥ خف معهم مؤيسا^{١٠} لمن قبل منهم، و ما أبدع ختامها بقوله: ﴿و لا

(١) سورة ٣٤ آية ٣٥ (٢-٢) من روح المعاني ٥/٢٠٤، وفى الأصل و مد:
القاضى، وفى ظ: القاصرون - كذا (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: آمن .
(٤) سورة ١٩ آية ٧٧ (٥) زيد من ظ و مد (٦) من مد، وفى الأصل و ظ:
وعد (٧) فى ظ: لا يجاوزون (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ: من المصائب .
(١٠) من مد، وفى الأصل و ظ: مونس .

يُجد له ﴿ و لما كان كل أحد قاصرا عن مولاه، عبر بقوله: ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى حازا جميع العظمة ﴿ وليا ﴾ أى قريبا يفعل معه ما يفعل القريب ﴿ ولا نصيرا ﴾ أى ينصره فى وقت ما ١ و ما أشد الشامها بختام أول الآيات المحذرة منهم ” ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكشب يشترون الضلالة - إلى قوله: وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا“ ٥ إشارة إلى أن مقصود المنافقين من مشايعة ٢ أهل الكتاب و متابعتهم إنما هو الولاية و النصرة، وأنهم قد ضيعوا منيتهم فاستنصروا بمن لا نصرة له، وتركوا من ليست النصرة إلا له .

و لما أبدى جزاء المسىء تحذيرا، أولاه أجر المحسن تبشيرا فقال:

﴿ و من يعمل ﴾ و خفف تعالى عن عباده بقوله: ﴿ امن الصلح ﴾ ١٠ و لما عمم ٢ بذكر ” من “، صرح بما اقتضته فى قوله: ﴿ من ذكر او اثنى ﴾ و قيد ذلك بقوله: ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه ﴿ مؤمن ﴾ ليكون بناؤه الأعمال على أساس الإيمان ﴿ فاولئك ﴾ أى العالو الرتبة، و بنى فعل الدخول للفعل فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو و أبى جعفر و أبى بكر عن عاصم و روح عن يعقوب، و للفاعل فى قراءة غيرهم، ١٥ لأن المقصود نفس الفعل، لا كونه من فاعل معين؛ و إن كانت قراءة الاولين أكثر فائدة ﴿ يدخلون ﴾ أى يدخلهم الله ﴿ الجنة ﴾ أى الموصوفة ﴿ و لا يظلمون ﴾ و بنى الفعل للجهول، لأن المقصود الخلاص

(١) سقط من ظ (٢) ف ظ: مسايعة - كذا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: عم .

منه لا بقيد فاعل معين ﴿نقيراه﴾ أى لا يظلم الله المطيع منهم بنقص شيء ما ، ولا العاصى بزيادة شيء ما ، والنقيز : ما فى ظهر النواة من تلك الوقبة الصغيرة جدا ، كفى بها عن العدم ، وهذا [على -^١] ما يتعارفه الناس^٢ وإلا فالله تعالى له أن يفعل ما يشاء ، فإن ملكه تام وملكه عام ، لا يتصور منه ظلم كيف ما فعل .

ولما كشف سبحانه زورهم وبين فجورهم ، أنكر أن يكون أحد أحسن دينا من اتبع ملة إبراهيم الذى^٣ يزعمون أنه كان على دينهم زعما تقدم كشف عواره وهتك أستاره فى آل عمران ، فقال عاطفا على ما تقديره : فمن أحسن دائنا ومجازيا وحاكما منه سبحانه وتعالى :
 ١٠ ﴿ ومن احسن دينا ﴾ أو يكون التقدير : لأنهم^٤ أحسنوا فى دينهم ومن أحسن دينا منهم ! لكنه أظهر الوصف تعميما وتعليقا للحكم به وتعليما لما^٥ يفعل المؤمن وحثا عليه فقال : ﴿ من اسلم ﴾ أى أعطى .
 ولما كان المراد الإخلاص الذى هو أشرف الأشياء ، عبر عنه

بالوجه الذى هو أشرف الأعضاء فقال : ﴿ وجهه ﴾ أى قياده^٦ ، أى
 ١٥ الجهة التى يتوجه إليها بوجهه ، أى قصده كله الملازم للإسلام نفسه كلها ﴿ لله ﴾ فملا حركة له ولا سكنة إلا فيما يرضاه ، لكونه الواحد الذى لا مثل له ، فهو حصر بغير صيغة الحصر ، فأفاد فساد طريق^٧ من

(١) زيد من ظ ومد (٢-٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : يتعارفونه الله - كذا .
 (٣) فى ظ : الذين (٤) فى ظ : لهم (٥) فى ظ : بما (٦) فى ظ : قاده - كذا .
 (٧) سقط من ظ .

٥٢٢ /

لفت وجهه نحو سواه^١ باستعانة أو غيرها ولا سيما المعتزلة / الذين يرون^٢ الطاعة من أنفسهم ، ويرون أنها موجبة لثوابهم ، والمعصية كذلك وأنها موجبة^٣ لعقابهم ، فهم في الحقيقة لا يرجون إلا أنفسهم ، ولا يخافون غيرها ؛ وأهل السنة فوضوا التدبير والتكوين والخلق إلى الحق ، فهم المسلمون .

ولما عبر تعالى عن كمال الاعتقاد بالماضي ، شرط فيه الدوام والأعمال الظاهرة بقوله : ﴿ وهو ﴾ أى والحال أنه ﴿ محسن ﴾ أى مؤمن مراقب ، لا غفلة عنده أصلاً ، بل الإحسان صفة له^٤ راسخة ، لأنه يعبد الله كأنه يراه ، فقد اشتملت هذه الكلمات العشر على الدين كله أصلاً وفرعاً مع الترغيب بالممدح الكامل لمتبعه وإفهام الذم^٥ .
الكامل لغيره .

ولما كان هذا^٦ ينتظم من كان على دين أى نبي كان قبل^٧ نسخه ، قيده بقوله : ﴿ واتبع ﴾ أى بجهد منه ﴿ ملة إبراهيم ﴾ الذى اشتهر عند جميع الطوائف أنه ما دعا إلا إلى الله سبحانه وتعالى وحده ، وتبرأ مما سواه من فلك و كوكب و صنم و طبيعة و غيرها حال كون ذلك^٨ المتبع ﴿ حنيفاً ﴾ أى لنا سهلاً ميسراً مع^٩ الدليل ، والملة : ما دعت إليه الفطرة الأولى بمساعدة العقل السليم من كمال الإسلام بالتوحيد .

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : سوا (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : يريدون .
(٣) فى ظ : موجههم (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : الذل .
(٦) فى ظ : عن .

ولما كان التقدير ترغيا في هذا الاتباع : فقد جعل الله سبحانه
و تعالى ملة إبراهيم أحسن الملل ، و خلقه يوم خلقه خنيفا ، عطف عليه
قوله : ﴿ واتخذ الله ﴾ أى الملك الأعظم أخذ من هو معين بذلك بجهده
فيه ﴿ إبراهيم خيلا ٥ ﴾ لكونه كان خنيفا ، و ذلك عبارة عن اختصاصه
٥ بكرامة تشبه ١ كرامة الخليل عند خليله من ترديد ٢ الرسل بالوحي ٣ بينه
و بينه ، و إجابة الدعوة ، و إظهار الخوارق عليه و على آله ، و النصره
على الأعداء و غير ذلك من الألفاف ، و أظهر اسمه في موضع الإضمار
تصريحا بالمقصود احتراسا من الإبهام و إعلاء لقدره تنويها بذكره .

ولما أخبر ٤ بمن يحبه و من يينغه و بما ٥ يرضيه و ما ينضبه ،
١٠ و كان ربما توهم عدم القدرة على أخذه لغير ٦ ما أخذ ، و جعله لغير
ما جعل ، أو تمنعت بذلك تمنعت فظن ٧ أن في الكلام دخلا ٨ بنوع
[احتياج إلى - ٩] المحالة ١٠ أو غير ما قال : ﴿ و لله ﴾ أى و الحال
[أن - ٩] للختص بالوحدانية - فلا كفوه له - ﴿ ما في السموات ﴾ .

ولما كان السياق للنفاقين و المشركين أكد فقال : ﴿ و ما في
١٥ الارض ١ ﴾ من إبراهيم عليه الصلاة و السلام و ١١ من غيره
إشارة إلى أنه التام المُلْك العظيم [المُلْك - ٩] ، فلا يعطى
إلا من تابع أوليائه و جانب أعدائه ، و لا يختار إلا من علمه خيارا

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : تشبيه (٢) في ظ : يريد - كذا (٣) في ظ :
بالوجه (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : اخذ (٥) في ظ : ما (٦) من ظ و مد ،
و في الأصل : لغيره (٧) في ظ : يظن (٨) في ظ : دخولا (٩) زيد من ظ و مد -
(١٠) في ظ : المجادلة (١١) سقطت الواو من ظ .

و^١ هو مع ذلك قادر على ما يريد من ^٢ إقرار و ^٣ تبديل ، ولذلك قال : (و كان الله) أى الملك الذى له الكمال كله (بكل شئ) أى منها ومن غيرهما (محيط) أعلمها وقدرة ، فهما ^٤ راد كان فى وعده و وعيده للطبع و العاصى ، لا يخفى عليه أحد منهم ، ولا يعجزه شئ .

ولما كان سبحانه و تعالى قد رتب هذا الكتاب على أنه يذكر أحكاما من الأصول و الفروع ، ثم يفصلها بوعده و وعيده و ترغيب و ترهيب ، و ينظمها ^٥ بدلائل كبرياته و جلاله و عظيم بره و كماله ، ثم يعود إلى بيان الأحكام على أبداع نظام ^٦ لأن إلقاء المراد فى ذلك القلب أقرب إلى القبول ، و النظم كذلك أجدر ^٧ بالتأثير فى القلوب ، ١٠ لأن التكليف بالأعمال الشاقة لا تنقاد له النفوس إلا إذا كان مقروفا بيشارة و نذارة ، و ذلك لا يؤثر إلا عند القطع بغاية الكمال لمن صدر عنه ذلك المقال ، و لا ينتقل مع ذلك من أسلوب إلى آخر إلا على غاية ما يكون من المناسبة بين آخر كل نوع و أول ما بعده بكمال التعلق لفظا و معنى ، و فعل سبحانه و تعالى فى هذه السورة فى أحكام ١٥ العدل الذى بدأ السورة به فى المواصلة التى مبناهما النكاح و الإرث و غير ذلك مما اتصل به - كما بين - إلى أن ختم هنا بالإسلام المثمر لقبول ذلك

(١) فى ظ م (٢-٢) فى ظ : افراد و تبد - كذا (٣) من مد ، وفى الأصل : فهما ، وفى ظ : فهما (٤) من مد ، وفى الأصل : ينظها ، وفى ظ : سطها - كذا . (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : للتأثير .

كله / وعظمة الملك الموجبة لتمام الإسلام، وقامت^١ البراهين و سطعت
الحجج، وكان من أعظم مقاصد السورة العدل في الضعفاء من الأيتام
وغريم في^٢ الميراث^٣ وغيره^٤، وكان توريث النساء والأطفال - ذكورا
كانوا أو إناثا - مما أبته نفوسهم، وأشربت بغضه قلوبهم، وكان التفريق
في إثبات ما هذا سبيله أنجح، وإلقاؤه شيئا فشيئا في قوالب البلاغة
ه أنفع؛ وصل بذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ في جملة حاله من
اسم الجلالة^٥ التي قبلها، أي له ما ذكر فلا مساغ^٦ للاعتراض عليه
والحال أنهم يستلونك طلبا لأن تتفق عليهم بالجواب في بعض ما أعطى
من ملكه لبعض^٧ مخلوقاته ﴿فِي النِّسَاءِ^٨﴾ طمعا في الاستئثار^٩ عليهن
١٠ بالمال وغيره محتجين بأنه لا ينبغي أن يكون المال إلا لمن يحمي الذمار
والحال أنهم قد عبدوا من دونه إناثا، [وجعلوا لها مما خولهم فيه من
الرزق الذي ملكهم له بضعف^{١٠} من الحرث والآنعام نصيبا، فلا تعجب
من حال من كرر الاستفتاء - الذي لا يكون في العرف غالبا إلا فيما فيه
اعتراض - في إناث أحياء وأطفال ذكور وأعطاهم الملك التام الملك
١٥ العظيم الملك بعض^{١١} ما يريد، ولم يعترض على نفسه حيث أعطى إناثا -"]
(١) في ظ : اقامة (٢) في ظ : من (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٤-٤) في
ظ : حله خالية (٥) في ظ : الحسالة - كذا (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل :
امتناع - كذا (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : بعض (٨) من ظ و مد ، وفي
الأصل : الاستئثار (٩) من مد ، وفي ظ : ضعيف - كذا (١٠) من مد ، وفي ظ :
بعض (١١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .

لا حياة لها ولا منفعة بما في يده، وملكه في الحقيقة لغيره، ولم يأذن فيه المالك ما لا ينتفع به المعطى .

ولما كان المقام بكثرة الاستفتاء محتاجا إلى زيادة الاعتناء قال:

(قل الله) آمرا معبرا بالاسم الأعظم منها على استحضار ما ذكر أول السورة (يفتيكم) أى بين لكم حكمه (فيهن *) أى 'الآن ه لأن تقوموا لهن' بالقسط (وما) أى مع ما (بتلى عليكم) أى تجدد فيكم تلاوته ' إلى آخر الدهر سيفا قاطعا وحكما ماضيا جامعا (فى الكتب) أى فيما سبق أول السورة فى قوله " وان خفتم الا تقسطوا فى " اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء " وغير ذلك ٢

(فى يثنى النساء) أى فى شأن اليتامى من هذا الصنف (التى ١٠ لا توتونهن) أى بسبب التوقف فى ذلك و 'تكرير الاستفتاء' عنه (ما كتب لهن) أى ما فرض من الميراث وسائر الحقوق فرضا هو فى غاية اللزوم (و ترغبون ان) أى فى أن أو عن أن (تنكحوهن) لجمالهن أو لدمايتهن * (و) يفتيكم فى ٦ (المستضعفين) أى الموجود ضعفهم و المطلوب إضعافهم ، بمنعهم حقوقهم (من الولدان *) ١٥

ولما كان التقدير: فى أن تقوموا لهم بالقسط ، ٧ أى فى ٧ ميراثهم وسائر حقوقهم ، ولا تحقروهم لصغرهم ٤ ؛ عطف عليه قوله: (وان تقوموا) أى تفعلوا فيه من القوة والمبادرة فعل القائم المشط (لليتامى)

(١-١) فى ظ: بأن لا . ووا لهم - كذا (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل: تلاوة .

(٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤-٤) من ظ ومد ، وفى الأصل: تكرار

استفتاء (٥) فى ظ: لزمايتهن (٦) فى ظ " و " (٧-٧) فى ظ: من ، وفى مد: أى من .

(٨) من ظ ومد ، وفى الأصل: اضعفهم .

من الذكور و الإناث ﴿ بالقسط ﴾ أى ^١ بالعدل من الميراث وغيره .
ولما كان التقدير : فما تفعلوا في ذلك من شرفان الله كان به
عليما و عليكم قديرا ؛ عطف عليه قوله ترغيا : ﴿ وما تفعلوا من خير ﴾
أى في ذلك أو ^٢ غيره ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ كان
به عليما ﴾ أى فهو جدير - وهو أكرم الأكرمين وأحكم الحاكمين - بأن
يعطى فاعله على حسب كرمه و علو قدره ، فطيوا نفسا و تقروا عنا ؛
روى البخارى فى الشركة و النكاح و مسلم فى آخر الكتاب و أبو داود
و النسائى فى النكاح عن عروة أنه سأل عائشة رضى الله تعالى عنها عن
قول الله عز و جل " فان خفتم الا تقسطوا فى التامى - إلى - رباع " ^{١٠}
قالت : يا ابن أختى ^{١٢} هى القيمة تكون فى حجر وليها تشاركه ^١ فى
ماله ، فيعجبه مالها و جمالها ، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط ^٥
فى صداقتها فيعطىها مثل ما يعطيها غيره ، فتهوا أن ينكحوهن ^٦ إلا أن
يقسطوا لهن و ييلغوا ^٨ بهن أعلى سنتهن ^٩ من الصداق و أمروا ^{١١} أن
ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن ؛ [قال عروة - "] : قالت عائشة
^{١٥} رضى الله عنها : ثم إن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : فى (٣) من صحيح البخارى و مسلم و سنن
أبى داود و النسائى ، وفى الأصول : انى (٤) فى سنن أبى داود و النسائى :
تشاركه (٥) فى ظ : يقصد - كذا (٦) من ظ و المراجع الأربعة ، وفى الأصل
و مد : من (٧) فى ظ : تنكحوهن (٨) فى ظ : تبالغوا (٩) من المراجع الأربعة ،
وفى الأصل : سنهم ، وفى ظ و مد : سنتهم (١٠) من ظ و المراجع الأربعة ،
وفى الأصل و مد : امر (١١) زيد من المراجع الأربعة .

[بعد هذه الآية فيهن - ١] [فأنزل الله عز وجل - ١] ” و يستفتونك
 - إلى - و ترغبون أن تنكحوهن “ [٢ - و الذي ذكر الله ٣ أنه يتلى ٤ عليكم
 في الكتاب : الآية الأولى ٥ التي قال ٦ فيها ” ٧ و أن ٨ خفتم إلا تقسطوا
 في اليتامى ٩ فانكحوا ما طاب لكم من النساء ١٠ “ قالت عائشة رضي الله
 عنها : و قول الله تعالى في الآية الأخرى ” و ترغبون أن تنكحوهن “ [٥
 هي ١ رغبة أحدكم ٢ يتيمته - و قال مسلم ٣ : عن يتيمة - التي تكون
 في حجره حين تكون قليلة المال و الجمال ، فهو أن ينكحوا ما رغبوا
 في مالها و جمالها من / يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهن عنهن ،
 زاد مسلم : إذا كن قليلات المال و الجمال ، و قال البخاري في النكاح :
 فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا ١٠
 فيها إلا أن يقسطوا لها و يعطوها ١٢ حقها الآوفي في الصداق ؛ و في البخاري

٥٢٤ /

<http://it.me/Tehqiqat>

(١) زيد من المراجع الأربعة ، إلا أن لفظة « فيهن » ليست في البخاري ، و « هذه
 الآية » ليست في النسائي (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد و المراجع الأربعة .
 (٣) من المراجع الأربعة ، وليس في ظ و مد (٤-٤) من الصحيحين ، و في سنن
 أبي داود : عليهم في الكتاب ، و في سنن النسائي : في الكتاب ، و ليس في ظ و مد .
 (٥) من مد و المراجع الأربعة ، و في ظ : الأولى (٦) ليس في النسائي ، و زيد
 بعده في الصحيحين و أبي داود : الله (٧-٧) من المراجع الأربعة و القرآن الكريم ،
 و في ظ و مد : فإن (٨-٨) من المراجع الأربعة ، و ليس في ظ و مد (٩) من
 البخاري و أبي داود ، و في الأصل ظ و مد : و من ، و ليس في مسلم و النسائي .
 (١٠) من المراجع الأربعة ، و في الأصل ظ و مد : أحدهم (١١) و أيضا
 أبو داود و النسائي (١٢) من ظ و مد و البخاري ، و في الأصل : يعطونها .

ومسلم في التفسير عن عروة أيضا " يستفتونك في النساء " - الآية
 قالت^١ : هو الرجل تكون عنده القيمة هو وليها ووارثها فأشركته
 - وقال مسلم : لعلها أن تكون قد شركته - في ماله حتى في العلق فيرغب
 أن ينكحها ويكره أن يزوجه رجلًا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها^٢
 ٥. فزلت هذه الآية ؛ وفي رواية مسلم^٣ : نزلت^٤ في الرجل تكون^٥ له
 القيمة و^٦ هو وليها ووارثها ولها مال وليس لها أحد يخاصم دونها
 فلا ينكحها^٧ لما لها فيضر بها ويسى صحبتها فقال " [و - ^٨] ان خفتم
 الا تقسطوا في النكاح فانكحوا ما طاب [لكم من النساء - ^٩] "
 يقول : ما حللت^{١٠} لكم ، ودع هذه التي تضر^{١١} بها ؛ وفي رواية له
 ١٠. و للبخارى في النكاح : فيرغب عنها أن يتزوجها^{١٢} ويكره أن يزوجه^{١٣}
 غيره فيشركه في ماله - وقال البخارى : فدخل عليه في ماله - فيعضلها
 ولا يتزوجها ولا [يزوجه^{١٤}] ، زاد البخارى : فيها هم الله سبحانه وتعالى
 عن ذلك ، و حاصل ذلك ما^{١٥} نقله الاصبهاني أنه كان الرجل في الجاهلية
 (١) في الأصل وظ : قال ، والتصحيح من مد و البخارى ومسلم ، وزيد بعده
 فيها : عائشة (٢) في ظ : فعضلها (٣) في ظ : لمسلم (٤) في مسلم : انزلت (٥) من
 مسلم ، وفي الأصل وظ : يكون ، وفي مد بلا نقط (٦) سقطت الواو من مسلم .
 (٧) زيد بعده في الأصل : الا ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد و مسلم فحذفناها .
 (٨) زيدت الواو من القرآن الكريم ومد و مسلم (٩) زيد من مسلم (١٠) في
 ظ : حلت ، وفي مسلم : احللت (١١) في ظ : يضر (١٢-١٣) سقط ما بين الرقين
 من ظ (١٣) زيد من مد و مسلم ، وموضعه في ظ : يتزوجها ، وزيد بعده في
 مسلم : غيره (١٤) في ظ : ما .

تكون عنده اليتيمة فيلقى عليها ثوبه ، فاذا فعل بها ذلك لم يقدر أحد^١
أن يتزوجها أبداً ، فإن كانت جميلة وهو ما تزوجها^٢ وأكل مالها ، وإن
كانت دميعة منعها الرجال حتى تموت ، فاذا مات ورثها .

وما أنسب ذكر هذا الحكم الذي كثرت فيه المراجعة على وجه
يؤذن بعدم إذعان بعض النفوس له عقب آية الإسلام الذي معناه ه
الانقياد والخضوع والإحسان الذي صار في العرف أكثر استعماله للاعطاء
والتألف^٣ والعطف ، لاسيما للضعيف^٤ ، وذكر إبراهيم عليه الصلاة
والسلام الذي تقدم أنه أتم ما ابتلاه الله تعالى به من الكلمات ووفي بها
من غير مراجعة ولا تلثم ، وأنه كان حنيفا ميالا مع الدليل ، تعنيفا
لمن قام عليه دليل العقل وأتاه^٥ صريح النقل وهو يراجع ! وإذا ١٠
تأملت قوله تعالى ” من يعمل سوءا يجز به “ مع قوله فيما قبل ” وليخش
الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم “ لاحت^٦ لك أيضا
مناسبة بديعة .

ولما صاروا يعطون اليتامى أموالهم ، وصاروا يتزوجون ذوات
الأموال منهن ويضاجرون بعضهن ؛ عقب ذلك تعالى بالإفتاء في أحوال ١٥
المشاققة بين الأزواج فقال : ﴿ وان امرأة ﴾ أي^٧ واحدة أو على ضرر .
ولما كان ظن المكروه مخوفا قال^٨ : ﴿ خافت ﴾ أي توقعت

(١) في ظ : احدا (٢) في ظ : يتزوجها (٣) في ظ : التأليف (٤) من ظ و مد ،
وفي الأصل : الاعطاء - كذا ، وزيدت الواو بعده في ظ (٥) من ظ ، وفي
الأصل و مد : للضيف (٦) في ظ : إياه (٧) في ظ : لا اخت - كذا (٨) سقط
من ظ (٩) من مد ، وفي الأصل : قالت ، وفي ظ : قاله - كذا .

وظنت بما يظهر لها من القرآن ﴿ من بعلها نشوزا ﴾ أى ترفعاً بما ترى من استهاتته لها بمنع حقوقها أو إساءة صحبتها ﴿ او اعراضا ﴾ عنها بقلبه بأن لا ترى من محادثته و مؤانسته و مجامعته ما كانت ترى قبل ذلك ، تخشى أن يجر إلى الفراق وإن كان متكلفاً للملاطفة^١ بقوله و فعله ٥ ﴿ فلا جناح ﴾ أى حرج و ميل ﴿ عليهما أن يصالحا^٢ ﴾ أى يوقع الزوجان ﴿ بينهما ﴾ تصالحا . مصالحة . هذا على قراءة الجماعة^٣ ، و على قراءة الكوفيين بضم الياء و إسكان الصاد و كسر اللام التقدير : إصلاحا ، لكنه لما كان المأمور به يحصل بأقل ما يقع عليه اسم الصلح بنى^٤ المصدر على غير هذين الفعلين فقال مجرّداً له : ﴿ صلحا^٥ ﴾ بأن تلين هى بترك بعض المهر أو بعض القسم أو نحو ذلك ، و أن يلين لها^٦ هو بإحسان العشرة فى مقابلة ذلك .

و لما كان التقدير : و لا جناح عليهما أن يتفارقا على وجه العدل ، عطف عليه قوله : ﴿ و الصلح ﴾ أى بترك كل منهما حقه أو بعض حقه ﴿ خير^٧ ﴾ أى من المفارقة التى أشارت إليها الجملة المطوية لأن الصلح ١٥ / ٥٢٥ مبناه الإحسان الكامل بالرضى / من الجانبين ، و المفارقة مبناها العدل الذى يلزمه فى الأغلب غيظ أحدهما و إن كانت مشاركة للصلح فى الخير . لكنها مفضولة^٨ ، و تخصّص المفارقة بالطى^٩ لأن مبنى السورة على المواصلة .

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لملاطفته (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بصلحها - كذا ، و فى مصاحفنا : بصالحا (٣) أى بفتح الياء و تشديد الصاد . (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بين (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : له (٦) فى ظ : مفضولة (٧) فى ظ : بالظن - كذا .

ولما كان منشأ التشاجر المانع من الصلح شكاسة^١ في الطباع،
صوّر سبحانه و تعالى ذلك^٢ تنفيراً عنه، فقال اعتراضاً بين هذه الجمل
فالحث [على -^٣] الجود بانبا الفعل للجهول إشارة إلى أن هذا المحضّر
لا يرضى أحد نسبته إليه: (واحضرت الانفس) أى الناظرة^٤ إلى
نفاستها عجباً^٥ (الشح^٦) أى الحرص و سوء الخلق و قلة الخير و النكد
و البخل بالموجود، و كله يرجع إلى سوء الخلق و الطبع الردى. و اعوجاج
الفطرة الأولى الذى كفى عنه بالإحضار الملازم الذى لا انفكاك له
إلا بمجهاد كبير يتال به الأجر الكثير.

ولما كان هذا خلقاً رديئاً لم يذكر فاعله، و المعنى: أحضرها إياه
محضراً^٧. فصار ملازماً لها، لا تنفك^٨ عنه إلا بتوفيق من الله سبحانه ١٠
و تعالى فى قهرها عليه بتذكير ما عنده سبحانه و تعالى من حسن الجزاء،
ولما كان التقدير: فان شحتم فانه أعلم بها فى الشح من موجبات الذم،
عطف عليه قوله: (و ان تحسنوا) أى توقعوا الإحسان بالإقامة على
نكاحكم و ما ندبتم إليه من حسن العشرة و إن كنتم كارهين (و تقوا)
أى توقعوا التقوى بمجانبة كل ما يؤذى نوع أذى إشارة إلى أن الشحيح ١٥
لا يحسن و لا متق (فان الله) أى [و هو -^٩] الجامع لصفات الكمال

(١) فى ظ : سكاته - كذا (٢) تقدم فى الأصل على « سبحانه و تعالى » ،
و الترتيب من ظ و مد (٣) زيد من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل وظ : الناضرة .
(٥) فى ظ : عجب (٦) من مد ، وفى الأصل وظ : محضراً (٧) فى ظ : لا يفك .
(٨) زيد من ظ و مد .

(كان) أزلا وأبدا (بما تعملون) أى فى كل شىء وإحسان
(خبراء) أى بالغ العلم به وأتم تعلمون أنه أكرم الأكرمين ، فهو
مجازيكم عليه أحسن جزاء .

ولما ذكر سبحانه وتعالى أن الوقوف على الحق فضلا عن الإحسان
• - وإن كانت المرأة واحدة - متعسر ، أتبعه ' أن ' ذلك عند' الجمع أعسر ،
فقال تعالى معبرا بأداة التأكيد : (ولن تستطيعوا) أى توجدوا من
أنفسكم طواعية باللغة دائمة (ان تعدلوا) أى من غير حيف أصلا
(بين النساء) فى جميع ما يجب لكل واحدة . نهن عليكم من الحقوق
(ولو حرصتم) أى على فعل ذلك ، وهذا مع قوله تعالى " فان'
١٠ خفتم الا تعدلوا فواحدة " كالمختتم للاختصار على واحدة .

ولما أخبر سبحانه وتعالى بأنه لا يخلو نكاح العدد عن ميل ، سبب
عنه قوله : (فلا') أى فان كان لا بد لكم من العدد ، أو فان وقع
الميل والزوجة واحدة فلا (تميلوا) ولما كان مطلق الميل غير مقدورا^٦
على تركه فلم يكلف به ، بين المراد بقوله : (كل الميل) ثم سبب عنه
١٥ قوله : (فتذروها) أى المرأة (كالمعلقة^٧) أى بين النكاح والعزوبة
و الزواج والافتراد .

ولما كان الميل الكثير مقدورا على تركه ، فكان التقدير : فان

(١) فى ظ : تتبعه (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : عند - كذا (٣) من ظ
ومد ، وفى الأصل : عنده (٤) من ظ ومد والقرآن الكريم ، وفى الأصل :
وان (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : مقدر (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : بقوله .

ملتم كل الميل مع إبقاء العصمة فإن الله كان متقها حسيبا ، عطف عليه
قوله : ﴿ وان تصلحوا و تقوا ﴾ [أى - '] بأن توجدوا الإصلاح
بالعدل فى القسم^١ والتقوى فى ترك الجور على تجديد الاوقات ﴿ فان الله ﴾
[أى - '] الذى له الكمال كله ﴿ كان غفورا رحيماء ﴾ أى محاء للذنوب
بليغ الإكرام فهو جدير بأن يغفر لكم مطلق الميل ، ويسبغ عليكم
ملابس الإنعام .

ولما كان من الإصلاح المعاشرة بالمعروف ، ذكر قسيمه^٢ فقال :
﴿ وان يتفرقا ﴾ أى يفترق كل من الزوجين من صاحبه ﴿ يغن الله ﴾
أى الذى له صفات الكمال^٣ ﴿ كلا ﴾ أى منهما ، أى يجعله غنيا هذه
برجل و هذا بامرأة أو بغير ذلك من لطفه ، و بين منشأ هذا الغنى ١٠
فقال : ﴿ من سحته^٤ ﴾ أى من شمول قدرته و غير ذلك من كل صفة
كمال . و لمزيد الاعتناء بتقرير هذه المعانى فى النفوس لإحضارها^٥ الشح ،
كرر اسمه الأعظم الجامع فقال : ﴿ وكان الله ﴾ أى ذو^٦ الجلال و الإكرام
أزلا و أبدا ﴿ واسعا ﴾ أى محيطا^٧ بكل شئ . ﴿ حكيماء ﴾ أى يضع
الاشياء فى أقوم محالها^٨ .

١٥

ولما كان مبنى هذه السورة على التعاطف / و التراحم و التواصل ،

٥٢٦ /

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى ظ : الأول (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ :
قسمه (٤) العبارة من هنا إلى « صفة كمال » سقطت من ظ (٥) من مد ،
وفى الأصل : قال (٦) فى ظ : لاحضار (٧) فى ظ : ذى (٨) من ظ و مد ،
وفى الأصل : محيط (٩) فى ظ : محلها .

لم يذكر فيها الطلاق إلا على وجه الإيماء في هذه الآية على وجه البيان لرأفته وسعة رحمته وعموم تربيته، وفي ذلك معنى الوصلة والعطف، قال ابن الزبير: ولكثرته ما يعرض من رعى حظوظ النفوس^١ عند الزوجية ومع^٢ القرابة - ويدق [ذلك - ^٢] ويغض - لذلك ما تكرر كثيرا في هذه السورة الأمر^٣ بالاتقاء، وبه افتتحت " اتقوا ربكم "، [و - ^٤] اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام "، " ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم " - الآية .

ولما ذكر تعالى آية^٥ التفرق وختمها بصفى السعة والحكمة دل على الأول ترغيبا في سؤاله بقوله: ﴿ والله ﴾ أى الذى له العظمة كلها ١٠ ﴿ ما فى السموات ﴾ ولما كان فى السياق بيان ضعف^٦ النفوس وجلها على النقائص، فكانت محتاجة إلى تقوية الكلام المخرج لها عما ألفت من الباطل قال: ﴿ وما فى الارض^٧ ﴾ وعلى الثانية بالوصية بالتقوى لانه كرر الحث على التقوى فى هذه الجمل فى سياق الشرط بقوله " وان تحسنوا و تقوا "، " وان تصلحوا و تقوا^٨ " فأخبر تعالى بعد اللطف بذلك ١٥ السياق أن وصيته^٩ بها مؤكدة، لم تزل قديما وحديثا، لأن العلم بالمشاركة فى الامر يكون أدعى للقبول، وأهون على النفس، فقال تعالى: ﴿ ولقد وصينا ﴾ أى على ما لنا من العظمة .

(١) من مد، وفى الأصل وظ: النفس (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ ومد . (٤) زيدت الواو من القرآن الكريم سورة ٤ آية ١ (٥) سقط من مد (٦) زيد بعده فى الأصل : القلوب ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد لحذفها (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : وصية .

ولما كان الاشتراك في الأحكام موجبا للرجبة فيها والتخفيف
لثقلها، وكانت الوصية للعالم أجدر بالقبول قال: ﴿الذين اتوا الكتب﴾
أى التوراة والإنجيل وغيرهما، وبني الفعل للجهول [لأن القصد بيان
كونهم أهل علم ليرغب فيما أوصوا به، ودلالة على أن العلم في نفسه
مهيء للقبول - ٢]، وإفادة أن وصيتهم أعم من أن تكون في الكتاب، هـ
أو على لسان الرسول من غير كتاب، ولما كان يتأوهم الكتاب
غير مستغرق للماضى وكذا الإيصاء قال: ﴿من قبلكم﴾ أى من بنى إسرائيل
وغيرهم ﴿واياكم﴾ أى ووصيناكم مثل ما وصيناكم؛ ولما كانت الوصية
بمعنى القول فسرهما بقوله: ﴿ان اتقوا الله﴾ أى الذى لا يطاق انتقامه
لأنه لا كفوء له .

١٠

ولما كان التقدير: فان تقوا فهو حظكم وسعادتكم فى الدارين،
عطف عليه قوله: ﴿وان تكفروا﴾ أى بترك التقوى ﴿فان الله﴾
أى الذى له الكمال المطلق ﴿ما فى السموات﴾ ولما كان السياق لفرض
الكفر حسن التأكيد فى قوله: ﴿وما فى الأرض﴾ منكم ومن غيركم
من حيوان وجماد أجساد وأرواحا وأحوالا .

١٥

ولما كان المعنى: لا يخرج^٣ شئ عن ملكه ولا إرادته، ولا يلحقه
ضرر بكفركم، ولم تضروا إن فعلتم إلا أنفسكم، لأنه غنى عنكم،
(١) فى ظ: للعلم (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٣) من مد، وفى
الأصل: امان، وفى ظ: حسان - كذا (٤) من مد، وفى الأصل و ظ: كان .
(٥) من ظ و مد، وفى الأصل: او (٦) فى ظ: لا تخرج .

لا يزداد جلاله بالطاعات^١، ولا ينقص بالمعاصي^٢، والسيئات^٣؛ أكده بقوله دالا على غناه واستحقاقه للحماد: ﴿وكان الله﴾ أى الذى له الإحاطة كلها ﴿غنيا﴾ [أى - ٢] عن كل شئ [الغنى المطلق لذاته - ٤] ﴿حميداه﴾ أى محمودا بكل لسان قالى وحالى، كفرتم أو شكرتم. فكان ذلك غاية فى بيان حكمته .

ولما كان الملك قد لا يمنع الاعتراض على المالك بين أن ذلك إنما هو فى الملك الناقص وأنه ملكه تام: ﴿والله﴾ أى الذى له العلم الكامل والقدرة الشاملة ﴿ما فى السموات﴾ وأكد لمثل ما مضى فقال: ﴿وما فى الارض﴾ أى هو قائم بمصالح ذلك كله، يستقل بجميع أمره، لا معترض عليه، بل هما و كل من^٤ فيها مظهر المعجز عن أمره، معلق بمقاييد نفسه وأحواله إليه طوعا أو كرها، فهو وكيل على كل ذلك، فاعل به ما يفعل الوكيل من الأخذ والقبض والبسط، ولمثل ذلك كرر الاسم الأعظم فقال: ﴿وكفى بالله﴾ أى الذى له الأمر كله ولا أمر لاحد معه ﴿وكيلاه﴾ أى قائما بالمصالح قاهرا متفردا بجميع الأمور، قادرا على جميع المقدور، وقد بان - كما ترى - أن جملة "الله" المكررة ثلاث مرات ذكرت كل مرة دليلا على شئ غير الذى قبله وكررت، لأن الدليل الواحد إذا كان دالا على مدلولات كثيرة يحسن

(١) فى ظ: بالطاعة (٢) فى ظ: بالعصية (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ ومد .
(٥) فى ظ: بما (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: ما (٧) فى ظ: ملق - كذا .
(٨) سقط من ظ .

أن يستدل به على كل واحد منها . وإعادته^١ مع كل واحد أولى من
الاكتفاء بذكره مرة واحدة، / لأن عند إعادته^٢ يحضر في الذهن ما يوجب
العلم بالمدلول، فيكون العلم الحاصل بذلك المدلول أقوى وأجل؛ وفي ختم^٣
كل جملة بصفة من الصفات الحسنى تنبيه الذهن بها إلى أن هذا الدليل
دال على أسرار شريفة ومطالب جليلة لا تنحصر، فيجتهد السامع في التفكير
لإظهار الأسرار والاستدلال على صفات الكمال، لأن الغرض الكلي
من هذا الكتاب صرف العقول والافهام عن الاشتغال بغير الله تعالى
إلى الاستغراق في معرفته سبحانه، وهذا التكرير مما يفيد حصول هذا
المطلوب ويؤكد، فكان في غاية الحسن والكمال .

- ولما تقرر بهذا شمول علم من هذا من شأنه وتتمام قدرته أتي^{١٠}
قوله مهديا متوعدا مخوفا مرهبا: (ان يشا يذهبكم) وصرح بالعموم
إشارة إلى عموم الإرسال بقوله: (ايها الناس) أى المتفرعون من تلك
النفس الواحدة كافة لغناه عنكم^٢ وقدرته على ما يريد منكم (ويات
بآخرين^٣) أى من غيركم بوالونه (و كان الله) أى الواحد الذى
' لا شريك' له أزلا وأبدا (على ذلك) أى الامر العظيم من الإيجاد^{١٥}
والإعدام (قديرا) أى بالغ القدرة، وهذا غاية البيان لغناه^٤ وكونه
حيدا وقاهرا شديدا، وإذا تأملت ختام قوله تعالى في قصة عيسى عليه
(١) من ظ ومد . وفي الأصل: اعادت (ز) زيد في ظ : مع كل واحد .
(٢) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقيين من ظ (هـ) في ظ : كغناه .

” الصلاة والسلام في آخر هذه السورة ” سبحانه ان يكون له ولد “
 زاد ذلك هذا السر - وهو كونه لا اعتراض عليه - وضوحا .
 ولما كان في هذا تهديد بليغ و تعريف بسعة الملك و كمال التصرف ،
 و كان مدار أحوال المتشاحين في الإرث و حقوق الأزواج و غيرها
 ٥ الأمر الديني ، كان سبحانه و تعالى قد بين فيما مضى أن مبنى أحوال
 المنافقين على طلب العرض^١ الفاني خصوصا قصة طعمة بن أبيرق الراضي
 لنفسه بالفضيحة في نيل شيء تافه ؛ قال تعالى تقيلا لآرائهم و تخسبسا^٢
 لهممهم حيث نزلوا^٣ إلى الأدنى^٤ مع القوة على طلب الأعلى مع طلب
 الأدنى أيضا منه تعالى ، فلا يفوتهم شيء من معولهم مع إحراز الانقاس :
 ١٠ (من كان يريد ثواب الدنيا) لقصور نظره على المحسوس الحاضر مع
 خسته كالبهايم (فعند) أي فليقبل إلى الله فانه عند (الله) أي
 الذي له الكمال المطلق (ثواب الدنيا) الخسيسة الفانية (و الآخرة^٥)
 أي النفيسة الباقية فليطلبها منه ، فانه يعطي من أراد ما شاء ، و من علت
 همته عن ذلك فأقبل بقلبه إليه و قصر همه عليه فلم يطلب إلا الباقي جمع
 ١٥ سبحانه و تعالى له بينهما ، كمن* يجاهد لله خالصا ، فانه يجمع له بين الأجر
 و المقم ، و ما أشد التثامها^٦ مع ذلك بما قبلها ، لأن من كان تام
 القدرة واسع الملك كان كذلك^٧ .

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : الغرض (٢) من مد ، وفي الأصل و ظ :
 تخسبنا (٣ - ٢) في ظ : بالأدنى - كذا (٤) سقط من ظ (٥) من مد ، وفي
 الأصل و ظ : لمن (٦ - ٦) في ظ : اشتد التثامها - كذا (٧) في ظ : لذلك .

و لما كان الناشئ عن الإرادة إما قولاً أو فعلاً، و كان الفعل قد يكون قلبياً قال: ﴿ و كان الله ﴾ أى المختص بجميع صفات الكمال ﴿ سمياً ﴾ أى بالغ السمع لكل قول و إن خفى، نفسياً كان أولسانياً ﴿ بصيراً ﴾ أى بالغ البصر لكل ما يمكن أن يبصر من الأفعال، و العلم بكل ما يبصر و ما لا يبصر منها و من غيرها، فيكون من البصر و من البصيرة، فليراقبه العبد قولاً و فعلاً .

و لما كان ذلك من أحسن المواعظ لقوم طعمة الذين اعتصبوا له، التفت إليهم مستعطفاً بصيغة الإيمان، جاثياً^١ بصيغة الأمر على وجه يعم غيرهم، قائلاً ما هو كالنتيجة لما مضى من الأمر بالقسط من أول السورة إلى هنا على وجه أكده و حث عليه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى ١٠ أقرؤا بالإيمان بألسنتهم ﴿ كونوا قوامين ﴾ أى قائمين قياماً بليغاً مواظباً عليه مجتهداً فيه .

و لما كان أعظم مبادئ هذه السورة العدل قدمه فقال: ﴿ بالقسط ﴾ بخلاف ما يأتى فى المائدة^٢ فان النظر فيها إلى الوفاء الذى إنما يكون بالنظر إلى الموفى له ﴿ شهداء ﴾ أى حاضرين متيقظين حضور المحاسب / لكل ١٥ / ٥٢٨ شيء أردتم الدخول فيه؛ ﴿ لله ﴾ أى لوجه الذى كل شيء بيده لا شيء غيره ﴿ ولو ﴾ كان ذلك القسط ﴿ على أنفسكم ﴾ أى فانى لا أزيدكم بذلك إلا عزاء، و ﴿ إلا تفعلوا ﴾ ذلك قهرتكم على الشهادة على أنفسكم على

(١) فى ظ: بكل (٢) من مد، وفى الأصل وظ: حاء - كذا (٣) انظر آية ٨ .
(٤) سقط من ظ (٥ - ٥) من ظ و مد، وفى الأصل: لا تقطوا - كذا .

رؤس الأشهاد، ففضحتهم في يوم يجتمع^١ فيه الأولون والآخرون من جميع العباد .

ولما كان ذكر أعز^٢ ما عند الإنسان، أتبعه ما يليه^٣ وبدأ منه بمن جمع^٤ إلى ذلك الهيبة فقال: ﴿ أو ﴾ أى أو كان ذلك القسط على ٥ ﴿ والدين ﴾ وأتبعه ما يعمهما وغيرهما فقال: ﴿ والاقربين ﴾ أى من الأولاد وغيرهم، ثم علل ذلك بقوله: ﴿ ان يكن ﴾ أى المشهود له أو عليه ﴿ غنيا ﴾ أى ترون الشهادة له بشيء^٥ باطل دافعة ضرا منه للغير من المشهود عليه أو غيره، أو مانعة^٦ فسادا أكبر^٧ منها، أو عليه بما^٨ لم يكن [صلاحا - ^٩] طمعا في نفع الفقير بما لا يضره ونحو ذلك ١٠ ﴿ او فقيرا ﴾ فيخيل^{١٠} إليكم أن الشهادة له بما ليس له نفعه رحمة له أو بما ليس عليه لمن هو أقوى منه تسكن قنقه ﴿ فأنه ﴾ أى ذو الجلال والإكرام ﴿ أولى بهما قف ﴾ أى بنوعى الغنى والفقير المدرج فيهما هذان المشهود بسببهما منكم، فهو المرجو لطلب النفع ودفع الضرر بغير ما ظننتموه، فالضمير من الاستخدام، ولو عاد للذكور لوحده^{١١} الضمير لأن المحدث ١٥ عنه واحد مبهم^{١٢} .

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: نجم (٢) في ظ : اغبر (٣) في ظ : بله - كذا . (٤) زيد بعده في الأصل : ذلك ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لحذفها . (٥) في ظ : لشيء (٦) في ظ : ما معه (٧) في ظ : لكبر (٨) في ظ : لا (٩) زيد من ظ ، وزيد في مد موضعه : صلا - نقط (١٠) من مد ، وفي الأصل : فيخيل ، وفي ظ : محمل - كذا (١١) في ظ : لوجد (١٢) في ظ : منهم .

ولما كان هذا، تسبب عنه قوله: ﴿ فلا تتبعوا ﴾ أى تتكلفوا تبع
﴿ الهوى ﴾ و تنهكموا^١ فيه انهماك المجتهد^٢ فى الحب له ﴿ ان ﴾ أى
إرادة أن ﴿ تعدلوا ﴾ فقد بان لكم أنه لا عدل فى ذلك .

ولما كان التقدير: فان تتبعوه لذلك أو لغيره فان^٣ الله كان عليكم
قديرًا، عطف عليه قوله: ﴿ وان تلوا ﴾ أى ألتستم لتحرفوا الشهادة^٥
نوعًا من التحريف أو تديروا^٤ ألتستم أى تنطقوا بالشهادة باطلا، وقرأ
ابن عامر و حمزة بضم اللام - من الولاية أى تؤدوا الشهادة على وجه
من العدل، أو الى ﴿ او تعرضوا ﴾ أى عنها وهى^٦ حق فلا تؤدوها لآمر ما
﴿ فان الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿ كان ﴾ أى لم يزل ولا يزال^٧
﴿ بما تعملون خيرا ﴾ أى بالغ العلم باطنا و ظاهرا، فهو يجازيكم على ذلك^{١٠}
بما تستحقونه، فاحذروه إن ختم^٨، وارجوه إن وفيتم، وذلك بعد
ما مضى^٩ من^٩ تأديهم على وجه الإشارة و الإيماء من غير أمر، و ما أنسبها
لختام التى قبلها و أشد التام الختامين: ختام هذه بصفة^{١٠} الخبر، و تلك
بصفة^{١١} السمع و البصر .

(١) فى ظ : تنهكموا (٢) فى ظ : المجتهد (٣) فى ظ : فاتاه - كذا (٤) من ظ
ومد، و فى الأصل : تدبر (٥) فى ظ : بقى (٦-٦) من مد، و فى الأصل :
لم يزل و لم يزال، و فى ظ : لم يزل و لا تزال (٧) من مد، و فى الأصل و ظ : ختم .
(٨-٨) فى ظ : مضى (٩) من مد، و فى الأصل و ظ : بصفة (١٠) فى
ظ : بصفة .

ولما أمر بالعدل على هذا الوجه أمر بالحامل على ذلك ، وهو
الإيمان بالشارع والمبلغ والكتاب الناهج لشرائعه المبين لسرائره الذي^١
افتتح القصة بحقيقته^٢ و بيان فائدته فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى
أقروا بالإيمان ؛ ولما ناداهم بوصف الإيمان أمرهم بما لا يحصل إلا به
فقال^٣ مفصلاً له : ﴿ آمِنُوا بِاللَّهِ ﴾ أى لأنه أهل لذلك لذاته المستجمع
جميع صفات الكمال [كلها - °] .

ولما كان الإيمان بالله لا يصح إلا بالإيمان بالوسائط ، وكان أقرب
الوسائط إلى الإنسان الرسول قال : ﴿ وَرَسُولُهُ ﴾ أى لأنه^٤ المبلغ عنه
سواء كان من الملك أو البشر ﴿ وَالْكِتَابَ الَّذِي نَزَّلَ ﴾ أى مفرقا بحسب
المصالح تدريجاً تثبتاً و تفهيماً ﴿ عَلَى رَسُولِهِ ﴾ أى لأنه المفصل لشريعته
المتكفل بما^٥ تحتاجون إليه من الأحكام والمواظ و جميع ما يصلحكم ،
وهو القرآن الواصل إليكم بواسطة أشرف الخلق ﴿ وَالْكِتَابَ الَّذِي
نَزَّلَ ﴾ أى أوجد إنزاله ومضى ؛ ولما لم يكن أنزاله مستغرقاً للزمان
الماضى بين المراد^٦ بقوله : ﴿ مِنْ قَبْلِ هَؤُلَاءِ ﴾ من الإنجيل والزبور

(١) فى ظ : اتى (٢) فى ظ : بحقيقة (٣-٢) سقط ما بين الرقین من ظ .
(٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) العبارة من هنا إلى « أى لأنه » سقطت
من ظ (٧-٧) تأخر ما بين الرقین فى ظ عن « الذى أنزل » إلا أن هناك « تنبيهاً »
موضع « تنبيهاً » (٨) فى ظ : لا (٩-٩) تكرر ما بين الرقین فى ظ بعد « المراد
بقوله » (١٠) فى ظ : الرؤا - كذا (١١-١١) فى ظ : من الزبور والانجيل .
و التوراة

و التوراة وغيرها لأن رسولكم بلغكم ذلك فلا يحصل الإيمان إلا بتصديقه
في كل ما يقوله .

ولما كان المؤمن الذي الخطاب معه عالماً بأن التنزيل والإنزال
لا يكون إلا من الله نبياً للفعول في قراءة ابن كثير وأبي عمرو
و ابن عاصر للعلم بالفاعل ، و صرحت قراءة الباقيين به .

ولما كان التقدير : فمن آمن بذلك / فقد اهتدى وآمن قطعاً
بالملائكة و اليوم الآخر و غير ذلك من كل ما دعا إليه الكتاب و الرسول ،
عطف عليه قوله : (ومن يكفر) أى يوجد الكفر و يحدده وقتاً
من الأوقات (بالله و ملائكته و كتبه) أى التى أنزلها على أنبيائه
بواسطة ملائكته أو بغير واسطة^٢ (و رسله) أى من الملائكة و البشر ،
فكان الإيمان بالترقى للاحتياج إليه ، و كان الكفر بالتدلى للإجتراء عليه .
و لما كان الإيمان بالبعث - و إن كان أظهر شئ - بما لا تستقل^١
به العقول فلا نصل^٣ إليه^٤ إلا بالرسول ، ذكره بعدم فقال : (و اليوم
الآخر) أى الذى أخبرت به رسله ، و قضت به العقول الصحيحة
و إن كانت لا تستقل^٥ بادراكه قبل تنبيه الرسل لها عليه ، و هو روح
الوجود و سره و قوامه و عماده ، فيه تكشف^٦ الحقائق و تجمع الخلائق ،

(١) في ظ : يبعكم (٢) في ظ : من (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) من
مد ، و في الأصل و ظ : لا يستقل (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : فلا يصل .
(٦) سقط من ظ (٧) زيد بعده في ظ : إلا - خطأ (٨) من مد ، و في الأصل :
يكشف ، و في ظ : يكشف .

ويظهر شمول العلم وتمام القدرة و'يسيطر ظل' العدل وتحتجى ثمرات
الفضل (فقد ضل) وأبلغ في التأكيد لكثرة المكذبين فقال: (ضللا
بعيداه) أى لا حيلة فى رجوعه معه .

ولما كان التهادى بعد نزول هذا الهدى موجدا للكفر^٢ مجددا له ،
٥ [نه - ١] على إغراقه فى البعد بغضبه سبحانه وتعالى لتماديه معلما أن
الثبات على الكفر عظيم جدا ، وصوره بأقبح صورة ، وفى ذلك ألطف
استعطاف إلى النزوع عن الخلاف فقال: (ان الذين آمنوا) أى بما
كانوا مهتدين له من الإيمان بالفطرة الأولى (ثم كفروا) أى أوقعوا
الكفر فعوجوا ما أقامه الله من فطرم (ثم آمنوا) أى حقيقة أو بالقوة
١٠ بعد مجيء الرسول بما هيأهم له باظهار الأدلة وإقامة الحجج (ثم كفروا)
أى بذلك الرسول [أو برسول^٦] آخر بتجديد الكفر أو التهادى فيه
(ثم ازدادوا) أى باصرارهم على الكفر إلى الموت (كفروا^٧ لم
يكن الله) أى الذى له صفات الكمال (ليغفر لهم) أى ما داموا على
هذا الحال لأنه لا يغفر أن يشرك به (ولا يهديهم سبيلا) أى من
١٥ السبل [الموصلة - ٦] إلى المقصود .

ولما كانت جميع صور الآية منطبقة على النفاق ، بعضها حقيقة

(١-١) من ظ و مد ، وفى الأصل : سبط ظن - كذا (٢) من ظ و مد ، وفى
الأصل : تحتجى (٣) فى ظ : لا كفروا - كذا (٤) زيد ولا بد منه (٥) سقط
من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) تقدم فى ظ على « أى باصرارهم » .
و بعضها (١٠٩) ٤٣٦

و بعضها مجازا ، قال جوابا لمن كأنه سأل عن جزائهم منهكما بهم :
 ﴿ بشر المتفقين ﴾ فأظهر موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف
 ﴿ بان لهم عذابا اليما ﴾ ثم وصفهم بما يدل على أنهم المستأزنون
 بالكفر بقوله تعالى : ﴿ الذين يتخذون الكافرين ﴾ أى المجاهرين بالكفر
 ﴿ اولياء ﴾ أى يتعززون بهم^١ تنفيرا من مقاربة^٢ صفتهم لتمييز المخلص^٥
 من المنافق ، و يانا لأن مرادهم بولايتهم إنما هو التعزز بهم فان محط
 أمرهم على العرض الديوى ، و نه على دناءة أمرهم و على أن الفريق
 فى الإيمان أعلى الناس بقوله : ﴿ من وزن المؤمنين ﴾ أى الفريقين فى الإيمان ،
 ثم أنكر عليهم هذا المراد بقوله : ﴿ ايتبعون ﴾ أى المنافقون يتطلبون ،
 طلبا عظيما ﴿ عندهم ﴾ أى الكافرين ﴿ العزة ﴾ فكأنه قال : طلبهم^{١٠}
 العزة بهم سفه^٤ من رأى و بُعد من الصواب ، لأنه لا شئ من العزة
 عندهم .

ولما أنكر عليهم هذا الابتغاء علله بقوله : ﴿ فان العزة لله ﴾ أى^٩
 الذى لا كفوء له ﴿ جميعا ﴾ أى وهم أعداء الله فانما يتربح لهم
 ضرب الذلة و المسكنة ، و ما أحسن التفات هذه الآية إلى أول الآيات^{١٥}
 المحذرة من أهل الكتاب "الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتب"
 المختمة بقوله "و كفى بالله وليا^{١١} و كفى بالله نصيرا" ﴿ وقد ﴾
 (١) من ظ و مد ، وفى الأصل : المجاهرين - كذا (٢) فى ظ : لهم (٣) فى
 ظ : مقاربة (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : سنة (٥) سقط من ظ (٦-٧) سقط
 ما بين الرقيين من ظ .

أى يتخذونهم^١ و الحال أنه قد ﴿ نزل عليكم ﴾ أى أيتها الأمة ،
الصادقين منكم و المنافقين ﴿ فى الكتب ﴾ أى فى سورة الانعام^٢ النازلة
بمكة المشرقة النهى^٣ عن مجالستهم فضلا عن ولايتهم ، أفلا تخافون عزة
من نهاكم عن ذلك أن يضربكم بذل^٤ لا تخلصون منه أبدا ، لأنهم^٥
لا ينفكون عن الكفر بآيات الله ، / فانه لا تباح ولايتهم فى حال من
الأحوال إلا عند الإعراض عن الكفر ، و ذلك هو المراد من قوله :
﴿ ان ﴾ أى أنه ﴿ اذا سمعتم ابنت الله ﴾ أى ذى الجلال و الإكرام .
ولما كان السماع مجملا بين المراد بقوله : ﴿ يكفر بها ﴾ أى
يستر ما أظهرت من الأدلة من أى كافر كان من اليهود و غيرهم
١٠ ﴿ و يستهزأ بها ﴾ أى يطلب طلبا شديدا أن تكون^٦ مما يهزأ^٧ به
﴿ فلا تقعدوا معهم ﴾ أى الذين يفعلون ذلك^٨ بها ﴿ حتى يخوضوا ﴾
و عبر عن الشروع بالخوض إيماء إلى أن كلامهم لا يخلو عن شيء فى غير
موضعه ، رمزا إلى عدم مجالستهم على كل حال ﴿ فى حديث غيره - ٩ ﴾
فهذا نهى من مجرد مجالستهم فكيف بولايتهم .

١٥ و لما كانت آية الانعام مكية اقتصر فيها على مجرد الإعراض و قطع
المجالسة لعدم التمكن من الإنكار بغير القلب ، و أما^{١٠} هذه الآية فمدنية
فالتغيير^{١١} عند إزالتها باللسان و اليد يمكن لكل مسلم ، فالمجالس من

(١) فى ظ : يتخذوهم (٢) انظر آية ٦٨ (٣) فى ظ : التى (٤-٥) فى ظ : نصرتمكم
بدلة (٥) فى ظ : لا انهم (٦) فى الأصل : يكونوا ، و فى ظ و مد : يكون
- كذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يهدى (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ :
لا (١٠) من مد . و فى الأصل و ظ : فالتغيير .

غير تكبر راض ، فلهذا^١ علل بقوله : ﴿ انكم اذًا ﴾ أى إذا قدمت معهم
و هم يفعلون ذلك ﴿ مثلهم^٢ ﴾ أى فى الكفر لأن مجالسة المظهر للإيمان
المصرح بالكفران دالة على أن إظهاره لما أظهر نفاق ، وأنه راض
بما يصرح به هذا الكافر و الرضى بالكفر كفر ، فاشتد حسن ختم الآية
بجمع^٣ الفريقين فى جهنم بقوله مستأنفا لجواب السؤال عما تكون به •
المماثلة : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى أحاط عليه قمت قدرته ﴿ جامع ﴾ •
و لما كان حال الاخفى أهم قدم قوله : ﴿ المتفقين ﴾ أى الذين يظهرون
الإيمان و يطنون الكفر فيقعدهون مع من يسمونه^٤ بكفر ﴿ والكافرين ﴾
أى الذين يباهرون بكفرهم لرسوخهم فيه ﴿ فى جهنم ﴾ التى هى سجن
الملك ﴿ جميعا^٥ ﴾ كما جمعهم معهم مجلس الكفر الذى هو طعن فى ملك ١٠
الملك ، و التسوية بينهم فى الكفر بالقيود معهم^٦ دالة على التسوية بين
العاصي و مجالسه بالخلطة من غير إنكار ؛ ثم وصفهم سبحانه و تعالى
بما يعرف بهم فقال : ﴿ الذين يترصون بكم^٧ ﴾ أى يثبتون على حالهم
انتظارا لوقوع ما يغيظكم^٨ ﴿ فان كان لكم قسح ﴾ أى ظهور و عز
وظفر ، و ؛ قال - : ﴿ من الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها - تذكيرا للمؤمنين ١٥
بما يديم اعتمادهم عليه و افتقارهم إليه ﴿ قالوا ﴾ أى الذين آمنوا نفاقا^٩
لكم^{١٠} أيها المؤمنون ﴿ لم تكن معكم^{١١} ﴾ أى ظاهرا بأبداننا بما تسمعون^{١٢} من
(١) فى ظ : فلذا (٢) من مد ، وفى الأصل : بجميع ، وفى ظ : جميع (٣) فى ظ :
يستمعونه (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : يفيضكم (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل :
انتفاقا - كذا (٧) فى ظ : بكم (٨) فى ظ : يستمعون .

أقولنا فأشركونا في فتحكم ﴿ وان كان للكافرين ﴾ أى المجاهرين، وقال :
 ﴿ نصيب ﴾ تحقيرا لظفرهم وأنه لا يضر بما حصل للمؤمنين من الفتح
 ﴿ قالوا ﴾ للكافرين ليشركوهم في نصيبهم ﴿ الم نستحوذ عليكم ﴾ أى
 نطلب حياتكم والمحافظة على مودتكم حتى غلبنا على جميع أسراركم^١
 ٥ واستولينا عليها، وخالطناكم مخالطة الدم للبدن، من قولهم: حاذه^٢، أى
 حاطه وحافظ عليه ﴿ ونمنعكم من المؤمنين ﴾ أى من تسلطهم عليكم
 بما كنا نخادعهم به، ونشيع فيهم من الإرجافات^٣ والأموال المرغبات
 الصارقة لهم عن كثير من المقاصد، لتصدقهم لنا لإظهارنا الإيمان، ورضا
 من مداهنته^٤ من نكره^٥ بما لا يرضاه إنسان.

١٠ ولما كان هذا لأهل^٦ الله سبحانه وتعالى أمرا غائطا مقلقا موجعا؛ سبب
 عنه قوله: ﴿ فآله ﴾ أى بما له من جميع [صفات -^٧] العظمة ﴿ يحكم
 بينكم ﴾ أى أيها المؤمنون [و-^٨] الكافرون المستترون والمجاهرون.

ولما كان الحكم له في الدارين بين^٩ أنه في الدار التي لا يظهر فيها
 لاحد غيره^{١٠} أمر^{١١} ظاهرا ولا باطنا، وتظهر فيها جميع الخبثات فقال :
 ١٥ ﴿ يوم القيمة ﴾ ولما كان هذا ربما أياسهم من الدنيا قال :
 ﴿ ولن يجعل الله ﴾ عبر بأداة التأكيد وبالاسم الأعظم لاستبعاد^{١٢} الغلبة

(١) تكرر في ظ بعد « قالوا » (٢) من ظ و مد، وفي الأصل : اشراركم .
 (٣) في ظ : حازه (٤) في ظ : الاوجافات (٥) من ظ و مد، وفي الأصل :
 مداهنته (٦) من مد، وفي الأصل : نكره، وفي ظ : يكره (٧) من مد، وفي
 الأصل و ظ : الامر - كذا (٨) زيد من ظ (٩) زيدت الواو من ظ و مد .
 (١٠) سقط من ظ (١١) من مد، وفي الأصل و ظ : غير (١٢) من ظ و مد،
 وفي الأصل : الاستبعاد .

على الكفرة^١ لما لهم في ذلك الزمان من القوة والكثرة ﴿للكافرين﴾
 أى سواء كانوا مساترين أو مجاهرين ﴿على المؤمنين﴾ أى كلهم
 ﴿سبيلاً﴾ أى بوجه في دنيا ولا آخرة، وهذا تسفيه لآرائهم
 واستخفاف بعقولهم^٢ فكأنه يقول: يا أيها المتربصون بأحباب الله
 الدوائر، المتمنون لأعدائه النصر - وقد قامت الأدلة على أن العزة هـ
 جميعاً لله - أما أضلكم في ظنكم أنه يخذل أوليائه! وما أغلظ أكبادكم^٣
 ويدخل في عمومها أنه لا يقتل مسلم بدمي، ولا يملك كافر مال مسلم
 قهراً؛ ثم بين أن صورتهم في ضربهم الشقة بالوجهين صورة المخادع،
 وما أضلهم حيث خادعوا من لا يحوز عليه الخداع لعلبه بالحفايا، فقال
 معللاً لمنعهم السيل: ﴿ان المنفقين﴾ لإظهارهم^٤ لكل من غلب أنهم منه ١٠
 ﴿يتخدعون الله﴾ أى يفعلون باظهار ما يسر وإبطان ما يضر فعل المخادع
 مع من له الإحاطة الكاملة بكل شيء لأنه سبحانه وتعالى يستدرجهم
 من حيث لا يشعرون، وهم يتخدعون المؤمنين باظهار الإيمان وإبطان
 الكفر ﴿وهو﴾ الذى أمر المؤمنين بما أمرهم فكأنهم يفعلون ذلك
 معه وهو ﴿خادعهم﴾ باستدراجهم من حيث لا يعلمون، لأنه قادر على ١٥
 أخذهم من مآمنهم^٥ وهم ليسوا قادرين على خدعه بوجه ﴿وإذا﴾ أى
 يخادعون^٦ أو الحال أنهم قد فضحوا أنفسهم بما أظهر مكرهم للمستبصرين
 وهو أنهم^٧ إذا ﴿قاموا الى الصلوة﴾ أى المكتوبة ﴿قاموا كسالى﴾
 (١) من ظ ومد، وفي الأصل: الكفر (٢) في ظ: بعقولهم (٣) من ظ ومد،
 وفي الأصل: أكبادهم (٤) في ظ: باظهارهم (٥) من ظ ومد، وفي الأصل:
 ما معهم - كذا (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ .

متقاعسين^١ متثاقلين عادة ، لا ينفكون عنها ، بحيث يعرف ذلك منهم كل من تأملهم ، لأنهم يرون أنها تعب من غير أرب ، فالداعي إلى تركها - وهو الراحة - أقوى من الداعي إلى فعلها وهو خوف الناس ؛ ثم استأنف في جواب من كأنه قال : ما لهم يفعلون ذلك ؟ فقال : ﴿ يَرَأَوْنَ ٥ الناس ﴾ أى يفعلون ذلك^٢ ليراهم الناس ، ليس إلا ليظنهم مؤمنين ، ويريههم^٣ الناس لأجل ذلك ما يسرهم من عدم^٤ ، في عداد المؤمنين لما^٥ يرونهم^٥ المؤمنين حين يصلون ﴿ ولا يذكرون الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال فى الصلاة وغيرها ﴿ الا قليلا ٥ ﴾ أى حيث يتعين ذلك طريقا^٦ لخادعتهم ، يفعلون ذلك حال كونهم ﴿ مذبحيين ﴾ أى مضطربين كما يضطرب الشيء الخفيف المعلق فى الهواء ، وحقيقة : الذى يذب^٧ عن كلا الجانبين ذبا عظيما .

و لما كان ما تقدم يدل على إيمانهم تارة وكفرهم أخرى قال : ﴿ بين ذلك ٥ ﴾ أى الإيمان والكفر ، ولما كان الإيمان يدل على أهله والكفر كذلك قال : ﴿ لا الى ﴾ أى لا يجدون^٨ سبيلا مفرًا إلى ﴿ هؤلاء ﴾ أى المؤمنين ﴿ ولا الى هؤلاء^٩ ﴾ أى الكافرين ؛ ولما كان التقدير : لأن الله أضلهم ، بنى عليه قوله : ﴿ ومن يضل الله ﴾ أى

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) زيد فى ظ : حال كونهم (٣) من مد ، فى الأصل : فيريهم ، وفى ظ : عبريهم - كذا (٤) فى ظ : عدم (٥ - ٥) فى ظ : يرونهم - كذا (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : طريق (٧) فى ظ : يدث . (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : يجدون .

الشامل^١ القدرة الكامل العلم ﴿ فلن تجد ﴾ أى أصلا ﴿ له سيلا * ﴾ أى طريقا إلى شيء يريد .

ولما انقضى ما أراد من الإنكار على من ادعى الإيمان فى اتخاذ الكافرين أولياء ، المستلزم للنهى عن ذلك الاتخاذ ، صرح به مخاطبا للمؤمنين فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أى أقروا بالإيمان بألسنتهم صدقا ٥ أو كذبا ﴿ لا تتخذوا ﴾ أى تكلفوا أنفسكم غير ما تدعو إليه الفطرة الأولى السليمة فتأخذوا^٢ ﴿ الكافرين ﴾ أى المجاهرين بالكفر الغريقين فيه ﴿ أولياء ﴾ أى أقرباء^٣ ، تفعلون معهم من الود و النصرة ما يفعل القريب مع قريبه .

ولما كان الغريق^٤ فى الإيمان أعلى الناس ، وكان تحت رتبته رتب متكاثرة ، ١٠
نه على ذلك وعلى دناءة مقصدهم بالجار فقال : ﴿ من دون المؤمنين ﴾
أى الغريقين فى الإيمان ، وهذا إشارة إلى أنه^٥ لا يصح لمن يوالىهم^٦
دعوى الإيمان ، ولذلك قال منكر : ﴿ تريدون ﴾ أى / بموالاةهم
﴿ ان تجعلوا لله ﴾ أى الذى لا تطاق سطوته لأن له الكمال كله ﴿ عليكم ﴾
أى فى النسبة إلى النفاق ﴿ سلطنا ﴾ أى دليلا واضحا على كفركم^٧ ١٥
باتباعكم غير سبيل المؤمنين ﴿ مبيناه ﴾ واضحا مسوفا لعقابكم و خزيكم^٨

(١) فى ظ : الحامل - كذا (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : تأخذوا (٣) فى
ظ : اقروا بما - كذا (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : التفريق (٥) من مد ،
وفى الأصل و ظ : ان (٦) فى ظ : توالىهم (٧) فى ظ : كفرهم (٨) من مد ،
وفى الأصل : حركم ، وفى ظ : خزلكم - كذا .

و جعلكم في زمرة المنافقين .

ولما نهام عن فعل المنافقين استأنف يان جزائهم عنده فقال :

(ان المنافقين في الدرك) أى البطن و المنزل (الاسفل من النار)

لأن ذلك أخفى ما فى النار وأستره وأدناه و أوضعه كما أن كفرهم أخفى
الكفر و أدناه ، و هو أيضا أخبث طبقات النار كما أن كفرهم أخبث

أنواع الكفر ، و فيه أن من السلطان وضع فاعل ذلك فى دار المنافقين

لفعله مثل فعلهم^١ ، و من تشبه بقوم فهو منهم ، و سميت طبقات النار أدراكا

لأنها متداركة متتابعة إلى أسفل كما أن الدرج^٢ متراقية إلى فوق .

و لما أخبر أنهم من هذا المحل الضنك ، أخبر بدوامه لهم على وجه

١٠ مؤلم جدا فقال : (ولن تجد) أى أبدا (لهم نصيرا) و أشار

بالنهي^٣ عن موالاتهم و عدم نصرهم^٤ إلى ختام أول الآيات المحذرة

من الكافرين ” و كفى بالله وليا و كفى بالله نصيرا “ .

و لما كان فيما تقدم أن الغفران للكافر - أعم من أن يكون منافقا

أولا - متعذرا^٥ ، و أتبعه^٦ ما لأمه^٧ إلى أن^٨ ختم بما دل على أن النفاق

١٥ أغلظ أنواع الكفر استثنى منه دلالة على أن غيره من الكفرة فى

هذا الاستثناء أولى ، تنبيها على أن ذلك النقي المبالغ فيه إنما هو لمن

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مثله (٢) فى مد : مثلهم - كذا (٣) من ظ

و مد ، و فى الأصل : المدرج (٤) فى ظ : بالمجنى - كذا (٥) فى ظ : نصرتهم .

(٦) فى الأصول : متعذرا - كذا (٧-٧) فى ظ : ملايمة - كذا (٨) سقط

من ظ .

مات على ذلك، ولكنه سبق على ذلك الوجه تهويلا لما ذكره
 في حيزه وتنفيرا منه فقال تعالى: ﴿الذين تابوا﴾ أى رجعوا عما كانوا
 عليه من النفاق بالندم والإقلاع ﴿واصلحوا﴾ أى أعمالهم الظاهرة
 من الصلاة التى [كانوا - ٢] يراءون فيها وغيرها بالإقلاع عن النفاق
 ﴿واعتصموا بالله﴾ أى اجتهدوا فى أن تكون عصمتهم - أى ارتباطهم - ٥
 بالملك الأعظم فى عدم العود إلى ما كانوا عليه .

ولما كان الإقلاع عن النفاق الذى من أنواعه الرياء - أصلا ورأسا
 فى غاية العسر قال حثا على مجاهدة النفس فيه: ﴿واخلصوا دينهم﴾ أى
 كله ٢ ﴿لله﴾ أى الذى له الكمال كله، فلم يريدوا بشيء من عبادتهم
 غير وجهه لا رياء ولا غيره ﴿فاولئك﴾ أى العالو الرتبة ﴿مع ١٠
 المؤمنين﴾ أى الذين صار الإيمان لهم وصفا راسخا فى الجنة، وإن عذبوا
 على معاصيهم فى الطبقة العليا من النار ﴿وسوف يؤت الله﴾ أى المحيط
 بكل شيء قدرة وعلما ﴿المؤمنين﴾ أى بوعد لا خلف فيه وإن أصابهم
 قبل ذلك ما أصابهم وإن طال عذابهم، تهذيبا لهم من المعاصى بما أشار
 إليه لفظ 'سوف' ﴿اجرا عظيما﴾ أى بالخلود فى الجنة التى لا ينقضى ١٥
 نعيمها، ولا يتكدر يوما نزيلها، فيشاركهم من كان معهم، لأنهم القوم
 لا يشقى بهم جليسهم .

(١) العبارة من هنا إلى «بالإقلاع عن» ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) من
 ظ و مد، وفى الأصل: كلهم (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: عبادته (٥) فى
 ظ: لا ينقضى .

ولما كان مدنى الاستثناء أنه لا يعذبهم، وأنهم يحدون الشفيع باذنه؛
قال مؤكداً لذلك^١ على وجه الاستنتاج منكراً على من ظن أنه لا يقبلهم
بعد الإغراق في المهالك: ﴿ ما يفعل الله ﴾ أى^٢ وهو المتصف بصفات
الكمال التى منها الغنى المطلق ﴿ بعذابكم ﴾ أى أيها الناس، فانه لا يجلب
٥ له نقعا ولا يدفع عنه ضرا .

ولما كان الخطاب مع الذين آمنوا قال: ﴿ ان شكرتم ﴾ أى
نعمه التى من أعظمها إنزال الكتاب الهادى إلى الرشاد، المتقذ من كل ضلال،
المبين لجميع^٣ ما يحتاج إليه العباد، فأداكم التفكير فى حالها إلى معرفة مسديها،
فأذعنتم له وهرعتم^٤ إلى طاعته بالإخلاص فى عبادته وأبعدتم^٥ عن معصيته .
١٠ ولما كان الشكر هو الحامل على الإيمان قدمه عليه، ولما كان لا يقبل
إلا به / قال: ﴿ وامنتم^٦ ﴾ أى به إيمانا خالصا موافقا فيه القلب ما أظهره
اللسان؛ ولما كان معنى الإنكار أنه لا يعذبكم، بل يشكر ذلك قال عاطفا
عليه: ﴿ و كان الله ﴾ أى ذو الجلال والإكرام أزلا وأبدا ﴿ شاكرا ﴾
لمن شكره بآثابه^٧ على طاعته فوق ما يستحقه ﴿ علياه ﴾ بمن عمل له
١٥ شيئا وإن دق، لا يجوز عليه سهو ولا غلط ولا اشتباه^٨ .

ولما أتم سبحانه وتعالى ما أراد من تقييح حال المجالسين الخاضعين
فى آياته بما هى منزهة عنه، ومما يتبعه من وصفهم وبيان قصدهم

(١) فى ظ: كذلك (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) فى ظ: بجميع .
(٤) فى ظ: دعاكم - كذا (د) فى ظ: ابعدم (٦) فى ظ: اثباته (٧) فى ظ:
اشباه .

بتلك المجالسة من النهى عن مثل حالهم، و من جزاء من فعل مثل فعلهم -
 إلى أن ختم بأشد عذاب المنافقين، و حث^١ على التوبة بما ختمه بصفى الشكر
 و العلم؛ أخبر أنه ييغض^٢ خوض الكافرين الذين قبح مجالستهم حال التلبس^٣
 به، و؛ كذا كل^٤ جهر بسوء إلا ما استثناء، فمن أقدم على ما لا يحبه لم يقم
 [بحق - ٥] عبوديته، فقال معللا ما مضى قبل افتتاح^٦ أمر المنافقين من ٥
 الأمر باحسان التحية: (لا يحب الله) أى المختص بصفات الكمال
 (الجهر) أى ما يظهر فيصير في عداد الجهر (بالسوء) [أى - ١]
 الذى يسوء و يؤذى (من القول) أى لأحد كائنا من كان، فان
 ذلك ليس من شكر الله تعالى فى الإحسان إلى عباده و عياله، و لا من
 شكر الناس فى شيء، و لا يشكر الله من لا يشكر الناس (الامن) أى ١٠
 جهر من (ظلم^٧) أى^٨ كان من أحد من الناس ظلم إليه كائنا من كان
 فانه يجوز له الجهر يشكواه و التظلم منه و الدعاء عليه و ان ساء ذلك
 بحيث لا يعتدى .

ولما كان القول بما يسمع، و كان من الظلم ما قد يخفى، قال مرغبا
 مرهبا: (و كان الله) أى الذى له الإحاطة الكاملة (سميعا) أى لكل ١٥
 ما يمكن سماعه من جهر و غيره (عليما) أى بكل ما يمكن أن يعلم،
 (١) من ظ و مد، و فى الأصل: حته (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بنغض
 - كذا (٣) فى ظ: التلبس (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: كل كذا .
 (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ (٧) زيد من مد (٨) فى ظ: ان .

فاحذروه لئلا يفعل بكم فعل الساخط، وجهر ومن ظلم - وإن كان
 داخلا فيما يحبه الله تعالى على تقدير كون الاستثناء متصلا - لكن جعله 'من
 جملة' السوء وإن كان من باب المشاكلة فإن فيه لطيفة، وهي نهى 'الظن
 عن تعاطيه وحثه على العفو، لأن من علم أن فعله بحيث ينطلق اسم
 السوء - على أى وجه كان إطلاقه - كف عنه إن كان موقفا .

ولما كانت معاهد الخيرات على كثرتها منحصرة في قسمين: إيصال
 النفع إبداء وإخفاء، ودفع الضرر، فكان^٢ قد^١ أشار سبحانه وتعالى
 إلى العفو، وختم بصفى السمع والعلم؛ قال مصرحا بالتدب إلى العفو
 والإحسان، فكان نادبا إليه مرتين: الأولى بطريق الإشارة 'لأولى البصارة'،
 ١٠ والثانية بطريق العبارة للراغبين في التجارة، حثا على الأحب إليه سبحانه
 والأفضل عنده والأدخل في باب الكرم: ﴿ان تبدوا خيرا﴾ أى
 من قول أو غيره ﴿او تخفوه﴾ أى تفعلوه خفية ابتداء أو فى مقابلة
 سوء فعل إليكم؛ ولما ذكر فعل الخير^٣ أتبعه نوعا^٤ منه^٥ هو أفضله^٦
 فقال: ﴿او تغفوا عن سوء﴾ أى فعل بكم .

١٥ ولما كان التقدير: يعلم بما له من صفى السمع والعلم فيجازى
 عليه بخير أفضل منه وعفو أعظم من عفوك؛ سبب عنه قوله: ﴿فان﴾

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) فى ظ: منهى (٣) من ظ، وفى الأصل
 ومد: كان (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ: الأولى بطريق النصارة (٦) من
 مد، وفى الأصل وظ: الخيرات (٧) فى ظ: من (٨) فى ظ: أفضل (٩-٩) من
 ظ ومد، وفى الأصل: العليم - كذا .

أى فأنتم جديرون بالعتو بسبب^١ علمكم بأن (الله كان^٢) أى دائماً
أزلاً وأبداً (عفوا^٣) ولما كان ترك العقاب لا يسمى عفواً إلا إذا
كان^٤ من قادر^٥ وكان الكف - عند القدرة عن الانتقام،
من أثر في القلوب الآثار العظام - بعيداً، شاقاً على النفس شديداً^٦؛
قال تعالى مذكراً للعباد بذنوبهم إليه^٧ وقدرته عليهم: (قديراً^٨) أى ٥
بالغ العفو عن كل ما يريد العفو عنه من أفعال الجانين^٩ والقدرة على
كل ما يريد ومن يريد، فالذى لا ينفك عن ذنب وعجز أولى بالعفو
طعماً في^{١٠} عفو القادر عنه وخوفاً من انتقامه منه و^{١١} تخلفاً بخلفه^{١٢}
العظيم واقتداءً / بسنته .

٥٣٤ /

- ولما انقضى ذلك على أتم وجه وأحسن سياق ونحو، وختم ١٠
بصفى العفو والقدرة؛ شرع^{١٣} في بيان أحوال من لا يعفى عنه من
أهل الكتاب، وبيان أنهم هم الذين أضلوا المناهقين بما يلقون إليهم من
الشبه اتقى وتَسَّع عقولهم لها ما أنعم به عليهم سبحانه وتعالى من العلم،
فأبدوا الشر وكنتموا الخير، فوضعوا نعمته حيث يكره، ثم كشف
سبحانه وتعالى بعض شبههم، فقال مبيناً لما افتتح به قصصهم من أنهم ١٥
اشتروا الضلالة بالهدى، ويريدون ضلالاً غيرهم، بعد أن كان ختم هناك
(١) من ظ و مد، وفي الأصل: تسبب (٢) تأخر في ظ عن «أزلاً وأبداً» .
(٣) من ظ و مد والقرآن الكريم، وفي الأصل: عفو (٤-٤) من ظ و مد،
وفي الأصل: قادراً (٥) سقط من ظ (٦) من مد، وفي الأصل: الجانين، وفي
ظ: المجانين (٧) في ظ: الى (٨-٨) من ظ و مد، وفي الأصل: تخلف
بخلفه (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: يشرع .

ما قبل قصصهم بقوله عفا قديراً: ﴿ان الذين يكفرون﴾ أى^١
يسترون ما عندهم من العلم ﴿بالله﴾ أى الذى له الاختصاص بالجلال
والجلال^٢ ﴿ورسله﴾.

ولما ذكر آخر أمرهم ذكر السبب الموقع فيه [فقال -^٤]:
﴿ويريدون ان يفرقوا بين الله﴾ أى الذى له الأمر كله، ولا أمر
لأحد معه ﴿ورسله﴾ أى فيصدقون بالله و يكذبون ببعض الرسل
فينفون رسالاتهم، المستلزم لنسبتهم^٥ إلى الكذب على الله^٦ المقتضى
لكون الله سبحانه و تعالى^٦ بريئاً منهم.

ولما ذكر الإرادة ذكر ما نشأ عنها فقال: ﴿ويقولون تؤمن ببعض﴾
١٠ أى من الله و رسله كاليهود الذين آمنوا بموسى عليه الصلاة و السلام و غيره
إلا عيسى و محمداً صلى الله عليهما و سلم فكفروا بهما ﴿و تكفر ببعض^٧﴾
أى من ذلك و هم^٨ الرسل كمحمد^٩ صلى الله عليه و سلم ﴿ويريدون ان
يتخذوا﴾ أى يتكفوا أن يأخذوا ﴿بين ذلك﴾ أى الإيمان و الكفر
﴿سبيلاً^{١٠}﴾ أى طريقاً يكفرون به، و عطف الجمل بالواو - و إن كان
١٥ بعضها سبياً لبعض - إشارة إلى أنهم جديرون بالوصف بكل منها^{١١} على
انفراده، و أن كل خصلة كافية في^{١٢} نسبة الكفر إليهم، و قدم تبيجتها،

(١) من ظ، و فى الأصل و مد: غفورا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: الاكرام.
(٤) زيد من ظ و مد (ه) فى ظ: فينبهم (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ.
(٧) فى ظ: هو (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: لمحمد (٩) من مد، و فى
الأصل و ظ: منها (١٠) فى ظ: من.

و ختم بالحكم بها على وجه أضخم ، تقطيعا لحالمهم ، وأصل الكلام : أرادوا
 سيلا بين سيلين ، فقالوا :^١ نكفر ببعض ، فأرادوا التفرقة ، فكفروا كفرا
 هو في غاية الشناعة على علم منهم ، فأتبع ذلك : (أولئك) أي البعداء^٢
 البغضاء (هم الكفرون) أي الغريقون في الكفر (حقا)^٣ ولزمهم
 الكفر بالجميع لأن الدليل على نبوة البعض لزم منه القطع بنبوة كل من
 حصل منه مثل ذلك الدليل ، وحيث جوز حصول الدليل بدون المدلول
 تعذر الاستدلال [به - ٢] على شيء كالمعجزة ، فلزم حيثئذ الكفر بالجميع ،
 ثبت أن من كذب بنبوة أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام [لزمه
 الكفر بجميع الأنبياء - ٢] ، ومن لزمه الكفر بهم لزمه الكفر بالله وكل
 ما جاء به •

١٠

ولما كان التقدير : فلا جرم انا اعتدنا - أي هيأنا - لهم عذابا مهينا ،
 عطف عليه تعميما : (واعتدنا للكافرين) أي جميعا (عذابا مهينا)
 أي : كما استهانوا ببعض الرسل وهم الجديرون بالحب والكرامة ، والآية
 شاملة لهم ولغيرهم ممن كان حاله كحالمهم ، وإيلاء ذلك لبيان أحوال^٤
 المناقضين أنسب شيء وأحسنه^٥ للتعريف بأنهم منافقون ، من حيث أنهم^{١٥}
 يظهرون شيئا من أمر النبي صلى الله عليه وسلم ويطنون^٦ غيره وإن
 كان ما^٧ يظهرونه على الضد مما يظهره^٨ المناقضون ، وبأنهم هم الذين أضلوا

(١) من ظ ومد ، وفي الأصل : وقالوا (٢) زيد بعده في ظ : أي (٣) زيد
 من ظ ومد (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : تعيما (٥) سقط من ظ (٦) في ظ :
 حال (٧) في ظ : الحسنة (٨) في ظ : يمانون (٩) من ظ ومد ، وفي الأصل :
 كما (١٠) في ظ : يظهر .

المنافقين، وللتحذير من أقوالهم وتزييف ما حرفوا من محالهم، وفي ذلك التفات إلى أول هذه القصة "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ" - الآية .

و لما بين سبحانه وتعالى ما أعد لهم بين ما أعد لأضدادهم من أهل طاعته بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ ﴾ أى [الذى - ٢] له الكمال والجمال .
﴿ ورسوله ﴾ و لما جمعهم في الإيمان ضد ما فعل أهل الكفران، صرح بما أفهمه فقال: ﴿ وَلَمْ يَفْرُقُوا ﴾ أى في اعتقادهم ﴿ بين احد منهم ﴾ أى لم يجعلوا أحدا منهم على صفة الفرقة البليغة من صاحبه بأن كفروا ببعض و آمنوا ببعض - كما فعل الأشقياء، و التفرقة تقتضى شيئين ١٠ فضاء، و "أحد" عام في الواحد المذكور والمؤنث و تثنيتهما و جمعهما،

/ فلذلك صح التعبير به بمعنى: بين اثنين أو جماعة، و كأنه اختير للبالغة بأن لو أن الواحد يمكن فيه التفرقة فكان الإيمان بالبعض دون البعض كفرا^٢ ﴿ أولئك ﴾ أى العالو الرتبة في رتبة السعادة .

و لما كان المراد تأكيد وعدم، وكان المشاهد فيه غالباً التأخر ١٥ قال: ﴿ سوف تؤتيهم^٣ ﴾ أى بما لنا من العظمة بوعده لا خلف فيه وإن تأخر، فالمراد تحقيقه، لا تحقيق تأخره، ولكنه آتى بالأداة التى هى أكثر حروفاً وأشد تنفيساً، لأن هذا السياق لأهل الإيمان المجرد، الشامل

(١) فى ظ: عد (٢) زيد من ظ ومد (٣) فى ظ: احدا (٤) فى ظ: فاجمعها .
(٥) من ظ ومد، وفى الأصل: اختبر (٦) فى ظ: الامان (٧) سقط من ظ .
(٨) فى ظ: رتبة (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: الشهادة (١٠) وقراء حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء التحتانية على الغيب - وهى القراءة المشهورة .
لن (١١٣) ٤٥٢

لمن لم يكن له عمل، ولذا^١ أضاف الأجور إليهم، وختم بالمغفرة
لثلاث يحصل لهم بأس وإن طال المدى ﴿اجورهم﴾ أى كاملة بحسب نياتهم
وأعمالهم.

ولما كان الإنسان محل النقصان قال: ﴿وكان الله﴾ أى الذى
لا يبلغ الواصفون كنه^٢ ما له من صفات الكمال ﴿غفورا﴾ لما يريد^٥
من الزلات ﴿رحيما﴾ أى بمن يريد إسعاده بالجنات.

ولما أخبر تعالى بما على^٣ المفرقين بين الله ورسله وما لأضدادهم
أتبعه بعض ما أرادوا به الفرقة، وذلك أن كعب بن الأشرف وفحاص^٤
ابن عازورا من اليهود قالوا كذبا: إن كنت نبيا فأتنا بكتاب^٥ جملة
من السماء نعاينه حين ينزل - كما أتى موسى عليه الصلاة والسلام بكتابه^{١٠}
كذلك^٦، فأنزل الله تعالى مؤنحا لهم على هذا الكذب مشيرا إلى كذبهم
فيه موهيا لسؤالهم محذرا من غوائله ميينا لكفرهم بالله ورسله:
﴿يستلك﴾.

ولما كانت هذه من أعظم شبههم التى أضلوا بها من أراد الله^٧،
وذلك أنهم رأوا أن هذا الكتاب المبين أعظم المعجزات، وأن العرب^{١٥}
لم يمكنهم^٨ الطعن فيه على وجه يمكن قبوله، فوجهوا مكايدهم نحوه
(١) فى ظ: كذا (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: كن (٣) فى ظ: علل (٤) من
مد والكشاف ٢٣٦، وفى الأصل: فحاص، وفى ظ: فحاص - كذا (٥) من
ظ ومد، وفى الأصل: لكتاب (٦) فى ظ: لذلك (٧) سقط من ظ (٨) من
ظ ومد، وفى الأصل: لم يتمكنهم.

بهذه الشبهة ونحوها، زيفها سبحانه وتعالى أتم تزيف، وفضحهم بسببها غاية الفضيحة، وزاد سبحانه وتعالى في تبكيثهم بقوله: ﴿ اهل الكذب ﴾ إشارة إلى أن العالم ينبغي له أن يكون أبعد الناس من التعمية فضلا عن الكذب الصريح ﴿ ان تنزل عليهم ﴾ أى خاصا بهم باثبات أسمائهم ﴿ كتبنا من السماء ﴾؛ وما أوهموا به في قولهم هذا من أن موسى عليه الصلاة والسلام أتى بالتوراة جملة كذبة تلقفها منهم من أراد الله تعالى من أهل الإسلام^٢، ظنا منهم أن الله تبارك وتعالى أقرهم عليها وليس كذلك - كما يفهمه السياق كله^٣، ويأتى ما هو كالصريح فيه في قوله ” انا اوحينا اليك “ - الآية كما سيأتى بيانه، واليهود الآن معترفون بأنهم لم تنزل جملة، وقال الكلبي في قصة البقرة التى ذبحوها لأجل القتيل الذى تداروا فيه: وذلك قبل نزول القسامة في التوراة.

ولما كان هذا مما يستعظمه النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى ذلك مبينا تسلية له صلى الله عليه وسلم أن عادتهم التعت، وديدهم^٤ الكفر، وأنهم أغرق الناس في غلظ الأكباد وجلالة الطبايع، وأن أوائلهم ١٥ تعنتوا على من يدعون الإيمان به الآن، وأنهم على شريعته، وأحب شيء فيه ما أراهم من تلك الآيات العظام التى منها استنقاذهم^٥ من العبودية بل من الذبح. وأن ذلك تكرر منهم مع ما يشاهدونه^٦ من القوارع والبعو

(١) أى تناوّلها (٢-٣) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: لم ينزل (٥) وسقطت من هنا صفتان من مد (٦) في ظ: يشاهدون.

فقال : ﴿ فقد ﴾ أى إن تستعظم^١ ذلك فقد ﴿ سالوا ﴾ [أى -^٢]
 آباؤهم ،^٣ أى وهم^٤ على [نهجم -^٥] فى التعت فهم شركاؤهم ﴿ موسى -^٦ ﴾
 لغير داع سوى التعت ﴿ اكبر ﴾ أى أعظم ﴿ من ذلك ﴾ أى الأمر العظيم
 الذى واجهوك به بعد ما أظهرت من المعجزات ما أوجبنا على كل من^٧
 عليها الإيمان بك و التأديب معك ، ثم بينه بقوله : ﴿ فقالوا اربنا الله ﴾ ٥
 أى الملك الأعلى الذى لا شيه^٨ له ، و تقصر العقول عن الإحاطة بعظمته
 ﴿ جهرة ﴾ أى عيانا من غير ستر و لا حجاب و لانوع من خفاء بل
 تحيط به أبصارنا كما يحيط السمع بالقول الجهر ، وهذا يدل على أن
 كلا من السؤالين ممنوع لكونه ظلما ، لآدائه إلى الاستخفاف بما تقدمه

من المعجزات ، وعده غير كاف مع أن إنزال الكتاب / جملة غير مناسب ١٠ / ٥٣٦
 للحكمة التى بنيت عليها هذه الدار من ربط المسيات^٩ بالأسباب و بنائها
 عليها ، لأن من المعلوم أن تفريق الأوامر سبب لحفة حملها ، و ذلك
 ادعى لامثالها و أيسر لحفظها و أعون على فهمها ، و أعظم تثبيتا^{١٠} للأنزل
 عليه و أشرح لصدره و أقوى لقلبه و أبعث لشوقه ، و الرؤية على هذا الوجه
 الذى طلبوه^{١١} - وهو الإحاطة - محال ، فسؤالهم لذلك استخفاف مع أنه تعنت ، ١٥
 و لذلك سبب عن سؤالهم قوله : ﴿ فاخذتهم ﴾ أى عقب هذا السؤال
 و بسببه من غير إمهال أخذ قهر و غلبة ﴿ الضعفة ﴾ أى نار نزلت من

(١) فى ظ : استعظم (٢) زيد من ظ (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) من
 ظ ، و فى الأصل : شىء - كذا (٥) فى الأصل : سبب ، و فى ظ : سببه - كذا .
 (٦) فى ظ : السباب - كذا (٧) فى ظ : تثبتا (٨) من ظ : و فى الأصل : طليها .

السما بصوت عظيم هو جدير بأن لا يسمى غيره - إذا نسب^١ إليه - صاعقة ،
 فاهلكتهم ﴿ بظلمهم ج ﴾ أى بسبب ظلمهم بهذا السؤال و غيره ، لكونه
 نعتا من غير مقتض له أصلا ، و بطلب الرؤية على وجه محال و هو طلب
 الإحاطة ﴿ ثم ﴾ بعد العفو عنهم و إحيائهم من إماتة هذه الصاعقة
 ٥ ﴿ اتخذوا العجل ﴾ أى تكلفوا أخذه و عتوا أنفسهم باصطناعه .

و لما كان الضال بعد فرط البيان أجدر بالتبكيك قال : ﴿ من بعد ﴾
 و أدخل الجار إعلاما بأن اتخذهم لم يستغرق زمان^٢ البعد ، بل تابوا^٣ عنه
 ﴿ ما جاءهم اليئس ﴾ أى بهذا الإحياء و غيره من المعجزات ﴿ فغفونا ﴾
 أى على ما لنا من العظمة ﴿ عن ذلك ج ﴾ أى الذنب العظيم بتوبتنا عليهم من
 ١٠ غير استئصال لهم^٤ ﴿ و اتينا ﴾ أى بعظمتنا التى لا تدانيها عظمة ﴿ موسى
 سلطنا ﴾ أى تسلطا^٥ و استيلاء قاهرا ﴿ ميناء ﴾ أى ظاهرا فانه أمرم
 بقتل أنفسهم فبادروا الامثال بعد ما ارتكبوا من عظيم هذا الضلال ،
 و فيه رمز ظاهر إلى أنه سبحانه و تعالى يسلط محمدا صلى الله عليه و سلم
 على كل من يعانده أعظم من هذا التسليط .

١٥ و لما بين هذا من عظمته أتبعه أمرا^٦ آخر أعظم منه فقال :
 ﴿ ورفنا ﴾ أى بعظمتنا ؛ و لما كان قد ملا^٧ جهة الفوق^٨ بأن وارى^٩
 جميع أبدانهم و لم يسل^{١٠} أحد منهم من ذلك ؛ نزع الجار فقال : ﴿ فوقهم
 الطور ﴾ أى الجبل العظيم ، ثم ذكر سبب رفعه فقال : ﴿ بميثاقهم ﴾

(١) إمّاظ ، و فى الأصل : نسب (٢-٢) فى ظ : التعديل تابوا - كذا .
 (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : تسليطا (٥) من ظ ، و فى الأصل :
 امر (٦) فى ظ : فوق (٧) فى ظ : وارى (٨) من ظ ، و فى الأصل : لم يعلم .

أى حتى التزموه^١ وأذعنوا له و قبلوه .

ولما ذكر الميثاق على هذا الوجه^٢ العجيب^٣ [أتبعه - ^٤] ما نقضوا فيه على سهولته دليلا على سوء طباعهم فقال : ﴿ و قلنا لهم ﴾ أى [بما - ^٥] تكرر لهم^٦ من رؤية عظمتنا ﴿ ادخلوا الباب ﴾ أى الذى لبيت المقدس ﴿ سجدا ﴾ أى فنقضوا^٧ ذلك العهد الوثيق و بدلوا ﴿ و قلنا لهم ﴾ أى على لسان موسى عليه الصلاة و السلام فى كثير من التوراة ﴿ لا تعدوا ﴾ أى [لا - ^٨] تتجاوزوا^٩ ما حددناه لكم ﴿ فى السبت ﴾ أى لا تعملوا فيه عملا من الأعمال - تسمية للشئ باسم سببه سمي عدوا لأن العامل^{١٠} للشئ يكون لشدة إقباله عليه كأنه يعدو ﴿ و اخذنا منهم ﴾ أى فى جميع ذلك ﴿ ميثاقا غليظا ﴾ و إنما جازمت بأن المراد بهذا - والله ١٠ تعالى أعلم - على لسان موسى عليه الصلاة و السلام ، لأنه تعالى كرر التأكيد عليهم فى التوراة فى حفظ السبت ، و أوصاهم به^{١١} ، و عهد إليهم فيه ما قل^{١٢} أن عهده^{١٣} فى شئ من الفروع غيره ، قال بعض المترجمين للتوراة فى السفر الثانى فى العشر الآيات^{١٤} التى أولها ” أنا إلهك الذى أصعدتك من أرض مصر من العبودية و الرق ، لا يكون لك^{١٥} إله^{١٦} غيرى^{١٧} ” ما^{١٨} ١٥

- (١) فى ظ : التزموه (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : العجب (٤) زيد من ظ .
(٥) فى ظ : منهم (٦) فى الأصل : فيقضوا ، وفى ظ : فنفقوا - كذا (٧) فى ظ : تجاوزوا (٨) فى ظ : القائل (٩) فى ظ : بهم (١٠) فى ظ : كل - خطأ .
(١١) فى الأصلين : عهده (١٢) من ظ ، وفى الأصل : آيات (١٣) فى ظ : الهة .
(١٤) من ظ ، وفى الأصل : غيره (١٥) فى ظ : بما .

نصه اذكر حفظ يوم السبت و طهره ستة أيام، كد فيها^١ و اصنع جميع ما ينبغي لك أن تصنعه، و اليوم السابع سبت^٢ الله ربك، لا تعملن فيه^٣ شيئاً من الأعمال أنت و ابنك^٤ و ابنتك و عبدك و أمتك و درابك و الساكن في قراك، لأن الرب خلق السماوات و الأرض في ستة أيام و البحور و جميع ما فيها، و استراح في اليوم السابع، و لذلك بارك الله اليوم السابع و قدسه، أكرم أباك - إلى آخر ما مر في سورة البقرة؛ ثم عاد العشر الآيات في أوائل السفر^٥ الخامس / و قال في السبت : احفظوا يوم السبت^٦ و ظهوره كما أمركم الله ربكم، و اعملوا الأعمال في ستة أيام كما أمركم الله ربكم، و اعملوا الأعمال في ستة أيام، فاصنعوا ما أردتم أن تصنعوا فيها، فأما يوم السبت^٧ ١٠ فأسبوع ربكم^٨، لا تعملوا فيه عملاً أنتم و بنوكم و عبيدكم^٩ و إماءكم و ثيرانكم و حميركم و كل بهائمكم و الساكن الذي في قراكم ليستريح عبيدكم^{١٠} - إلى آخر ما في أوائل هذه السورة عند ”و يهديكم سنن الذين من قبلكم“ و قال في الثاني بعد ذلك : و قال الرب لموسى : ^{١١} وأنت ^{١٢} فأمر بني إسرائيل أن تحفظوا^{١٣} السبت، لأنها أمانة العهد و علامة فيما بيني ١٥ و بينكم لأحقابكم، فعملوا أنى أنا الرب إلهكم مقدسكم، احفظوا يوم السبت

(١) في ظ : مها (٢) في ظ : سبب (٣) من ظ ، و في الأصل : فيها (٤) في الأصل : ابلك ، و في ظ : ابلك - كذا (٥) زيد في ظ : آخر (٦ - ٧) سقط ما بين الرقيين من ظ (٧) في ظ : لربكم . (٨ - ٩) في ظ : فانت (٩) في ظ : يحفظوا .

فانه مطهر مخصوص لكم ، ومن نقضه و أخذ العمل فيه فليقتل ، ومن
عمل عملا فليهلك ذلك الإنسان من شعبه ، اعملوا أعمالكم ستة أيام ،
واليوم السابع فهو يوم سبت قدس للرب ، لأن الرب خلق السموات
والأرض في ستة أيام والبحور وما فيها ، وهذا في اليوم السابع
'ودفع إلى موسى عليه الصلاة والسلام لما فرغ كلامه له في طور ه
سيناء لوحى^٢ الشهادة ، وأبلغ في تأكيد حفظه عليهم في غير ذلك من
المواضع ، حتى أنه شرع لهم أسباب الأرض ونحوها ، فقال في السفر
الثاني أيضا : ازرع أرضك ست سنين ، واحمل أثقالها ، وفي السنة السابعة
ابذر^٣ها ، ودعها ، فياكل مسكين شعبك^٤ ، وما يبقى بعد ذلك يأكله
حيوان البر ، وكذلك فافعل بكرومك^٥ وزيتونك ، اعمل عملك في ١٠
ستة أيام وفي اليوم السابع تستريح لكي يستريح ثورك وحمارك ،
وتستريح أمتك وابن أمتك والساكن في قراك ، ثم ذكر الأعياد في
السفر الثالث ، وحرم العمل فيها ؛ وقال في بعضها : وكل نفس يعمل عملا
في هذا اليوم تهلك تلك^٦ النفس من شعبها ، فلا تعملوا فيه عملا ، لأنه
سنة جارية لكم إلى الأبد في جميع مساكنكم ، فليكن هذا اليوم سبت ١٥
السبوت ؛ ثم أمرهم بعيد المظال^٧ سبعة أيام وقال : ليعلم أحقابكم أتى

(١) العبارة من هنا إلى « وفي اليوم السابع » تكررت في الأصل فقط مع نقص
شيء وزيادته (٢) في ظ : او من - كذا (٣) في ظ : ابذرعا (٤) في ظ :
سعيك (٥) في ظ : بكرمك (٦) سقط من ظ (٧) في ظ : المظال - كذا خطأ ،
وهو عيد لليهود ينصبون فيه خياما من ورق الشجر يقيمون فيها عدة أيام
تذكارا لخروجهم من عبودية مصر .

أجلست بنى إسرائيل في المظال حيث أخرجتهم من أرض مصر؛ ثم ذكر بعض القرايين وقال: و يصف هارون الحيز صفين في اليوم السادس وهو يوم الجمعة، ويكون ذلك من عيد بنى إسرائيل؛ وكلم الرب موسى وقال له في طور سيناء: كلم بنى إسرائيل وقل لهم: إذا دخلتم الأرض التي أعطيتكم ميراثا تسبت^٢ الأرض سبتا^٣ للرب، ازرعوا مزارعكم ست سنين واكسحوا كرومكم ست سنين، واستغلوا غلاتكم ست سنين، فأما السنة السابعة فلتكن سبت الراحة للأرض، لا تزرعوا مزارعكم، ولا تكسحوا كرومكم، ولا تحصدوا ما ينبت في أرضكم في تلك السنة من غير أن يزرع، ولا تقطعوا غناب كرومكم، بل يكون سبت الراحة للأرض لكم ولبنيتكم ولعبيدكم ولإمائكم ولإخوانكم وللأسكان الذين يسكنون معكم، وأحصوا سبع مرات سبعا سبعا: تسعا^٤ وأربعين سنة، وقدسوا^٥ سنة خمسين، وليكن رد الأشياء إلى أربابها، ولا تزرعوا أرضكم في تلك السنة، ولا تحصدوا ما نبت فيها، ولا تقطعوا عشبها لأنها سنة الرد، واتقوا الله لأنى أنا الله ربكم، احفظوا وصاياي واعملوا

١٥ / ٥٣٨ [بها-^٦]، واحفظوا أحكامي واعملوا بها، واسكنوا أرضكم بالسكون والطمأنينة لتغل لكم الأرض غلاتها، وتأكلوا وتشبعوا وتسكنوها مطمئنين، وإن قلتم: من أين نأكل في السنة السابعة التي لا نزرع فيها

(١) في ظ: تصف (٢) في ظ: نسيت (٣) في ظ: سبيا (٤) من ظ، وفي الأصل فلانكم (٥-٥) في ظ: سبتا لراحة الأرض (٦) تكرر في الأصل، وسقط من ظ (٧) في ظ: سد سوا - كذا (٨) زيد من ظ.

فلا تهتموا! أنا منزل لكم بركاتي في السادسة، وتغل لكم أرضكم في تلك السنة غلة ثلاث سنين، حتى إذا زرعتم في السنة الثامنة لم تحتاجوا إلى غلتها، لأنكم تأكلون من السنة السادسة إلى السنة التاسعة، وأما الأرض فلا تباع. يباع صحيحاً أبداً، لأن الأرض لى، وإنما أنتم سكان، وحيث ما بيعت الأرض في ميراثكم فلتخلص^٢ وترد في سنة الرد؛ وفيه مما لا يجوز^٥ إطلاقه في شرعنا نسبة الاستراحة إليه سبحانه، هذا مع أنه أكد سبحانه العهود عليهم في التوحيد وحفظ جميع الأحكام في جميع التوراة على نحو ما تراه فيما أنقله منها في هذا الكتاب.

- فلما بين سبحانه أنه أكد عليهم المشاق^٢، وأكثر من التقدم في حفظ العهد؛ بين أنهم نقصوا، فأعقبهم بسبب ذلك ما هددوا به في التوراة ١٠ من الخزي وضرب الذلة مع ما ادخر لهم في الآخرة فقال: ﴿فما﴾ مؤكداً بادخال 'ما' ﴿نقصهم ميثاقهم﴾ أى فعلنا بهم؛ بسبب ذلك جميع ما ذكرنا في التوراة من الخزي، وقد تقدم كثير منه في القرآن، ولا يبعد عندي تعليقه بقوله الآتى "حرمتنا عليهم طيبات - واعتدنا" ويكون من الطيبات العز ورغد العيش، وذلك جامع لنكد الدارين، ١٥ وعطف على هذا الأمر العام ما اشتدت به العناية من إفراده عطف الخاص على العام فقال: ﴿وكفرهم بآيت الله﴾ بما جاءهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم واقتضت حكمته سبحانه أن يكون عظمتها مناسبة لعظمة اسمه
-
- (١) في ظ: يغل (٢) في ظ: المخص - كذا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ: وفي الأصل: هم (٥) واستأنفت من هنا نسخة مد...

الاعظم الذى هو مسمى جميع الاسماء، فاستلزم كفرهم به كفرهم بما
أزل على موسى عليه الصلاة والسلام لأنه أعظم ما نقضوا فيه وأخص
من مطلق النقض (وقتلهم الانبياء) وهو أعظم من مطلق كفرهم،
لأن ذلك سد باب الإيمان عنهم وعن غيرهم. لأن الانبياء سبب الإيمان
٥ وفى محور السبب محور المسبب.

ولما كان الانبياء معصومين من كل نقيصة، ومبرئين من كل
دنية، لا يتوجه عليهم حق لا يؤدونه؛ قال: (بغير حق) أى كبير
ولا صغير أصلاً. وهذا الحرف - لكونه فى سياق طعنهم فى القرآن
الذى هو أعظم الآيات - وقع التعبير فيه بأبلغ مما فى آل عمران الذى
١٠ هو أبلغ مما سبق عليه، لأن هذا مع جمع الكثرة وتكثير الحق عبر
فيه بالمصدر المفهم لأن الاجترار على القتل صار لهم خلقاً وصفة راسخة،
بخلاف ما مضى، فانه بالمضارع الذى ربما دل على العروض؛ ثم ذكر
أعظم من ذلك كله وهو إسنادهم عظائمهم إلى الله تعالى فقال: (وقولهم
قلوبنا غلف) أى لا ذنب لنا لأن قلوبنا خلقت من أصل الفهم بعيدة
١٥ عن فهم مثل ما يقول الانبياء، لكونها فى أغشية، فهى شديدة الصلابة،
وذلك سبب قتلهم ورد قولهم، وهذا بعد أن كانوا يقررون بهذا
النبي الكريم، ويشهدون له بالرسالة وبأنه خاتم الانبياء، ويصفونه

(١) فى ظ: لانهم (٢) فى ظ: ليجو - كذا (٣-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ .
(٤) فى مد: فقال (٥) زيد بعده فى الأصل: ما، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد
لخذفناها (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: جميع .

بأشهر صفاته ، و يترقبون إتيانه ، لا جرم رد الله عليهم بقوله عطفاً على ما تقديره : و قد كذبوا لأنهم ولدوا على الفطرة كسائر ولدان ، فلم تكن^١ قلوبهم في الأصل غلفاً : ﴿ بل طبع الله ﴾ أى الذى له معاهد العز و مجامع العظمة ﴿ عليها ﴾ طبعاً عارضاً^٢ ﴿ بكفرهم ﴾ بل^٣ إنه خلقها أولاً على الفطرة متمكنة من اختيار الخير و الشر ، فلما أعرضوا^٥ - بما هيأ قلوبهم له من قبول النقص - عن الخير ، و اختاروا^٤ الشر بالتابع^٦ شهواتهم الناشئة من نفوسهم ، و ترك^٧ ما تدعو إليه عقولهم ، طبع سبحانه و تعالى عليها . فجعلها قاسية محجوبة عن رحمة ، و لذا^٨ سبب عنه قوله : ﴿ فلا يؤمنون ﴾ أى يحددون الإيمان / في وقت من الأوقات الآتية .

٥٣٩ /

و يجوز أن يتعلق بما تقديره تنمة لكلامهم : طبع الله عليها فهمى لا نعى^٩ ، و تكون " بل " استدراكاً للطبع بالكفر^{١٠} وحده ، لأنه ربما انضم إليه ، و أن يكون أضرب عن قولهم : إنها في غلف ، لكون ما في الغلاف قد يكون مهيناً لإخراجه من الغلاف^{١١} إلى الطبع الذى من شأنه الدوام ﴿ الا قليلاً ﴾ من الإيمان بأن يؤمنوا وقتاً يسيراً^{١٢} كوجه النهار^{١٣} و يكفروا^{١٤} في غيره ، و يؤمنوا^{١٥} ببعض و يكفروا^{١٦} ببعض ، أو إلا^{١٧} أناساً قليلاً منهم - كما كان^{١٨} أسلافهم يؤمنون بما يأتى به موسى عليه

- (١) من ظ و مد ، و في الأصل : فلم تمكن (٢) في ظ : عارضى (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : بل (٤-٤) من ظ و مد ، و في الأصل : أكثر بالتابع - كذا (٥) في ظ : تركوا (٦) في ظ : كذا (٧) في ظ : لا تعمى (٨) سقط من ظ (٩) من مد ، و في الأصل : الطلاق ، و في ظ : الخلاف (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : كبيراً (١١) في ظ : بالنهار (١٢) من ظ و مد ، و في الأصل : تكفروا . (١٣) من ظ و مد ، و في الأصل : تؤمنوا (١٤) من مد ، و في الأصل : وظ : كانوا .

الصلاة و السلام من الآيات . ثم لم يكن بأسرع من كفرهم و تعنتهم بطلب آية أخرى كما^١ هو مذكور في توراتهم^٢ التي بين أظهرهم ، و نقلت كثيرا منه في هذا الكتاب ، فقامت الحجة عليهم بأنهم يفرقون بين قدرتهم على الإيمان و قدرتهم على الطيران .

٥ و لما بين كفرانهم بقتل الأنبياء بين كفرهم بالبهتان الذي هو سبب القتل ، و الفتنة أكبر من القتل^٣ ، فقال معظمها له باعادة العامل : ﴿ و بكفرهم ﴾ أى المطلق الذي هو سبب اجترانهم على الكفر بنبي^٤ معين^٥ موسى عليه الصلاة و السلام ، و على الذنف . ليكون بعض كفرهم معطوفا على بعض آخر ، و لذلك قال : ﴿ و قولهم على مريم ﴾ أى بعد علمهم بما ظهر على يديها من الكرامات الدالة على براءتها [و أنها-٦] ملازمة للعبادة بأنواع الطاعات^٧ ﴿ بهتانا عظيما^٨ ﴾ ثم علمهم^٩ بما لم ينالوا من^{١٠} قتل أعظم من جاء من أنبيائهم بأعظم ما رأوا من الآيات من بعد موسى و هو^{١١} عيسى عليهما الصلاة و السلام ، ثم بادعائهم لقتله و صلبه افتخارا به مع شكهم فيه فقال : ﴿ و قولهم انا قتلنا المسيح ﴾ ١٥ ثم بينه بقوله : ﴿ عيسى ابن مريم ﴾ ثم تهكموا به بقولهم^{١٢} : ﴿ رسول الله ج ﴾

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مما (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : توارثهم (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : بين (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بين (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الطاعة (٨) فى ظ : نههم ، و فى مبد : فهمهم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : منه (١٠) فى ظ : هم (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : قواه .

أى الذى له أنهى العظمة ، لجمعوا بين 'أنواع من' القبايح ، منها التشيع^٢ بما لم يعطوا ، ومنها أنه على تقدير صدقهم جامع لأكبر الكبائر مطلقا ، وهو الكفر بقتل النبي لكونه نبيا ، وأكبر الكبائر بعده وهو مطلق القتل ، ولم يكفهم ذلك حتى كانوا يصفونه بالرسالة مضافة إلى الاسم الأعظم استهزاء به وبمن أرسله عز اسمه وجلت^٣ عظمته ٥ و تعالى كبرياؤه وتمت كلماته ونفذت أوامره ، لكونه لم يمنعه منهم على زعمهم (وما) أى والحالة أنهم ما (قتلوه وما صلبوه) وإن كثر قائلو ذلك منهم ، وسلبه^٤ لهم النصارى (ولكن) لما كان المقصود وقوع اللبس عليهم الضار لهم ، لا كونه من معين [قال^٦] : (شبه لهم^٥) أى فكانوا^٦ فى عزمهم بذلك متشيعين بما لم يعطوا . ١٠ ولما أنهم التشبيه^٨ الاختلاف ، فكان التقدير : فاختلفوا بسبب التشبيه فى قتله ، فمنهم من قال : قتلناه جازما ، ومنهم من قال : ليس هو المقتول ، ومنهم من قال : الظاهر أنه هو ، عطف عليه قوله دالا على شكهم باختلافهم : (وان الذين اختلفوا فيه) أى فى قتله (لنى شك منه^٧) أى تردد مستوى الطرفين ، كلهم وإن جزم بعضهم ، ثم ١٥ أكد هذا المعنى بقوله : (ما لهم به) وأغرق فى النفي بقوله : (من علم) .

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل قط (٢) فى ظ : التسيع (٣) فى ظ : جلب .

(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : مسلبة (٦) زيد من ظ ومد (٧) فى ظ : وكانوا .

(٨) فى ظ : التشبه .

ولما كانوا يكلفون أنفسهم اعتقاد ذلك بالنظر في شهادته، فربما
قويت عندهم^١ شبهة فصارت أمانة أوجب لهم^٢ - لشغلهم^٣ بآمالها - ظنا،
ثم اضمحلت في الحال لكونها لا حقيقة لها، فعاد الشك وكان أبلغ في
التحير^٤؛ قال: ﴿الا﴾ أى لكن ﴿اتباع الظن﴾ أى يكلفون
٥ أنفسهم الارتقاء من درك^٥ الشك إلى رتبة الظن، وعبر بأداة الاستثناء
دون 'لكن' الموضوعية للانقطاع إشارة إلى أن إدراكهم لما زعموه^٦
من قتله^٧ مع كونه في الحقيقة شكا يكلفون / أنفسهم جعله ظنا، ثم
يخزمون به، ثم صار عندهم متواترا قطعيا، فلا أجهل منهم.

/ ٥٤٠

ولما^٨ أخبر بشكهم فيه بعد الإخبار بنفيه أعاد ذلك على وجه أبلغ
١٠ فقال: ﴿وما قتلوه﴾ أى اتقى قتلهم له اتقاء ﴿يقينا﴾ أى انتفاؤه
على سبيل القطع، ويجوز أن يكون حالا من "قتلوه" أى
ما فعلوا^٩ القتل متيقنين أنه^{١٠} عيسى عليه الصلاة والسلام، بل فعلوه
شاكين فيه والحق أنهم لم يقتلوا^{١١} إلا الرجل الذي ألقى شبهه عليه،
والوجه الأول أولى لقوله: ﴿بل رفعه الله﴾ بماله من العظمة البالغة
١٥ والحكمة الباهرة، رفع عيسى عليه الصلاة والسلام ﴿إليه^{١٢}﴾ أى

- (١) سقط من ظ (٢) في مد: لشغلهم (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: السحر.
(٤) من ظ ومد، وفي الأصل: درج (٥) في ظ: زعموا (٦) في ظ: قبله.
(٧) من ظ ومد، وفي الأصل: لا (٨) في ظ: ما قتلوا (٩) من ظ ومد،
وفي الأصل: ان. (١٠) في ظ: لم يقتلوا.

إلى مكان لا يصل إليه حكم آدمي، وعن وهب أنه أوحى إليه [ابن - '] ثلاثين، ورفع ابن ثلاث و ثلاثين فكانت رسالته ^٢ ثلاثا و ثلاثين سنة (و كان الله) أي الذي له جميع صفات الكمال في كل حال عند قصدهم له وقوله وبعده (عزيزا) أي يغلب ولا يغلب (حكيماء) أي إذا فعل شيئا أتقنه بحيث لا يطمع أحد في نقض شيء منه؛ وختمه ^٥ الآية بما بين الصفتين يدل على أن المراد ما قرره من استهزائهم، وأنه قصد الرد عليهم، أي أنه قد فعل ما يمنع من استهزائكم، فرفعه إليه بعزته وحفظه بحكمته، وسوف ينزله ببالغ قدرته، فيردكم عن أهوائكم، ويسفك دماءكم، ويبيد خضراءكم، وله في رفعه وإدخاله الشبهة عليكم حكمة تدق عن أفكار أمثالكم.

١٠

قصة رفعه عليه الصلاة والسلام من الإنجيل الموجود اليوم بين أظهر النصارى، وهي تتضمن الإنذار بالذجال والإخبار بنزوله صعيد، والبشارة بنينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي وصفه بالفارقيط وبالآركون، وأن إخبارهم بقتله وصلبه ليس مستندا [إلا - '] إلى شك - كما قال الله تعالى، وأحسن ما رد على الإنسان بما يعتقد ^٦، قال مترجمهم في ١٥ إنجيل متى: إنه عليه الصلاة والسلام دخل إلى الهيكل في يروشلیم

(١) زيد من ظ ومد (٢) في الأصل وظ: ثلاث و ثلاثين، وفي مد: ثلاث.

(٣) شقظ من ظ (٤) في ظ: نقل (هـ - هـ) من ظ ومد، وفي الأصل: حفظة بحكمة (٦) زيد بعده في الأصل: ان، ولم تكن الزيادة في ظ ومد لخذلناها.

(٧) من ظ ومد، وفي الأصل: يعتقد.

- وهى القدس - و جرت بينه و بين الاحبار محاورات كان آخرها^١ أن
قال لهم : إني أقول لكم : إنكم لا ترونى الآن حتى تقولوا : مبارك الآتى
باسم الرب ، ثم خرج من الهيكل ، فجاء إليه تلاميذه كي يُروه بناء الهيكل ،
فأجاب و قال لهم : انظروا هذا كله ، الحق أقول لكم : إنه لا يترك هنا
٥ حجر^٢ على حجر^٣ إلا نقض ، ثم جلس على جبل الزيتون - قال مرقس :
قدام^٤ الهيكل - فجاء إليه تلاميذه قائلين : قل لنا : متى هذا و ما علامة
بجيئتك و انقضاء [الزمان -^٥] ؟ فقال لهم : انظروا لا يضلنكم أحد - قال
مرقس^٦ و لوقا : فان كثيرا يأتون باسمى قائلين : إنما هو المسيح ،
و يضلون كثيرا - فاذا سمعتم بالحروب و أخبار الحروب انظروا لا تقلقوا ،
١٠ فلا بد أن يكون هذا كله^٧ ، تقوم أمة على أمة و مملكة على مملكة ،
و يكون خوف عظيم و اضطراب و جوع و وباء - قال لوقا : و علامات
عظيمة من السماء - و زلازل فى أماكن ، و كل هذا أول المخاض - و قال
مرقس^٨ : و هذه بداية الطلق^٩ ، انظروا أنتم ! إنهم يسلمونكم إلى المجمع
و المحافل و تضربون - و قال لوقا : و قبل هذا كله يضعون^{١٠} أيديهم عليكم ،
١٥ و يطردونكم^{١١} إلى المجمع و السجون و تقامون أمام الملاك و القواد

(١) زيد بعده فى الأصل : الى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها .
(٢-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٣) زيد بعده فى ظ : اهل (٤) زيد من مد .
(٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : مرقس (٦) فى ظ : انا (٧) سقط من ظ .
(٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : المطلق - خطأ (٩) من مد ، وفى الأصل و ظ :
يضعون (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : يطردوكم .

شهادة عليهم و على كل الأمم ، ينبغي أولا أن يركز بالإنجيل ، فاذا قدموكم وأسلموكم^١ فلا تهتموا بما تقولون^٢ ولا ماذا تجيئون ، فانكم تعطون^٣ في تلك الساعة الذي تتكلمون^٤ به ولستم المتكلمين ، لكن روح القدس ؛ قال لوقا: فاني معطيكم فاء حكمة لا يقدر^٥ الذين يناصبونكم^٦ يقاومونها^٧ ولا^٨ الجواب/عنها ، وبسلم^٩ الأخ أخاه للوت ، والآب ابنه ، ٥ / ٥٤١

و يثب^{١٠} الأبناء على آباءهم ؛ قال متى : حيثئذ^{١١} يسلمونكم إلى الضيق ويقتلونكم ، و تكونون مبغوضين من كل الأمم . و حيثئذ يشك كثير^{١٢} ، و يسلم بعضكم بعضا ، و يبغض بعضكم بعضا ، و يقوم كثير من الانبياء الكذبة و يضلون كثيرا ، و بكثرة الأمم تقل المحبة من كثير . و الذي يصبر إلى المنتهى يخلص ، و يركز بهذه البشارة في الملكوت في جميع المسكونة بشهادة لكل ١٠ الأمم ؛ قال مرقس : فاذا رأيتم فساد الحراب^{١٣} المذكور في دانيال النبي قائما حيث لا ينبغي - فليفهم القارئ - حيثئذ الذين تهودوا^{١٤} يهربون إلى

- (١) في ظ : اسروكم (٢) في ظ و مد : يقولون (٣) في ظ : تقطعون (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ : يتكلمون (٥) من مد ، وفي الأصل : لا تقدر ، وفي ظ : لا تقدر (٦) من مد ، وفي الأصل : يناصرتكم ، وفي ظ : يناصبونكم - كذا . (٧) في الأصل : يقاتلونها ، وفي ظ و مد : يقاوموها - كذا (٨) سقط من ظ . (٩) في ظ : يستلزم (١٠) من مد ، وفي الأصل : يثبت ، وفي ظ : ثبت . (١١) في النسخ : صعيد - كذا (١٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : كثيرا ، و زيد بعده في الأصل : الأمم تقل المحبة ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها . (١٣) في ظ : الحروب (١٤) من مد ، وفي الأصل و ظ : تهودا .

الجليل، والذي فوق السطح لا يقدر أن ينزل^١ إلى بيته ليأخذ شيئا،
 و الويل للجبالي والمرصعات في تلك الأيام؛ وقال لوقا: وحيث الذين
 في اليهودية يهربون إلى الجبال، والذين في وسطها يفرون خارجا، والذين
 في الكورة لا يدخلونها، لأن هذه هي أيام الانتقام لكي^٢ يتم كل ما هو
 مكتوب، يكون على الأرض ضر وشدة عظيمة، وسخط على هذا الشعب،
 ويقعون في فم السيف، ويسبون^٣ في كل الأمم. ويكون يروشلیم موطن
 الأمم حتى يكمل الزمان، وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم،
 وتخرج^٤ نفوس أناس من الخوف؛ وقال متى: وحيث يأتي الانفصال،
 ثم قال: سيكون ضيق عظيم - قال مرقس: تلك الأيام - لم يكن مثله
 ١٠ في أول العالم حتى الآن ولا يكون، ولو لا أن تلك الأيام [قصرت
 لم يخلص ذو جسد - وقال مرقس: فلولا أن الرب أقصر تلك الأيام -]
 لم يحيى ذو جسد - لكن لأجل المتحيين قصرت^٥ تلك الأيام، فإن
 قال لكم أحد: إن المسيح ههنا فلا تصدقوا، فسيقوم مسيحو كذب وأنبياء
 كذبة، ويعطون علامات عظاما وآيات، ويضلون المختارين إن قدروا^٦،
 ١٥ هو ذا قد تقدمت وأخبرتكم، فإن قالوا لكم: إنه في البرية، فلا تخرجوا،
 أو في المخادع، فلا تصدقوا، وكما أن البرق يخرج من المشرق فيظهر في
 المغرب، كذلك يكون حضور ابن البشر، لأنه حيث تكون^٧ الجثة
 (١) من ظ و مد، وفي الأصل: يترك (٢) من مد، وفي الأصل وظ: لكن .
 (٣) في ظ: يسبون (٤) في ظ: يكون (٥) في الأصول: يخرج (٦) زيد ما بين
 الحاجزين من مد (٧) في ظ: نصرب (٨) في ظ ومد: قد مروا (٩) من مد،
 وفي الأصل وظ: يكون .

تجتمع النور و تلوف^١ . بعد ضيق تلك^٢ الأيام تظلم الشمس ، و القمر
لا يعطى^٣ ضوءه ، و الكواكب تنساقط من السماء ، و قوات ترجح ،
و حيثئذ تظهر علامات ابن الإنسان في السماء ، و تنوح كل قبائل الأرض ،
و ترون ابن الإنسان آتياً في سحب السماء مع قوات و مجد كثير ،
و يرسل الملائكة مع صوت الناقور^٤ العظيم ، و يجمع مختاريه من الأربعة^٥
الآزياج من أقصى السماوات - و قال مرقس : من أطراف الأرض إلى
أطراف السماء - فن شجرة التينة^٦ - و قال لوقا : و من كل الأشجار -
تعلون^٧ المثل ، إذا لانت أغصانها و فرعت أوراقها^٨ علمتم أن الصيف
قد دنا . كذلك^٩ أنتم إذا رأيتم هذا كله علمتم أنه قد قرب على الأبواب ،
الحق أقول لكم إن هذا الجيل لا يزول حتى يتم هذا كله ، و^{١٠} الأرض
و السماء^{١١} تزولان و كلامي^{١٢} لا يزول ، لأجل ذلك اليوم و تلك الساعة
لا يعرفها أحد و لا ملائكة السماوات - و قال مرقس : و لا الابن -
إلا الآب^{١٣} وحده ؛ و قال لوقا : سأله الفريسيون : متى يأتي ملكوت الله ؟
^{١٤} فقال : ليس يأتي ملكوت الله^{١٥} برصد و لا يقولون : هو ذا^{١٦} ههنا

- (١) في الأصول : للوف - كذا (٢) من مد ، و في الأصل و ظ : ذلك (٣) في
ظ : لا يعطى (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : إيا - كذا (٥) في الأصل :
السافور ، و في ظ و مد : الشاقور - كذا ، و مبنى التصحيح نص الإنجيل .
(٦) في ظ : التنبيه ، و في مد : العنب - كذا (٧) من مد ، و في الأصل : يعلمون ،
و في ظ : يعلمون (٨) في الأصول : ورقها (٩) في ظ : لذلك (١٠-١١) في ظ :
السماء و الأرض (١١) في الأصول : كل من ، و مبنى التصحيح نص الإنجيل .
(١٢) في ظ : الرب (١٣-١٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (١٤) زيد بعده في الأصول : هي .

أو هناك^١ ها هو ذا ملكوت الله؛ ثم قال لتلاميذه: ستأتي أيام تشتبهون^٢
 أن تروا يوما واحدا من أيام ابن الإنسان ولا ترون، فان قالوا لكم:
 هو ذا ههنا أو هناك، فلا تذهبوا ولا تسرعوا، لأنه كمثل البرق الذي
 يضيء في السماء فيضيء تحت السماء، كذلك تكون أيام ابن البشر -
 ٥ / ٥٤٢ انتهى، وكما كان في أيام نوح عليه الصلاة / والسلام كذلك يكون
 استعلاء ابن الإنسان، لأنه كما كانوا قبل أيام الطوفان يأكلون ويشربون
 ويتزوجون إلى اليوم الذي دخل فيه نوح إلى السفينة، ولم يعلموا حتى
 جاء الطوفان فأدرك جميعهم، كذلك يكون حضور ابن الإنسان؛
 وقال لوقا: ومثل ما كان في أيام لوط يأكلون ويشربون ويبيعون
 ١٠ و يشتررون ويغرسون^٣ و يبنون إلى اليوم الذي خرج فيه لوط من سدوم،
 وأمطر من السماء نارا وكبريتا، وأهلك جميعهم، كذلك^٤ في اليوم
 الذي يظهر^٥ فيه ابن الإنسان، وفي ذلك اليوم من كان في السطح
 وآله في البيت لا ينزل [كي - ٥] يأخذها، ومن كان في الحقل أيضا
 لا يرجع هكذا إلى ورائه. انظروا إلى امرأة لوط، من أراد أن يحبي
 ١٥ نفسها فليهلكها، [ومن أهلكها - ٦] أحياء، أقول لكم: إن في هذه
 الليلة - وقال متى: حينئذ - يكون اثنان في الحقل، يؤخذ واحد، ويترك
 الآخر^٧، واثنان تطحنان على رحى واحدة، تؤخذ الواحدة، وتترك
 (١) من ظ و مد، وفي الأصل: يشتبهون (٢) سقط من ظ (٣) في ظ:
 لذلك (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: تظهر (٥) زدناه ولا بد منه (٦) زيد
 من ظ و مد (٧) في ظ: الاخرى، والعبرة من بعده إلى «ترك الاخرى»
 ساقطة منه.

الآخرى، و قال مرقس : فانظرو و اسهروا و صلوا، لأنكم لا تعلمون متى يكون الزمان ! اسهروا فانكم^١ لا تعلمون متى^٢ يأتي رب البيت ليلا ! يأتي بغتة فيجدكم نياما، و الذي أقول^٣ لكم أقوله للجميع، اسهروا^٤ ! قال لوقا: في كل حين، و تضرعوا لكي تقفوا على^٥ الهرب^٦ في هذه الأمور الكائنة كلها، و تقفوا قدام ابن الإنسان، و قال متى : فاسهروا^٧ لأنكم لا تعلمون في أى ساعة يأتي ربكم، و أعلموا أنه لو علم رب البيت في أى هجمة يأتي السارق لسهر و لم يدع بيته ينقب، كذلك كونوا^٨ مستعدين لأن ابن الإنسان يأتي ساعة لا تظنونها، من ترى هو العبد الأمين الحليم الذي يقيمه سيده على بيته ليعطيهم^٩ الطعام في حينه^{١٠} ! طوبى لذلك العبد، يأتي سيده فيجده يعمل هكذا، الحق أقول لكم !^{١١} إنه يقيمه على جميع ماله، فان قال ذلك العبد الرديء في قلبه : إن سيدي يبطئ^{١٢}، فيبدأ يأكل ويشرب مع المسكرين، فيأتي سيده في يوم لا يظنه و ساعة لا يعرفها، فيجعل نصيبه مع المرائين^{١٣}، هناك يكون [البكاء -^{١٤}]^{١٥} و صرير^{١٦} الأسنان^{١٧} . يشبه ملكوت السماوات عشرة عذارى أخذن

- (١) من ظ ومد، وفي الأصل: فما لكم (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: من.
- (٣) في ظ: اقوله (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: استهروا - كذا (٥) في مد: من.
- (٦) في ظ: المقرب (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: كانوا (٨) في ظ: ليطعمهم.
- (٩) في ظ: حبه (١٠) في ظ: يظن - كذا (١١) من مد، وفي الأصل: المراهين، وفي ظ: المراهين - كذا (١٢) زدناه من نص الإنجيل (١٣-١٢) في ظ: تصوير (١٤) في الأصول: الإنسان، و مبنى التصحيح نص الإنجيل.

مصايجهن و خرجن للقاء العريس، خمس منهن جاهلات، وخمس حليمات، فأما الجاهلات فأخذن مصايجهن ولم يأخذن زيتا، وأما الحليمات فأخذن زيتا في إناء مـ مع مصايجهن، فلما أبطأ العريس نفسن كلهن ونمن، وانتصف الليل فُصِرِخ: هذا العريس قد أقبل^١، اخرجن للقاءه! حينئذ قام جميع العذارى وزين مصايجهن، فقال الجاهلات للحليمات: أعطيتنا من زيتكن^٢، فإن مصايحنا قد طفئت! قلن: ليس معنا ما يكفيننا وإياكن، فاذهبن إلى الباعة وابتعن. لكن^٣، فلما ذهبن لبتعن جاء العريس، فالمستعدات ذهبن معه وأُغْلِقَ، فجاء بقية العذارى قائلات: يارب! افتح لنا، فأجاب وقال: الحق أقول لكن^٤! إني لا أعرفكن؛

١٠ اسهروا الآن فانكم لا تعرفون ذلك اليوم ولا تلك الساعة، كمثل إنسان أراد السفر، فدعا^٥ عبيدا له فأعطاهم ماله، فأعطى خمس وزنات لواحد^٦، ووزتين للآخر، وواحدا وزنه، كل منهم على قدر قوته، و سافر للوقت، ففضى الذى أخذ الخمس فاتجر فيها، فربح خمس وزنات أخرى [و هكذا الذى أخذ الوزتين ربح فيها وزتين آخرين، وأما الذى أخذ الوزنة فضى وحفر فى الأرض ودفن حصة سيده، وبعد زمان كثير جاء سيد هؤلاء فحاسبهم، فجاء الذى أخذ الخمس وزنات فأعطى خمس^٧ وزنات أخرى - ^٦] قائلا: [يا - ^٦] رب! خمس وزنات أعطيتنى، وهذه خمس وزنات أخرى ربحتها، قال له سيده - قال لوقا: -:

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: اقبلن (٢) من مد، وفى الأصل و ظ: زيتكن (٣) فى ظ: فاراد (٤) فى ظ: بواحد (٥) من مد، وفى ظ: بنمسم. (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد.

هذا^١ أيها العبد الصالح! أقيت أمينا على القليل، وقال متى: نعم يا عبد صالح أمين! وجدت في القليل أمينا، أنا أقيمك على الكثير أمينا، ادخل إلى فرح سيدك، وجاء الذي أخذ الوزتين فقال^٢: يا سيد! وزتين

دفعت إلي، وهذان وزتان / أخريان ربحتها، فقال [له - ٢] سيده: ٥٤٣ /

نعم يا عبد صالح أمين! وجدت في القليل [أمينا - ٤]، أنا أقيمك على الكثير، ادخل إلى فرح سيدك، فجاء الغير مصيب الذي أخذ الوزنة فقال: يا سيد! عرفت أنك إنسان شديد، تحصد ما لم تزرع، وتجمع من حيث لا تبذر، خفت ومضيت فدفت مالك في الأرض، هذا مالك، فأجاب سيده وقال: أيها العبد الشرير! الكسلان! علمت أنني أحصد من حيث لا أزرع^٦، وأجمع من حيث لا أبذر^٧، كان ينبغي لك أن تجعل حصتي^٨ على مائدة، فأنا آتي وأأخذه إلى مع^٩ أرباحه، خذوا منه الوزنة، وأعطوها للذي له عشر وزنات، لأن من له يعطى ويزاد، والذي ليس له يؤخذ منه ما معه، والعبد الشرير الغير نافع ألقوه في الظلمة القصياء، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان^{١٢}؛ إذا جاء ابن الإنسان في مجده، وجميع الملائكة المقدسين معه، حينئذ يجلس على ١٥

- (١) في الأصل: حمد، وفي ظ: حمد، ولا يتضح في مد (٢) في ظ: وقال.
- (٣) زيد من ظ ومد (٤) زيد من الإنجيل (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: الشديد (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: لا أزرع (٧) من مد، وفي الأصل: وظ: لا تبذر (٨) من ظ، وفي الأصل: قصتي، وفي مد: قضيتي (٩) في ظ: وإنما (١٠) من ظ ومد. وفي الأصل: ما (١١) سقط من ظ (١٢) في ظ: الانسان.

كرسى مجده، ويجمع إليه كل الأمم، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء، و يقيم الخراف عن يمينه والجداء عن شماله، حينئذ يقول الملك للذين^١ عن يمينه: تعالوا^٢ يا مباركي أبى ارثوا^٣ الملك المد لكم من قبل إنشاء العالم، جعت فأطعمتموني^٤، و عطشت فسقيتموني^٥، و غريبا كنت فأويتموني^٦، و عريانا فكسوتموني^٧، و مريضا فعدتموني^٨، و محبوسا فأتيتم إلى^٩، حينئذ يجيب الصديقون ويقولون: يا رب! متى رأيناك جائعا فأطعمناك؟ أو عطشنا فسقيناك؟ ومتى رأيناك^{١٠} غريبا فأويناك؟^{١١} أو عريانا فكسوناك؟ [أو مريضا -^{١٢}] أو محبوسا فأتيناك إليك؟ فيجيب الملك^{١٣} و يقول: الحق أقول لكم! الذى فعلتموه بأحد هؤلاء الحقيرين ١٠. فى^{١٤} فعلتم، حينئذ يقول للذين عن يساره: اذهبوا^{١٥} عنى يا ملاعين إلى النار المؤبدة المعدة للإبليس و جنوده، جعت فلم تطعموني - إلى آخره، فيذهب^{١٦} هؤلاء إلى العذاب الدائم، و الصديقون إلى الحياة الأبدية. ولما أكل يسوع هذا الكلام كله قال لتلاميذه: علمتم أن بعد يومين يكون الفصح - و قال مرقس: وكان الفصح و الفطير [بعد -^{١٧}] ١٥ يومين - و اجتمع رؤساء الكيسر و الكهنة و مشايخ الشعب فى دار رئيس الكهنة الذى يقال له قيافا، فتشاوروا على يسوع ليمسكوه - قال

(١) فى ظ: الذى (٢) فى ظ: تعالى (٣) فى ظ: رفيق - كذا (٤) فى ظ: فاطعموني (٥) من مد، وفى الأصل و ظ: فكسيتموني (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: أويناك (٧-٧) تأخر ما بين الرقيين فى ظ عن « فكسوناك » (٨) زيد من ظ، و زيد بعده أيضا: فعدتموني (٩-٩) سقط ما بين الرقيين من ظ. (١٠) فى ظ: فيما (١١) سقط من ظ (١٢) فى ظ: فذهب (١٣) زيد من ظ و مد.

مرقس (١١٩) ٤٧٦

مرقس : بمكر - و يقتلوه ، وقالوا : ليس في العيد لئلا يكون^١ شجن ؛
و قال مرقس : شغب^٢ في الشعب ؛ وقال يوحنا : لجمع عظماء^٣ الكهنة
و الفريسيين^٤ محفلا وقالوا : ما ذا نصنع إذا كان هذا الرجل يعمل آيات
كثيرة ، وإن تركناه هكذا فسيؤمن^٥ به جميع الناس ، وتأتي^٦ الروم
فتغلب^٧ على أمتنا ، وإن واحدا منهم اسمه قيافا^٨ كان رئيس^٩ الكهنة فقال : إنه خير لنا أن يموت رجل واحد عن الشعب من أن
تهلك الأمة كلها ، لأن يسوع كان مزمعا أن يجمع أبناء الله المتفرقين^{١٠}
إلى واحد ؛ و في تلك الساعة تشاوروا على قتله ، فأما يسوع فلم يكن
يمشي بين اليهود علانية ، ولكنه انطلق من هناك إلى البرية إلى كورة
تسمى مدينة أفريم ، وكان يتردد هناك مع تلاميذه ، وكان عيد فصح^{١١}
اليهود قد قرب ، فصعد كثير من القرى إلى يروشلیم قبل الفصح ليطهروا
أنفسهم ، فطلب^{١٢} اليهود يسوع ، وكانوا أمروا إن علم إنسان مكانه أن
يدلهم عليه ، وإن يسوع قبل ستة أيام من الفصح قصد^{١٣} إلى بيت عنيا حيث
كان لعازر^{١٤} الميت الذي أقامه يسوع^{١٥} ، فصنعوا له هناك وليمة ، وجعلت

(١) سقط من ظ (٢) من مد ، وفي الأصل وظ : يشعب - كذا (٣) في ظ :
عطا - كذا (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : الفريسيين (٥) من ظ ومد ، وفي
الأصل : سيومن (٦) في ظ : يأتي (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : فغلبت -
كذا (٨) من مد ، وفي الأصل : قنافا ، وفي ظ : قافا (٩) في ظ : المتقدمين .
(١٠) في ظ : فيطلب (١١) في ظ : صعد (١٢) في الأصول : العازر ، والتصحيح
من الإنجيل (١٣) أي من بين الأموات - كما في الإنجيل .

مرتاً^١ تخدم^٢، وعلم [جمع - ٣] كثير^٣ من اليهود فجأوا إليه،
 و^٤ لينظروا إلى لعازر^٥ الذي أقامه من بين الأموات، و تشاور عظماء الكهنة
 أن يقتلوا لعازر^٦، لأن / كثيرا من اليهود من أجله كانوا يؤمنون بيسوع،
 وكان الجمع الذين معه يشهد له أنه دعا لعازر^٧ من القبر وأقامه،
 ومن الغد سمعوا أن يسوع يأتي إلى يروشلیم، فخرجوا للقائه^٨ يصرخون:
 مبارك الآتي باسم الرب ملك إسرائيل! ووجد يسوع حمارا فركبه -
 كما هو مكتوب: لا تخافي يا بنت صيون^٩! هو ذا^{١٠} ملكك يأتيك
 راكبا على جحش - ابن أتان - ثم قال: وقال يسوع: قد قربت الساعة
 التي يمجد^{١١} فيها ابن البشر، الحق الحق^{١٢} أقول لكم! إن حبة الخنطة
 ١٠ إن لم تقع^{١٣} في الأرض وتمت^{١٤} بقيت وحدها، وإن هي ماتت [أتت^{١٥}]
 بثمار كثيرة، من أحب نفسه^{١٦} فليهلكها، ومن أبغض نفسه في هذا
 العالم فانه يحفظها لحياة الأبد، وقال: يا رباه! مجد^{١٧} اسمك، فجاء
 صوت من السماء: قد مجدت^{١٨} وأيضاً أجد، فسمع الجمع الذي كان
 واقفا فقال بعضهم: إنما^{١٩} كان رعدا، وقال آخرون: إن ملاكا كلمه،
 ١٥ قال يسوع: ليس من أجل^{٢٠} كان هذا الصوت، ولكن من أجلكم،

- (١) من الإنجيل، وفي الأصل ومد: مربا، وفي ظ: مزما - كذا (٢) في
 ظ: يخدمهم (٣) زيد من ظ ومد (٤) في ظ ومد: كبير (٥) سقطت الواو
 من ظ (٦) من الإنجيل، وفي الأصول: العازر (٧) سقط من ظ (٨) من
 الإنجيل، وفي الأصول: مهيون (٩ - ٩) في ظ: هذا (١٠) في ظ: يخدم.
 (١١) في الأصول: لم تقطع، ومبنى التصحيح نص الإنجيل (١٢) في ظ: نفسها.
 (١٣) من ظ ومد، وفي الأصل: مجد (١٤) في ظ: اته.

قد حضر الآن دينوته هذا العالم، الآن^١ يلقي رئيس هذا العالم إلى خارج،
و أنا إذا ارتفعت من الأرض جيت^٢ إلى كل واحد، فأجاب الجمع:
نحن سمعنا في الناموس أن المسيح يدوم إلى الأبد، فكيف تقول أنت:
يرتفع^٣ ابن البشر، فقال لهم يسوع: إن النور معكم زمانا يسيرا، فسيروا
ما دام لكم النور؛ لئلا يدرككم الظلام، إن الذي يمشى في الظلام ليس
يدري أين يتوجه، فإدام لكم النور آمنوا بالنور لتكونوا أبناء النور؛
تكلم يسوع بهذا ثم مضى وتوارى عنهم، وقال: يا بني! أنا معكم زمانا
قليلًا، وتطلبوني فلا تجدوني، وكما قلت لليهود: إن الموضع الذي أمضى
إليه أنا، لستم تقدرون على المضى إليه، قال يوحنا في محاورته لليهود في
الهيكل: قال يسوع: أنا أمضى وتطلبوني وتموتون بخطاياكم، وحيث^٤
أنا أذهب لستم تقدرون على إتيانه، فقال اليهود: لعله يريد أن يقتل
نفسه، فقال لهم: أتم^٥ من أسفل، وأنا من فوق، أتم من هذا العالم،
وأما أنا فلست من هذا العالم، قد أخبرتكم أنكم تموتون بخطاياكم،
فقالوا له: أنت من أنت؟ ثم قال: وقالوا له: إن أبانا هو إبراهيم، قال:
لو كنتم بنى إبراهيم كنتم تعملون أعمال إبراهيم، لكنكم^٦ تريدون^٧
قتل إنسان كلمكم بالحق الذي سمعه من الله تعالى، ولم يفعل إبراهيم
هذا، أتم تعملون أعمال أيكم؟ فقالوا^٨: أما نحن فلسنا مولودين من زنا،
(١) في ظ: لان (٢) من مد، أى جمعت، وفي الأصل و ظ: جيت - كذا.
(٣) في ظ: ترتفع (٤) في ظ: اليوم (٥) في ظ: احب (٦) في ظ: انت (٧) في
ظ: لكن (٨) سقط من ظ.

فقال لهم: أنتم من أيكم إبليس، وشهوة أيكم تهوون إن لم تعملوا ذلك،
الذى هو من البدء^١ قتال الناس ولم يلبث^٢ على الحق لأنه ليس فيه حق،
وإذا ما تكلم بالكذب فأنما يتكلم بما هو له،^٣ وأما أنا^٤ فأتكلم بالحق
ولستم تؤمنون بي، من منكم يوبخني^٥ على خطيئة - انتهى، وأقول لكم الآن
٥ أن يحب بعضكم بعضاً كما أحببتكم، فهذا^٦ يعرف كل أحد أنكم تلاميذي، وقال

يسوع: من يؤمن بي ليس من يؤمن بي فقط، بل وبالذي أرسلني، ومن
رأى فقد رأى الذى أرسلنى، أنا جئت نور العالم لكي ينجو كل من يؤمن بي
[من الظلام، ومن يسمع كلامي ولا يؤمن بي -^٧] أنا لا أدينه، لأنى^٨
لم آت لأدين العالم، بل^٩ لأحيي العالم، من جحدنى ولم يقبل كلامي فإن
١٠ له من يدينه^{١٠}، الكلمة التى نطقت بها هى^{١١} تدينه فى اليوم الآخر، لأنى^{١٢}

لم أتكلم من نفسى، لأن الرب الذى أرسلنى هو أعطانى الوصية، ثم
قال: الحق الحق أقول لكم^{١٣} من يؤمن بي يعمل الأعمال التى أعملها،
وأفضل منها يصنع، إن كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى، وأنا أطلب من
الآب يعطيكم فارقليط^{١٤} آخر ليثبت^{١٥} معكم إلى الأبد - روح الحق الذى لم يطق
١٥ العالم أن يقبلوه، لأنهم لم يروه ولم يعرفوه، وأنتم تعرفونه، لأنه مقيم

عندكم وهو فيكم، لست أدعكم يتامى^{١٦} لأنى سوف^{١٧} أجيئكم عن قليل، من
يحببنى يحفظ كلمتى، ومن لا يحببنى ليس يحفظ كلامى، الكلمة التى تسمعونها

(١) فى ظ: البدء (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: لم ينب (٣-٢) سقط ما بين
الرقين من ظ (٤) فى ظ: يريخنى (٥) فى ظ: بهذا (٦) فى ظ: تلاميذه (٧) زيد
ما بين الحازرين من ظ ومد (٨) فى ظ: انى (٩) فى ظ: بان (١٠) فى ظ:
يزينه (١١) فى ظ: من (١٢) وقع فى ظ: فاد غليظ - خطأ (١٣) من ظ ومد،
وفى الأصل: يثبت (١٤) فى ظ: مالى - كذا (١٥) فى ظ: يعوق .

٥٤٥/

ليست لي، بل للرب الذي أرسلني، / كلمتكم بهذا لأنني عندكم مقيم، والفارقلط
روح القدس الذي يرسله ربي باسمي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم
كل ما قلت لكم، السلام استودعتم، سلامي خاصة^١ أعطيتكم، لا تقلق
قلوبكم ولا تجزع، قد سمعتم^٢ أني قلت لكم: إني منطلق و عائد إليكم،
لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون بمضيي إلى الرب، لأن الرب أعظم مني،
وما قد قلت لكم قبل أن يكون^٣ حتى إذا كان^٤ تؤمنون، ولست
أكلهم كثيرا لأن أركون العالم يأتي وليس له في شيء، ولكن ليعلم العالم
أنني أحب الرب، وكما أوصاني الرب كذلك أفعل، أنا هو الكرمة^٥
الحقيقية^٦ وربى الغارس، كل غصن لا يأتي بثمار ينزعه، والذي يأتي
بثمار ينقيه^٧ ليأتي بثمار كثيرة، أتم لتأمين هذا الكلام الذي كلمتكم به اثبتوا^٨
في وأنا فيكم، كما أن الغصن لا يطبق أن يأتي بالثمار من عنده إن
لم يثبت في الكرمة^٩، كذلك أتم^{١٠} إن لم تثبتوا^{١١} في، أنا هو الكرمة وأتم
الأغصان، من ثبت في وأنا فيه يأتي بثمار كثيرة، وبغيري لستم^{١٢}
تقدرون تعملون شيئا، فإن لم يثبت أحد في طرح خارجا مثل الغصن
الذي يحني فيأخذونه ويطرحونه في النار فيحترق، وإن^{١٣} أتم ثبت في^{١٤}
وثبت كلامي^{١٥} فيكم كان لكم كل ما تريدونه، وبهذا يمجد ربي بأن تأتوا

- (١) في ظ: خاصته (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: سمعت (٣) من ظ ومد،
وفي الأصل: تكون (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: خان (٥) في ظ: الكرامة.
(٦) في الأصول: الحقيقة (٧) في ظ: دعيه - كذا (٨) من ظ ومد، وفي الأصل:
الكرامة (٩ - ١٠) في ظ: تثبتوا - كذا (١١) في ظ: لم (١٢) يقط من ظ.
(١٣) في ظ: كلامه - كذا.

بشار كثيرة ، وأتم أحبابي إن عملتم كل ما وصيتكم به ، إنما وصيتكم بهذا لكي يحب بعضكم بعضا ، فإن كان^١ العالم يبنضكم فاعلموا أنه قد أبغضني^٢ قبلكم ، لو كنتم من العالم كان العالم يحب من هو منه ، لكنكم لستم من العالم ، بل اخترتكم من العالم ، من أجل هذا يبنضكم العالم ، لو لم آت وأكلهم^٣ لم يكن لهم خطيئة^٤ ، والآن ليس لهم حجة في خطيئتهم ، لو لم أعمل أعمالا لم يعملها أحد^٥ لم يكن لهم خطيئة ، لستم الكلمة المكتوبة في ناموسهم أنهم أبغضوني باطلا ، إذا جاء^٦ الفارقليط الذي أرسله إليكم - روح^٧ الحق الذي من الرب بسق^٨ - هو يشهد وأتم تشهدون ، لأنكم معي صفوة ، كلتكم بهذا لكيلا تشكوا ، فإنهم سوف يخرجونكم^٩ من مجامعهم ، ولم أخبركم بهذا من قبل لأنني [كنت - ^{١٠}] معكم ، والآن فاني منطلق إلى من أرسلني ، أقول لكم الحق ! إنه خير لكم أن أنطلق ، لأنني [إن - ^{١١}] لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط ، فإذا انطلقت أرسلته إليكم ، فإذا جاء ذاك فهو موبخ العالم على الخطيئة ، وإن لي كلاما كثيرا أريد أن أقوله لكم ، و^{١٢} لكنكم لستم تطيقون حمله الآن ، وإذا جاء روح الحق ذاك فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، ^{١٥} لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع ، ويخبركم بما يأتي ، وهو

(١) - قط من ظ (٢) في ظ : بفضي (٣) من نص الإنجيل ، وفي الأصول : اكلهم (٤) من مد ، وفي الأصل : اخطيته ، وفي ظ : خطبه - كذا (٥) من نص الإنجيل ، وفي الأصل : ولو ، وفي ظ و مد : لو - كذا (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : جاءهم (٧) زيد في ظ : القدس (٨) في ظ : سو - كذا (٩) في ظ : يخرجكم (١٠) زيد من نص الإنجيل (١١) زيد من ظ و مد (١٢) - قطت الواو من ظ .

مجدنى لآته يأخذ بما هولى و يخبركم، قليلا ولا ترونى^١، و قليلا و ترونى،
قالوا: ما هذا القليل^٢ الذى يقول؟ فقال لهم: أفى هذا يراطن^٣ بعضكم بعضا،
الحق أقول لكم! إنكم تكونون و تنوحون و العالم يفرح، و أتم تحزنون
لكن حزنكم يؤل إلى فرح^٤، كالمرأة إذا حضر ولادها تحزن لأن قد جاءت
ساعتها، فاذا ولدت ابنا لم تذكر الشدة من أجل الفرح، لأنها ولدت ٥
إنسانا فى العالم؛ تكلم يسوع بهذا و رفع عينيه إلى السماء و قال: يارب!
قد حضرت الساعة فجد عبدك ليمجدك^٥ عبدك، كما أعطيت^٦ السلطان على
كل ذى جسد، ليعطى كل من أعطيت^٦ حياة الأبد، و هذه هى حياة الأبد
أن يعرفوك^٦ أنك [أنت - ٧] إله الحق و حذك^٨، و الذى أرسلته يسوع
المسيح، أنا قد مجدتك على الأرض، ذلك العمل الذى أعطيتنى لأصنعه ١٠
قد أكملت، و الآن مجدنى أنت يارباه بالمجد الذى عندك، قد أظهرت اسمك
للناس، الآن علموا أن كل ما أعطيتنى هو من عندك، و علوا حقا أنى^٩
من عندك أتيت، و آمنوا أنك أرسلتنى، و أنا أجيء إليك أيها الرب القدوس!
أحفظهم باسمك الذى أعطيتنى كي يكونوا واحدا كما نحن، إذ كنت معهم
فى العالم أنا كنت أحفظهم باسمك، ليس أسئل أن تنزعهم من العالم، ١٥
بل أن نحفظهم من الشرير، لأنهم ليسوا من العالم، كما أنى لست من العالم،
قدسهم بحقك فان^{١٠} كلمتك خاصة هى " الحق، كما أرسلتنى إلى العالم

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: لا ترونى (٢) فى ظ: القيل (٣) أى بكلم بالأعجمية،
وفى ظ: تراطن - كذا (٤) فى ظ: الفرح (٥) فى ظ: لمجدك (٦) فى ظ: يعرفونك.
(٧) زيد من ظ ومد (٨) فى ظ: وحده (٩) فى ظ: اننى (١٠) من ظ ومد،
و وقع فى الأصل: فا - كذا مقطوعا (١١) فى ظ: من .

أرسلتهم أنا أيضا إلى العالم، ولست أسئل في هؤلاء فقط، بل وفي الذين يؤمنون^١ بنقولهم، ليكونوا بأجمعهم واحدا، كما أنك يا رباه فيّ وأنا فيك ليكونوا أيضا فينا واحدا، ليؤمن العالم أنك أرسلتني؛ قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه إلى عين عمرة^٢ وادي الأرز، وكان هناك بستان، دخله هو وتلاميذه، وكان يهودا^٣ الذي أسلمه^٤ يعرف ذلك المكان، لأن يسوع كان^٥ يجتمع هناك مع تلاميذه كثيرا^٦، وقبل عيد الفصح كان يسوع يعلم أن قد حضرت الساعة التي^٧ ينتقل فيها من هذا العالم. فلما حضر العشاء خامر الشيطان قلب يهودا شمعون^٨ الإسخريطي لكي يسلمه، فقام يسوع عن العشاء وترك ثيابه [واثتزر-^٩] وسطه بمنديل، وبدأ يغسل أقدام التلامذة وينشفها بمنديل كان مؤثرا به، فلما انتهى إلى شمعون الصفا قال له: أنت يا سيدي تغسل لي قدمي؟ فقال يسوع: [إن الذي أصنعه لست تعرفه الآن، ولكنك ستعرفه فيما بعده، قال له شمعون الصفا: إنك لست^{١٠} غاسلا لي قدمي الآن، قال له يسوع -^{١١}]: إن أنا لم أغسلهما فليس لك معنى نصيب، قال شمعون: ١٥ يا سيدي! ليس تغسل لي قدمي فقط، بل ويدي ورأسي، قال له يسوع:

- (١) من ظ ومد، وفي الأصل: لا يؤمنون (٢) في ظ: عمره (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: يهود (٤) من مد، وفي الأصل وظ: أرسله (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: كما (٦) من ظ، وفي الأصل ومد: كثير (٧) في ظ: الذي. (٨) في النسخ: سمعان، والتصحيح من الإنجيل (٩) زيد من نص الإنجيل. (١٠) من مد، وليس في ظ (١١) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد.

إن الذى يطهر لا^١ يحتاج إلا إلى غسل قدميه؛ فلما غسل أرجلهم تناول ثيابه وانكأ وقال لهم: تعلمون ما صنعت بكم؟ أتم تدعوننى معلما و ربا، و ما أحسن ما تقولون^٢ فاذا كنت أنا معلمكم وربكم قد غسلت أقدامكم فأنتم^٣ أخرى أن يغسل بعضكم أرجل بعض، والحق أقول لكم! ليس عبد أعظم^٤ من سيده، ولا رسول أعظم^٥ من أرسله،^٥ وقال: الحق الحق أقول لكم! إن واحدا منكم يسلبنى؛ وقال متى: ولما كان يسوع فى بيت عنيا^٦ فى بيت شمعون^٦ الأبرص جاءت امرأة معها قارورة طيب كثير الثمن، فأفاضته على رأسه و هو متكئ، حينئذ مضى أحد الاثنى عشر - أى الحواريين الذين سيذكرون فى المائدة والأنعام بأسمائهم - و هو الذى يقال له يهوذا [٧] - الإسخر بطنى إلى رؤساء الكهنة^{١٠} وقال لهم: ما ذا تعطونى حتى أسلمه إليكم؟ فأقاموا له ثلاثين من الفضة، و من ذلك الوقت جعل يطلب فرصة ليسلمه، وفى أول يوم الفطير - قال مرقس: لما ذبحوا الفصح - قال له تلاميذه: أين تريد حتى نستعد لتأكل الفصح؟ فقال: اذهبوا إلى المدينة إلى فلان و قولوا له: المعلم يقول: زمانى قد اقترب، و عندك أصنع الفصح مع تلاميذى، ففعل التلاميذ كما أمرهم^{١٥} يسوع و أعدوا الفصح، وقال لوقا: و كان فى النهار يعلم فى الهيكل، و يخرج فى الليل ليسترىح فى الجبل الذى يدعى جبل الزيتون، و كان جميع الشعب يذلجون إليه ليسمعوا منه، و كان لما قرب عيد الفطير المسمى بالفصح

(١) فى ظ: ليس (٢) فى ظ: يقولون (٣) فى ظ: فكنتم انتم (٤ - ٤) سقط ما بين الرقيمن من ظ (٥) فى ظ: عبدا (٦) من الإنجيل، وفى النسخ: شمعان. (٧) زيد ما بين الحاذرين من ظ و مد.

تطلب الكهنة كيف يهلكونه، وكانوا يخافون من الشعب، فدخل الشيطان في يهودا [الذى يدعى الإسخريطى الذى كان من الاثنى عشر، فمضى وكلم رؤساء الكهنة ليسله إليهم، ففرحوا وعدوه، و كان يطلب فرصة ليسله إليهم مفردا عن الجمع، فجاء يوم الفطير الذى يذبح فيه الفصح، فأرسل بطرس ويوحنا وقال: امضيا وأعدا لنا الفصح، [ثم قال: فانطلقا وأعدا الفصح - ١]، ولما كان المساء اتكأ مع الاثنى عشر تلميذا، قال: فقال لهم: شهوة اشتهيت أن آكل معكم الفصح،^٢ فاقى أقول لكم: إني أيضا لا آكل منه حتى يتم في ملكوت الله؛ وقال متى^٣: وفيما هم يأكلون قال: الحق

أقول لكم! إن واحدا منكم يسلمني، فحزنوا جدا، و شرع كل واحد منهم يقول: لعل أنا هو؛ وقال يوحنا: ٢ وقال^٣: الحق الحق أقول لكم! إن واحدا منكم يسلمني، فنظر التلاميذ بعضهم [إلى بعض - ١]، و كان واحد من تلاميذه متكئا في حضن يسوع، وهو الذى كان يسوع يحبه، فأوماً شمعون^٥ الصفا إليه أن يعلمه من الذى قال لأجله: فوقع ذلك التليذ على صدر يسوع وقال له: يا سيدى! من هذا؟ فقال يسوع: هو الذى أبلّ خبزا ١٥ و أناوله، فبلّ خبزا ودفعه إلى شمعون^٥ الإسخريوطى؛ وقال متى: فقال: الذى يجعل يده معي في الصفحة هو يسلمني، وابن الإنسان ماض كما كتب

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢-٢) تكرر ما بين الرقنين في الأصل قبل « ولما كان المساء اتكأ » (٣-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: واحد (هـ) من ظ و مد، وفي الأصل: شمعون .

من أجله، الويل لذلك^١ الإنسان الذي يسلم^٢ ابن الإنسان، جذاً^٣ له لو لم يولد،
أجابه يهوذا مسله وقال: لعل أنا هو يا معلم^٤ ! قال: أنت، قال: فسبحوا
وخرجوا^٥ إلى جبل الزيتون؛ وقال لوقا: فقال لهم: إن ملوك الأمم هم^٦
ساداتهم، و المسلطون عليهم يدعون المحسنين إليهم، فأما أنتم فليس كذلك،

لكن الكبير منكم يكون كالصغير والمقدم كالخادم، من أكبر؟ المتكئ / أم الذي ٥ / ٥٤٧
يخدم؟ أليس المتكئ فأما أنا في وسطكم فمثل الخادم، و أنتم الذي صبرتم معي
في تجاربي^٧، وأنا^٨ أعد لكم^٩ كما وعدني ربى الملكوت، لتأكلوا وتشربوا على
مائدتي في ملكوتي، وتجلسوا^{١٠} على كرسيي، وتدينوا^{١١} اثني عشر سبط
إسرائيل - إلى أن قال: ثم خرج كالعادة ومضى إلى جبل الزيتون، ومعه أيضاً
تلاميذه، فلما انتهى إلى المكان قال لهم: صلوا لئلا تدخلوا التجربة، وانفرد ١٠
عنهم كرمية^{١٢} حجر و خر^{١٣} على ركبتيه فضلى؛ وقال متى: حينئذ قال لهم
يسوع: كلّم تشكون في هذه [الليلة -^{١٤}]، لانه مكتوب: أضرب الراعى،
تفرق خراف^{١٥} الرعية، فأجاب بطرس وقال له: لو شك جميعهم لم أشك
أنا، قال^{١٦} له يسوع: الحق^{١٧} أقول لك^{١٨} في هذه الليلة قبل أن يصبح الديك
[تنكرني ثلاث مرات؛ وقال يوحنا: الحق الحق أقول لكم^{١٩} لا يصبح ١٥
الديك حتى -^{٢٠}] تنكرني^{٢١} ثلاثاً، لا تضرب^{٢٢} قلوبكم، آمنوا بالله وآمنوا بي؛

- (١) في ظ كذلك (٢) في النسخ: يسلمه (٣) في ظ: جيد (٤) في ظ: خرج.
(٥) في ظ: هو (٦) في ظ: تجارتي (٧ - ٧) في ظ: أعد كم (٨) من ظ ومد،
وفي الأصل: يجلسوا (٩) في ظ: تدينوا (١٠) في ظ: كرمية (١١) في ظ: جثي.
(١٢) زيد من ظ (١٣) في ظ: حرف (١٤) في ظ: قتاله (١٥) سقط من ظ
(١٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (١٧) من ظ ومد، وفي الأصل:
ينكرني (١٨) في ظ: لا يضرب - كذا.

و قال متى : قال له بطرس : لو ألجئت إلى أن أموت معك ما أنكرت ؛
و قال مرقس : قتمادى بطرس و قال : يا أبت ! وإن اضطرت إلى أن
أموت معك ليس أنكرك ، و هكذا قال جميع التلاميذ ، حيثذ جاء
معهم إلى قرية تدعى جسانية ، فقال للتلاميذ : اجلسوا ههنا لأمضى أصلى
هناك ، امكثوا و اسهروا معى ، و بعد ذلك خر على وجهه يصلى ، و جاء
إلى التلاميذ فوجدهم نياما ، قال مرقس : فقال البطرس : يا شمعون ! أنت
نائم ؟ ما قدرت تسهر معى ساعة واحدة ؟ اسهروا و صلوا لئلا تدخلوا^١
التجارب ، أما الروح فستبشرة ، و قال مرقس : فستعدة^٢ ، و أما الجسد
فضعيف ، و مضى أيضا و صلى ، و جاء أيضا فوجدهم نياما ، لأن عيونهم
كانت ثقيلة ، فتركهم ،^٣ و مضى أيضا يصلى ؛ قال لوقا : و ظهر له ملاك
من السماء ليقويه^٤ ، و كان يصلى تواترا ، و كان عرقه كعبيط^٥ الدم نازلا
على الأرض ! و قال متى : حيثذ جاء إلى التلاميذ و قال لهم : ناموا الآن
و استريحوا ! قد اقتربت الساعة ، و فيها هو يتكلم إذ جاء يهودا الإسخريوطى
أحد الاثنى عشر ، معه جمع كثير بسيف و عصى من عند رؤساء
الكهنة و مشايخ الشعب ، و الذى أسلمه^٦ أعطاهم علامة و قال : الذى
أقبله هو هو^٧ فأمسكوه ،^٨ و جاء^٩ إلى يسوع و قال له : السلام يا معلم !
(١) فى النسخ : سمعان (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : لئلا تدخل (٣) فى ظ
نسبوه - كذا (٤) فى ظ : فذكرهم (٥) فى ظ : فنظر (٦) من ظ و مد ،
وفى الأصل : لتقويه (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : كعبيط - كذا -
(٨) فى ظ : استلمه (٩) سقط من ظ (١٠ - ١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل :
رجال - كذا .

وقبله، فقال له يسوع: يا هذا! ألهذا جئت؟ حينئذ جاؤا^١ فوضعوا أيديهم على يسوع وقبضوا عليه، ثم قال: في تلك الساعة قال يسوع للجموع: كأنكم قد خرجتم إلى اص^٢ بالسيوف والعصى لتأخذوني، في كل يوم كنت أجلس عندكم أعلم في الهيكل فما قبضتم عليّ، وهذا كله كان لتكميل^٣ كتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ وقال يوحنا: ه إن يهودا أخذ جندا من [عند^٤] عظماء الكهنة والفريسيين وشرطا، وجاء إلى هناك بسرج ومصابيح وسلاح، ويسوع كان عارفا بكل شيء. يأتي عليه، فخرج وقال لهم: من تطلبون؟ قالوا^٥: يسوع الناصري، قال: أنا^٦ هو، وكان يهودا واقفا معهم، فلما قال: أنا هو، رجعوا^٧ إلى ورائهم وسقطوا على الأرض، فقال يسوع: إن كنتم^٨ تطلبوني فدعوا هؤلاء يذهبوا، لتم الكلمة التي قالها^٩: إن الذي أعطيتني لن يهلك منهم أحد؛ وقال متى: حينئذ تركه تلاميذه كلهم وهربوا، والذين أخذوا يسوع اقتادوه إلى دار قيافا رئيس الكهنة، وأما بطرس فأتبعه على بُعد منه إلى دار^{١٠} رئيس الكهنة، ودخل إلى^{١١} داخلها وجلس مع الخدام لينظر التمام؛ وقال مرقس: وجلس مع الخدام عند النار ١٥

(١) في ظ: كانوا (٢) في ظ: تصربوني - كذا (٣) في ظ: تسهيل (٤) زيد من ظ ومد (٥) في ظ: يطلبون (٦) في ظ: قال (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: أما (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: راجعوا (٩-١٠) سقط ما بين الرقين من ظ (١٠) من ظ، وفي الأصل ومد: قال (١١-١٢) تكرر ما بين الرقين في ظ .

يصطلى؛ وقال / يوحنا: وإن شمعون الصفا والتليذ الآخر - يعنى الذى تقدم أن عيسى كان يحبه - تبعاً يسوع، وكان عظيم الكهنة يعرف ذلك التليذ، فدخل يسوع إلى دار عظيم الكهنة، فأما شمعون فكان واقفاً خارج الباب، فخرج التليذ الآخر الذى كان معارف رئيس الكهنة، فقال للبوابة وأدخل شمعون بطرس، فقالت الجارية البوابة لشمعون^٢: أما أنت من تلاميذ هذا الرجل؟ فقال لها: لا! وكان العبيد والشرط قياماً يوقدون ناراً ليصطلوا، لأنها كانت ليلة باردة، وقام شمعون^١ معهم أيضاً يصطلى^٣؛ قال متى: فقال رئيس [الكهنة -^٤]: استحلقتك بالله الحى أن تقول لنا إن كنت أنت^٥ هو المسيح! قال له يسوع: أنت قلت؛ ثم ذكر أنهم أفتوا بقتله وقال: عند ذلك بصقوا فى وجهه وسترُوا وجهه بثوب وطموا وجهه فوقه قائلين: أيها المسيح! بين لنا مَنْ هو الذى ضربك؟ قال مرقس: وبينما بطرس فى أسفل الدار^٦ جاءت فتاة من جوارى رئيس الكهنة فقالت له: وأنت أيضاً قد كنت مع يسوع الناصرى؛ وقال متى: مع يسوع الجليلي^٧؛ وقال لوقا: فلما رآته جارية جالسا عند الضوء ميزته^٨ فقالت^٩: هذا [أيضاً -^{١٠}] كان معه، فأنكر وقال: ما أعرفه^{١١}؛ وقال متى: فجد بين أيديهم أجمعين، وعند خروجه إلى الباب أبصرته جارية أخرى فقالت: وهذا أيضاً كان مع

(١) من الإنجيل، وفى النسخ: سيمان (٢) فى النسخ: لسمعان (٣) فى ظ: يصلى .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: الدر - كذا (٧) فى ظ: الخليلي (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: مزينة (٩) زيدت الواو بعده فى ظ .
(١٠) زيد من ظ .

يسوع الناصري، فوجد أيضا يمين^١: إني لست أعرف الرجل، وبعد قليل تقدم الوثقوف فقالوا لبطرس: بالحقيقة إنك منهم أنت! لأن كلامك يدل عليك؟ وقال مرقس: وأنت جليلي وكلامك يشبه كلامهم، وقال: حيثذ أقبل بطرس يلعن^٢ ويخلف: إني لست أعرف الإنسان، وفي الحال صاح الديك، فذكر بطرس كلمة يسوع: قبل أن يصيح الديك يتحدثني ٥ ثلاثا، فخرج إلى خارج وبكى بكاء مراً.

ولما كان الصبح عملوا كلهم مؤامرة على يسوع حتى يميته^٣ فربطوه وساقوه إلى يلاطيس النبطي^٤، ولما أبصر يودس - يعنى يهودا الإسخر يوطي - أنه قد حكم عليه تندم^٥ ورد الثلاثين^٦ الفضة على رؤساء الكهنة [قائلا: قد أخطأت إذ أسلمت دما زكيا، فقالوا: ما علينا! ١٠ ف طرح الفضة في الهيكل ومضى فخلق نفسه، فأخذ رؤساء الكهنة -^٧] الفضة وقالوا: لن يجوز لنا [أن -^٨] نلقيها في داخل الزكاة، لأنها ثمن دم، فتشاوروا وابتاعوا حقل الفاخوري^٩ لدفن الغرباء، لذلك دعى ذلك الحقل حقل الدم إلى اليوم، حيثذ [تم -^{١٠}] قول إرميا النبي القائل: وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن الدم^{١١} الذى ثمنه بنو إسرائيل، وجعلوها ١٥ في حقل الفاخوري على ما رسم لى؛ وأما يسوع فوقف أمام الوالى،

- (١) في ظ: يمين (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: ولعن (٣) في ظ: يمسوه - كذا.
(٤) سقط من ظ (٥) في ظ: يتندم (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: اثنتين - كذا (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٨) زيد ولا بد منه (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: اعقبها (١٠) من مد، وفي الأصل وظ: الفاخورية.
(١١) زيد من نص الإنجيل (١٢) في النسخ: الكرم - كذا.

ثم ذكر أن الوالى كان كارها^١ لقتله ، وأن امرأته أرسلت إليه
تقول : إياك ودم ذاك الصديق ، فاني توجعت في هذا اليوم كثيرا
من أجله في الحلم ، وأنه اجتهد بهم ليطلقوه فأبوا إلا صلبه ، و صاحوا
عليه ، وأنه قال لهم : أى شر^٢ عمل ؟ فازدادوا صياحا وقالوا : يصلب ؛
٥ فلما رأى يلاطس أنه لا ينفع شيئا أخذ ماء و غسل يديه قدام الجمع
وقال : إني برىء من [دم - ٣] هذا الصديق ، فقالوا : دمه علينا و على
أولادنا ؛ و قال لوقا : وإن يلاطس قال لرؤساء الكهنة : أنا لم [أجد - ٤]
على هذا الإنسان علة - حتى قال : فلما علم أنه من سلطان هيرودس - يعنى
من الجليل * - أرسله إلى هيرودس ، لأنه كان في تلك الأيام يبروشليم ،
١٠ وأن هيرودس لما رأى يسوع فرح جدا ، لأنه كان يشتهى أن يراه من
زمان طويل لما كان يسمع [عنه - ٥] من الأمور الكثيرة ، و كان
يرجو أن يعاين آية يعملها ، وسأله عن كلام كثير ذكره ، و ذكر
أنه لم يجبه ، فاحتقره هيرودس وجنده واستهزؤا به و^٦ ألبسه ثيابا
حمرأ ، وأرسله إلى / يلاطس [و صار يلاطس و هيرودس صديقين في
١٥ ذلك اليوم ، لأنه كان بينهما عداوة - ثم ذكر أن يلاطس - ٦] قال
لهم : لم أجد عليه علة آخذه بها ، و لا هيرودس أيضا ، و أنهم لم يقبلوا
منه ذلك و صاروا يصيحون : اصلبه اصلبه ؛ وقال يوحنا : ثم جلس
(١) من مد ، و في الأصل و ظ : سكارها - كذا (٢) من ظ ، و في الأصل
و مد : سر (٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد من نص الإنجيل (٥) في ظ : الخليل .
(٦) في النسخ : او .

- يعنى ييلاطس - على كرمى فى موضع يعرف برصيف^١ الحجارة، وبالعبراية
يسمى جاحلة^٢؛ ثم ذكر جميع نقلة أناجيلهم أنهم صلبوه بين لصين^٣،
وأنهم كانوا يستهزئون به حتى اللسان المصلوبان؛ قال مرقس: فلما
كانت الساعة السادسة تفتت الأرض كلها ظلمة إلى الساعة التاسعة،
وأنه صاح بصوت عظيم [منه-^٤]: إلهي! إلهي! لِمَ تركتني! فانشق
ستر حجاب الهيكل باثنين من فوق إلى أسفل، و الأرض تزلزلت،
و تشققت الصخور، و تفتحت القبور^٥، و كثير من أجساد القديسين
النيام قاموا من قبورهم، و دخلوا المدينة فظهروا لكثير^٦، و كان هناك نسوة
كثير ينظرن^٧ من بعيد، و من اللاقي تبعن عيسى من الجليل منهن مريم
المجدلانية، و مريم أم يعقوب الصغير، و أم يوسا، و أم ابن يزدى^٨؛
و قال يوحنا: [وكان-^٩] واقفا عند صلبه أمه و أخت أمه مريم ابنة
إكلوبا^{١٠} و مريم المجدلية، ثم ذكروا أنه دفن؛ و ذكر مرقس أنه كان
يوم جمعة؛ و قال يوحنا: و أما اليهود - فلأنه يوم الجمعة^{١١} - قالوا:
هذه الأجساد لا تثبت^{١٢} على صليبها، لأن السبت^{١٣} كان عظيما، ثم
ذكر أنهم أنزلوهم، و أن عيسى دفن؛ و قال متى: إن الملك جاء^{١٤}

- (١) من ظ و مد، و فى الأصل: برصيف (٢) فى ظ: خاصله (٣) من ظ و مد،
و فى الأصل: لصتين (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: العيوب (٦) من
مد، و فى الأصل و ظ: الكبير (٧) فى الأصل و مد: ينظرون، و فى ظ:
ينتظرون - كذا (٨) فى ظ: إكلوبا (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: كان.
(١٠) فى ظ: جمعة (١١) من مد، و فى الأصل: لاسبت، و فى ظ: لا يثبت.
(١٢) فى ظ: البيت.

بعد ثلاث و أقامه، و قال للنسوة : إنه قد قام فأسرعن فقلن لتلاميذه : هو ذا سبقكم^١ إلى الجليل، وإن رؤساء اليهود^٢ رشوا الجند^٣ الذين كانوا يحرسون قبره ليقولوا : إن تلاميذه سرقوه من القبر، فقالوا و شاع ذلك عند اليهود إلى اليوم، فأما الأحد^٤ عشر تلميذا ففوضوا إلى الجليل^٥ الذي أمر^٦ به، فلما رأوه سجدوا له، و بعضهم شك؛ و قال لوقا : و فيما هم يتكلمون وقف عيسى إلى وسطهم، و قال لهم : السلام عليكم يا هؤلاء ! لا تخافوا ! فاضطربوا و خافوا و ظنوا أنهم ينظرون روحا^٧، فقال لهم : ما بالكم تضطربون ؟^٨ و لِمَ يأتى^٩ الإنكار فى قلوبكم ؟ انظروا يدي و رجلى فاني أنا هو^{١٠}، جسّوني و انظروا إلى^{١١} الروح ليس له لحم و لا عظم، كما ترون أنه لى، و لما قال هذا أراهم يديه و رجليه، و إذا هم غير مصدقين من الفرح و التعجب، و قال لهم : أعتدكم ههنا ما يؤكل ؟ فأعطوه جزءا من حوت^{١٢} مشوى و من شهد غسل، فأخذ^{١٣} قدامهم و أكل، [و-^{١٤}] أخذ الباقي و أعطاهم ؛ ثم قال : ثم أخرجهم خارجا إلى بيت عنيا فرفع يديه و باركهم، و كان فيما هو يباركهم انفرد عنهم، و صعد إلى السماء ؛

١٥ [و-^{١٦}] قال يوحنا : إنه قال لمريم : امضى إلى إخوتي و قولى لهم : إني صاعد إلى أبي و أيسم^{١٧} و إلهى و إلهكم ؛ [و-^{١٨}] قال متى : فجاء

(١) فى ظ : سعيكم (٢-٢) فى ظ : رسوا الجهد (٣) فى ظ : الاحدى (٤) فى ظ : الجليل (٥) من مد، و فى الأصل : آمنوا، و فى ظ : ارموا - كذا (٦) فى ظ : رجلا (٧) فى ظ : تطربون (٨) فى النسخ : أتى (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : خروف (١١) فى ظ : فاخذوا (١٢) زيدت الواو من مد (١٣) زيدت الواو من ظ و مد .

يسوع فكلهم فقال: أعطيت كل سلطان في السماء وعلى الأرض
فاذهبوا الآن وتلدوا^١ كل الأمم.

انتهى ما أردته هنا من الأناجيل من هذه القصة، فقد بان لك
أن أناجيلهم كلها اتفقت على أن علمهم في أمره انتهى إلى واحد،
وهو الإسخريوطي، وأما غيره من الأعداء فلم يكن يعرفه، [وإنه -^٢] ٥
إنما وضع يده عليه، ولم يقل بلسانه: إنه هو، وأن الوقت كان ليلاً،
وأن عيسى نفسه قال لأصحابه: كلكم تشكون في هذه الليلة، وأن تلاميذه
كلهم هربوا، فلم يكن لهم علم بعد ذلك بما اتفق [في -^٣] أمره،
وأن بطرس [إنما -^٤] تبعه من بعيد، وأن الذي دل عليه خنق نفسه،
وأن الناقل لأن الملك قال: إنه قام من الأموات، إنما هو نسوة كن
عند القبر في مدى بعيد^٥، وما يدرى النسوة الملك من غيره - ونحو
ذلك من الأمور التي لا تقيد غير الظن بالجهد، وأما الآيات التي وقعت
فعلى تقدير تسليمها / لا يضرننا التصديق بها، وتكون لجرأتهم على
الله بصلب من يظنونه المسيح، ومن أحسن ما في ذلك قوله بعد

اجتماعهم به^٦ بعد رفعه: أعطيت كل سلطان، فأثبت أن المعطى غيره، ١٥
وهذا كله يصادق^٧ القرآن في^٨ أنهم في شك منه، ويدل [على -^٩]
أن المصلوب - إن صح أنهم صلبوا من ظنوه إياه^{١٠} - هو الذي دل عليه، كما

(١) في ظ: تسلموا (٢) زيد من ظ ومد (٣) من ظ ومد، وفي الأصل:
بعينه - كذا (٤) في ظ: يكون (٥) -قط من ظ (٦) في ظ: تصادق (٧) من
ظ ومد، وفي الأصل «و» (٨) من ظ ومد، وفي الأصل: إياهم.

قال بعض العلماء: إنه ألقى شبهه عليه، ويؤيد ذلك قولهم: إنه خنق نفسه، فالظاهر أنهم لما لم يروه بعد ذلك ظنوا أنه خنق نفسه، فجزموا به - والله أعلم، وقوله: إنك يارباه في^٢ وأنا فيك، ليكونوا - أى التلاميذ - فينا، ونحوه مما يؤهم حلولاً المراد به الاتحاد في المراد بحيث^٣ أن واحداً منهم لا يريد إلا ما يريده الآخر، ولا يرضى إلا ما يرضاه، فهو من وادى ما في الحديث القدسي: «كنت سمعه الذى يسمع به»، - إلى آخره، وكذا إطلاق الابن والآب معناه أنه يعاملهم فى لطفه معاملة الآب ابنه، فالمراد الغاية، كما يؤل ذلك فى إطلاق الغضب والمحبة ونحو ذلك فى حق الله تعالى فى شرعنا، وقد مضى كثير من رد المتشابه ١٠ فى مثل ذلك إلى المحكم فى آل عمران، ومضى فى ذلك الموضوع وغيره أن كل ما أوهم نقصاً لا يجوز فى شرعنا إطلاقه على الله تعالى - والله الموفق .

ولما أنجز الكلام إلى أمر عيسى عليه الصلاة والسلام على هذا المنهاج البديع بما ذكر فى نصائح اليهود وقبائح أفعالهم، وأنهم قصدوا^١ ١٥ [قتله -^٨] عليه الصلاة والسلام، نخاب قصدهم، وأصلد زندقهم^٩،

(١-١) فى ظ: عليهم ويؤيده (٢) سقط من ظ (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: بحسب (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: القدس (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: ان (٦) فى ظ: اول (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: قتلوا (٨) زيد من ظ ومد (٩-٩) من مد، أى صوت ولم يور، وفى الأصل: أصله مزيدهم، وفى ظ: أصله زيدهم - كذا .

وقال رأيهم^١، ورد عليهم بنعيمهم، وحصل له بذلك أعلى المناصب وأولى المراتب؛ قال محققا لما أثبتته في الآية قبلها من القطع بكذبهم، مثبتا أنهم في مبالغتهم في عداوته سيكونون من أتباعه المصدقين بجميع أمره^٢ الذي منه التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم، مؤكدا له أشد تأكيد لما عندهم من الإنكار [له - ٢]: ﴿وان﴾ أى والحال أنه ما ﴿من أهل الكتب﴾ ٥
أى أحد يدرك نزوله في آخر الزمان ﴿الا﴾ وعزى ﴿ليؤمنن به﴾ أى بعيسى عليه الصلاة والسلام ﴿قبل موته﴾ أى موت عيسى عليه الصلاة والسلام، أى إنه لا يموت حتى ينزل في آخر الزمان، يؤيد الله به دين الإسلام، حتى يدخل فيه جميع أهل الملل، إشارة إلى أن موسى عليه الصلاة والسلام إن كان قد أیده الله تعالى بأنبياء كانوا يحددون^{١٠} دينه زمانا طويلا، فالنبي الذى نسخ شريعة موسى - وهو عيسى عليهما الصلاة والسلام - هو الذى يؤيد الله به هذا [النبي - ٣] العربى في تجديد شريعته وتمهيد أمره والذب^١ عن دينه، ويكون من أمته بعد أن كان صاحب شريعة مستقلة وأتباع مستكثرة، أمر قضاء الله فى الأزل فأمضاه، فأطيلوا أيها اليهود أو^٢ أقصروا فغنى الآية إذن - والله أعلم - ١٥
أنه ما من أحد من أهل الكتاب المختلفين فى عيسى عليه الصلاة والسلام على شك إلا وهو يوقن بعيسى عليه الصلاة والسلام قبل موته بعد نزوله

(١) قال الراى: أخطأ وضعف (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ و مد فأنها (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: يحدون (٥) فى ظ: شريعته (٦) فى ظ: الدرء (٧) من مد، وفى الأصل وظ «و».

نظم الدرر (سورة النساء ٤ : ١٥٩ و ١٦٠) ج - ٥

من السماء نه ما قتل وما صلب، ويؤمن به عند زوال^١ الشبهة -^٢ والله أعلم^٣؛ روى الشيخان وأحمد وأبو بكر بن مردويه وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: والذي نفسي بيده! لو شكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا وإماما عادلا، فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا^٤ من الدنيا وما فيها؛ وفي رواية: وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين؛ وفي رواية: حتى يهلك الله الملل كلها غير الإسلام، فيهلك^٥ الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام؛ يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم^٦ وإن من أهل الكتب الا ليؤمنن به قبل / موته^٧ - الآية: موت عيسى عليه الصلاة والسلام - [ثم -^٨] يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات^٩ - ولتذهبن الشحنة والتباغض والتحاسد، وليدعون^{١٠} إلى المال فلا يقبله أحد؛ وفي رواية: ويفيض المال حتى لا يقبله أحد؛ ولمسلم^{١١} عنه رضي الله عنه: كيف بكم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؛ وفي رواية: فأمكم منكم، قال الوليد بن مسلم - أحد رواة الحديث: قال ابن أبي ذئب: تدرى ما أمكم^{١٢} منكم؟ قلت: ٥ تخبرني! قال: فأمكم بكتاب^{١٣} ربكم تبارك وتعالى وستة نبيكم صلى الله عليه

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: تزول (٢-٢) سقط ما بين الرقين من ظ .
(٣) في ظ: خير (٤) في ظ: فاهلك (٥) زيد من ظ ومد (٦) في ظ: مرار .
(٧) من ظ ومد، وفي الأصل: ليدعوك (٨) ومن هنا سقطت صفتان من مده .
(٩) من صحيح مسلم - كتاب الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم، وفي النسختين: امامكم (١٠) زيد بعده في ظ: الله .

و سلم؛ [و لمسلم - ١] أيضا عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام فيقول أميرهم: تعال صل لنا! فيقول: [لا - ٢]! إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله هذه الأمة؛ و روى عن ابن عباس و محمد بن علي المشهور بابن الحنفية رضى الله عنهم أن المعنى: ألا ليؤمنن بعيسى عليه الصلاة والسلام قبل موت ذلك الكتابي عند الغرغرة حين لا ينفعه الإيمان، ليكون ذلك زيادة في حسرته^٦، قال الأصمهاني: و تدل^٧ على صحة هذا التأويل قراءة أبي: ليؤمنن قبل موتهم - بضم النون .

ولما أخبر تعالى عن حالهم معه في هذه الدار أتبعه فعله بهم في ١٠ تلك فقال: ﴿ و يوم القيامة ﴾ أى الذى يقطع ذكره القلوب، و يحمل التفكير فيه على كل خير و يقطع عن كل شر ﴿ يكون ﴾ و أذن بشقائهم بقوله: ﴿ عليهم شهيداً ﴾ أى بما عملوا؛ و لما أذن حرف الاستعلاء في الشهادة بأنه^٨ لا خير لهم في واحد من الدارين، و بأن التقدير: فظلمهم، سبب^٩ عنه قوله دلالة على أن^{١٠} التوراة نزلت منجمة: ﴿ فظلم ﴾ أى ١٥ عظيم جدا راسخ ثابت، و هو جامع لتفصيل نقض الميثاق و ما عطف

(١) زيد من ظ (٢) في ظ: لا يزال (٣) زيد من صحيح مسلم (٤) من ظ و صحيح مسلم، و في الأصل: اميراً - كذا (٥) في ظ: فلزمه - كذا (٦) في ظ: جزيه (٧) في ظ: يدل (٨) في ظ: انه (٩) من ظ، و في الأصل: ثبت . (١٠) سقط من ظ .

نظم الدرر (سورة النساء ٤ : ١٦٠ و ١٦١) ج - ٥

عليه مما استحلوه بعد أن حرّمته التوراة، وقال مشيرا إلى زيادة تبكيتهم :
 (من الذين هادوا) أى تلبسوا باليهودية فى الماضى ادعاء أنهم من أهل
 التوراة والرجوع إلى الحق، ولم يضر تعينا لهم زيادة^١ فى تقريبهم
 (حرمنا عليهم طيبت احلت) أى كان وقع إحلالها^٢ فى التوراة
 (لهم) كالشحوم التى ذكرها الله تعالى فى الأنعام .

ولما ذكر ظلهم ذكر مجامع من جزئياته، وبدأها باعراضهم عن
 الدين الحق، فقال معيدا للعامل تأكيدا له : (وبصدم عن سبيل الله)
 أى الذى لا أوضح منه ولا أسهل ولا أعظم، لكون^٣ الذى نهجه له
 من العظمة والحكمة ما لا يدرك، و"صد" يجوز أن يكون قاصرا
 ١٠ فيكون (كثيرا) صفة مصدر محذوف، وأن يكون متعديا فيكون
 مفعولا به، أى وصدّهم كثيرا من الناس بالإضلال عن الطريق، فمُنِعُوا
 مستلذات تلك المآكل بما مَنَعُوا أنفسهم وغيرهم من لذاتة الإيمان .

ولما ذكر امتناعهم^٤ ومنعهم من المحاسن^٥ التى لا أطيب منها
 ولا أشرف، أتبعه إقدامهم على قبائح دنية^٦ فيها ظلهم للخلق [فقال -^٧]:
 ١٥ (واخدم الربوا) أى وهو قبيح فى نفسه مُزِر بصاحبه (وقد)
 أى والحال أنهم قد^٨ (نهوا عنه) فضعوا إلى مخالفة الطبع السليم
 الاجترار^٩ على انتهاك حرمة الله العظيم .

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : لهم (٣) فى ظ : يكون (٤ - ٥) فى ظ :
 ذكروا - كذا (٥) العبارة من « ومنعهم » إلى هنا متكررة فى الأصل (٦) فى
 ظ : دينهم (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : الاخير - كذا .

و لما (١٢٥) ٥٠٠

ولما ذكر الربا أتبعه ما^١ هو أعم منه فقال: ﴿واكلهم اموال الناس بالباطل﴾ أى سواء كانت ربا أو رشوة أو غيرهما^٢؛ ولما ذكر بعض ما عذبهم به فى الدنيا أتبعه جزاءهم فى الآخرة، فقال عاطفا على قوله "حرمتنا": ﴿واعتدنا للكافرين﴾ أى الذين^٣ صار الكفر لهم صفة راسخة فماتوا عليه؛ ولما علم أن منهم من يؤمن فيدخل الجنة فقال: ٥
 ﴿منهم﴾ ولما كان الجزاء من جنس العمل قال: ﴿عذابا اليما﴾ ٥٥٢ /
 أى بسبب ما آلموا الناس بأكل أموالهم و تغطيتهم^٤ على حقوقهم من الفضائل و الفواضل .

ذكر تحريم المال بالربا وغيره من أنواع الباطل بنص التوراة، قال فى السفر الثانى بعد ما قدمته فى البقرة من الأمر بالإحسان إلى الناس ١٠
 والنهى عن أذاهم: وإن أسلفت ورقك للمسكين الذى معك من شعبي فلا تكون له كالغريم ولا تأخذن^٥ منه ربا^٦؛ وقال فى الثالث: وإن افتقر أخوك واستعان بك فلا تتركه بمنزلة الغريب الساكن معك، بل وسع عليه، وإياك أن تأخذ منه ربا أو عينة، لا تقرضه بالعينة؛ وقال فى الخامس: ولا تطعموا بيت الله ربكم أجر زانية^٧ ولا ثمن^٨ كلب، ولا تأخذوا^٩ ١٥
 من إخوانكم ربا فى فضة ولا فى طعام ولا فى [شئ - ١٠] بما تعاونوه^{١١}،
 (١) من ظ، وفى الأصل: بما (٢) من ظ، وفى الأصل: غيرها (٣) من ظ، وفى الأصل: الذى (٤) من ظ، وفى الأصل: بغطيتهم (٥) فى ظ: لا يأخذن .
 (٦) سقط من ظ (٧) من نص التوراة، وفى الأصل: زابيه، وفى ظ: اخرانيه -
 كذا (٨) فى ظ: يبره - كذا (٩) من ظ، وفى الأصل: لا تأخذ (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ: تعاملوا به - كذا .

و أما الغرب فخذوا منه إن أحببتم ؛ فقد ثبت من توراتهم^١ النهي عن الربا ،
و أما تخصيصه بالغريب فتبديل منهم بلا ريب ، بدليل ما قدمته عنها في
البقرة عند قوله تعالى^٢ " ان الذين آمنوا و الذين هادوا " من النهي عن غدر
العدو ، و عند قوله تعالى^٣ " لا تعبدون " الا الله ، من الإحسان إلى

٥ عامة الناس لا سيما الغريب - والله الموفق .

و لما بين تعالى ما للطبوع على قلوبهم الغريقين في الكفر من العقاب ،
بين ما لتيرى البصائر بالرسوخ في العلم و الإيمان من الثواب فقال^٤ :
(لكن الراسخون في العلم منهم) أى " الذين هيئت " قلوبهم في أصل
الخلقة لقبول [العلم - ٦] فأبعد عنها الطبع ، و جلّت^٥ بالحكمة ، و رسخت^٦
١٠ بالرحمة ، فامتلات من نور العلم^٧ ، و تمكنت بأنس الإيمان .

و لما ذكر نعت العلم المفيد لجميع الفضائل أتبعه ما نشأ عنه فقال :
(و المؤمنون) [أى - ٦] الذين هيئوا للإيمان^٨ و دخلوا فيه ، فصار لهم
خلقا لازما ، منهم و من غيرهم (يؤمنون) أى يحددون إيمان في " كل
لحظة (بما أنزل اليك) لأنهم أعرف الناس بأنه حق (و ما أنزل من

(١) زيد بعده في الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة في ظ فخذناها (٢ - ٣) سقط
ما بين الرقيين من ظ (٣) من ظ و القرآن الكريم آية ٨٣ ، و في الأصل :
لا تعبدوا (٤) من ظ ، و في الأصل : قال (٥ - ٥) في ظ : الذى مذبت - كذا .
(٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و في الأصل : جلبت (٨) في ظ : سرحت .
(٩) زيد بعده في ظ : فأبعد عنها الطبع (١٠) من ظ ، و في الأصل : الإيمان .
(١١) سقط من ظ .

قبلك ﴿ أى على موسى عليه الصلاة والسلام ، وبسبب إيمانهم الخالص آمنوا بما أنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام ، ثم بما أنزل إليك .
ولما كانت الصلاة أعظم دعائم الدين ، ولذلك كانت ناهية عن الفحشاء والمنكر ، نصبت على المدح من بين هذه المرفوعات إظهاراً لفضلها^٩
فقال تعالى : ﴿ والمقيمين الصلوة ﴾ أى بفعلها بجميع حدودها ، ويجوز ٥
على بُعد أن يكون المقضى لنصبها^{١٠} جعل " لكن " بالنسبة إليها بمعنى " إلا " ،
وتضمنها لفظها ، لما بينهما من التأخى ، فيكون المعنى أنهم مستثنون
من^{١١} أعد لهم العذاب الأليم على معنى أن الله سبحانه وتعالى - [و-]^{١٢} هو
الفاعل المختار - سبق عليه بأن مقيم الصلاة بجميع حدودها لا يموت^{١٣}
كما يموت كافر^{١٤} ، بل تناله بركتها فيسلم ، وهذا أعظم مدح لها ، ١٠
والحاصل أن " لكن " استعيرت لمعنى " إلا " بجامع أن ما بعد كل
منهما مخالف في الحكم لما قبله ، كما استعيرت " إلا " لمعنى " لكن " في
الاستثناء المنقطع .

ولما كان الرجوع بما بعدها إلى الأسلوب الماضى أبين في مدحها
قال^{١٥} : ﴿ والمؤتون الزكوة ﴾ ولما ذكر أنهم جمعوا إلى صلة^{١٦} الخالق ١٥

- (١) زيد بعده في الأصل : الاسلام ، ولم تكن الزيادة في ظ فخذناها (٢) من
ظ ، وفي الأصل : لفظها (٣) من ظ ، وفي الأصل : لبعضها (٤) في ظ : نصبها .
(٥) في ظ : بما (٦) في ظ : له (٧) زيدت الواو من ظ (٨-٨) سقط ما بين
الرقمين من ظ (٩) من ظ ، وفي الأصل : كافراً (١٠) من ظ ، وفي الأصل :
فقال (١١) من ظ ، وفي الأصل : أصله .

الإحسانَ إلى الخلائق 'ذكر الإيمان' بانياً على عظمته مفصلاً له بعض التفصيل و مشيراً إلى أن نفعه^١ كما^٢ يشترط أن يكون فاتحاً^٣ يشترط أن يكون خاتماً فقال: ﴿والمؤمنون بالله﴾ أى مستحضرين ما له من صفات الكمال، وضم إليه الحامل^٤ على كل خير و المقعد عن^٥ كل شر ترغيباً وترهيباً فقال: ﴿واليوم الآخر﴾ فصار الإيمان مذكوراً خمس مرات، فإن هذه الأوصاف لموصوف واحد عطف بالواو^٥ تفخيهاً لها وإشارة إلى أن وصف الرسوخ في العلم مقتضى لأنهم في الذروة من كل وصف منها، والاتصاف بكل منها يتضمن الإيمان يوم / الدين، فإنه لا يمدح أحد اتصف بشيء منها عرياً عن الإيمان به، لا جرم نه على شغامة أمرهم وعلو شأنهم بأداة البعد فقال: ﴿اولئك﴾ أى العالو [الرتبة و -]^٦ اللهم، ولكون^٧ السياق في الراستخين العاملين أنهى^٨ في التأكيد بالسين لأن المكر^٩ هنا أقل منه في الأولى، ولم يعرف الأجر، ووصفه بالعظم فقال: ﴿سنؤتيهم^{١٠}﴾ أى بعظمتنا الباهرة بوعده لا خلف^{١١} فيه ﴿اجرا عظيماً^{١٢}﴾ .

/ ٥٥٣

١٥ ولما كانت هذه الأوصاف منطبقة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكان من أحوالهم الوحي، قال تعالى إبطالا لشبهتهم القائلة^{١٣}:
(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢-٢) تكرر ما بين الرقيين في الأصل .
(٣) من ظ، وفي الأصل: الحاصل (٤) من ظ، وفي الأصل: على (٥) زيدت الواو بعده في ظ (٦) زيد من ظ (٧) من ظ، وفي الأصل: لكن (٨) في الأصل: اسمي، وفي ظ: انبعي - كذا (٩) سقط من ظ (١٠) في ظ: يختلف (١١) في ظ: عليه (١٢) في ظ: الباطلة .

لو كان نيا أنى بكتابه جملة من السماء كما أتى موسى عليه الصلاة والسلام بالتوراة كذلك، بأقرارهم نبوة هؤلاء الأبناء عليهم السلام مع كونهم ليس لهم تلك الصفة، ولم يكن ذلك قادحا في نبوة أحد منهم ولا رسالته: ﴿إِنَّا﴾ ويصح أن يكون هذا تعليلا ليؤمنون، أى إنهم آمنوا بما أنزل إليك [لأنا - ١] ﴿أوحينا إليك كما﴾ أى مثل ما ﴿أوحينا إلى نوح﴾ ٥ وقد آمنوا بما^٢ به لما أتى به من المعجز الموجب للإيمان من غير توقف على معجز آخر ولا غيره، لأن إثبات المدلول إنما يتوقف على ثبوت الدليل، فإذا تم الدليل كانت المطالبة بدليل آخر طلبا للزيادة وإظهارا للتعنت واللجاج - والله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

ولما كان مقام الإيحاء - وهو الأنبياء - من قبل الله تعالى قال: ١٠ ﴿وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أى فهم يعلمون ذلك بما لهم من الرسوخ في العلم وطهارة الأوصاف، ولا يشكون في أن الكل من مشكاة واحدة، مع أن هذا الكتاب أبلغ، والتعبير فيه عن المقاصد أجلى وأجمع، فهم إليه أميل، وله أقبل، وأما المطبوع على قلوبهم، المنوعون من رسوخ العلم فيها بكثافة^٣ الحجاب، حتى أنها لا تنظر إلى أسرارها إلا من وراء غشاء^٤، ١٥ فهم غير قابلين لنور العلم المتبهي^٥ للإيمان، فأسرعوا إلى الكفر، وبادروا إلى كل إجرام^٦، فهم لا يضررون إلا أنفسهم بما ينالهم من العذاب في الدنيا بالذل والصغار^٧، وفي الآخرة بالسخط والنار .

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : بشائه (٤) في ظ : غير (٥) في ظ : حرم .

نظم الدرر (سورة النساء: ١٦٣ و ١٦٤) ج - ٥

ولما أجل تعالى ذكر النبيين فصل فقال منبها على شرف من ذكرهم
وشهرتهم: ﴿واوحينا إلى إبراهيم﴾ أي أيهم وأيهم كذلك
﴿واسماعيل﴾ أي ابنه الأكبر الذي هو أبوكم دونهم ﴿واسحق﴾ وهو
ابنه الثاني وأبوم ﴿وبعقوب﴾ أي ابن إسحاق ﴿والإسباط﴾ أي
أولاد يعقوب .

ولما أجل بذكر الإسباط بعد تفصيل من قبلهم فصل من بعدهم
فقال: ﴿وعيسى﴾ أي الذي هو آخرهم من ذرية يعقوب ﴿وابوب﴾
وهو من ذرية عيصو بن إسحاق على ما ذكروا ﴿ويونس وهرون
وسليمن﴾ ولما كان المقام للتعظيم بالوحي،^٢ وكان داود عليه
الصلاة والسلام من أهل الكتاب قال: ﴿واتينا داود زبوراً﴾ أي وهم
يدعون الإيمان به مع اعترافهم بأنه لم ينزل جملة ولا مكتوبا من السماء .
ولما تم ما اقتضاه مقام النبوة، وكان فيهم رسل، وكان ربما
قال متعنت: إن شأن الرسل غير شأن الأنبياء في الوحي، قال عاطفا على
ما تقديره من معنى "واوحينا": أرسلنا من شئنا^٣ من هؤلاء الذين قصصناهم
١٥ عليك هنا إلى من شئنا^٤ من الناس: ﴿ورسلاً﴾ أي غير هؤلاء
﴿قد قصصناهم﴾ أي تلونا ذكرهم ﴿عليك﴾ ولما كان القصص عليه
غير مستغرق للزمان الماضي قال: ﴿من قبل﴾ أي من قبل إنزال هذه
الآية ﴿ورسلاً لم نقصصهم عليك^٥﴾ أي إلى الآن .

(١) في ظ: نفو - كذا (٢) واستأنفت من هنا نسخة مد (٣) من ظ و مد ،
وفي الأصل: شا (٤) سقط من ظ .

ولما كان المراد أنه لا فرق بين النبي و الرسول في الوحي ، به
على ذلك بقوله : ﴿ وكلم الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ، فهو يفعل
ما يريد ، لا أمر لاحد معه ﴿ موسى تكليماً ﴾ أى [على - '] التدرج
شيئاً فشيئاً بحسب المصالح من غير واسطة ملك ، فلا فرق في
الوحي بين ما كان بواسطة وبين ما كان بلا واسطة ، والمعنى أنكم
لو كنتم إنما تتوقفون^٢ عن الإيمان ببعض الأنبياء [تثبتاً - '] لتعلموا
أنه فعل به ما فعل بموسى عليه الصلاة والسلام من / الكرامة ، لم تؤمنوا
بإبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط و هارون^٣ وغيرهم ، فانه خص
بالتكليم دونهم ، فلم جعلتم الإتيان بمثل ما أتى به موسى عليه الصلاة والسلام
شرطاً في الإيمان ببعض الأنبياء دون بعض ؟ وإن جعلتم الشرط الإتيان ١٠
بالكتاب جملة [و - '] من السماء مدعين أنه^٤ كان له ذلك دون
التكليم وغيره مما جعل له ، كان^٥ ذلك - على^٥ تقدير التسليم تنزلاً -
تحكما وترجيحاً من غير مرجح ، على أن التوراة أيضاً - كما تقدم بيانه -
كهذا القرآن في إنزالها منجمة على حسب الوقائع على ما أشار إليه قوله
" تكليماً " ، ولم يكتب منها جملة إلا اللوحان اللذان^٦ وضعا في تابوت^٧ ١٥
الشهادة كما أنزل بعض سور القرآن جملة كسورة الأنعام ، وليس في
نزول موسى عليه الصلاة والسلام بهما من جبل الطور مكتوبين دليل
(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد ، وفي الأصل : تتوفون (٣) سقط من
ظ (٤) زيد بعده في ظ : لو (٥-٥) في ظ : على ذلك (٦) من ظ ومد ، وفي
الأصل : الذين .

على نزولها من السماء ، ويدل على ذلك كثير من نصوصها^١ أصرحها
 أنه تعالى حرم عليهم العمل في السبت عقب إخراجهم من البحر عند
 إنزال المن - كما بين في السفر الثاني منها - ولم يبين كيف يفعل بالعاصي
 فيه إلا بعد ذلك بدهر ، بدليل ما في السفر الرابع منها في قصة التيه :
 ٥ ومكث بنو إسرائيل في البرية [و - ٢] وجدوا رجلا يحطب حطبا يوم
 السبت ، فقدمه الذين وجدوه يحطب إلى موسى و هارون وإلى الجماعة كلها ،
 و حبسوه في السجن ، لأنه لم يكن أوحى إلى موسى كيف يصنع به ؟ فقال
 الرب لموسى : يقتل هذا الرجل ، برجم بالحجارة خارجا من العسكر ، و رجه
 الجماعة كلها بالحجارة ومات - كما أمر الرب موسى ؛ ومنها أنه أمرهم - كما بين
 ١٠ في السفر الثاني - بنصب قبة الزمان التي كانوا يصلون إليها ، و يسمع موسى
 الكلام منها ، ثم بعد ذلك بمدة أمرهم - كما بين في السفر الرابع - بالزيادة
 فيها ؛ و منها أنه كتب له الألواح^٢ في الطور : اللوحين اللذين كسرها
 غضبا من اتخاذهم العجل ، ثم لوحين عوضا عنها ، ثم لما نصبت قبة الزمان
 صار سبحانه و تعالى يكلمه منها ، و غالب أحكامهم^٣ إنما شرعت بالكلام
 ١٥ الذي كان في قبة الزمان - كما هو في غاية الوضوح في التوراة ؛ و منها
 ما قال في أواخر السفر الخامس و هو آخرها : فلما أكمل موسى كتاب
 آيات هذه التوراة في السفر و فرغ منها ، أمر موسى الاحبار الذين
 يحملون تابوت عهد الرب و قال لهم : خذوا سفر هذه السنن^٤ و اجعلوه
 (١) في ظ : خصوصها (٢) زیدت الواو من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفي
 الأصل : الألواح (٤) في ظ : الذين (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : أحكامها .
 (٦) في ظ : السين .

في جوف تابوت عهد الله ربكم في جانب من جوانبه، ليكون هناك شاهداً، لأنني^١ قد عرفت جفاءكم وقساوة قلوبكم وما تصيرون^٢ إليه، وكيف لا يكون^٣ ذلك وقد أغضبتم الرب وأنا حي معكم؟ فن بعد موتي أخرى أن تفعلوا ذلك، فليجتمع إلى أشياخ أسباطكم وكتابكم فأتلو عليهم هذه الأقوال، ولاشهد^٤ عليهم السماء والأرض، لأنكم مفسدون^٥ من بعد وفاتي، تحيدون^٦ عن الطريق الذي أمركم به، شر شديد في آخر الأيام^٧ إذا علمتم^٨ السيئات^٩ بين يدي الرب، وأغضبتموه بأعمال أيديكم؛ وقال موسى بين يدي جماعة بني إسرائيل: أنصت أيتها السماء فأتكلم، وتسمع الأرض النطق من في^{١٠} - وقال كلاماً كثيراً في ذمهم أذكره إن شاء الله تعالى في المائدة عند "من لعنه الله وغضب عليه"، ثم^{١١} قال^{١٢}: يقول الله: أسخطوني مع الغرياء بأوثانهم، وأغضبوني حين ذبحوا للشياطين^{١٣} - ومضى يتكلم من كلام الله الذي هو من أحسن التوراة إلى أن قال: فلما أكمل موسى هذه الآيات كلها لبني إسرائيل قال لهم: أقبلوا^{١٤} بقلوبكم إلى هذه الأقوال؛ ثم قال: وكلم الرب موسى ذلك اليوم وقال:

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: إلى - كذا (٢) في ظ: تصرون (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: لا تكون (٤) في ظ: لاسهل (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: مقيدون (٦) من مد، وفي الأصل: محيدون، وفي ظ: عذرون - كذا (٧-٨) من مد، وفي الأصل: إذا علمتم، وسقط من ظ (٨) في ظ: لاسب (٩) آية ٦٠ (١٠-١١) من ظ ومد، وفي الأصل: قال ثم (١١) من مد، وفي الأصل: للشيطان، وفي ظ: الشياطين (١٢) من ظ ومد، وفي الأصل: اقبلوا.

اصعد إلى جبل العبرانيين ، هذا جبل نابو^١ الذى فى أرض مواب^٢ حبال
إيريجا ، وانظر^٣ إلى أرض كنعان التى أعطى بنى إسرائيل ميراثا - وذكر
بعد / ذاك كلاما طويلا فيها كلها^٤ لمن تأملها كثير مما هو ظاهر فى
ذلك ، بل صريح ، وفى قصة نوح وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام ما
هو صريح فى أن الإيحاء إليهما كان منجيا - كما مضى عنهما فى قصة
[إبراهيم عليه السلام فى البقرة ، و يأتى إن شاء الله تعالى فى ذكر الأخبار
فى الأعراف وفى قصة - *] نوح عليه الصلاة والسلام فى سورة هود -
والله الموفق ، وقد ابتدأ سبحانه فى هذه الآية بنوح عليه الصلاة والسلام
أول أولى العزم [و - *] أصحاب الشرائع وجودا ، وهو من أوائل^٥
الأنبياء ، وزمناه فى القدم بحيث لا يعلم مقداره على الحقيقة إلا الله تعالى ،
ثم تبنى ثنائهم فى الوجود وهو إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ثم ذكر
أولاده على ترتيبهم ، والأسباط يحتمل أن يراد بهم أولاد يعقوب عليه
الصلاة والسلام أنفسهم وقبائلهم ، ويكون المعنى حيثئذ : وأنبياء الأسباط ،
ويكون مما استعمل فى حقيقته ومجازه ، ويكون شاملا لجميع^٦ أنبياء
١٥ بنى إسرائيل ، ثم صرح ببعض من دخل منهم فى العموم فبدأهم^٧ بآخرم بعثا

(١) من التوراة ، وفى الأصل : بانوا ، وفى ظ : ، مانو ، ولا يتضح فى مد .
(٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : موات (٣) فى ظ : انظروا (٤) سقط من ظ .
(٥) زيد ما بين الحاذرين من ظ ومد (٦) فى ظ ومد : اول (٧) من ظ ومد ،
وفى الأصل : هم (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : يجمع - كذا (٩) فى
ظ : فبدأ بهم .

و هو عيسى عليه الصلاة و السلام الذى هو أحد نبى أهل الكتابين ، و ختم
 الآية بأحد^١ أصحاب الكتب منهم ، و هو جده المشهور بالنسبة إليه ، فان اليهود
 يقولون لعيسى عليه الصلاة و السلام : يا ابن داود^٢ ! لأن أمه من ذريته ،
 و ختم الآية بأول نبى أهل الكتابين موسى عليه الصلاة و السلام الذى
 آخر آجر^٣ تبنى^٤ على الإسلام ، فاتقله^٥ المتممون إلى أتباعه ، و وسط أخاه^٥
 هارون عليه الصلاة و السلام بين اثنين من أهل البلاء : أيوب و يونس ،
 و اثنين من أهل الملك - و أحدهم^٦ صاحب كتاب - و هما سليمان و داود ؛
 و كل ذلك إشارة إلى أنه لا فرق فى كيفية الإيجاء مجوما إلى الأنبياء بين
 متقدمهم و متأخرهم ، سواء كان من نبى إسرائيل أو من غيرهم ، و سواء
 منهم من أوتى الملك و من لم يؤته ، و من آتى^٧ بكتاب و من لم يأت^٨ ؛
 و من لطائف هذا الترتيب أن المخصوصين بالذكر فى الآية الأولى بعد
 دخولهم فى العموم أحد عشر أسماء . الأسباط أحدها ، و المشهور بالكتب
 و الصحف منهم ثلاثة : إبراهيم و عيسى و داود ، و قد وقع كل منهم
 سادسا لصاحبه ، و هو العدد الذى كان فيه الخلق ، فلعل ذلك إشارة
 إلى أن الله لا يجب العجلة ، فكما أنه لم يعجل فى إنشاء الخلق ، فكذلك^٩ ١٥

- (١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بحسب - كذا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 اذم (٣ - ٤) من ظ ، و فى الأصل : به تبنى ، و فى مد : آخر تبنى - كذا .
 (٥) من ظ ، و فى الأصل : وانظر ، و لا يتضح فى مد (٥) فى ظ : آخرهم .
 (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : هم (٧) فى ظ : اوتى (٨) فى ظ : القد .
 (٩) فى ظ : فلذلك .

لم يجعل بانزال الكتب التي بها قوامهم^١ وبقاؤهم دفعة، بل أنزلها منجمة تبعا لمصالحهم وتهيئا لدعائهم، ومن لطائفه أنه تعالى بدأ المذكورين، وختمهم باثنين من أولى العزم اشتركا في أن كلا منهما أهلك من عانده كنفس واحدة بالإغراء، ترضيا لهؤلاء الملبيين على أهل الإسلام بالباطل المدعين^٢ أنهم أتباع، ووسط بينهم وبين بقية المسمين^٣ عموم النيين والمرسلين، ولعله آخر الرسل ليفهم^٤ أن كل من عطفوا عليه مرسل، ولأن رتبة النبوة قبل رتبة الرسالة، بمعنى أنها أعم منها.

ولما سرد^٥ أسماء من دخل في العموم بدأهم بأشرفهم ثم بالأقرب إلى هذا النبي الكريم فالأقرب من المرتبين^٦ على حسب ترتيب الوجود، إشارة إلى أنه سن به في الوحي سنة آباءه^٧ وإخوانهم وذرياتهم - والله أعلم.

ولما كان معظم رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم بشارة ونذارة، قال ميّنا أنهم مثله في ذلك كما كانوا قبله في الوحي، لأن المقصود من الإرسال لجميع الرسل جمع الخلق بالبشارة والنذارة: (رسلا) أى جعلناهم رسلا، ويجوز أن يكون بدلا من "رسلا" الماضي، وأن يكون ١٥ حالا، حال كونهم (مبشرين ومنذرين) ثم علل ذلك بقوله: (لئلا يكون) أى ليتنبأ^٨ أن يوجد (للناس) أى نوع من فيه قوة النوس^٩.

(١) في ظ: اقوالهم (٢) في ظ: المدعين (٣) في ظ: الملبيين (٤-٤) من ظ ومد، وفي الأصل: انه كلا (٥) من مد، وفي الأصل وظ: سره (٦) من مد، وفي الأصل: المرسلين، وفي ظ: المرتبين - كذا (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: آبايهم (٨) في ظ: لينبئ (٩) من مد، وفي الأصل وظ: البوس.

و لما كانت الحجة قد تطلق على مطلق العذر^١ و لو كان مردودا،
عبر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿على الله حجة﴾ أى واجبة القبول على
الملك الذى اختص / بجميع صفات الكمال فى أن لا يعذب عصاتهم؛ ٥٥٦/
و لما كان المراد استغراق النفي لجميع الزمان المتعقب للارسال أسقط
الجار^٢ فقال: ﴿بعد﴾ أى اتقى ذلك انتفاء مستغرقا لجميع الزمان الذى ٥
يوجد بعد إرسال ﴿الرسول﴾ و تبليغهم للناس، و ذلك على^٣ أن وجوب^٤
معرفة تعالى إنما يثبت^٥ بالسمع، و أما نفس المعرفة و النظر و التوحيد
فطريقها العقل، * فالمعرفة متلقاة* من العقل، و الوجوب^٦ متلقى^٧ من
الشرع و النقل .

و لما كان ذلك ربما أوهم أنه ربما امتنع عليه قبل ذلك سبحانه^٨ ١٠
أخذ بحجة أو غيرها، قال مزبلا لذلك: ﴿وكان الله﴾ أى المستجمع
لصفات العظمة ﴿عزيزا﴾ أى يغلب كل شئ و لا يغلبه شئ، فهو
قادر على ما طلبوه، و لكنّه لا يجب عليه^٩ [شئ - ١٠]، لانه على سبيل
اللجاج و هم^{١١} غير معجزين ﴿حكيما﴾ أى يضع الأشياء فى أتنق
مواضعها، فلذلك رتب أمورا لا يكون^{١٢} معها لاحد حجة^{١٣} و من حكمته ١٥
أنه لا يجب المتعنت .

(١) فى ظ: القدر (٢) من مد، وفى الأصل وظ: البخارة (٣-٢) من ظ ومد،
وفى الأصل: الوجوب (٤) من مد، وفى الأصل: تثبت، وفى ظ: نثبت .
(٥-٥) فى ظ: بالمعرفة ملقاء (٦) من مد، وفى الأصل وظ: الوجود (٧) فى
ظ: يتلقى (٨) زيد فى ظ: أنه (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: اليه (١٠) زيد
من ظ ومد (١١) فى ظ: هو (١٢-١٣) فى ظ: لاحد معها .

ولما لم يبق سبحانه لهم شبهة، واستمروا على عنادهم، أشار تعالى
إلى ما تقديره: إنهم لا يشهدون لك^١ عند اتضاح الأمر، فقال: (لكن)
أي ومع ما قام من البراهين على صدقك وكون كتابك من عند الله
فهم لا يشهدون بذلك^٢ [لكن - ٣] (الله) أي الذي له الأمر كله
٥ فلا كفوه له (يشهد) أي لك (بما أنزل إليك) أي من^٣ هذا
الكتاب المعجز الذي قد أخرس الفصحاء وأبكم البلغاء، وفيه هذه
الأحكام الصادقة لما عندهم وهم يريدون الإضلال عنها، فشهادته^٤ يلاغته
وحكمته بصدق الآتي به هي شهادة الله لأنه قائله، ولذلك علل بقوله:
(أنزله بعلمه ٤) أي علما بأنزاله على الوجه المعجز مع كثرة المعارض
١٠ فلم يقدر [أحد ولا يقدر - ٥] على إحداث شيء فيه من تغيير^٥
ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان ولا معارضة (والمشكك) أيضا
(يشهدون^٦) بذلك لأنهم كانوا^٦ حضورا لإنزاله^٦ وأمناء على من
كان منهم على يده لتبليغه^٦ - كما قال تعالى "فانه يسلك من بين يديه
ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلقوا رسالت ربهم^٧" وهذا خطاب
١٥ للعباد على حسب ما يعرفون .

(١) في ظ: ذلك (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) زيد من مد (٤) سقط
من ظ (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: لشهادته (٦) زيد من ظ ومد (٧) في
ظ: منغير (٨-٨) في ظ: حضور كذلك (٩) من ظ ومد، وفي الأصل:
لتبليغه (١٠) سورة ٧٢ آية ٢٧ و ٢٨ .

و لما كان ربما أفهم نقصاناه بقوله: ﴿ و كفى بالله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ شهداءه ﴾ أى و كفى بشهادته فى ذلك شهادة عن شهادة غيره، وذلك لأنه أنزله سبحانه شاهدا بشهادته ناطقا بها لإعجازه بنظمه وبما فيه من علمه من الحكم والاحكام وموافقة كتب أهل الكتاب، فشهادته بذلك هى شهادة الله، وهى لعمري لا تحتاج إلى شهادة أحد غيره .

و لما بين سبحانه أنه أقام الأدلة على صحته بالمعجزات، فصار كأنه شهد بحقيقته، كان أنفع الأشياء اتباع ذلك بوصف من جحدته فى نفسه وصد عنه غيره زجرا عن مثل حاله وتقيحا لما أبدى من ضلاله فقال: ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما عندهم من العلم بصدقه بما دل عليه من شاهد العقل وقاطع النقل، من اليهود وغيرهم ﴿ وصدوا عن سبيل الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا أمر لاحد معه بأنفسهم وباضلال غيرهم بما يلقونه من الشبه من مثل هذه وقولهم كذبا: إن فى التوراة أن شريعة موسى عليه الصلاة والسلام لا تنسخ، وقولهم: إن الأنبياء لا يكونون إلا من أبناء هارون وداود عليهما الصلاة والسلام ١٥ ﴿ قد ضلوا ﴾ أى عن الطريق الموصل إلى مقصودهم فى حسده ومنع

(١) من مد، وفى الأصل وظ: بشهادة (٢) فى ظ: ما (٣) فى ظ: بشهادته .
(٤) من ظ ومد، وفى الأصل: عن (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: جحد .
(٦-٧) من ظ ومد، وفى الأصل: شاهد من (٧-٧) فى ظ: لا امر (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: تلقونه .

ما يراد من إعلائته ﴿ضللاً بعيداً﴾ أي لأن أشد الناس ضلالاً مبطل
يعتقد أنه محق، ثم يحمل غيره على مثل باطله، فصاروا بحيث لا يرجي
لهم الرجوع إلى الطريق النافع، لا سيما إن ضم^١ إلى ذلك الحسد، لأن
داء الحسد أدوأ داء؛ ثم علل إغراقهم في الضلال باضلاله لهم^٢ لتأديهم
٥ فيما تدعو إليه نقيصة النفس من الظلم بقوله وعيدا لهم: ﴿ان الذين
كفروا﴾ أي ستروا ما عندهم من نور العقل ﴿وظلموا﴾ أي فعلوا
الحسد^٣ فعل الماشي في الظلام باعراضهم وإضلالهم غيرهم ﴿لم يكن الله﴾
/ ٥٥٧
أي بجلاله ﴿ليغفر لهم﴾ أي لظلمهم ﴿ولا يهديهم طريقاً﴾ أي
لتضييعهم ما آتاهم من نور العقل و منابذتهم؛ [ثم -^٤] تهكم بهم بقوله:
١٠ ﴿الاطريق جهنم﴾ أي بما تجهموا من^٥ ظلمة^٦.

ولما كان المعنى: فانه يسكنهم^٧ إياها، قال: ﴿تخلدين فيها﴾ أي
لأن الله لا يغفر^٨ الشرك، وأكد ذلك بقوله: ﴿ابداً﴾^٩ ولما كان
ذلك مع ما لهم من العقول أمراً عجيباً قال تعالى: ﴿وكان ذلك﴾
أي الأمر العظيم من كفرهم وضلالهم وعذابهم ﴿على الله يسيراً﴾
١٥ [أي -^{١٠}] لأنه قادر على كل شيء.

ولما وضع بالحجاج معهم الحق، واستبان بمحو شبههم كلها من^{١١}
وجوه كثيرة الرشد، وأوضح فساد طرقهم، وأبلغ في وعيدهم؛ أنتج

- (١) في ظ: حكم (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: بحسدهم (٤) زيد من ظ و مد .
(٥) من ظ و مد، وفي الأصل: بمن (٦) في ظ: ظلموا (٧) في ظ: يستلهم .
(٨) من ظ و مد، وفي الأصل: لا يفرك (٩) زيد من ظ .

ذلك صدق الرسول و حقيقة ما يقول، فأذعنت النفوس، فكان
أنسب الأشياء أن عمم^١ سبحانه في الخطاب لما وجب من اتباعه على
وجه العموم عند بيان السيل و نهوض الدليل، فقال مرغبا [مرها-]:
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أى كافة (قد جاءكم الرسول) أى الكامل فى
الرسالة^٢ الذى كان ينتظره أهل الكتاب لرفع الارتباب^٣ ملتبسا^٤
(بالحق) أى الذى يطابقه^٥ الواقع، و ستنظرون الوقائع فتطبقونها على
ما سبق فيها من الأخبار، كائنا ذلك الحق (من ربكم) أى المحسن
إليكم، فإن اتبعتم رسوله قبلتم إحسانه، فتمت نعمته عليكم، ولهذا
سبب عن ذلك قوله: (فأمنوا) .

- و لما كان التقدير بما أرشد إليه السياق توعدا لهم: إن تؤمنوا ١٠
يكن الإيمان (خيرا لكم^٦)، عطف عليه قوله: (وإن تكفروا)
أى تستمروا على كفرانكم، أو تجددوا كفرا، يكن الكفران شرا لكم،
أى خاصا ذلك الشر^٧ بكم، ولا يضره من ذلك شيء، ولا ينقصه من
ملكه شيئا، كما أن الإيمان لم ينفعه شيئا ولا زاد فى ملكه شيئا، لأن
له الغنى المطلق، وهذا معنى قوله: (فإن لله) أى الكامل العظمة ١٥
(ما فى السموات و الأرض^٨) فانه من إقامة العلة مقام المعلول،
ولم يؤكد بتكرير "ما" وإن كان الخطاب مع المضطرين^٩، لأن
(١) فى الأصول: عم (٢) زيد من ظ ومد (٣) فى ظ: الرسالة (٤) من ظ ومد،
وفى الأصل: الارتباط (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: لا يطابقه (٦) من ظ
ومد، وفى الأصل: الشيخ (٧) فى ظ: المضطرين .

قيام الأدلة أوصل 'إلى حد' من الوضوح 'بشهادة الله [ما - ٢]
لا مزيد عليه، فصار المدلول به 'كالمحسوس'.

و لما كان التقدير: فهو 'غنى عنكم، و [له - ٦] عبيد غيركم لا يعصونه،
و هو قادر على تعذيبكم باسقاط ما أراد من السماء، و خسف ما أراد
من الارض و غير ذلك، و كان تنعيم المؤلف و تعذيب المخالف و تلقى
النصيحة بالقبول دائرا على العلم و على الحكمة التي هي نتيجة العلم و القدرة
قال: (و كان الله) أى [الذى - ١] له الاختصاص التام بجميع
صفات الكمال أزلا و أبدا مع أن له جميع الملك (عليما) أى فلا يسع
ذالِب أن يعدل عما أخبر به من أن أمر هذا الرسول حق إذ
١٠ هو 'لم يخبر به إلا عن تمام العلم، و لا يخفى عليه عاص و لامطيع'
(حكيماء) فلا ينبغي لعاقل أن يضيع شيئا من أوامره لأنه لم يضعها
إلا على كمال الإحكام، فهو جدير بأن يحل "بمخالفته" أى انتقام"،
و يثيب" من أطاعه بكل إنعام.

و لما اقتضى السياق الأكل فيما سبق إتمام أمر عيسى عليه الصلاة

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) في ظ: الوضوع (٣) زيد كي تستقيم
العبارة (٤) سقط من ظ (٥) في ظ: وهو (٦) زيد من ظ و مد (٧) من
ظ و مد، وفي الأصل: لا يعصون (٨) من مد، وفي الأصل و ظ: اذا.
(٩) من ظ و مد، وفي الأصل: لا يطيع (١٠) زيد بعده في ظ: اى (١١) من مد،
وفي الأصل: بمخالفته، وفي ظ: لمخالفة (١٢) من ظ و مد، وفي الأصل:
الانتقام (١٣) من مد، وفي الأصل: يثيب، وفي ظ: تتيب.

والسلام إذ كان الكلام في بيان عظيم جرأتهم وجفاهم، وكان ما فعلوا معه أدل دليل على ذلك، وكان كل من أعدائه وأحبابه قد ضل في أمره، وغلا في شأنه اليهود بخفضه، والنصارى برفعه؛ اقتضى قانون العلم والحكمة المشار إليهما بختام الآية السالفة بيان ما هو الحق من شأنه ودعاه الفريقين [إليه - ٢] فقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [أى - ٢] عامة هـ
 ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ أى لا تفرطوا في أمره، فتجاوزوا بسببه حدود الشرع وقوانين العقل ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له شيئا من القول ﴿إِلَّا الْحَقُّ﴾ أى الذى يطابقه الواقع، فن قال عن عيسى عليه الصلاة والسلام أنه لغير رشدة، فقد أغرق في الباطل، فانه لو كان كذلك ما رقت أمه للدوام على الطاعات، ولا ظهرت ١٠ عليها عجائب الكرامات، ولا تكلم هو في المهد، ولا ظهرت على لسانه / ينابيع الحكمة، ولا قدر على إحياء الموتى، وذلك متضمن لأن الله تعالى العليم الحكيم أظهر المعجزات على يد من لا يحبه، وذلك مناف للحكمة، فهو كذب على الله بعيد عن تنزيهه، ومن قال: إنه الله أو ابن الله، فهو أبطل وأبطل، فانه لو كان كذلك لما كان حادثا ولما احتاج إلى الطعام ١٥ والشراب وما ينشأ عنها، ولا قدر أحد على أذاه ولشبت الحاجة إلى الصاحبة للإلّة، فلم يصلح الإلهية، وذلك أبطل الباطل.

ولما ادعى اليهود أنه غير رسول، والنصارى أنه إله، حسن تعقيبه بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ﴾ أى المبارك الذى هو أهل لأن يمسخه الإمام

(١) في ظ: كانوا (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: : اعظم (٥) من ظ ومد؛ وفي الأصل: يمحه.

بدهن القدس ، لما فيه من صلاحية الإمامة ، وهو أهل [أيضا - ١] لأن
 يمسح الناس ويطهرهم . لما له من الكرامة ؛ ولما ابتدأ سبحانه بوصفه
 الأشهر ، و كان [قد - ١] يوصف به غيره بينه بقوله : ﴿ عيسى ﴾ ثم
 أخبر عنه بقوله : ﴿ ابن مريم ﴾ اتصل بها اتصال^٢ الأولاد بأمهاتهم ،
 ٥ لا يصح نسبته للنبوته^٣ إلى غيرها ، وليس هو الله ولا ابن الله - كما زعم
 النصارى ﴿ رسول الله ﴾ لا أنه لغير رشفة - كما كذب^٤ اليهود .

ولما كان تكوّن^٥ بكلمة الله من غير واسطة ذكر ، جعل نفس^٦ الكلمة
 فقال : ﴿ وكلته ج ﴾ لأنه كان بها من غير تسبب عن أب بل ، كونا خارقا
 للعوائد ﴿ القهأ ﴾ أى أوصلها على [علو - ١] أمره وعظيم قدرته إيصالا
 ١٠ سريعا ﴿ الى مريم ﴾ وحصلها^٧ فيها ، وزاده^٨ تشريفا بقوله : ﴿ وروح ﴾
 أى عظيمة نفخها فيما تكوّن^٩ في مريم من الجسد الذى قام بالكلمة ،
 لا بمادة من ذكر ، والروح هو^{١٠} النفخ في لسان العرب ، وهو كالريح^{١١}
 إلا أنه أقوى ، بماله من الواو والحركة المجانسة لها ، ولغلبة الروح عليه كان
 يجي الموتى إذا أراد ، وأكمل شرفه بقوله : ﴿ منه ذ ﴾ أى " وإن كان
 ١٥ جبرئيل هو النافخ ، وإذا وصف شيء بغاية الطهارة قيل^{١٢} : روح ، لا سيما
 إن كان به حياة في دين أو بدن .

(١) زيد من ظ و مد (٢) في ظ : اتصالا (٣) في ظ : بالنبوته (٤) في ظ و مد :
 كذبت (٥) زيد بعده في ظ : كل (٦) في ظ : حصل (٧) في ظ : ازده -
 كذا (٨) في ظ : يكون (٩) من ظ و مد ، وفي الأصل « و » (١٠) في ظ :
 كالقريح (١١) سقط من ظ (١٢) في ظ : نفل - كذا .

و لما أفصح بهذا الحق سبب عنه قوله : ﴿ فآمنوا بالله ﴾ أى الذى لا يعجزه شيء ، و لا يحتاج إلى شيء ﴿ و رسله ﴾ أى عيسى عليه الصلاة و السلام و غيره عادة ، من غير إفراط و لا تفريط ، و لا تؤمنوا ببعض و لا تكفروا ببعض ، فان ذلك حقا هو الكفر الكامل - كما مر .

و لما أمرهم بأبواب الحق [نهام - ١] عن التلبس بالباطل فقال : ه ﴿ و لا تقولوا ﴾ أى فى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿ ثلاثة ١ ﴾ أى استمروا أيها اليهود على التكذيب بما يقول فيه النصارى ، و لا تقولوا : إنه متولد من أب و أم لغير رشدة - المقتضى للتثليث ، و ارجعوا أيها النصارى عن التثليث الذى تريدون به أن الإله بثلاثة وإن ضمتم إليه أنه إله واحد ، لأن ذلك بديهي البطلان ، فالخاصل أنه نهى كلا ١٠ عن التثليث و إن كان المرادان به محتلّفين ، و إنما العدل فيه أنه ابن مريم ، فهما اثنان لا غير ، و هو عبد الله و رسوله و كلمته و روح منه .

و لما نهام عن ذلك بصيغة النهى صرح به فى مادته مرغبا [مرها - ١] فى صيغة الأمر بقوله : ﴿ اتهاوا ﴾ أى عن التثليث الذى نسبتموه ١١ إلى الله بسببه ، و عن كل كفر ، و قد أرشد سياق التهديد إلى أن التقدير : ١٥ إن تتهاوا يكن الانتهاء ﴿ خيرا ١ لكم ١ ﴾ .

و لما نفى أن يكون هو الله ١٢ ، كما تضمن قولهم ، حصر القول فيه سبحانه فى ضد ذلك ، كما فعل فى عيسى عليه الصلاة و السلام فقال :

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لا يقولوا (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : ضمهم (٥) فى ظ : نهيتهم (٦) فى ظ : خير (٧) زيدت الواو بعده فى ظ .

نظم الدرر (سورة النساء ٤: ١٧١ و ١٧٢) ج - ٥

﴿انما الله﴾ أى الذى له الكمال كله؛ ولما كان النزاع إنما هو فى
الوحدانية من حيث الإلهية، لا من حيث الذات قال: ﴿اله واحد﴾
أى لا تعدد فيه بوجه.

ولما كان المقام عظيماً زاد فى تقريره، فزعمه عما قالوه فقال:
﴿سبحته﴾ أى تنزهه و"بعد بعداً" عظيماً وعلا علواً كبيراً" ﴿ان﴾
أى عن أن ﴿يكون؛ له ولده﴾ أى كما قلتم أيها النصارى! فان ذلك
يقتضى الحاجة، و يقتضى التركيب و المجانسة، فلا يكون واحداً؛ ثم
علل ذلك بقوله: ﴿له﴾ أى لأنه إله واحد لا شريك له [له - ٦]
﴿ما فى السموات﴾ / وأكد لأن المقام له فقال: ﴿وما فى الارض﴾

٥٥٩

١٠. أى خلقاً ومِلْكاً [وَمُلْكاً - ٦]، فلا يتصور أن يحتاج إلى شيء منهما
ولا إلى شيء متخيز فيهما، ولا يصح بوجه أن يكون بعض ما يملكه
المالك جزءاً منه وولداً له، و عيسى وأمه عليهما الصلاة والسلام
من ذلك، و كل منهما محتاج إلى ما فى الوجود.

ولما كان معنى ذلك أنه الذى دبرهما، وما فيهما، لأن الأرض
١٥ فى السماء، و كل سماء فى التى فوقها، و السابعة فى الكرسي، و الكرسي فى
العرش، و هو ذو العرش العظيم لا نزاع فى ذلك، و ذلك هو وظيفة الوكيل

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: متزعة - كذا (٢-٣) من مد، وفى الأصل:
بعده فدا، وفى ظ: بعده حدا - كذا - (٣) من مد، وفى الأصل وظ: كثيراً.
(٤) تقدم فى الأصل على «أى عن» والترتيب من ظ ومد (٥) من ظ ومد، وفى
الأصل: تقتضى (٦) زيد من مد (٧) زيد بعده فى ظ: الى (٨) فى ظ: دبر ما.

بالحقيقة

١ 'بالحقيقة ليكني' من وكله كل^٢ ما بهممه؛ كان^٣ كأنه قيل :
 وهو الوكيل فيهما وفي كل ما فيهما في^٤ تدبير مصالحهم ، فبنى عليه قوله :
 ﴿وكفى بالله﴾ أي الذي أحاط بكل شيء علما وقدره ﴿وكيلا﴾
 أي يحتاج إليه كل شيء ، ولا يحتاج هو^٥ إلى شيء ، وإلا لما كان كافيا .
 ولما كان الوكيل من يقوم مقام الموكل ، ويفعل ما يعجز عنه ٥
 الموكل ، وكان الله تعالى لا يعجزه شيء ، ولا يحتاج إلى شيء ، وكان
 عيسى عليه الصلاة والسلام لا يدعى القدرة على شيء إلا بالله ، وكان
 يحتاج إلى النوم وإلى الأكل والشرب وإلى ما يستلزمه ، صح أنه
 عبد الله فقال سبحانه دالا على ذلك : ﴿لن يستكبر﴾ أي يطلب ويريد
 أن يمتنع ويأبى^٦ ويستحيي^٧ ويأنف ويستكبر ﴿المسيح﴾ أي الذي ١٠
 [ادعوا - ٧] فيه الإلهية ، وأنفوا له من العبودية لكونه خلق من
 غير ذكر ، ولكونه أيضا يخبر ببعض^٨ المغيبات ، ويحيي بعض الأموات ،
 و يأتي بخوارق العادات ﴿ان﴾ أي من أن ﴿يكون عبدا لله﴾ أي الملك
 الأعظم الذي عيسى عليه الصلاة والسلام من جملة مخلوقاته ، فانه من
 جنس البشر في الجملة وإن كان خلقه خارقا لعادة البشر ﴿ولا المشكك﴾ ١٥
 أي الذين^٩ هم أعجب خلقا [منه في كونهم ليسوا من ذكر ولا أنثى

(١-١) في ظ : الحقيقة لتكني (٢) سقط من ظ (٣) من مد ، وفي الأصل و ظ :
 من (٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : يأتي (٦) في مد :
 يتنحى (٧) زيد ما بين الحازرين من ظ و مد (٨) في ظ : بعض (٩) من
 ظ و مد ، وفي الأصل : الذي .

و لا ما يجانس عنصر البشر، فكانوا لذلك أعجب خلقاً - ١ [من آدم عليه الصلاة والسلام أيضاً، وهم لا يستكفون بذلك عن أن يكونوا عباد الله . ولما كان التقريب مقتضياً في الأغلب للاستحقاق ، و كان صفة عامة للملائكة ٢ قال : ﴿ المقربون ٣ ﴾ أى الذين هم فى حضرة القدس ٤ ، فهم أجدر بعلم المغيبات و إظهار الكرامات ، و جبرئيل الذى هو أحدهم كان سبباً فى حياة عيسى عليه الصلاة والسلام ، و قد ادعى بعض الناس فيهم الإلهية أيضاً، و بهذا طاح استدلال المعتزلة بهذه الآية على أفضلية الملك على البشر بأن العادة فى مثل هذا السياق ٥ الترقى من الأدنى إلى الأعلى بعد تسليم مدعاهم ، لكن فى الخلق لا فى المخلوق .

١٠ ولما أخبر تعالى عن خلص عباده بالتشرف بعبوديته أخبر عن أبى ذلك ، فقال مهدداً مخذراً موعداً : ﴿ ومن يستكف ﴾ أى من الموجودات كلهم ﴿ عن عبادته ﴾ و لما كان الاستنكاف قد يكون بمعنى ٦ مجرد الامتناع لا كبراً ، قال مينا للمراد من معناه هنا : ﴿ و يستكبر ﴾ أى يطلب الكبر عن ذلك و يوجد ٧ ، لأن مجرد الامتناع لا يستلزمه . ١٥ و لما كان الحشر عاماً للمستكبر و غيره كان الضمير فى ﴿ فسيحشرهم ﴾ عائداً على العباد المشار إليهم بعبداً و عبادته ٨ ، و لا يستحسن ٩ عوده على « من » ، لأن التفصيل بأبابه ، و التقدير حيثئذ : فسيذلمهم لأنه سيحشر العباد

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الملائكة (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد لحذفها (٥) فى ظ : لعنى (٦) فى ظ : توجد (٧) من ظ ، و فى الأصل و مد : عبادة (٨) فى ظ : لا تحسن .

﴿إليه جميعاً﴾ أى المستكبرين و غيرهم بوعده لا خلف فيه لأن الكل يموتون، ومن مات كان مخلوقاً محدثاً قطعاً، ومن كان مقدوراً على ابتدائه وإفائه كانت القدرة على إعادته أولى، والحشر: الجمع بكرة .
ولما 'عم بالحشر' المستكبرين و غيرهم جاء التفصيل إلى القسمين فقال: ﴿فاما الذين آمنوا﴾ أى أذعنوا لله تعالى و خضعوا له ﴿و عملوا الصالحات﴾ تصديقاً لإقرارهم بالإيمان ﴿فيوفيهم اجرهم﴾ أى التى جرت العادات بينكم أن يُعطوها و إن كانوا فى الحقيقة لا يستحقونها، لأن الله تعالى هو الذى وفقهم لها، [فهى - ٢] فضل منه عليهم ﴿ويزيدهم﴾ أى بعد ما قضيت به العادات ﴿من فضله﴾ أى شيئاً لا يدخل تحت الحصر لأنه ذو الفضل العظيم ﴿واما الذين استنكفوا ١٠ / و استكبروا﴾ أى طلبوا كلا من الإباء و الكبر ﴿فيعذبهم عذاباً اليماً﴾ أى بما وجدوا من لذة الترفع و الكبر، وآلموا بذلك أولياء الله ﴿ولا يمدون لهم﴾ أى حالاً ولا مآلاً ﴿من دون الله﴾ الذى لا أمر لاحد معه ﴿ولياً﴾ أى قريباً يصنع معهم ما يصنع القريب ﴿ولا نصيراً﴾ أى و إن كان بعيداً، وفى هذا آثم زاجر عما ١٥ قصده المنافقون من موالة أهل الكتاب، وأعظم نافي لما منوهم إياه عما لهم ٢ [و - ٨] زعموا من المنزلة عند الله، المقتضية لأن يقربوا

(١-١) فى ظ: اعم بالخبر (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: العادة (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: الترافع (٥) من مد، وفى الأصل وظ: زاجراً (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: يمنوهم (٧) فى ظ: لم (٨) زيدت الواو كي تستقيم العبارة .

من شاؤا، ويعدوا من شاؤا، وهو من أنسب الأشياء لحتام أول الآيات
 المحذرة منهم ” ‘و كفى بالله وليا’ و كفى بالله نصيرا“ .
 ولما أراح شبه جميع المخالفين من سائر الفرق: اليهود و النصارى
 و المنافقين^٢، و أقام الحجة عليهم^٣، و أقام الأدلة القاطعة على حشر^٤ جميع
 المخلوقات، فثبت أنهم كلهم عبيده؛ عمّ في الإرشاد اطقا منه بهم فقال:
 ﴿يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ﴾ أى^٥ كافة أهل الكتاب وغيرهم .

ولما كان السامع جديرا بأن يكون قد شرح صدرا بقواطع^٦
 الأدلة بكلام وجيز جامع قال: ﴿قد جاءكم برهان﴾ أى حجة نيرة
 واضحة مفيدة لليقين التام، وهو رسول مؤيد بالأدلة القاطعة من المعجزات
 ١٠ و غيرها ﴿من ربكم﴾ أى المحسن إليكم بارساله^٧ الذى لم تروا قط إحسانا
 إلا منه .

و [لا - ٢] كان القرآن صفة الرحمن^٨ أى بمظهر العظمة فقال:
 ﴿وانزلنا﴾ أى بما لنا من العظمة والقدرة والعلم والحكمة على الرسول
 الموصوف، متبها ﴿اليكم نورا ميناها﴾ أى واضحا فى نفسه موضحا لغيره ،
 ١٥ وهو هذا القرآن الجامع بالمجازه وحسن بيانه بين تحقيق النقل و تبصير
 العقل، فلم يبق لأحد من المدعويين به نوع عذر، والحاصل أنه سبحانه
 لما خلق^٩ للآدمى عقلا^٩ وأسكنه نورا لا يضل ولا يميل مهما جرد ،

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: المنافقون.
 (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: خير (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: فقواطع .
 (٦) فى ظ: بإحسان (٧) زيد من ظ ومد (٨) من ظ ومد، وفى الأصل:
 الرحمة (٩ - ٩) من ظ ومد، وفى الأصل: الادى عقل .

ولكنه

ولكنه سبحانه حقّه بالشهوات و الحظوظ و الملل و الفتور ، فكان في أغلب أحواله قاصرا إلا الانبياء عليهم الصلاة و السلام و من الحقّه سبحانه بهم ؛ أنزل كتبه بذلك العقل مجردا عن كل عائق ، و أمرهم أن يجعلوا عقولهم تابعة [له - ١] منقادة به ، لأنها مشوبة^٢ ، و هو مجرد لا شوب فيه بوجه .

و لما أشار في هذه الآية إلى الرسول الأصنى و النبي الأهدى ، المجبول على هذا العقل الاقوم الاجلى ، و الكتاب الاثم الاوفى ، الجارى على هذا القانون الاعلى ، الوافى تعبيره الوجيز بأحكام الاولى و الاخرى ، الكفيل سياقه و ترتيب آياته بوضوح الادلة و ظهور^٣ الحجج ؛ أخذ يقسم^٤ المنذرين فقال تعالى : ﴿ فاما الذين امنوا بالله ﴾ أى الذى اتضح ١٠ أنه " لا أمر " لاحد معه فى ذاته و صفاته و أفعاله و أحكامه و أسمائه بما دل عليه قاطع البرهان ﴿ و اعتصموا به ﴾ أى جعلوه عصاما لهم فى الفرائض التى هى من- أعظم مقاصد هذه السورة ، يربطهم^٥ و يضبطهم عن أن يضلوا بعد الهدى ، و يرجعوا من الاستبصار إلى العمى ، لأن العصام هو الرابط للوعاء أن يخرج شئ بما فيه ، و صيغة الاقتعال تدل ١٥ على الاجتهاد فى ذلك ، لأن النفس داعية إلى الإهمال المنتج للضلال ﴿ فسيذخلهم ﴾ أى بوعده لا خلف فيه ، و لعل السين ذكرت^٦ لتفيد^٧

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : متوبة (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : ظهر (٤) فى ظ : تقسيم (٥-هـ) فى ظ : لا من (٦) فى ظ : يربطهم (٧) من ظ ، وفى الأصل و مد : ذكر (٨) فى ظ : مفيدا .

مع تحقيق الوعد الحثّ على المثابرة والمداومة على العمل إشارة إلى
 عزة ما عنده سبحانه ﴿ في رحمة منه ﴾ أى ثواب عظيم هو برحمته لهم،
 لا بشيء استوجبه، وأشار إلى البر على ما تقتضيه أعمالهم لو كانت
 لهم بقوله: ﴿ وفضل ﴾ أى عظيم يعلون أنه زيادة، لا سبب لهم
 فيها ﴿ ويهديهم ﴾ أى فى الدنيا والآخرة ﴿ إليه صراطا ﴾^٢ أى عظيما
 واضحا جدا^٣ ﴿ مستقيما ﴾^٤ أى هو مرشد قومه، كأنه طالب لتقويم
 نفسه، فهو يوصلهم لا محالة إلى وعده بما يحفظهم فى سرهم وعلنهم،
 يستجلى أنوار عالم القدس فى أرواحهم و توفيقهم لاتباع^٥ ما هدت
 إليه من أمر الفرائض وغيرها، فقد أتى - كما ترى - بأما المقتضية^٦
 ١٠ / ٥٦١ للتقسيم لا محالة، و أتى / بأحد القسمين المذكورين فى الآية التى قبلها،
 و وصفهم بالاعتصام بالله فى النصرة وقبول جميع أحكامه فى الفرائض
 وغيرها، وافقت أهويتهم أو خالفتها^٧، تعرضنا بالمنافقين الذين
^٢ والوا غيرهم^٢، وبالكافرين الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض، وترك
 القسم الآخر وهو قسم المستنكفين والمستكبرين، ووضع موضعه حكما
 ١٥ من أحكام الفرائض المفتتح بها السورة^٨ التى هى من أعظم مقاصدها من
 غير حرف عطف، بل بكمال الاتصال، فقال منكرا عليهم تكرير السؤال

(١) فى ظ: يقتضيه (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: تعلون (٣ - ٢) سقط
 ما بين الرقين من ظ (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: لانه (٥) من ظ وإمد،
 وفى الأصل: الاتباع (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: خالفها - كذا (٨) من مد،
 وفى الأصل و ظ: الصورة - كذا .

عن النساء و الأطفال بعد شافى المقال ، مينا أنه قد هدى فى ذلك كله
أقوم طريق : (يستفتونك) أى يسألونك أن تفتيهم ، أى أن تبين لهم
بما عندك من الكرم و الجود و السخاء ما انغلق عليهم أمره و انهم
لديهم سره من حكم الكلالة ، و للاعتناء بأمر المواريث قال إشارة إلى
أن الله لم يكل أمرها إلى غيره : (قل الله) أى الملك الأعظم
(يفتيكم فى الكلالة) و هو من لا ولد له و لا والد ؛ روى البخارى فى
التفسير عن البراء رضى الله عنه قال : آخر سورة نزلت براءة و آخر آية
نزلت " يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة " ؛ و قال الأصهبانى عن الشعبي :
اختلف أبو بكر و عمر رضى الله عنهما فى الكلالة ، فقال أبو بكر : هو ما عدا
الوالد ، و قال عمر : ما عدا الوالد و الولد ، ثم قال عمر : إني لأستحي ١٠
من الله أن أخالف أبا بكر رضى الله عنه ؛ ثم استأنف قوله : (ان
امرؤا هلك) أى و هو موصوف بأنه ، أو حال كونه (ليس له
ولد) أى و إن سفل سواء كان ذكرا أو أنثى عند إرث النصف ،
و ليس له أيضا والد ، فان كان له أحدهما لم يسم كلالة و قد
بينت ذلك السنة ؛ قال الأصهبانى : و ليس بأول حكيم بُيِّن أحدهما ١٥
بالكتاب و الآخر بالسنة ، و هو قوله عليه الصلاة و السلام : ألحقوا
الفرائض بأهلها فما بقى فلاولى عصة ذكر ، و الأب أولى من الأخ ،
(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : ما (٣) كذا ، و لا يطرد الاتفعال من هذه المادة .
(٤) فى ظ : فى (٥ - ٥) سقط ما بين الرقین من مد (٦ - ٦) من ظ و مد ،
و فى الأصل : والد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : خالف .

(و) الحال أنه^١ (لأخت) أى واحدة من أب^٢ شقيقة كانت أو لا،
لأنه سيأتى أن أخاها يعصبها، فلو كان "ولد أم" لم يعصب (فلها نصف
ما ترك^٣ وهو) أى وهذا الأخ الميت (يرثها) أى إن ماتت هى
ونق هو، جميع مالها (ان لم يكن لها ولد^٤) أى ذكرًا كان أو أنثى
٥ - كما مر في عكسه، هذا إن أريد بالإرث جميع المال، وإلا فهو يرث مع
الأنثى كما أنها هى أيضا ترث، مع الأنثى - كما يرشد^٥ إليه السياق أيضا -
دون النصف .

ولما بين الأمر عند الانفراد أتبعه بيانه عند الاجتماع، وقدم
أقله فقال: (فان كانتا) أى الوارثتان ببيان السياق لهما وإرشاده
١٠ إليهما؛ ولما أضمر ما دل عليه السياق، و كان الخبر صالحا لأن يكون:
صالحتين، أو صغيرتين، أو غير ذلك؛ بين أن المراد - كما يرشد إليه
السياق أيضا - مطلق العدد على أى وصف اتفق فقال: (اثنتين) أى
من الأخوات للآب شقيقتين كانتا أو لا (فلهما الثلثن مما ترك^٦) فان
كانتا شقيقتين كان لكل^٦ منهما ثلث، وإن اختلفتا^٦ كان للشقيقة النصف
١٥ ولتى للآب فقط^٦ السدس تكملة الثلثين .

ولما بين أقل الاجتماع أتبعه ما فوه فقال: (وان كانوا) أى

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ ومد فخذناها (٢) فى ظ: ان.
(٣-٢) من ظ ومد، وفى الأصل: والدا - كذا (٤) من ظ ومد، وفى الأصل:
ترك (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: يريد (٦) زيد فى ظ: واحد (٧) من مد،
وفى الأصل وظ: اختلفا (٨) سقط من ظ .

الوراث^١ (اخوة) أى محتطين (رجالا و نساء فللذكر) أى منهم
(مثل حظ الاثنين) وقد أنهى سبحانه ما أراد من بيان إرث الإخوة
لاب ، فتم بذلك جميع أحوال ما أراد من الإرث ، وهو على وجازته
كما ترى - يحتمل^٢ مجلدات - والله الهادى ، ووضع هذه الآية هنا^٣
- كما تقدم - إشارة منه [إلى - '] أن من أبى توريث النساء والصغار ٥

الذى^٤ تكرر^٥ الاستفتاء عنه فقد استنكف عن عبادته واستكبر وإن
آمن^٦ بجميع ما عداه من الأحكام، ومن استنكف عن حكم من / الأحكام
فذاك هو الكافر حقا ، كما أن من آمن ببعض الأنبياء وكفر ببعض
فهو الكافر حقا ، وهذا مراد شياطين أهل الكتاب العارفين بصحة هذه
الأحكام ، الحاسدين لكم عليها ، المرادين لضلالكم^٧ عنها لتشاركونم^٨
في الشقاء^٩ الذى وقع لهم لما بدلوا الأحكام المشار إليهم بعد ذكر آيات
الميراث وما تبعها من أحوال النكاح بقوله " يريد الله ليبين لكم ويهديكم
سنن الذين من قبلكم " وقوله " ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا
ميلا عظيما " ثم المصرح بهم فى قوله " ألم تر الى الذين ادتوا نصيبا من
الكتب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم " ١٥
ولذلك - والله أعلم - ختم هذه الآية بقوله : (يبين الله) أى الذى

(١) من مد ، وفى الأصل وفى ظ : الوارث (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :
يتحمل (٣) فى ظ : هناك (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ
ومد ، وفى الأصل : يتكرر (٧) زيد فى ظ : من ، والعبارة من بعده إلى " من
آمن " ساقطة منه (٨) فى ظ : أصلا تكم (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : الشق .

أحاط بكل شيء قدرة وعلما ﴿لَكُمْ﴾ أى 'ولم يكلكم فى هذا البيان
إلى بيان غيره ، وقال مرغبا مرهبا: ﴿ان﴾ أى كراهة أن ﴿تضلوا﴾
والله ﴿أى الذى له الكمال كله﴾ (بكل شيء عليم ء) أى فقد
بين لكم بعلمه ما يصلحكم بيانه حيا ومماتا دنيا وأخرى ، حتى جعلكم
٥ على المحجة البيضاء فى مثل ضوء النهار ، لا يزيغ عنها منكم إلا هالك ،
والحاصل أن تأخير هذه الآية إلى هنا لما تقدم من أن تفريق القول
فيما تأباه النفوس وإلقاء شيئا فشيئا باللفظ والتدرج أدعى لقبوله ،
وللاشارة إلى شدة الاهتمام بأمر الفرائض يجعل الكلام فيها فى جميع
السورة أولها وأثنائها وآخرها* ، والتخويف من أن يكون حالهم كحال
١٠ المنافقين فى إضلال أهل الكتاب لهم بإلقاء الشبهة وأخذهم من الموضع
الذى تهواه نفوسهم ، ومضت عليه أوائلهم ، وأشرته قلوبهم ، والتهريب
من أن يكونوا مثلهم فى الإيمان ببعض و^١ الكفر ببعض ، فيؤديهم ذلك
إلى إكمال الكفر ، لأن الدين لا يتجزأ بل من كفر بشيء منه كفر به
جميعه ، ومن هنا ظهرت مناسبة آخر هذه السورة لأولها ، لأن أولها
١٥ مشير إلى أن الناس كلهم كشيء واحد ، وذلك يقتضى عدم الفرق
بينهم إلا فيما شرعه الله ، و آخرها مشير إلى ذلك بالتسوية بين النساء

(١-١) موضع الرقين فى ظ : الذى له الكمال (٢-٢) سقط ما بين الرقين من
ظ (٣) فى ظ : كما (٤) فى ظ : ياباه (٥) فى ظ : آخرتها (٦) فى ظ : بالشبه .
(٧) من ظ ومد . وفى الأصل : المواضع (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : عليهم .
(٩) سقطت الواو من ظ (١٠) فى ظ : شيء (١١) فى ظ : العرف - كذا .

والرجال في مطلق التوريث بقرب الأرحام^١ وإن اختلفت الأنصاء،
فكانه قيل: يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة،
وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، وسوى بينهم
فيما أراد من الأحكام فانه من استكبر - ولو عن حكم من أحكامه -
فسيجزيه^٢ يوم الحشر، ولا يحد له من^٣ دون الله^٤ ناصرا، ولا يخفى ٥
عليه شيء من حاله، وما أشد مناسبة ختامها باحاطة العلم لما^٥ دل عليه
أولها من تمام القدرة، فكان آخرها دليلا على أولها لأن^٦ تمام العلم
مستلزم^٧ لشمول القدرة؛ قال الإمام: وهذا الوصفان هما اللذان بها
ثبتت الربوبية والإلهية والجلال والعزة، وبهما يجب على العبد أن يكون
مطيعا للأوامر والنواهي منقادا لكل التكليف - انتهى . وختام^٨ أول ١٠
آية^٩ فيها بقوله "إن الله كان عليكم رقيبا" أي وهو بكل شيء من
أحوالكم وغيرها عليم، فلا تظنوا أنه يخفى عليه شيء وإن دق، فليستند
حذرکم منه ومراقبتکم له^{١٠}، وذلك أشد شيء مناسبة لأول المائة -
والله موفق بالصواب، وإليه المرجع والمآب^{١١} .

(١) في ظ: الأرجا (٢) في ظ: متجاره - كذا (٣-٣) في ظ ومد: دونه .
(٤) في ظ: بما (٥) في ظ: لانها (٦) في ظ: تستلزم (٧-٧) في ظ: او انه - كذا
(٨) سقط من ظ (٩) وإلى هنا ينتهي الجزء الأول من الأصل ومد، فقد زيد بعده
في الأصل: "تم الجزء الأول من تناسق الدرر في تناسب الآي والسور -
علامة الإسلام الشيخ برهان الدين إبراهيم البقاعي"، وزيد في مد: "تم
الجزء الأول من كتاب الدرر في مناسبة الآي والسور - تأليف الشيخ الإمام
العالم العلامة منبع الغرائب ومظهر العجائب إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط =

= ابن علي بن أبي بكر البقاعي الشافعي - طيب الله ثراه وجعل الجنة مقراً
وماواه... (وبعد ذلك وردت أسطر من النسخ لم تقدر على قراءتها لعدم
اتضاحها) وكان الفراغ من ذلك النقل بعد العصر من يوم الثلاثاء سادس
عشر شوال سنة سبعين وستمائة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة
إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
تسلية كثيراً دائماً ! يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني من أول سورة المائدة » .

**

*

خاتمة الطبع

تم بمتة تعالى وحسن توفيقه طبع الجزء الخامس من تفسير
 ”نظم الدرر في تناسب الآيات و السور“ للشيخ العلامة برهان الدين
 أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله يوم الاثنين السادس عشر
 من شهر ذي الحجة سنة ١٣٩٢ هـ = ٢٢ يناير سنة ١٩٧٣ م .
 وقد اعتنى بتصحيحه و التعليق عليه مصحح دائرة المعارف العثمانية
 الأخ الفاضل السيد محمد عمران الاعظمي العمري (الحامل شهادة أفضل العلماء
 من جامعة مدراس) و عني بتنقيحه السيد حبيب الله القادري صدر المصححين
 ثم راقم هذه الخاتمة تحت إشراف الأديب الفاضل الفضيلة الدكتور
 محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف و عييدها - أبقاه الله لخدمة العلم
 و الدين ! و يتلوه الجزء السادس إن شاء الله تعالى من أول سورة المائدة .
 و في الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه
 و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و أصحابه أجمعين ،
 و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

محمد عظيم الدين غفر له

(كامل الجامعة النظامية)

نائب صدر المصححين بدائرة المعارف